مركز الصفاء للدراسات

المجلد
2

محاضرة الأبرار
ومسامرة الأخيار

للشيخ الأكبر

محيي الدين بن العربي

محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي

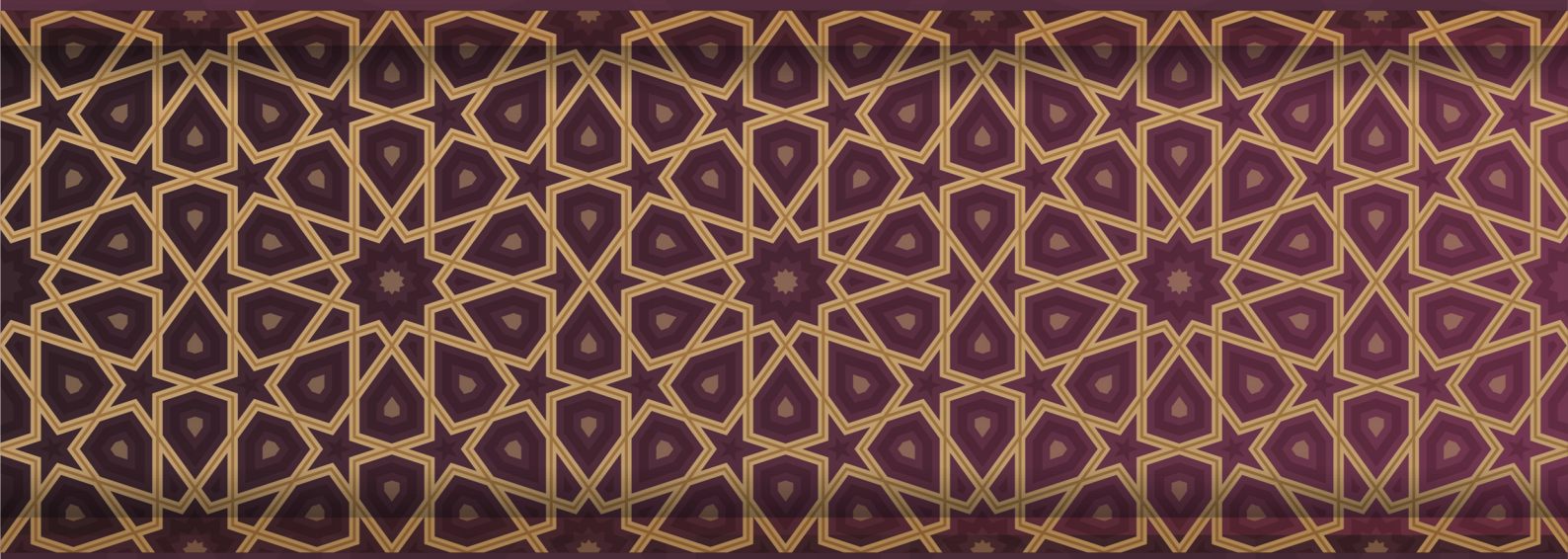

تحقيق

عبد العزيز سلطان ظهر المنصوب

طبعة إلكترونية أولى

© 2026

محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار- ٢

هدية مركز الصفاء للدراسات

محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار

نسخة إلكترونية أصلية مجانية

منقحة من آخر طبعة ورقية

بتحقيق عبد العزيز سلطان المنصوب

متاحة للاستخدام الشخصي غير التجاري

دون أيّ تعديل مع الإشارة إلى المصدر عند الاستشهاد

ⵅⵙⵙⵚⵔⵜ11 ⵙⵙⵔⵄⵙ ⵣⵕⵔⵣ ⵅⵢⵜⵗ

ⵔⵙⵢⵏⵙ ⵅⵔⵣⵙⵙⵣⵀ ⵔⵙⵔⵎⵙ ⵅⵔⵜⵙⵗⵣ

ⵅⵢⵏⵙⵔⵣ ⵅⵢⵜⵄⵙ ⵅⵢⵏⵀⵔⵅⵕⵜⵙ ⵅⵏⵙⵏ

ⵅⵢⵖⵔⵀ ⵅⵔⵎⵍ ⵔⵏⵙ ⵏⵣ ⵅⵛⵖⵏⵣ

ⵎⵀⵄⵏⵣⵜⵙ ⵏⵙⵍⵜⵙ ⵣⵢⵣⵔⵜⵙ ⵜⵎⵔ ⵖⵢⵖⵛⵅⵎ

ⵢⵔⵙⵊⵅⵜ ⵔⵢⵎ ⵢⵄⵖⵣⵜⵙ ⵣⵙⵜⵏⵅⵚⵙⵙ11 ⵅⵛⵙⵅⵣ

ⵜⵙⵏⵣⵅⵚⵙⵜⵙ ⵜⵏⵔ ⵔⵜⵄⵣⵜⵙ ⵙⵜⵙ ⵅⵔⵙⵣⵙⵜⵙ ⵔⵣ ⵜⵢⵜⵔⵅ ⵢⵙ ⵏⵀⵜ

"المسند"

سلسلة الصفا

محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار

للشيخ الأكبر

محيي الدين بن العربي

المجلد (٢)

تحقيق

عبد العزيز سلطان المنصوب

الطبعة الأولى ١٤٤٥هـ – ٢٠٢٣م

الطبعة الإلكترونية الأولى ١٤٤٩هـ – ٢٠٢٧م

الناشر: مركز الصفاء للدراسات

صنعاء، الجمهورية اليمنية

حقوق الطبع محفوظة

ومن باب الحياء

ما قرأته في كتاب المنقطعين إلى الله تعالى، قال بعضهم: رأيت شيخًا يأتي إلى باب المسجد، فيصلّي عنده ولا يدخل فيه، فقلت له: يا شيخ؛ ما لك لا تدخل المسجد؟ فقال: يا أخي؛ خلوت يومًا في بعض المساجد، فأعجبتني خلوتي، فإذا بمنادٍ ينادي: يا شيخ؛ أما تحتشم وقد عصيتَه أن[1] تدخل بيتَه! فما قدرتُ بعد على دخول المساجد حشمة وحياء.

ومن باب الصبر ومقابِله[2]

وقّع كسرى بن هرمز إلى بعض المحبسين: مَن صبر على النازلة كان كمن لم تنزل به، ومن طُوِّل له في الحبل كان فيه عطبُه، ومن أكل بغير مقدار تلفت نفسه.

موعظة في الباب

دخل ابن الزيّات على الأفشين وهو محبوس فقال:

اصبِر لها صبرَ أقوامٍ نفوسُهم ... لا تستريح بلا عقلٍ ولا قَوَدِ

فقال الأفشين: من صحب الزمان لم ينج من خيره أو شرّه، ووجد الكرامة والهوان. ثمّ قال:

لم ينجُ من خيرها أو شرّها أحدٌ ... فاذكر سبائبها إن كنت من أحدِ

خاضت بك المنية الحمقاء غمرتها ... فتلك أمواجها ترميك بالزبدِ

حُكي أنّ يوسف عليه السلام شكا إلى الله تعالى طول السجن، فأوحى الله إليه[3]: أنت حبست نفسك حين قلت: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾[4]، فلو قلت: العافية أحبّ إليّ، لعوفيت. ثمّ أخرجه الله تعالى كما ذكره في كتابه العزيز. فلمّا خرج من السجن واصطفاه العزيز، أمر أن يكتب على باب السجن: هذه منازل البلوى، وقبور الأحياء، وشماتة الأعداء، ومحزنة[5] الأصدقاء.

---

(١) ج، م، ي: - أن.

(٢) ج، م، ي: - ومقابله.

(٣) م، ي: - إليه.

(٤) [يوسف: ٣٣]

(٥) أ، ر، ن: وتجربة.

ومن كلام علي بن أبي طالب ﷺ

قال علي بن أبي طالب يومًا لابنه الحسن ﷺ: يا بنيّ؛ ابذل[1] لصديقك كلّ المودّة، ولا تطمئنّ إليه كلّ الطمأنينة، واعطه كلّ المواساة، ولا تفشِ إليه كلّ[2] الأسرار.

ومن كتاب التراجم

أنّ عيسى عليه السلام قال: عاشروا الناس معاشرة؛ إن عشتم حنّوا إليكم، وإن متّم بكوا عليكم. وقال:

قد يمكث الناس حينًا ليس بينهم ... وُدٌّ فيزرعه[3] التسليم واللَّطَفُ
يُسلي الشقيقين طول النأي بينهما ... وتلتقي شُعَبٌ شتّى فتأتلفُ

وفي الحكمة القديمة

ليس للعقلاء تنعُّم إلّا بمودّات الإخوان.

وقال العباس بن جرير: المودّة تعاطف القلوب، وائتلاف الأرواح، وأُنس النفوس، ووحشة الأشخاص عند تنائي اللقاء، وظهور السرور بكثرة التزاور، وعلى[4] حسب مشاكلة الجواهر يكون الاتّفاق في الخصال.

وروينا من حديث أحمد بن عبد الله قال: روينا من حديث رباح بن عبيد، قال: خرج عمر بن عبد العزيز إلى الصلاة قبل خلافته، وشيخ متوكّئ[5] على يده، فقلت في نفسي: إنّ هذا الشيخ جاف. فلّما صلّى ودخل، لحقته، فقلت: أصلح الله الأمير؛ مَن الشيخ الذي كان متوكّئًا على يدك؟ فقال: يا رباح؛ رأيتَه؟ قلت: نعم. قال: ما أحسبك يا رباح إلّا رجلًا صالحًا، ذاك أخي الخضر؛ أتاني فأعلمني أنّي سأَلِي أمر هذه الأمّة، وأنّي سأعدل فيها.

وحكى محمد بن فضالة، فيما رواه أبو نعيم، أنّ عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، وقف براهب في الجزيرة في صومعة له، قد أتى عليه فيها عمر طويل، وكان يُنسب إليه علم من

---

(١) م، ي: انزل.
(٢) م، ي: بكل.
(٣) ج، م، ي: فينزعه.
(٤) ج، م: على.
(٥) ج، م، ي: متّكئ.

الكتاب، فهبط إليه، ولم يُر هابطًا إلى أحد قبله، فقال له: يا عبد الله؛ أتدري لِمَ هبطتُ إليك؟ قال: لا، قال: لحقّ أبيك إنّا نجده من[1] أئمّة العدل بموضع رجب من أشهر الحرم. قال: ففسّره له أيوب بن سويد، فقال: ثلاثة متوالية: ذو القعدة وذو[2] الحجة والمحرم، أبو بكر وعمر وعثمان، ورجب منفرد منها؛ عمر بن عبد العزيز.

قلت: تكلّم أيوب[3] في هذا التفسير ببادي الرأي، ولم يتحقّق[4] مقصد المتكلّم، فلم يُرِد الراهب بقوله العددَ، فإنّه ما تعرّض إليه، وكيف يتعرّض للعدد، وأئمّة الهدى بعد رسول الله ﷺ: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن ﷺ، وإنّما أراد بالمثال أنّه كما[5] بين رجب والأشهر الحرم، شهور ليست بحُرُم، وليست لها تلك المرتبة، كذلك بين أئمّة العدل وبين عمر بن عبد العزيز، خلفاء ليست لهم في العدل مرتبة هؤلاء المذكورين.

حكى لنا بعض الأدباء، أنّ علي بن الجهم، وكان بدويًّا جافيًا، لمّا قدم[6] على المتوكل، وأنشده يمدحه بقصيدته التي يقول فيها يخاطب الخليفة:

أنت كالكلب في حفاظك للودّ وكالتيس في قراع الخطوبِ
أنت كالدلو لا عدمناك دلوًا من كبار الدِّلا كثير الذَّنوبِ

فعرف المتوكل قوّته، ورقّة مقصده، وخشونة لفظه، فعرف أنّه ما رأى سوى ما شبّه به، لعدم المخالطة وملازمة البادية، فأمر له بدار حسنة على شاطئ دجلة، فيها بستان حسن يتخلّله نسيم لطيف، يغذّي الأرواح، والجسر قريب منه، وأمر بالغذاء اللطيف أن يتعاهد به. وكان يركب في أكثر[7] الأوقات، فيخرج إلى محلّات بغداد، فيرى حركة الناس ولطافة الحضر، ويرجع إلى بيته، فأقام ستة أشهر على ذلك، والأدباء والفضلاء يتعاهدون مجالسته ومحاضرته، فاستدعاه الخليفة بعد هذه المدة لينشده، فحضر وأنشد:

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبنَ الهوى من حيث تدري ولا تدري

فقال المتوكل: لقد خشيت عليه أن يذوب رقّة ولطافة. وخرجت القصيدة عن فكري،

---

(١) ج، م، ي: في.
(٢) ج، م، ي: - ذو.
(٣) ج، م، ي: أبو أيوب.
(٤) أ، ر، ي: يحقق. م: يقصد.
(٥) ج، م، ي: كان.
(٦) م، ي: تقدم.
(٧) م، ي: بعض.

فإن وجدتها فسألحقها إن شاء الله في بعض مجالس هذا الكتاب.[1]

وأنشدَنا له أبو حامد الخشني الليلي عن بعض أشياخه، عن ابن مغيث، قال: قال علي بن الجهم، من باب الرجوع إلى الله تعالى:

توكّلنا على ربّ السماءِ وسلّمنا لأسباب القضاءِ
ووطّنّا على غِيَر الليالي نفوسًا سامحت بعد الإباءِ

---

(١) القصيدة هي:

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري
أعدن لي الشوق القديم ولم أكن سلوت ولكن زدن جمراً على جمر
سلمن وأسلمن القلوب كأنما تشكّ بأطراف المثقّفة السمر
خليليّ ما أحلى الهوى وأمرّه وأعرفني بالحلو منه وبالمرّ
كفى بالهوى شغلاً وبالشيب زاجراً لَوَ انّ الهوى مما ينهنه بالزجر
بما بيننا من حرمة هل علمتما أرقّ من الشكوى وأقسى ـ من الهجر
وأفضح من عين المحبّ لسرّه ولا سيما إن أطلقت عبرة تجري
وما أنس بالأشياء لا أنس قولها لجارتها ما أولع الحبّ بالحرّ
فقالت لها الأخرى فما لصديقنا معنى وهل في قتله لك من عذر؟
فقالت أذود الناس عنه وقلّما يطيب الهوى إلّا لمنهتك الستر
وأيقنتا أنّي سمعت فقالتا من الطارق المصغي إلينا وما تدري
فقلت فتى إن شئتما كتم الهوى وإلّا فخلّاع الأعنّة والعذر
على أنّه يشكو ظلوماً وبخلها عليه بتسليم البشاشة والبشر
فقالت هجيناً قلت قد كان بعض ما ذكرت لعلّ الشرّ يدفع بالشرّ
فقالت كأنّي بالقوافي سوائراً يردن بنا مصراً ويصدرن عن مصر
فقلت أسأتِ الظن بي لستُ شاعراً وإن كان أحياناً يجيش به صدري
صِلي واسألي من شئت يخبرك أنّني على كلّ حال نعم مستودع السرّ
وما أنا ممن سار بالشعر ذكره ولكنّ أشعاري يسير بها ذكري
وللشعر أتباع كثير ولم أكن له تابعاً في حال عسر ولا يسر
ولكنّ إحسان الخليفة جعفر دعاني إلى ما قلت فيه من الشعر
فسار أمير الشمس في كلّ بلدة وهبّ هبوب الريح في البرّ والبحر
ولو جلّ عن شكر الصنيعة منعم لجلّ أمير المؤمنين عن الشكر
ومن قال إنّ البحر والقطر أشبها نَداه فقد أثنى على البحر والقطر

[الكشكول، بهاء الدين العاملي، ج٢ صفحة ١٠١]

وأبواب الملوك محجّباتٌ وباب الله مبذول الفِناءِ

هذه الأبيات، قالها لمّا حبسه المتوكل.

وقال أيضًا في حبسه ذلك:

قالت حبستَ فقلت ليس بضائري[1] حبسي وأيّ مهنّدٍ لا يُغمدُ
أوَما رأيت الليث يألف غَيْلَهُ[2] كبرا وأوباش السباع تَرَدَّدُ
والنار في أحجارها مخبوءةٌ لا تصطلي إن لم تُثِرها الأزندُ
والبدر يدركه الظلام فتنجلي[3] أيّامه فكأنّه متجدّدُ
والزاعبية[4] لا يقيم كعوبَها إلّا الثقافُ وجذوة تتوقّدُ
غِيَرُ الليالي بادياتٌ عُوّدٌ والمال عارية يُفاد وينفَدُ
لا يؤيسنّك من تفرّج كربة خطبٌ أتاك به الزمان الأنكدُ
فلكلِّ حال معقبٌ ولربما أجلى لك المكروه عمّا تحمدُ
كم من عليل قد تخطّاه الردى فنجا ومات طبيبه والعوّدُ
صبرًا فإنّ اليوم يعقبه غدٌ[5] ويد الخليفةِ لا تطاولها يدُ
والحبس ما لم تَغْشَهُ لِدَنيّة شنعاء نِعم المنزل المتورّدُ
لو لم يكن في الحبس إلّا أنّه لا يستذلّك[6] بالحجاب الأعبدُ
بيت يجدّد للكريم كرامةً وتزار فيه ولا تزور وتقصدُ
يا أحمد بن أبي داءود إنما تدعى لكلّ كريهة يا أحمدُ
أبلِغ أمير المؤمنين ودونه خوف العدا ومخاوف لا تنفدُ
أنتم بنو عمّ النبيّ محمدٍ أولى بما شرع النبيّ محمدُ
ما كان من حسَنٍ فأنتم أهله كَرُمَت مغارسكم وطاب المحتدُ
أمِنَ السويّة يا ابن عمّ محمدٍ خصمٌ تقرّبه وآخر تُبعِدُ
إنّ الذين سعوا إليك بباطل أعداء نعمتك التي لا تجحدُ

---

(١) م، ي: بضائر.
(٢) الغيل: موضع الأسد.
(٣) ر، م، ن: فينجلي.
(٤) الزاعبية: الرماح. ر، م، ن: الراعبية.
(٥) م، ي: غدا.
(٦) أ، ج، ر، ن: لا تستذلك.

شـــهـدوا وغِبنـا عنهم فتحكّموا فينا وليس كغائب من يشـــهدُ
لـو يجمع الخصـــماءَ عنـدك منزل يومًا لبان لك الطريق الأقصـدُ
والشـــمس لـولا أنّهـا محجـوبـة عن ناظريك لما أضـــاء الفرقدُ

وفي نقيض هذا ما أنشده عاصم بن محمد الكاتب لنفسه لمّا حبسه أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف، فقال:

قالت حبستَ، فقلت خطبٌ أنكدُ أَنحى عليّ به الزمانُ المرصـدُ
لو كنـتُ حرّا كان سربي مطلقًـا ما كنت أُحبسُ عنوة وأُقيّدُ
لو كنت كالسـيف المهنّد لم يكن وقت الكريهة والشديدة يغمدُ
لو كنت كالليث الهصـور لما رعتْ فيّ الذئـاب وجـذوتي تتوقّـدُ
من قـال إنّ الحبس بيـت كرامـةٍ فمكاشرٌ[1] في قوله متجلّدُ
مـا الحبس إلّا بيـت كلّ مهـانـةٍ ومَـذَلّةٍ ومـكارهٍ لا تـنـفـدُ
إن زارني فيـه العـدوّ فشـــامتٌ يبـدي التوجّع تارة ويُفنّـدُ
أو زارني فيـه الصـــديق فموجعٌ يـذري الدموع بزفرة تتردّدُ
يكفيـك أنّ الحبس بيـت لا يُرى أحدٌ عليه من الخلائق يُحْسَـدُ
تمضـــــي الليالي لا أذوق لرقدةٍ طعمًا وكيف حياة من لا يرقدُ
في مطبقٍ فيه النهار مُشـــاكِلٌ[2] لِلّيـلِ والظلمات فيـه سرمـدُ
فـإلى متى هـذا الشـــقـاء موكّلٌ وإلى متى هذا البلاء مجدّدُ[3]
مـا لي مجير غير سـيّـدي الذي ما زال يكفلني ونعم السـيّدُ
غذيت حشـــاشـــة مهجتي بنوافل من سـيبهِ وصـنائع لا تجحدُ
عشرين حولًا عشت تحت جناحه عيش الملوك وحـالتي تتزيّـدُ
فخلا العـدوُّ بموضـــعي من قلبـه فَحشـــاه جمرًا ناره ما تُخمدُ
فـاغفر لعبـدك ذنبـه متطوّلًا فالحقد منك سجيّة لا تعهدُ
واذكر خصائص[4] خدمتي ومقاومي أيّام كنـتَ جميعَ أمري تحمـدُ

(١) ج، م، ي: فمكاسر.
(٢) م، ي: مشكل.
(٣) أ، ر، ن: مجرد.
(٤) م، ي: حقائق.

وقال بعضهم: سئل عمّار بن ياسر عن الولايات، فقال: هي حلوة الرضاع مرّة الفطام.

وطلبني بعض السلاطين للولاية، وعزم عليّ فيها، فامتنعتُ عليه إلى أن قال: ما يمنعك أن ترغب في عزّ الولاية؟ فقلت: ذُلّ العزل. قال: لا أعزلك، وعليّ العهد بذلك. قلت: الأحوال بروق تلمع ولا تقيم، وهذه الحالة منك غير دائمة، ولا سيما إذا جاء سلطان نقيضها.

روي في سبب عزل الحجاج بن يوسف عن مدينة رسول الله ﷺ أنّ عيسى بن طلحة بن عبيد الله، وفد على عبد الملك بن مروان في وفد أهل المدينة، فأثنى الوفد على الحجاج ثناء كثيرًا، وعيسى بن طلحة ساكت، فلمّا انصرفوا ثبت عيسى مكانه حتى خلا له وجه عبد الملك، فقام، فجلس بين يديه، فقال: يا أمير المؤمنين؛ من أنا؟ قال: عيسى بن طلحة بن عبيد الله، قال: فمن أنت؟ قال: عبد الملك بن مروان. قال: فجِهلتنا، أو تغيّرت بعدنا؟ قال: وما ذاك؟ قال: ولّيت علينا الحجاج بن يوسف يسير فينا بالباطل، ويحملنا على أن نثني عليه بغير الحقّ، واللهِ لئن أعدته علينا لنعصيّنك، وإن قاتلتنا وغلبتنا وأسأت إلينا، قطعت أرحامنا، ولئن قوينا عليك، لنغصبنّك ملكك. فقال له عبد الملك: انصرِف، والزم بيتك، ولا تذكرنّ من هذا شيئًا. قال: وقام إلى منزله. قال: فأصبح الحجاج غاديًا إلى عيسى بن طلحة، فقال: جزاك الله عن خلوتك بأمير المؤمنين خيرًا، فقد أبدلني بكم خيرًا[1] وأبدلكم بي غيري، وولّاني العراق. [2]

أنشدنا يونس بن يحيى بمكة، قال: قرأ عليّ محمد[3] بن علي الطائي، وأنا أسمع! قيل له: أنشدكم؟ قال: أنشدنا أبو محمد الحسن بن منصور السمعاني، قال: أنشدنا والدي أبو المظفر السمعاني، لأبي بكر بن داود السجستاني:

تمسّـــك بحبل الله واتّبعِ الهدى ... ولا تـك بـدعيًّـا لعلّك تفلحُ
ولُذ بكتـاب الله والســـنَنِ التي ... أتت عن رسول الله تنجو وتربحُ
ودع عنـك آراء الرجـال وقولهم ... فقول رســـول الله أزكى وأشرحُ
ولا تـك من قوم تلهّوا بـدينهم ... فتَطعن في أهل الحديث وتقدحُ
إذا ما اعتقدت الدهر يا صاح هذه ... فأنت على خير تبيتُ وتصـــبحُ

روينا من حديث أبي نعيم، ثنا الوليد، قال: بلغنا أنّ رجلًا ببعض بلاد خراسان، قال:

---

(١) أ، ج، ر، ن: - فقد أبدلني بكم خيرا.

(٢) هذه القصة وردت سابقا تحت عنوان: الولاية حلوة الرضاع مرّة الفطام.

(٣) أ، ر، ن: محمد بن محمد.

أتاني آتٍ في المنام، فقال: إذا قام أشجّ بني مروان، فانطلِق، فبايعه، فإنّه إمام عدل. فجعلت أسأل كلّما قام خليفة، حتى قام عمر بن عبد العزيز، فأتاني ثلاث مرات في المنام، فلمّا كان آخر ذلك زبَرني فأَوعدني، فرحلتُ إليه، فلمّا قدمتُ لقيته فحدّثته الحديث، فقال: ما اسمك ومن أنت؟ وأين منزلك؟ قلت: بخراسان، قال: ومَن أمير المكان الذي أنت فيه؟ ومَن صديقك هناك؟ ومن[1] عدوّك؟ فألطف المسألة، ثمّ حبسني أربعة أشهر. فشكوت إلى مزاحم مولى عمر بن عبد العزيز، فقال: إنّه كتب فيك. فدعاني بعد أشهر، فقال: إنّي كتبت فيك فجاءني ما أُسرّ به من قبل صديقك وعدوّك، فهلمّ فبايعني على السمع والطاعة والعدل، فإذا تركتُ ذلك فليس لي عليك بيعة. قال: فبايعته، قال: ألك حاجة؟ فقلت له: أنا غنيّ في المال، إنما أتيتك لهذا، فودّعني وودّعته، ومضيتُ.

وقال أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه في خلافته[2]، وقد صعد المنبر، فخطب الناس[3]، فقال: أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت فلا طاعة لي عليكم.

وقال علقمة بن ليث لابنه: يا بنيّ؛ إن نازعتك نفسُك إلى صحبة الرجال إذ[4] قد تمسّ الحاجة إليهم، فاصحب من إن صحبته زانك، وإن تخفّفتَ له صانك، وإن نزلتْ بك مؤنة مانَك، وإن قلت صدّقَ قولك، وإن صُلْتَ به شدّد صولتك. اصحب من إذا مددت يدك إليه لفضلٍ مدّها، وإن رأى منك حسنة عدّها، وإن بدت منك ثلمة سدّها. اصحب من لا تأتيك[5] منه البوائق، ولا تختلف[6] عليك منه الطرائق، ولا يخذلك عند الحقائق.[7]

أخوك أخوك من يدنو وترجو مودّته وإن دعي استجابا

وقال الآخر:

ومولاك مولاك الذي إن دعوته أجابك طوعًا والدماء تصبّبُ

حكي عن عكرمة، قال: كنّا جلوسًا عند ابن عباس، وعبد الله بن عمر، فطار غراب يصيح، فقال رجل من القوم: خير خير، فقال ابن عباس: لا خير ولا شرّ.

---

(١) أ، ج، ر، ن: - من.
(٢) م، ي: - في خلافته.
(٣) م، ي: - الناس.
(٤) م، ي: أو.
(٥) م، ي: يأتيك.
(٦) ر، م، ن، ي: يختلف.
(٧) م، ي: + وقد قيل.

ما فرّق الأحباب بعد الله إلّا الإبلُ
والناس يلحون غراب البين لما جهلوا
وما على ظهر غراب البين تطوى الرحلُ
ولا إذا صاح غرابٌ في الديار ارتحلوا
وما غراب البين إلّا ناقة أو جملُ

ولنا في هذا المعنى من قصيدة:

نعقتْ أغربة البين بهم لا رعى الله غرابًا نعقا
ما غراب البين إلّا جملٌ سار بالأحباب نصًّا عنقا[1]

رؤيا آمنة أمّ رسول الله ﷺ في وقت حملها به وما قيل لها فيه

روينا من حديث أحمد بن عبد الله، ثنا سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، ثنا حفص بن عمر بن الصبّاح الرقّي، ثنا يحيى بن عبد الله البابلي، ثنا أبوبكر بن أبي مريم، عن سعيد بن عمرو الأنصاري، عن أبيه، عن كعب الأحبار في صفة النبيّ ﷺ، قال ابن عباس: "وكان من دلالات حمل محمد رسول الله[2] ﷺ أنّ كلّ دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة، وقالت: حُمِل برسول الله ﷺ وربِّ الكعبة، وهو أمان الدنيا، وسراج أهلها، ولم تبق كاهنة من قريش، ولا في قبيلة من قبائل العرب إلّا حُجِبتْ عن صاحبتها، وانتزع علم الكهنة منها، ولم يبق سرير مَلِك من ملوك الدنيا إلّا أصبح منكوسًا، والمِلك مخرسًا لا ينطق يومه، ومرّت وحش الشرق إلى وحش الغرب بالبشارات، وكذلك أهل البحار يبشّر بعضهم بعضًا في كلّ شهر من شهوره، نداء في الأرض ونداء في السماء: أن أبشروا، فقد آن لأبي القاسم أن يخرج إلى الأرض ميمونًا مباركًا.

قال[3]: وبقي في بطن أمّه تسعة أشهر كمّلًا لا تشكو وجعًا ولا ريحًا ولا مغصًا[4]، ولا ما يعرض للنساء من ذوات الحوامل. وهلك أبوه عبد الله وهو في بطن أمّه، فقالت الملائكة: إلهنا وسيّدنا؛ يبقى نبيّك هذا يتيمًا. فقال الله ﷻ للملائكة: أنا له وليٌّ وحافظٌ ونصير، وتبرّكوا بمولده، فمولده ميمونٌ مباركٌ، وفتح الله ﷻ لمولده أبواب السماء وجنّاته. فكانت أمّه تحدّث

(١) انتهى السمر.
(٢) ج، م، ي: - رسول الله.
(٣) م، ي: - قال.
(٤) ج، ر: مغسا (وهو لغة في المغص).

عن نفسها، وتقول: أتاني آتٍ حين مرّ لي من حملِه ستة أشهر فوكزني برجله في المنام، وقال لي: يا آمنة؛ إنّك قد حملت بخير العالمين طرًّا، فإذا ولدتيه فسمّيه محمدًا، واكتمي شأنك.

قال: فكانت تحدِّث عن نفاسها[١]، فتقول: لقد أخذني ما يأخذ النساء، ولم يعلم بي أحد من القوم ذَكَرًا ولا أنثى، وإنّي لوحدي[٢] في المنزل، وعبد المطلب في طوافه، قالت[٣]: فسمعتُ وجبة شديدة وأمرًا عظيمًا، فهالني ذلك، وذلك يوم الاثنين، فرأيت كأنّ جناح طير أبيض قد مسح على فؤادي، فذهب عنّي كلّ رعب وكلّ فزع ووجع كنت أجد، ثمّ التفتُّ فإذا أنا بشربة بيضاء ظننتها لبنًا، وكنت عطشى، فتناولتها، فشربتها، فأضاء منّي نورٌ عال، ثمّ رأيتُ نسوة كالنخل الطوال، كأنّهنّ من بنات عبد مناف، يحدِّقن بي، فبينا أنا أعجب وأقول: واغوثاه؛ من أين علِمن بي هؤلاء! واشتدّ بي الأمر، وأنا أسمع الوجبة في كلّ ساعة أعظم وأهول، فإذا أنا بديباج أبيض قد مُدّ به بين السماء والأرض، وإذا قائل يقول: خذوه عن أعين الناس.

قالت: ورأيت رجالًا قد وقفوا في الهواء بأيديهم أباريق فضة، وإناء يرشح[٤] عرقًا كالجمان، أطيب ريحًا من المسك الأذفر، وأنا أقول: يا ليت عبد المطلب قد دخل عليّ، وعبد المطلب عنّي ناءٍ، قالت: فرأيت قطعة من الطير، قد أقبلتْ من حيث لا أشعر، حتى غطّت حجرتي، مناقيرها من الزمرّد[٥]، وأجنحتها من الياقوت، فكشف الله ﷻ عن بصري، فأبصرتُ ساعتي تلك مشارق الأرض ومغاربها، ورأيت ثلاثة أعلام مضروبات: علمًا في المشرق، وعلمًا في المغرب، وعلمًا على ظهر الكعبة. فأخذني المخاض، واشتدّ بي الأمر جدًّا[٦]، فكنت كأنّي مستندة إلى أركان النساء، وكثرن عليّ حتى أنّي[٧] لا أرى معي[٨] في البيت أحدًا، وأنا لا أرى شيئًا. فولدت محمدًا ﷺ، فلمّا خرج من بطني درتُ فنظرت إليه، فإذا أنا به ساجد قد رفع أصبعيه كالمتضرّع المبتهل.

---

(١) ج، م، ي: نفسها.
(٢) أ، ر، م: لوحدة. م: الوحيدة. ي: لوحيدة.
(٣) النسخ عدا م: قال.
(٤) أ، ن: وانا نرشح. م، ي: وأنا أرشح.
(٥) م، ي: - من الزمرد.
(٦) م، ي: - جدا.
(٧) النسخ عدا ج: - أني.
(٨) م، ي: - معي.

ثمّ رأيت سحابة بيضاء قد أقبلتْ من السماء تنزل حتى غشيته، فغُيِّب عن وجهي، فسمعتُ مناديًا ينادي، ويقول: طوفوا بمحمد ﷺ شرق الأرض وغربها، وأدخِلوه البحار كلّها، ليعرفوه باسمه ونعته[1] وصورته، ويعلمون أنّه سمّي فيها الماحي، لا يبقى شيء من الشرك إلّا محي به في زمنه. ثمّ تجلّت عنه في أسرع وقت، فإذا أنا به مدرَج في ثوب صوف أبيض أشدّ بياضًا من اللبن، وتحته حريرة خضراء، وقد قبض محمد على ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ الرطب الأبيض، وإذا قائل يقول: قبض محمد ﷺ على مفاتيح النصرة، ومفاتيح الريح، ومفاتيح النبوّة.

ثمّ أقبلت سحابة أخرى أعظم من الأولى، ونور يسمع فيها صهيل الخيل، وخفقان الأجنحة من كلّ مكان، وكلام الرجال، حتى غشيته، فغُيِّب عن عيني[2] أكثر وأطول من المدّة الأولى[3]، فسمعتُ مناديًا ينادي: طوفوا بمحمد ﷺ الشرق والغرب، وعلى مواليد النبيّين، واعرضوه على كلّ روحاني من الجنّ والإنس والطير والسباع، واعطوه صفاء آدم ورقّة نوح وخلّة إبراهيم ولسان إسماعيل وصبر يعقوب وجمال يوسف وصوت داود وصبر أيوب وزهد يحيى وكرم عيسى، واغمروه في أخلاق الأنبياء.

ثمّ تجلّت عنه في أسرع من طرفة عين[4]، فإذا أنا به قد قبض على حريرة خضراء مطويّة طيًّا شديدًا، ينبع من تلك الحريرة ماء معين، وإذا قائل يقول: بخٍ بخٍ، قبض محمد ﷺ على الدنيا كلّها، لم يبق خَلق[5] من أهلها إلّا دخل في قبضته، طائعًا بإذن الله ﷻ ولا قوّة إلّا بالله.

قالت آمنة[6]: فبينا أنا اتعجّب إذا أنا بثلاثة نفر، ظننتُ أنّ الشمس تطلع من خلال وجوههم، في يد أحدهم إبريق من فضة، وفي ذلك الإبريق ريح المسك، وفي يد الثاني طست من زمرّد أخضر، عليها أربعة نواحي، في[7] كلّ ناحية من نواحيها لؤلؤة بيضاء، وإذا قائل يقول: هذه الدنيا شرقها وغربها، وبرّها وبحرها، فاقبض يا حبيب الله على أيّ ناحية شئت، قالت: فَدُرتُ لأنظر أين قبض من الطست؟ فإذا هو قد قبض على وسطها، فسمعت قائلًا

---

(١) م، ي: + وصفته.

(٢) م، ي: فغيّب عني.

(٣) النسخ عدا ج: - الأولى.

(٤) أ، ر، ن: طرف العين.

(٥) م، ي: من خلق.

(٦) م، ي: - آمنة.

(٧) أ، ر، ن: - في.

يقول: قبض على الكعبة وربّ الكعبة، أما إنّ الله تبارك وتعالى قد جعلها له قبلة ومنسكًا مباركًا.

قالت: ورأيت في يد الثالث حريرة بيضاء مطويّة طيًّا شديدًا، فنشرها فأخرج منها خاتمًا تحارُ أبصار الناظرين دونه، ثمّ حمل ابني فناوله صاحبَ الطست، وأنا أنظر إليه، فغسله بذلك من الإبريق سبع مرات، ثمّ ختم بين كتفيه بالخاتم ختمًا واحدًا، ولفّه في الحريرة، واستدار عليه خيطًا من المسك الأذفر، ثمّ حمله فأدخله بين أجنحته ساعة. قال ابن عباس: كان ذلك رضوان خازن الجنان. قالت: وقال في أذنه كلامًا كثيرًا لم[1] أفهمه، وقبّل بين عينيه، ثمّ قال: ابشر يا محمد؛ فما بقي لنبيٍّ عِلم إلّا قد أُعطيته، فأنت أكثرهم علمًا، وأشجعهم قلبًا، معك مفاتيح النصرة، وقد أُلبست الخوف والرعب، فلا يسمع أحد بذكرك إلّا وجل فؤاده وخاف قلبه، وإن لم يرك يا حبيب الله.

قالت: ثمّ رأيت رجلًا قد أقبل نحوه[2]، حتى وضع فاه على فيه، فجعل يزقّه كما تزقّ الحمامة[3] فرخها، فكنت أنظر إلى ابني يشير بإصبعه، يقول: زدني زدني، فزقّه ساعة، وقال[4]: ابشر يا حبيب الله؛ فما بقي لنبيّ حلم إلّا وقد أوتيته. ثمّ احتمله فغيّبه عنّي. فجزع فؤادي وذهل قلبي، فقلت: ويح لقريش، والويل لها، ماتت كلّها، أنا في ليلتي وفي ولادتي أرى ما أرى، ويُصنع بولدي ما يُصنع[5]، ولا يقربني أحد من قومي، إنّ هذا لهو العجب العجب!

قالت: فبينا أنا كذلك، إذا أنا به قد رُدّ عليّ كالبدر، وريحه يسطع كالمسك، وهو يقول: خذيه، فقد طافوا به الشرق والغرب، وعلى مواليد النبيّين أجمعين، والساعة كان عند أبيه آدم، فضمّه إليه، وقبّل بين عينيه، وقال: ابشر حبيبي؛ فأنت سيّد الأولين والآخرين، ومضى، وجعل يلتفت، ويقول: ابشر يا عزّ الدنيا وشرف الآخرة، فقد استمسك بالعروة الوثقى، فمن قال بمقالتك، وشهد بشهادتك، حشر غدًا يوم القيامة تحت لوائك وفي زمرتك. وناولَنيه ومضى، ولم أره بعد تلك المرّة.

---

(١) م، ي: فلم.

(٢) أ، ج، ر، ن: نحوهم.

(٣) م، ي: يزق الطير.

(٤) أ، ر، ن: قال.

(٥) م، ي: - ما يصنع.

زاد العباس في حديثه، فقلت: يا آمنة؛ ما الذي رأيت في ولادتك من علامة هذا الصبي؟ فقالت: رأيت علمًا من سندس على قضيب[1] من ياقوت، قد ضُرب بين السماء والأرض، ورأيت نورًا ساطعًا من رأسه قد بلغ السماء، ورأيت قصور الشامات كلّها شعلة نار، ورأيت قربي سربًا من القطا قد سجدتْ له، ونشرت أجنحتها، ورأيت تابعة سُعَيْرَة الأسدية، قد مرّت وهي تقول: ما لقي الأصنام والكهّان من ولدكِ هذا؟ هلكت شعيرة، والويل للأصنام ثمّ الويل لها.

ورأيت شابًّا من أتمّ الناس طولًا وأشدّهم بياضًا، فأخذ المولود منّي، فتفل في فيه، ومعه طاس من ذهب، فشقّ بطنه، ثمّ أخرج قلبه فشقّه شقًّا، فأخرج منه نكتة سوداء فرمى بها، ثمّ أخرج صرّة من حرير أخضر ففتحها، فإذا فيها شيء كالذريرة البيضاء، فحشاه به، ثمّ ردّه إلى مكانه، ثمّ مسح على بطنه، فاستيقظ، فنطق فلم أفهم ما قال، إلّا أنّه قال: أنت في أمان الله، وحفظ الله وكلاءته، قد حشوتك علمًا وحلمًا ويقينًا وإيمانًا وعقلًا وشجاعة، وأنت خير البشر، فطوبى لمن اتّبعك وآمن بك وعرفك، والويل ثمّ الويل -قالها سبع مرات- لمن تخلّف عنك[2]، وخرج منها ولم يعرفك، ثمّ تفل فيه أخرى تفلة شديدة، ثمّ ضرب برجله الأرض ضربة، فإذا هو بماء أشدّ بياضًا من اللبن، فغمسه في ذلك الماء ثلاث غمسات، فما ظننتُ إلّا أنّه قد غرق، وما من مرّة يخرجه إلّا رأينا ضوء وجهه كالشمس الطالعة، ولقد رأيتُ بريق وجهه يقع على قصور الشامات كوقوع الشمس". الحديث.

ثمّ قال: أمرني ربّي ﷻ أن أنفخ فيك بروح القدس، فنفخ فيه، فألبسه قميصًا، فقال[3]: هذا أمانك من آفات الدنيا.

الحديث رواه أحمد بن عبد الله، عن محمد بن عبد الله بن جعفر، عن محمد بن أحمد بن أبي[4] يحيى، عن سعيد بن عثمان الكريزي، عن أبي أحمد الزبيري، عن سعيد بن مسلم مولى لبني مخزوم، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: سمعت أبي عباسا يحدّث، فذكره.

---

(١) أ، ر، ن: قضب. ي: قصب.

(٢) م، ي: - عنك.

(٣) م، ي: قال.

(٤) م، ي: - أبي.

لُطف خفيّ من لطيف بعبدٍ مهين ضعيف

أنبأ عبد الرحمن بن علي كتابة[١]، ثنا أبو بكر الصوفي، أنا علي بن أبي صادق، أنا محمد بن عبد الله الشيرازي، قال: سمعت محمد بن فارس يقول، سمعت خير النسّاج يقول، سمعت إبراهيم الخوّاص، وقد رجع من سفره وكان قد[٢] غاب عنّي سنين، فقلت له[٣]: ما الذي أصابك في سفرتك؟ فقال[٤]: عطشتُ عطشًا شديدًا حتى سقطتُ من شدّة العطش، فإذا أنا بماء قد رُشّ على وجهي، فلمّا أحسستُ ببردِه، فتحتُ عيني، فإذا رجل حسن الوجه والزي، عليه ثياب خضر، على فرس أشهب، فسقاني حتى رويت، ثمّ قال: اردِف[٥] خلفي، وكنت بالحاجر، فلمّا كان بعد ساعة، قال: أيش ترى؟ قلت: المدينة، قال[٦]: انزل، واقرأ على رسول الله منّي السلام، وعلى صاحبيه أبي بكر وعمر، وقل: أخوك الخضر يسلّم عليك. وفي رواية، قل له: رضوان يقرأ عليك السلام كثيرًا.

نعت مشوّق

حدّثنا يونس بن يحيى العباسي، ثنا ابن ناصر السلامي، عن أبي طاهر بن أبي الصقر، ثنا مكي، ثنا طاهر بن أحمد، أنا أبو محمد بن زبر، ثنا العباس بن محمد، ثنا الأصمعي، عن أبي بكر الهذلي، عن رجال من قومه، أنّ أصيلًا الهذلي قدم على رسول الله ﷺ من مكة، فقال له: يا أصيل؛ كيف تركت مكة؟ قال: يا رسول الله؛ تركتها قد ابيضّت بطحاؤها، واخضرّت مسلانها، وأمشر سلمها، وأعذق[٧] أذخرها، وأحجن ثُمَامها، فقال: يا أصيل؛ دع القلوب تقرّ، لا تشوّقهم إلى مكة.

المسلان: الشعاب. والمشار: ثمر السلَم، وهو ثمر أحمر. والأعذاق: اجتماع أصول الشجر. والأحجان: انعقافه ومنه سمّي الحجون.

---

(١) م، ي: - كتابة.
(٢) م، ي: - قد.
(٣) أ، ج، ر، ن: - له.
(٤) م، ي: قال.
(٥) م، ي: ارتدف.
(٦) م، ي: فقال.
(٧) أعذق: خرج ثمره.

في الوطن

ما مِن غريبٍ وإن أبدى تجلّده إلّا تذكّر بعد الغربة الوطنا
ومـا يـزال حمام باللّوا غردٌ يهيج منّي فؤادا طالما سكنا

وأنشد أبو محمد بن مُلكون لبعضهم في ذلك:

إذا ما ذكرتُ الثغرَ فاضت مدامعي وأضحى فؤادي نهبةً[1] للهماهمِ
حنينًا إلى أرضٍ بها اخضرّ شاربي وحُلّت بها عنّي عقود التمائمِ

وأنشد ابن سكرة لبعضهم في ذلك:

يقرّ بعيني[2] أن أرى في مكانه ذرى عطفات الأجرعِ المتقاودِ
وأن أرد الماء الذي عن شماله طروقًا وقد ملّ السرى كلّ واحدِ
وألصق أحشائي ببرد ترابه وإن كان ممزوجًا بسمِّ الأساودِ

خبر عبد الله بن الثامر والأخدود

روينا من حديث ابن إسحق، حدّثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي، قال: كان أهل نجران أهل شِرك يعبدون الأوثان، وكان في قرية من قراها قريبًا من نجران -فإنّ نجران هي القرية العظمى إليها جماع أهل تلك البلاد- ساحرٌ يعلّم غلمان أهل نجران السحر، فلمّا نزلها فيميون، قالوا: رجلٌ نزلها ابتنى خيمة بين نجران وبين تلك القرية التي بها الساحر، فجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر، يعلّمهم السحر.

فبعث الثامر ابنه عبد الله بن الثامر، مع غلمان أهل نجران، فكان إذا مرّ بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى من صلاته وعبادته، فجعل يجلس إليه ويسمع منه حتى أسلم، فوحّد الله وعبده، وجعل يسأله عن شرائع الإسلام، حتى إذا فقِه فيه[3]، جعل يسأله عن الاسم الأعظم، وكان يعلمه، فكتمه إيّاه، وقال له: يا ابن أخي؛ إنّك لن تحمله، أخشى ضعفك عنه، والثامر أبو عبد الله يظنّ أنّ ابنه يختلف إلى الساحر، كما يختلف الغلمان، فلمّا رأى عبد الله أنّ صاحبه قد ضنّ به عليه، وتخوّف ضعفه عنه، عمد إلى قداح، فجمعها، ثمّ لم يبق لله اسمًا يعلمه إلّا كتبه في قدح، لكلّ اسم قدح، حتى إذا أحصاها أوقد لها نارًا، ثمّ جعل يقذفها

(١) م، ي: نهمة.
(٢) م، ي: لعيني.
(٣) أ، ج، ر، ن: فيهم.

فيها[1] قدحًا قدحًا، حتى إذا مرّ بالاسم الأعظم قذف فيها بقدحه، فوثب القدح حتى خرج منها لم يضرّه شيء، فأخذه ثمّ أتى صاحبه، فأخبره أنّه قد علم الاسم الذي كتمه عنه[2]، فقال: وما هو؟ قال: هو كذا وكذا، قال: وكيف[3] علِمته؟ فأخبره بما صنع، قال: أي ابن أخي؛ قد أصبتَه، فامسك على نفسك، وما أظنّ أن تفعل.

فجعل عبدالله بن الثامر إذا دخل نجران لم يلق أحد به ضرّ، إلّا قال له يا[4] عبد الله: أتوحّد الله وتدخل في ديني، وأدعو الله فيعافيك مما أنت فيه من البلاء؟ فيقول: نعم، فيوحّد الله ويسلم، ويدعو له فيشفى، حتى لم يبق بنجران أحد به ضرّ إلّا أتاه، فاتّبعه على أمره، ودعا[5] له، فعوفي. حتى رُفع شأنه إلى ملك نجران، فدعاه، وقال[6] له: أفسدتَ عليّ أهل قريتي، وخالفتَ ديني ودين آبائي، لأمثلنّ بك. قال: لا تقدر على ذلك، قال: فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل، فيُطرح على رأسه، فيقع إلى الأرض ليس به بأس، وجعل يبعث به إلى مياه نجران؛ بحور لا يقع فيها شيء إلّا هلك، فيلقى فيها، فيخرج ليس به بأس. فلمّا غلبه[7]، قال له عبد الله بن الثامر: إنّك واللهِ لا تقدر على قتلي حتى توحِّد الله، فتؤمن بما آمنت به، فإنّك إن فعلت سُلِّطتَ عليّ فقتلتني.

قال: فوحّد الله ذلك الملِك، وشهد شهادة عبد الله بن الثامر، ثمّ ضربه بعصًا في يده فشجّه شجّة غير كبيرة، فقتله، وهلك الملِك مكانه. فاستجمع أهل نجران على دين عبد الله بن الثامر، وكان على ما جاء به عيسى بن مريم من الإنجيل وحُكمِه.

فسار إليهم ذو نواس زرعة بن تبّان بجنوده، فدعاهم إلى اليهودية، وخيّرهم بين ذلك والقتل، فاختاروا القتل، فخَدَّ لهم الأخدود، فحرّق بالنار وقتل بالسيف، ومثّل بهم حتى قتل منهم قريبًا من عشرين ألفًا، وفيه نزل: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾[8].

الأخدود: الحفر المستطيل في الأرض كالخندق، والجمع أخاديد.

---

(١) ج، م، ي: - فيها.
(٢) أ، ج، ر، ن: - عنه.
(٣) م، ي: كيف.
(٤) ج، ر، ن: - يا.
(٥) أ: ويدعو. م، ي: فدعا.
(٦) أ، ج، ر، ن: فقال.
(٧) م، ي: - فلما غلبه.
(٨) [البروج: ٤]

قال ابن إسحق: فحدّثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حرام، أنّه حُدّث أنّ رجلًا من أهل نجران في زمن عمر بن الخطاب ﷺ حفر خِربة من خِرب نجران لبعض حاجة[1]، فوجدوا عبد الله بن الثامر تحت دفنٍ منها قاعدًا، واضعًا يده على ضربة في رأسه، ممسكًا عليها بيده، فإذا أُخّرت يده عنها تَثعّبت[2] دمًا، وإذا أرسلت يده ردّها عليها فأمسكتْ دمها، في يده خاتم مكتوب فيه: ربّي الله. فكتب به إلى عمر بن الخطاب يخبر بأمره، فكتب إليهم عمرُ أن أقرّوه على حاله، وردّوا عليه الدفن الذي كان عليه، ففعلوا.

وممّن قتله القرآن

ما حدّثنا به عبد الرحمن بن علي كتابة، عن عمر بن ظفر، عن جعفر بن أحمد، عن عبد العزيز بن علي، عن علي بن عبد الله، عن محمد بن داود، عن أبي زكريا الشيرازي، قال: تهت في بادية العراق أيّامًا كثيرة لم أجد شيئًا أرتفق به، فلمّا كان بعد أيّام رأيت في الفلاة خِباء شَعر مضروبًا، فقصدته، فإذا بيتٌ وعليه شيء مسبَل، فسلّمت فردّت عليّ عجوز من داخل الخِباء، فقالت: يا إنسان؛ من أين أقبلتَ؟ قلت: من مكة، قالت: وأين تريد؟ قلت: الشام، قالت: أرى شبحك شبح إنسان بطّال، ألا لزمت زاوية تجلس فيها إلى أن يأتيك اليقين؟ ثمّ تنظر هذه الكسرة من أين تأكلها؟ ثمّ قالت: تقرأ القرآن؟ قلت: نعم، قالت: اقرأ عليّ آخر سورة الفرقان، فقرأتها، فشهقتْ وأغمي عليها، فلمّا أفاقت قرأتْ هي الآيات، فأخذتْ منّي قراءتها أخذًا شديدًا. ثمّ قالت: يا إنسان؛ اقرأها ثانيةً، فقرأتها، فلحقها مثل ذلك، غير أنّها لم تفق، فقلت: كيف أستكشف حالها؛ ماتت أم لا؟ فتركتُ البيت على حاله ومشيتُ أقلّ من نصف ميل، فأشرفتُ على واد فيه أعراب، فأقبل عليّ[3] غلامان معهما جارية، فقال أحد الغلامين: يا إنسان؛ أتيت البيت في الفلاة؟ قلت: نعم، قال: وتقرأ القرآن؟ قلت: نعم[4]، قال: قتل[5] العجوز وربّ الكعبة. فرجعت معهم حتى أتينا البيت، فدخلت الجارية، فكشفت عنها، فإذا هي ميّتة. فأعجبني خاطر الغلام، فقلت للجارية: من هذان الغلامان؟ قالت[6]: هذه أختهم، منذ ثلاثين سنة ما تأنس بكلام الناس، تأكل في

---

(١) أ، ر، ن: حاجته.

(٢) تثعبت: سالت. ج: انبعثت. م، ي: تنبعث.

(٣) أ، ر، ن: إليّ.

(٤) م، ي: - قال: وتقرأ القرآن؟ قلت: نعم.

(٥) م، ي: قتلت.

(٦) أ، ج، ر، ن: فقالت.

كلّ ثلاثة أيّام أكلة وشربة.

ومن باب البكاء عند رؤية القبور

ما حدّثنا به حنبل عن ابن الحصين، عن ابن المذهب، عن أبي بكر بن مالك، عن عبد الله بن أحمد، عن أبيه، عن أبي عبد الرحمن المقبري، عن عبد الله بن واقد، عن محمد بن مالك، عن البَرَاء بن عازب، قال: «بينما نحن مع رسول الله ﷺ إذ بَصُر بجماعة فقال: علام اجتمع هؤلاء؟ قيل: على قبر يحفرونه. ففزع رسول الله ﷺ فبدر بين يدي أصحابه مسرعًا حتى انتهى إلى القبر فجثا عليه، قال: فاستقبلته بين يديه لأنظر ما يصنع، فبكى حتى بلّ الثرى من دموعه، ثمّ أقبل علينا فقال: أي إخواني؛ لمثل هذا فأعدّوا».

أيّها المغرور في الد ... نيا بعزٍّ تقتنيهِ
وبأهل وبمال ... وبقصر تبتنيهِ
كم سحبناكم عليها ... ذيل سلطان وتيهِ
تحسب الأفلاك تجري ... بخلود ترتجيهِ
إذا طوانا الدهر طيّا ... فاعتبر ما نحن فيهِ[1]

* * *

روينا من حديث الهاشمي يسنده[2] إلى ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أيّها الناس[3]؛ إنّ الرزق مقسوم لن يعدو امرؤ ما كتب له، فأجملوا في الطلب. وإنّ العمر محدود لن يجاوز أحد ما قدِّر له، فبادروا قبل نفاد الأجل. والأعمال محصاة لن تهمل منها صغيرة ولا كبيرة، فأكثروا من صالح العمل.

أيّها الناس: إنّ في القناعة لسعة، وإنّ في الاقتصاد لبلغة، وإنّ في الزهد لراحة، ولكلّ عمل جزاء، وكلّ آتٍ قريب».

رؤيا المنصور، أمير المؤمنين، التي كانت سببًا لبعض حجه التي أحرم بها من بغداد

حدّثنا يونس بن يحيى، عن ابن أبي منصور، عن المبارك بن عبد الجبار، عن أبي بكر

---

(١) انتهى السمر.

(٢) أ، ر، ن: بسنده.

(٣) م، ي: - أيها الناس.

المنكَدِري، عن ابن الصلت[1]، عن أبي بكر بن الأنباري، عن محمد بن أحمد المقدمي، عن أبي محمد التميمي، عن منصور بن أبي مزاحم، عن أبي سهل الحاسب، عن طيفور قال: كان سبب إحرام المنصور من بغداد، أنّه نام ليلة فانتبه مرعوبًا، ثمّ عاود النوم فانتبَه كذلك فزِعًا مرعوبًا، ثمّ راجع النوم فانتبَه كذلك، فقال: يا ربيع؟ قال الربيع؛ قلت: لبّيك يا أمير المؤمنين. قال: لقد رأيت في منامي عجبًا! قال: ما رأيتَ جعلني الله فداك؟ قال: رأيتُ كأنّ آتيًا أتاني فهينم بشيء لم أفهمه، فانتبهتُ فزعًا، ثمّ عاودت النوم فعاودني، يقول ذلك الشيء، ثمّ عاودني بقوله حتى فهمته وحفظته وهو:

كأنّي بهذا القصـــــر قد باد أهلُهُ وعُرّي منـه أهله ومنـازلُهْ
وصار رئيس القوم من بعد بهجة[2] إلى جدثٍ تُبنى عليه جنادلُهْ

وما أحسبني يا ربيع إلّا قد حانت وفاتي، وحضر أجلي، وما لي غير ربّي، قم فاجعل لي غُسلًا. ففعلت، فقام فاغتسل وصلّى ركعتين. وقال: أنا عازم على[3] الحج فهيّئ لنا آلة الحج. فخرج وخرجنا حتى إذا انتهى إلى الكوفة ونزل النجف فأقام أيّامًا، ثمّ أمر بالرحيل، فتقدّمتْ نوائبه[4] وجُنده، وبقيت أنا بوّابه[5]، وهو بالقصر وشاكريته[6] بالباب، فقال لي: يا ربيع؛ جئني بفحمة من المطبخ، وقال لي: اخرج فكن مع دابّتي إلى أن أخرج، فلمّا خرج وركب رجعتُ إلى المكان كأنّي أطلب شيئًا، فوجدت قد كتب على الحائط بالفحمة:

المرء يهوى أن يعيش وطول عيش قد يضرّهْ
تفنى بشاشته ويبقى[7] بعـد حلو العيش مُرّهْ
وتصـــرّف الأيّام حتى ما يرى شيئًا يســـرّهْ
كم شـامتٍ بي إن هلكـ ـــتُ، وقائل لله درّهْ

وللسميسر أنشدني عمّي رحمه الله:

زمـانٌ يمُرّ وعيشٌ يمِرّ ودهر يكرّ بما لا يســـرُّ

---

(١) م، ي: أبي الصلت.
(٢) م، ي: هجعة.
(٣) م، ي: إلى.
(٤) نوائبه: (من معانيها): ضيوفه. ج، م: نوابه.
(٥) أ، ر، ن: نوابه.
(٦) شاكريته: أجراؤه.
(٧) أ، ج، ر، ن: وتبقى.

ونفس تذوب وهَمٌّ ينوب ودنيا تنادي بأنْ ليس حرُّ

ومن وقائع بعض الفقراء

ما حدّثنا عبد الله بن الأستاذ المورواري قال: قال لي بعض الصالحين: رأيت في الواقعة أبا مدين وأبا حامد وجماعة من الصوفية، فقالوا لأبي مدين: قل لنا في التوحيد شيئًا[١]! فقال أبو مدين[٢]: التوحيد همّة المرسَلين والنبيّين، وهو سرّ الخلفاء الصدّيقين، وقطبُ الورثة من العارفين، به حَنّت أسرارهم إلى الحضرة الإلهيّة، وبه انكشفتْ لهم الأمور الربّانية، فأمدّهم بالحياة والقيّوميّة، وأظهر لهم أسرارًا لا تكاد تطيقها الأرواح البشريّة، منها السرّ القائم بالوجود الذي منه بدأ وإليه يعود، ووراء ذلك أسرار لا ينبغي بثّها، ولا يليق بالعارف كشفها، إذ هي أسرار إذا طالعها اضمحلّت رسومُه، وتلاشت أفكاره وعلومُه، وفني ما هو محصور مقيّد، وبقي الواحد الفرد الصمد.

فالعارف المحقّق الذي[٣] يسير بسيره، ولم يكن له في قلبه متّسع لغيره، هو قلبه وحياته، وبه حسنتْ أخلاقه وصفاته؛ فكثيفه ظاهر لكلّ كثيف، ولطيفه يلاحِظ أسرار اللطيف[٤]. فتوحيد العارفين[٥] محض التحقيق، والقصد القصد بلا تحليق، ففي التحليق[٦] فناء العمر، وفي القصد الوصول والظفر، فالعارف مقيم بين الخلق بجسمه، ومسافر إلى جمال[٧] الحضرة العليّة بسرّه، فثمرة هذا التوحيد منالُه، بالسفر فيه تشرفوا وتنعموا[٨]، وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: «سافروا تصحّوا وتغنموا». فغنيمة العارف تظهر عليه بالصفات والنعوت؛ إن اختبرته وجدته بالله قائل، وإن تحقّقته ألفيته مع سيّده كالمليّت بين يدي الغاسل.

وروينا[٩] من حديث الهاشمي يبلغ به النبيّ ﷺ أنّه قال: «إيّاكم وفضول المطعم؛ فإنّ فضول المطعم يَسِم القلب بالقسوة، ويبطئ بالجوارح عن الطاعة، ويصِم الهمم عن سماع

---

(١) النسخ عدا م: شيء.
(٢) م، ي: - أبو مدين.
(٣) م، ي: - الذي.
(٤) أ، ر، ن: اللطف.
(٥) م، ي: العارف.
(٦) ج، م، ي: التخليق.
(٧) م، ي: - جمال.
(٨) م، ي: يشرفوا وينعموا.
(٩) ج، م، ي: روينا.

الموعظة. وإيّاكم وفضول النظر؛ فإنّه يبذر الهوى ويولّد الغفلة. وإيّاكم واستشعار الطمع؛ فإنّه يشرب القلب شدّة الحرص، ويختم على القلوب بطابع حبّ الدنيا، فهو مفتاح كلّ سيّئة، وسبب إحباط كلّ حسنة».

وأنشدني محمد بن عبد الواحد لبعضهم:

وا حيـائي مـن عـليم ... ليس يخفى عنه حالي
منطقي يُبـدي جميلا ... والبـلايا في فِعـالي
ليت شِعري ما اعتذاري ... يوم أُدعى للســؤالِ
كيـف قـولي وجـوابي ... كيف صنعي واحتيالي
ليتـني لم أكُ شــيئًـا ... قبل تحقيق الســؤالِ

ومن حسن التلطّف في المكاتبة

ما ذكره إسماعيل بن أبي شاكر قال: لمّا أصاب أهلَ مكة السيلُ الذي شارف الحجر، ومات تحته خلق كثير، كتب عبد الله بن الحسن العلوي، وهو والي الحرمين، إلى المأمون: يا أمير المؤمنين؛ إنّ[1] أهل حرم الله، وجيران بيته، وأُلّاف مسجده، وعمرة بلاده، قد استجاروا بعزّ معروفك مِن سيلٍ تراكمت أخرياته في هدم البنيان، وقتل الرجال والنسوان، واجتياح الأصول، وجرف الأثقال حتى ما ترك طارقًا ولا تالدًا للراجع إليهما في مطعم ولا ملبس، فقد[2] شغلهم طلب الغذاء عن الاستراحة إلى البكاء على الأمهات والأولاد والآباء والأجداد؛ فاجبرهم[3]، يا أمير المؤمنين؛ بعطفك عليهم وإحسانك إليهم، تجد الله مكافئك عنهم، ومثيبك عن الشكر منهم.

قال: فوجّه المأمون إليهم بالأموال الكثيرة، وكتب إلى عبد الله: أمّا بعد؛ فقد وصلتْ شكيّتك لأهل حرم الله إلى أمير المؤمنين، فبكاهم بقلب رحمته، وأنجدهم بسيب نعمته، وهو مُتْبِع لما أسلف إليهم، بما يخلفه[4] عليهم، عاجلًا وآجلًا، إن أذن الله في تثبيت عزمه على صحّة نيّته.

---

(١) م، ي: - إن.
(٢) م، ي: قد.
(٣) ج، م، ي: فأجرهم.
(٤) أ، ر، ن: تخلّفه. م: تخلّق. ي: تخلف.

قال: فكان كتابه هذا أسرّ لأهل مكة من الأموال التي أنفذها إليهم.

ومن حسن الجواب

ما حكي أنّ أمير المؤمنين وقف على امرأة من بني ثعل[1] فقال لها: ممن العجوز؟ قالت: من طي، قال: ما منع طيًّا أن يكون فيها مثل حاتم؟ قالت: الذي منع العرب أن يكون فيها آخر مثلك، فأُعجب بقولها ووصَلَها.

وقال معاوية حين أتاه سعيد بن مرّة الكندي: أنت سعيد؟ فقال: أميرُ المؤمنين أسعد[2]، وأنا ابن مرّة.

وقال الحجّاج للمهلّب: أنا أطول أم أنت؟ قال: الأمير أطول، وأنا أبسط قامة منه.

وقيل للعباس بن عبد المطلب: أنت أكبر أم رسول الله ﷺ؟ قال: هو عليه السلام أكبر منّي، وأنا ولدت قبله.

قيل: دخل السيّد[3] بن أنس على المأمون، فقال له المأمون: أنت السيّد؟ فقال: أنت السيّد يا أمير المؤمنين، وأنا ابن أنس.

حِكَم

رُبَّ قولٍ أشدّ من صول. لكلّ ساقطة لاقطة. لكلّ داهية ناهية. لكلّ قاصمة عاصمة. مقتل الرجل بين فكّيه، يعني لسانه.

وقال المهلّب: اتّقوا زلّة اللسان، فإنّي وجدت الرجل يعثر قدمه فيقوم من عثرته، ويزلّ لسانه فيكون فيه هلاكه.

وقال يونس بن عبيد: ليست خلّة من خلال الخير تكون في الرجل هي أحرى أن تكون جامعة لأنواع الخير كلّها من حفظ اللسان.

ومن قولهم في الكتمان: كان أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور يقول: الملوك تحتمل كلّ شيء من أصحابها إلّا ثلاثا: إفشاء السرّ، والتعرّض للحُرم، والقدح في الملك.

وقال بعض الحكماء: سِرّك من دمك، فانظر من تملّكه.

---

(١) م، ي: ثعلب.

(٢) أ، م، ن: سعيد. ر، ي: سعد.

(٣) أ، ج، ر، ن: سيد.

وفي الحكمة القديمة: سرّك لا يطّلع عليه غيرك.

وقيل لأبي مسلم: بأيّ شيء أدركت هذا الأمر؟ قال: ارتديت بالكتمان[1] واتّزرت بالحزم، وحالفت الصبر، وساعدت المقادير؛ فأدركت طلبتي، وحزت بغيتي.

وأنشد في ذلك:

أدركت بالحزم والكتمان ما عجزتْ ... عنه ملوك بني مروان إذ حشدوا
ما زلت أسعى عليهم في ديارهم ... والقوم في ملكهم بالشام قد رقدوا
حتى ضربتهم بالسيف فانتبهوا ... من نومةٍ لم ينمها قبلهم أحدُ
ومن رعى غنمًا في أرض مسبعةٍ ... ونام عنها تولّى رعيها الأسدُ

روينا من حديث البغوي؛ أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الظاهري، أنا جدّي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار[2]، أنا أبو بكر بن محمد بن زكريا العذافري، أنا إسحق بن إبراهيم، ثنا عبد الرزاق، ثنا معمّر، عن قتادة، عن نصر بن عاصم الليثي، عن خالد بن خالد اليشكري قال: خرجت زمن فُتِحت "تستر" حتى قدمت الكوفة، فدخلت المسجد، فإذا أنا بحلقة فيها رجل صدع[3] من الرجال، حسن الثغر، يعرف فيه أنّه رجل من أهل الحجاز قال: فقلت مَن الرجل؟ فقال القوم: أوَما تعرفه؟ قلت: لا، قالوا: هذا حذيفة بن اليمان صاحب رسول الله ﷺ، قال: فقعدت، وحدّث القوم. فقال: إنّ الناس كانوا يسألون النبيّ ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشرّ. فأنكر ذلك القوم عليه.

فقال لهم: إنّي سأخبركم بما أنكرتم من ذلك: جاء الإسلام حين جاء، فجاء أمرٌ ليس كأمر الجاهلية، وكنت قد أُعطيتُ في القرآن فهمًا، وكان رجال يجيئون فيسألون عن الخير، فكنت أسأله عن الشرّ، قلت: يا رسول الله؛ أيكون بعد هذا الخير شرّ كما كان قبله شرّ؟ قال: نعم، قلت: فما العصمة يا رسول الله؟ قال: السيف، قلت: وهل بعد السيف بقيّة؟ قال: نعم يكون جماعة على أقذاء، وهُدنة على دَخَن، قال؛ قلت: ثمّ ماذا؟ قال: ثمّ ينشأ دعاة الضلالة، فإن كان لله في الأرض خليفة جلَد ظهرك وأخذ مالك فالزمه، وإلّا فمت وأنت عاضٌّ على جذل شجرة. قال قلت: ثمّ ماذا؟ قال: ثمّ يخرج الدجّال بعد ذلك معه نهر ونار، فمن وقع

(١) أ، ر، ن: الكتمان.
(٢) أ، ر، ن: البزاز.
(٣) صدع: رَبعة.

في ناره وجب أجره وحُطّ وزره، ومن وقع في نهره وجب وزره وحُطّ أجره[1]. قال؛ قلت: ثمّ ماذا؟ قال: ثمّ تنتج المهر فلا تركب[2] حتى تقوم الساعة.

قال البغوي: الصدَع من الرجال -مفتوحة الدال-: الشاب المعتدل. ويقال: الصدَع: الربعة في خلقه رجل بين الرجلين. وقوله: فما العصمة؟ قال: السيف. قال قتادة: يضعه على أهل الردّة كانت في زمن الصدّيق ﷺ. وقوله: هُدنة على دَخَن: صلح على بقايا من الضغن. وقوله: على أقذاء؛ يقول: يكون اجتماعهم على فساد من القلوب، شبّهه بأقذاء العين.

ومن أشراط الساعة

ما رواه علي بن أبي طالب ﷺ قال: سئل رسول الله ﷺ عن أشراط الساعة، فقال: «إذا رأيت الناس قد ضيّعوا الحقّ، وأماتوا[3] الصلاة، وأكثروا القذف، واستحلّوا الكذب، وأخذوا الرشوة، وشيّدوا البنيان، وعظّموا[4] أرباب الأموال، واستعملوا السفهاء، واستحلّوا الدماء؛ فصار الجاهل عندهم ظريفًا، والعالم ضعيفًا، والظلم فخرًا، والمساجد طرقًا، ويكثر الشُّرَط، وحلّيت المصاحف، وطوّلت المنارات[5]، وخربت القلوب من الدين، وشُربت الخمور[6]، وكثر الطلاق وموت الفجأة، وفشا الفجور وقول البهتان، وحلفوا بغير الله، وائتمن الخائن وخان الأمين، ولبسوا جلود الضأن على قلوب الذئاب، فعندها قيام الساعة».

وروى حذيفة بن اليمان قال:

«رأيت رسول الله ﷺ متعلّقًا بأستار الكعبة، وعيناه تذرفان بالدموع، فقلت: ما يبكيك لا أبكى الله عينيك! قال: يا حذيفة؛ ذهبتِ الدنيا، أو كأنّك بالدنيا لم تكن. قلت: فداك أبي وأمي يا رسول الله؛ فهل من علامة يستدلّ بها على ذلك؟ قال: نعم يا حذيفة؛ احفظ بقلبك، وانظر بعينك، واعقد بيدك: إذا ضَيّعت أمّتي الصلاة، واتّبعوا الشهوات، وكثرت

---

(١) م، ي: - قال؛ قلت: ثمّ ماذا؟ قال: ثمّ ينشأ دعاة الضلالة، فإن كان لله في الأرض خليفة جلَد ظهرك وأخذ مالك فالزمه، وإلّا فمت وأنت عاض على جذل شجرة. قال قلت: ثمّ ماذا؟ قال: ثمّ يخرج الدجّال بعد ذلك ومعه نهر ونار، فمن وقع في ناره وجب أجره وحطّ وزره، ومن وقع في نهره وجب وزره وحبط أجره.

(٢) ج، م، ي: ثمّ تنتج المهر فلا تركب.

(٣) م، ي: وأقاموا.

(٤) أ، ر، م، ي: وأعظموا.

(٥) م، ي: المنابر.

(٦) م، ي: الخمر.

الخيانات، وقلّت الأمانات، وشربوا القهوات[١]، وأظلم الهوى، وغار الماء، وأغبرّت الأُفق، وخبثت الطرق، وتشاتم الناس وفسدوا، وفجرت الباعة، ورفضت القناعة، وساءت الظنون، وتلاشت السنون، وكثرت الأشجار، وقلّت الثمار، وغلت الأسعار، وكثرت الرياح، وتبيّنت الأشراط، وظهر اللواط، واستحسنوا الحَلْف، وضاقت المكاسب، وقلّت المطالب، واستمروا بالهوى، وتفاكهوا بينهم بشتيمة الآباء والأمهات، وأكلوا الربا، وفشا الزنا، وقلّ الرضا، واستعملوا السفهاء، وكثرت الخيانة، وقلّت الأمانة، وزكّى كلّ امرئ نفسَه وعمله، واشتهر كلُّ جاهل بجهله، وزخرفت جدرات الدور، ورُفع بناء القصور، وصار الباطل حقًّا، والكذب صدقًا، والصحّة عجزًا، واللؤم عقلًا، والضلالة هدى، والبيان عمى، والصمت بلاهة، والعلم جهالة، وكثرت الآيات، وتتابعت العلامات، وتراجموا بالظنون، ودارت على الناس رحى المنون، وعميت القلوب، وغلب المنكرُ المعروفَ، وذهب التواصل، وكثرت التجارات[٢]، واستحسنوا البطالات، وتهادوا أنفسهم بالشهوات، وتهاونوا بالمعضلات، وركبوا جلود النمور، وأكلوا المأثور، ولبسوا المحبور، وآثروا الدنيا على الآخرة، وذهبت الرحمة من القلوب، وعمّ الفساد، واتّخذوا كتابَ الله لعبًا، ومالَ الله دُولًا، واستحلّوا الخمر بالنبيذ، والنجش بالزكاة، والربا بالبيع، والحكم بالرشا، وتكافأ الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، وصارت المباهاة في العصبيّة[٣]، والكِبر في القلوب، والجور في السلاطين، والسفاهة في سائر الناس، فعند ذلك لم يسلم[٤] إلى ذي دين دينه إلّا من فرّ بدينه من شاهق إلى شاهق، ومن واد إلى واد، وذهب الإسلام حتى لا يبقى إلّا اسمه، واندرس القرآن من القلوب حتى لا يبقى إلّا رسمه، يقرءون القرآن لا يجاوز[٥] تراقيهم، لا يعلمون بما فيه من وعد ربّهم ووعيده وتحذيره وتنذيره وناسخه ومنسوخه، فعند ذلك تكون مساجدهم عامرة، وقلوبهم خاوية من الإيمان. علماؤهم شرّ خلق الله على وجه الأرض، منهم بدت الفتنة وإليهم تعود، ويذهب الخير وأهله، ويبقى الشرّ وأهله، ويصير الناس بحيث لا يعبأ الله بشيء من أعمالهم، قد حبّب إليهم الدينار[٦] والدرهم، حتى أنّ الغني ليحدّث نفسه بالفقر».

---

(١) القهوات: الخمور.

(٢) أ، ج، ر، ن: التجارب.

(٣) ج، ن: المعصية.

(٤) النسخ عدا ج: - لم يسلم.

(٥) ر، ن: لا تجاوز.

(٦) ر، م، ن: الدنيا.

ثمّ ذكر حديث خراب الأرض في باقي الحديث وقد ذكرناه في هذا الكتاب.

رؤيا سهل بن عبد الله التستري

حدّثنا محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بمدينة فاس. قال: رويتُ فيما رويتُ أنّ سهل بن عبد الله قال: نمت ليلة النصف من شعبان عندما غلب عليّ السهر، فرأيت جبريل عليه السلام والناس يُعرضون عليه، فقدِّم إليه رجل، فقال للملائكة الموكلين به: كيف وجدتم هذا العبد؟ قالوا: عبد سوء أُنعم عليه فما شكر، وابتلي فما صبر، وعوهد فخان وغدر، وأُمِر فما أطاع ولا امتثل، وسوّف نفسه بعسى ولعل، يتبرّم بقضاء المولى، ويتحكّم فيما يهوى، ويقول: هذا أحقُّ[1] وهذا أَولى. قال محمد بن قاسم: لمّا انتهى عمر بن عبد المجيد حين حدّثني بهذا الحديث إلى قوله: "وهذا أَولى" بكى، وقال: فهذه صفتي التي عرفتها، وحالتي التي أَلِفتها، ثمّ أنشد فلا أدري أمِنْ قِيله أم متمثّلًا:

ســـاعِدوني في بكائي ... واسمعوا وصـفي لحالي
كلّ ذنبٍ هو عندي ... وهو ذخري وهو مالي
وأنا عن قبح هـذا ... في غرورٍ واشـــتغالِ
هل لمثلي من[2] عزاءٍ ... ضاق بي وجه احتيالي

ثمّ رجع إلى الحديث قال، قال سهل: فأَمر جبريل ملَكًا، فأخذ بيديه، ونادى بين الملائكة عليه: هذا عبدٌ خلع ربقة العبوديّة من أعماله، فخلّوا بينه وبين أشكاله. قال سهل: ثمّ قدِّم إليه رجل آخر، فقال للملائكة الموكّلين به: كيف وجدتم هذا العبد؟ قالوا: هذا عبدٌ صالح؛ شكر على النعماء، وصبر على البلوى، وامتثل أمر المولى، وجانب الخيانة والجفاء، واتّبع سنّة المصطفى. ثمّ أمر ملكًا فأخذ بيديه، ونادى بين الملائكة عليه: هذا عبدٌ لزم آداب العبوديّة فاعرفوه، فإن نزل به أمر فلا تخذلوه.

ومن باب قوله عز وجل: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[3]

قالت العلماء: إذا استخار الرجل ربّه[4] واستشار نصيحَهُ واجتهد، فقد قضى ما عليه،

---

(١) م، ي: حق.
(٢) م، ي: في.
(٣) [آل عمران: ١٥٩].
(٤) م، ي: - ربه.

ويقضي الله في أمره ما يحب. وإيّاك ومشاورة النساء؛ فإنّ رأيهنَّ إلى أفَنْ، وعزمهنّ إلى وهن. وقال بعضهم: حسن المشورة من المشير قضاء حقّ النعمة.

حِكمة

إذا قدرت فاصفح، وإذا استُشِرت فانصح، النصيحة في الملأ تجريس[١]. يقال[٢]: من وعظ أخاه سرًّا زانه، ومن وعظه جهارًا شانه.

قال[٣] بعض الحكماء: نصف عقلك مع أخيك فاستشره، فإنّ الاعتصام بالمشورة، لأنّها تقيم اعوجاج الرأي، وقلّ من هلك إلّا برأيه، ولا يغرّنك قول من قال: لو لم يكن في ترك المشورة إلّا استضعاف صاحبك، وظهور فقرك إليه، لوجب اطّراح ما يفيده من المشورة، وإلقاء ما يكسبه الامتنان.

وقال بعضهم: أمر الحجاج بحضور الشعبي[٤]، فجاء به ابن الأشعث قادمًا، فلقيه كاتب الحجاج أبو مسلم، فقال له الشعبي: أشر عليّ يا أبا مسلم؛ فإنّك أعلم بما هناك! فقال أبو مسلم: لا أدري بما أشير، ولكن اعتذر بما قدرت عليه. قال الشعبي: وأشار عليّ بذلك كلّ من استشرته من أهل ودّي. قال الشعبي: فلمّا دخلت على الحجاج اعتمدتُ على ربّي الذي بيده تقليب قلوب الملوك، وعزمتُ على مخالفة مشورة أصحابي، ورأيت واللهِ غير الذي قالوا، وهان عليّ الأمر، فسلّمتُ عليه بالإمارة إعطاءً لحقّ[٥] المرتبة.

ثمّ قلت: أصلح الله الأمير؛ إنّ الناس قد أمروني أن أعتذر بغير ما يعلم الله أنّه الحقّ، ولكن[٦] واللهِ إنّي[٧] لا أقول في مقامي هذا إلّا الحقّ: قد جهدنا وحرصنا، فما كنّا بالأقوياء الفجرة، ولا بالأتقياء البررة، ولقد نصرك الله علينا، وأظفرك بنا، فإن سطوتَ فبذنوبنا، وإن عفوتَ فبحلمك، والحجة لك علينا. فقال الحجاج: أنت واللهِ أحبّ إلينا قولًا ممن يدخل علينا وسيفه يقطر من دمائنا، ويقول: واللهِ ما فعلتُ ولا شهدتُ، أنت آمِن يا شعبي. قال

---

(١) التجريس بالقوم: التسميع بهم والتنديد.

(٢) م، ي: ويقال.

(٣) أ، ر، ن: وقال.

(٤) مناسبة هذه الرواية أن الشعبي كان قد خرج مع القرّاء على الحجاج وشهد موقعة دير الجماجم مع عبد الرحمن بن الأشعث بظاهر الكوفة في مواجهة الحجاج سنة ٨٣هـ، وكان فيمن أفلت فاختفى زمانا.

(٥) م، ي: حق.

(٦) أ، ر، ن: ولك.

(٧) أ، ر، ن: أن.

الشعبي: فقلت: أيّها الأمير؛ اكتحلتُ واللهِ بعدَك السهر، واستحلستُ الخوف[1]، وقطعت صالح الإخوان، ولم أجد من الأمير خلفًا. قال: صدقتَ، وانصرفتُ. فنعم المستشار العلم، ونعم الوزير العقل.

وقال بعض الأعزّاء من الفضلاء: ما استشرتُ أحدًا إلّا كنت عند نفسي ضعيفًا، وكان عندي قويًّا، وتصاغرت له، ودخلته العزّة، فإيّاك والمشورة وإن ضاقت بك المذاهب، واختلفت عليك المسالك، وأدّاك الاستبهام إلى الخطأ القادح، فإنّ صاحبها أبدًا جليل في العيون، مهيب في الصدور، ولن تزال كذلك ما استغنيت عن ذوي العقول، فإذا افتقرت إليها حقرتك العيون، ورجفت بك أركانك، ويتضعضع بنيانك، وفسد تدبيرك، واستحقرك الصغير، واستخفّ بك الكبير، وعُرِفتَ بالحاجة إليهم.[2]

ولاية خزاعة الكعبة بعد جرهم

روينا من حديث أبي الوليد، عن جدّه، عن سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، عن الكلبي، عن أبي صالح، قال: لمّا طالت ولاية جرهم استحلّوا من الحرم أمورًا عظامًا، ونالوا ما لم يكونوا ينالون، واستخفّوا بحرمة الحرم، وأكلوا مال الكعبة الذي[3] يُهدى إليها سرًّا وعلانية، وكلّما غدا سفيه منهم على منكر وجد من أشرافهم من يمنعه ويدفع عنه، وظلموا[4] من دخلها من غير أهلها، حتى دخل رجل بامرأة منهم الكعبة، فيقال فجر بها، أو قبّلها، فمسخا حجرين، فرقّ أمرهم فيها وضعفوا، وتنازعوا أمرهم بينهم واختلفوا، وكانوا[5] قبل ذلك من أعزّ حيّ في العرب، وأكثره رجالًا وأموالًا وسلاحًا، وأعزّه عزّة[6].

فلمّا رأى ذلك رجل منهم يقال له مضاض بن عمرو بن الحارث بن مضاض بن عمرو قام[7] فيهم خطيبًا فوعظهم وقال: يا قوم؛ اتّقوا على أنفسكم، وراقبوا الله في حَرمه وأمنِه، فقد رأيتم وسمعتم من أهلك من صدر هذه الأمم[8] قبلكم، قوم هود وصالح وشعيب، فلا

(١) استحلس الخوف: صار له كالحلس فلم يأمن.
(٢) انتهى السمر.
(٣) م، ي: التي.
(٤) م، ي: فظلموا.
(٥) م، ي: وكان.
(٦) م، ي: - عزة.
(٧) ر، ن: وقام.
(٨) م، ي: الأمة.

تفعلوا، وتواصلوا، وتواصوا بالمعروف، وانتهوا عن المنكر، ولا تستخفّوا بحرم الله تعالى وبيته، ولا يغرّنكم ما أنتم فيه من الأمن. وبالَغ في وعظهم، فما ازدادوا إلّا طغيانًا وتجبّرًا. فلمّا رأى ذلك مضاض منهم، عمد إلى غزالين كانا في الكعبة من ذهب وأسياف فدفنها في موضع زمزم، وكان زمزم إذ ذاك قد ذهب ماؤه ودرَس.

فبينما هم على ذلك إذ كان من أمر أهل مأرب ما ذكر أنّه ألقت طريفة الكاهنة إلى عمرو بن عامر، وهو الذي يقال له مزيقيا بن ماء السماء، وهو عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وكانت قد رأت في كهانتها أنّ سدّ مأرب سيخرب، وأنّه سيأتي سيل العَرِم فيُخرب[1] الجنّتين. وقال ( )[2] فيما حدّثه أبو زيد الأنصاري أنّ عَمْرًا رأى جرذًا يحفر في سدّ مأرب الذي كان يحبس عليهم الماء[3]، فعلم أنّه لا بقاء للسدّ على ذلك، فباع أمواله، وسار هو وقومه من بلد إلى بلد[4]، لا يطول[5] بلدًا إلّا غَلبوا عليه، وقهروا أهله حتى يخرجوا منه، فلمّا قاربوا مكة ساروا ومعهم طريفة الكاهنة، فقالت لهم: سيروا سيروا، فلن تجتمعوا أنتم ومن خلّفتم أبدًا، فهم لكم أصل، وأنتم لهم فرع، ثمّ قالت مه مه، وحقّ ما أقول، ما علّمني ما أقول إلّا الحكيم المحكم ربّ جميع الإنس من عرب ومن[6] عجم. قالوا لها: ما شأنك يا طريفة؟ قالت: خذوا البعير الشذقم فخضّبوه بالدم، تكون[7] (لكم) أرض جرهم، جيران بيته المحرّم.

قال: فلمّا انتهوا إلى مكة، وأهلها جرهم قد قهروا الناس، وحازوا ولاية البيت على بني إسماعيل وغيرهم، أرسل إليهم ثعلبة بن عمرو بن عامر: يا قوم؛ إنّا قد خرجنا من بلادنا، فلم ننزل بلدًا إلّا فسَح أهلُها لنا، وتزحزحوا عنّا، فنقيم معهم حتى نرسل روّادنا فيرتادون لنا بلدًا تحملنا، فافسحوا لنا في بلادكم حتى نقيم بقدر ما نستريح، ونرسل روّادنا إلى الشام وإلى

---

(١) أ، ر، ن: فتخرب.

(٢) هنا فراغ في جميع النسخ.

(٣) م، ي: - عليهم الماء.

(٤) م، ي: - من بلد إلى بلد.

(٥) م، ي: لا يطأون.

(٦) أ، ر، ن: - من.

(٧) أ، ر، ن: تلون.

الشرق، فحيث ما بلغَنا أنّه أمثل لحِقنا به، وأرجو أن يكون مقامنا معكم يسيرًا[1]. فأبت جرهم ذلك، وبعثوا إليهم أن ارحلوا عنّا. فأرسل إليهم ثعلبة أنّه لا بدّ لي من المقام بهذا البلد حولًا، حتى يرجع إليّ رسلي، فإن تركتموني طوعًا نزلتُ وحمدتكم وواسيتكم في الرعي والماء، فإن[2] أبيتم أقمتُ على كرهكم، ثمّ لم ترتعوا معي إلّا فضلًا ولم تشربوا معي إلّا رنقا[3]، وإن قاتلتموني قاتلتكم، ثمّ إن ظهرتُ عليكم سبيتُ النساء وقتلتُ الرجال، ولم أترك منكم أحدًا ينزل الحرم أبدًا.

فأبت جرهم أن يتركوه طوعًا، وتعبّت لقتاله[4]، فاقتتلوا ثلاثة أيّام، وأفرغ عليهم الصبر ومُنعوا النصر، ثمّ انهزمت جرهم، فلم يفلت منهم إلّا الشريد، وكان مضاض بن عمرو بن الحارث قد اعتزل جرهم، ولم يُعِن جرهم في ذلك وقال: قد كنت أحذّركم هذا. ثمّ رحل هو وولده وأهل بيته حتى نزلوا قنونًا وحلي وما حول ذلك، فبقايا جرهم بها إلى اليوم، وأفنى جرهمًا السيف في تلك الحرب.

فأقام ثعلبة بمكة وما حولها في قومه وعساكره حولًا، فأصابتهم الحمّى، وكانوا ببلدهم لا يدرون فيه ما الحمّى[5]، فشكوا إلى طريفة ما أصابهم، فقالت لهم: قد أصابني الذي تشكون، وهو مفرّق ما بيننا. قالوا: فماذا تأمرين؟ قالت: فيكم ومنكم الأمير وعليّ التسيير. قالوا: فما تقولين؟

قالت: من كان منكم[6] ذا همّ بعيد وجمل[7] شديد ومزاد جديد، فليلحق بقصر عمان المشيد، فكانت أزد عمان.

ثمّ[8] قالت: من كان منكم ذا جلَد وقسر وصبر على أزمات[9] الدهر، فعليه بالأراك من بطن مرّة، فكانت خزاعة.

---

(١) ج، ر، ن: يسير.

(٢) أ، م، ي: وإن.

(٣) الرنق: الكدر من الماء.

(٤) أ، ج، ر، ن، ي: وتعبّت أمثاله. م: ولقيت أمثاله. والترجيح من كتاب الأزرقي أخبار مكة.

(٥) أ، ج، ر، ن: - وكانوا ببلدهم لا يدرون فيه ما الحمى.

(٦) م، ي: - منكم.

(٧) ج: وحمد. م، ي: وحمل.

(٨) م، ي: - ثمّ.

(٩) م، ي: ذا جلد على زمان.

ثمّ قالت: من كان منكم يريد الراسيات في الوحل[1]، المطعمات في المحل، فليلحق بيثرب ذات النخل، فكانت الأوس والخزرج.

ثمّ قالت: من كان منكم يريد الخمر والخمير، والمُلك والتأمير، ويلبس الديباج والحرير، فليلحق ببصرى وغوير، وهما من أرض الشام. فكان الذي سكنوها جفنة من غسّان.

ثمّ قالت: من كان منكم يريد الثياب الرقاق، والخيل العتاق، وكنوز الأوراق، والدم المهراق، فليلحق بأرض العراق. فكان الذي سكنها آل جذيمة الأبرش، ومن كان بالحيرة من غسّان، وآل محرق.

حتى جاءهم[2] روّادهم، فافترقوا من مكة فرقتين: فرقة توجّهت إلى عُمان وهم أزد عمان، وسار ثعلبة بن عمرو بن عامر نحو الشام. فنزلت الأوس والخزرج أبناء حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، وهم الأنصار بالمدينة، ومضت غسّان فنزلوا الشام، وانخزعت خزاعة بمكة، فأقام بها ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر وهو لحيّ، فولي أمر مكة وحجابة الكعبة.

فلمّا حازت خزاعة أمر مكة، وصاروا أهلها، جاءهم بنو إسماعيل، وقد كانوا[3] اعتزلوا حرب جرهم وخزاعة، فلم يدخلوا في ذلك، فسألوهم السكنى معهم وحولهم، فأذِنوا لهم.

فلمّا رأى ذلك مضاض بن عمرو بن الحارث، وقد كان أصابه من الصبابة إلى مكة ما أحزنه، أرسل إلى خزاعة يستأذنها في الدخول إليهم والنزول معهم بمكة في جوارهم، ومتّ إليهم برأيه وتوريعه[4] قومَه عن القتال[5]، وسوء السيرة في الحرم، واعتزاله الحرب. فأبت خزاعة أن يقرّوهم، ونفتهم عن الحرم كلّه. وقال عمرو بن لحي وهو ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر لقومه: من وَجد منكم جرهميًّا قد قارب الحرم فدمه هدر. فنزعت إبل مضاض بن عمرو بن الحارث الجرهمي من قنونا تريد مكة، فخرج في طلبها حتى وجد أثرها قد دخلت مكة، فمضى إلى الجبال من نحو أجياد حتى ظهر على أبي قبيس يتبصّر الإبل في بطن وادي مكة، فأبصر الإبل تُنحر وتُؤكل لا سبيل له إليها، فخاف إن هبط الوادي أن يُقتل، فولّى منصرفًا إلى أهله، وأنشأ يقول:

---

(١) م، ي: الرحل.

(٢) م، ي: جاء.

(٣) م، ي: وقد كانوا قد.

(٤) أ، ر، ن: وتوزيعه.

(٥) م، ي: - معهم بمكة في جوارهم، ومتّ إليهم برأيه وتوريعه قومه.

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيسٌ ولم يسمر بمكة سامرُ
ولم يتربّع واسطًا فجنوبه إلى المنحنى من ذي الأراكة حاضرُ
بلى نحن كنّا أهلَها فأزالنا صروف الليالي والجدود العواثرُ
وأبدلنا ربّي بها دار غربة بها الذئب يعوي والعدوّ المحاصِرُ
فإن تنثني الدنيا علينا بحالها فإنّ لها حالًا وفيها التشاجرُ
فإن تمل الدنيا علينا بكلّها وتَصلح حال بعدنا وتساجرُ[1]
ونحن ولينا البيت من بعد نابت بعزّ فما يخطي لدينا المكاثرُ
ملكنا فعزّزنا وأَعظِم بملكنا[2] فليس لحيٍّ غيرنا ثمّ فاخرُ
فكنّا ولاة البيت من بعد نابتٍ نطوف بذاك البيت والخير ظاهرُ
وأنكح جدّي خير شخص علمته فأبناؤنا منه ونحن الأصاهرُ
فأخرجنا منّا المليك بقدرة كذلك يا للناس تجري المقادرُ
أقول إذا نام الخَلِيُّ ولم أنم إذا[3] العرش لا يبعد سهيل وعامرُ
وبدّلت[4] منهم أوجهًا لا أحبّها وحمير قد بدّلتها واليحابرُ[5]
وصرنا أحاديثًا وكنّا بغبطةٍ كذلك عضّتنا السنون الغوابرُ
وسحّتْ دموع العين تبكي لبلدة بها حرمٌ أمنٌ وفيها المشاعرُ
بوادٍ أنيسٍ ليس يؤذى حمامُه ولا منفرًا يوما وفيه العصافرُ
وفيه وحوش لا ترام[6] أنيسة إذا خرجت منها فما إن تقادَرُ
فيا ليت شعري هل تعمّر بعدنا جياد فمفضي سيله فالظواهرُ
فبطن منى وحشٌ كأن لم يَسِر به مضاض ومن حيي عدي عمائرُ

وقال عمرو أيضًا يذكر بكرًا وغسّان ومن خلّفهم في مكة بعدهم:

يا أيّها الحيّ سيروا إنّ قصركم أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا
إنّا كما كنتمُ كنّا فغيَّرنا دهرٌ فسوف كما صرنا تصيرونا

---

(١) تساجر: تخالل. أ، ر، ن: وتشاجر. م، ي: - هذا البيت.
(٢) أ، ر، ن: بملكها.
(٣) أ، ن، ي: إذ.
(٤) م، ي: أبدلت.
(٥) اليحابر: قبيلة مراد. أ، ر، ن: البحاتر.
(٦) أ، ر، م، ن: لا تراب. ج: لا ترات. ي: الأبراب. والترجيح من الموسوعة الشعرية، ومن "أخبار مكة" للأزرقي.

حُثّوا المطيّ وأرخوا من أزمّتها قبل الممات وقضّوا ما تقضّونا
قد مال دهرٌ علينا ثمّ أهلكنا بالبغي فيه وبَذٌّ[1] الناس يأسونا

وقال حسان بن ثابت الأنصاري يذكر الخزاع؛ خزاعة بمكة[2]، ومسير الأوس والخزرج إلى المدينة وغسّان إلى الشام

فلمّا هبطنا بطن[3] مُرٍّ تخزّعت خزاعة منّا في حلول كراكرِ
حموا كلّ واد من تهامة واحتموا بِصُمّ القنا والمرهفات البواترِ
فكان لها المرباع في كلّ غارةٍ تشنّ بنجدٍ والفجاج الغوابرِ
خزاعتنا أهل اجتهاد وهجرةٍ وأنصارنا جند[4] النبيّ المهاجرِ
وسِرنا فلمّا أن هبطنا بيثربٍ بلا وهنٍ منّا ولا بتشاجرِ
وجدنا بها رزقًا عدامل[5] بُقّيت مِنَ اثار عاد بالخِلال الظواهرِ
فحلّت بها الأنصار ثمّ تبوّأت[6] بيثربها دارًا على خير طائرِ
بنو الخزرج الأخيار والأوس إنّهم حموها بفتيان الصباح البواكرِ
نفوا من طغى في الدهر عنها ودبّبوا يهودًا بأطراف الرماح الخواطرِ
وسارت لنا سيّارة ذات قوّةٍ بكوم المطايا والخيول الجماهرِ
يؤمّون نحو الشام حتى تمكّنوا ملوكًا بأرض الشام فوق المنابرِ
يصيبون فصل القول من كلّ خطبة إذا وصلوا أيمانهم بالمخاصرِ
أولاك بنوا ماء السماء توارثوا دمشقًا بملكٍ كابرًا بعد كابرِ

قال الخطاب بن نفيل بن عبد العزّى وبلغه أنّ أبا عمرو بن أميّة يتواعده:

أيوعدني أبو عمرو ودوني رجالٌ لا ينهنها الوعيدُ
رجال من بني سهم بن عمرو إلى أبياتهم يأوي الطريدُ
جحاجحة شياظمة كرام مراجحة إذا قُرع الحديدُ

---

(١) البَذ: الرجل الفقير.
(٢) م، ي: - بمكة.
(٣) م، ي: أرض.
(٤) م، ي: عند.
(٥) العدمل: الشيء القديم.
(٦) م، ي: تبوأوا.

خضـــارمـة ملاوثـة ليوث خـلال بـيـوتهـم كـرمٌ وجـودُ
ربيع المعـدمين وكلّ جـارٍ إذا نزلـتْ بهم ســـنـةٌ كئودُ
هم الرأس المقـدَّم من قريش وعنـد بيوتهم تلقى الوفودُ
فكيف أخاف أو أخشى عدوًّا ونصـــــــرهم إذا أَدعوا عتيدُ
فليس بعـادلٍ بهمُ سِـــواهم طوال الدهر ما اختلف الجديدُ

ومن مكارم ابن المبارك ومناقبه

ما حدّثنا به[1] محمد بن عبد الله، عن أبي منصور القزّاز، عن أبي بكر الخطيب، عن أبي محمد الخلّال، عن إسماعيل بن محمد، عن أحمد بن الحسن المقري، سمعت عبد الله بن أحمد الدورقي، سمعت محمد بن علي بن الحسن بن شقيق، سمعت أبي يقول: كان ابن المبارك إذا كان وقت الحج اجتمع إليه إخوانه من أهل مَرْو، فيقولون: نصحبك يا أبا عبد الرحمن؟ فيقول لهم: هاتوا نفقاتكم، فيأخذ نفقاتهم فيجعلها في صندوق ويقفل عليها، ثمّ يكتري لهم، ويخرجهم من مرو إلى بغداد، فلا يزال ينفق عليهم، ويطعمهم أطيب الطعام وأطيب الحلوى، ثمّ يخرجهم من بغداد بأحسن زي وأكمل مروءة، حتى يصلوا إلى مدينة الرسول[2] ﷺ، فإذا صاروا إلى المدينة[3] قال لكلّ رجل منهم: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من طُرَفِها؟ فيقول: كذا وكذا، ثمّ يخرجهم إلى مكة، فإذا وصلوا إلى مكة وقضوا حجّهم، قال لكلّ واحد منهم: ما أمرَك عيالك أن تشتري لهم من متاع مكة؟ فيقول: كذا وكذا، فيشتري لهم، ويخرجهم من مكة، فلا يزال ينفق عليهم إلى أن يصيروا إلى مرو، فإذا وصل[4] إلى مرو جصّص[5] أبوابهم ودورهم، فإذا كان بعد ثلاثة أيّام صنع لهم وليمة وكساهم، فإذا أكلوا وشربوا دعا بالصندوق ففتحه ودفع إلى كلّ واحد منهم صُرّته بعد أن كتب عليها اسمه. قال أبي: أخبرني خادمه أنّه عمل آخر سفرة سافرها دعوة، فقدّم إلى[6] الناس خمسة وعشرين خوانًا[7] فالوذج. قال أبي: وبلغنا أنّه قال للفضيل بن عياض: لولاك وأصحابك ما اتّجرت. وكان ينفق على الفقراء في كلّ

(١) م، ي: - به.
(٢) ن، ي: مدينة رسول الله.
(٣) م، ي: إلى المدينة.
(٤) ج، م: وصلوا.
(٥) أ، ج، ر، ن: وجصص.
(٦) أ، ر، ن: على.
(٧) الخِوان: المائدة التي يؤكل عليها الطعام.

سنة مائة ألف درهم.

ومن سماع أهل الله على قول ابن الدمينة

أما والراقصات[١] بذات عِرقٍ ومن صلّى بنعمان الأراكِ
لقد أضمرتُ حبّك في فؤادي وما أضمرتُ حبًّا من سواكِ

سماعهم في "الراقصات[٢]" التي هي الإبل هم العارفين[٣]، و"ذات عرق" انبعاثها عن أصل صحيح. "ومن صلّى بنعمان الأراك" طلب الوصال لينعم بالرؤية. والبيت الثاني على أصله فإنّه متوجّه.

وسماعهم في قول الصمّة وهو

وحنّت[٤] قلوصي آخر الليل حنّة فيا روعةً ما راع قلبي حنينها
فقلت لها حِنّي فكلّ قرينةٍ مفارقها لا بدّ يومًا قرينها
وقلت لها حِنّي رويدًا فإنّني وإيّاك تُخفي عولةً سنبينها

سماعهم في "القلوص" مركب الحس[٥]. و"آخر الليل": انقضاء العمر. "فيا روعة" هول المطلع، والروح والنفس قرينان يتفارقان بالموت، "تخفي عولة سنبينها" يوم تشهد عليهم ألسنتهم.

ومن باب حنين الإبل وسيرها قوله[٦]

ثَوَّرها ناشطة عقالها قد ملأتْ من بُدْنِها جِلالَها
فلم تزل أشواقه تسوقها حتى رمت من الوَجى رِحالَها
ماذا على الناقة من غرامه لو أنّه أنصفَ أو رثى لها
أراد أن تشرب ماء حاجرٍ أَرِيَّها يطلب أم كَلالَها
إنّ لها على القلوب ذمّةً لأنّها قد عرفتْ بلبالَها
كانت لها على الصبا تحيّةٌ أعجَلها السائقُ أن تنالها

---

(١) أ، ر، ن: والرافضات.
(٢) أ، ر، ن: الرافضات.
(٣) م، ي: هم العارفون.
(٤) م، ي: حنت.
(٥) ج، ي: الحسن.
(٦) القائل ابن سنان الخفاجي (٤٢٣-٤٦٦هـ).

كم تسأل البارق عن سويقة ولا تجيب عامدًا سؤالَها
خوفًا على قلوبها[1] إن علِمتْ إنّ الغوادي أدرستْ أطلالها
فعلّلوها بحديث حاجرٍ ولتصنع الفلاة ما بدا لها
وامتدّت الفلاة دون خطوها كأنّها قد كرهت زوالَها

ومن هذا الباب ما أنشدناه محمد بن عبد الله لأبي عبد الله البارع رحمه الله:

دع المطايا تنسم الجنوبا إنّ لها لنبأ عجيبا[2]
حنينها وما اشتكت لغوبا يشهد[3] أن قد فارقت حبيبا
شامتْ بنجد بارقًا كذوبا أذكرها عهد هوىً[4] قريبا
فغادر الشوق لها خبيبا[5] يضرم في أكبادها لهيبا
ترزم إمّا استشرفت كثيبًا فإنّ بالرمل لها سقوبا
ما حملت إلّا فتىً كئيبًا يسرّ ممّا أعلنت نصيبا
يمسي إذا حنّت لها مجيبًا لو غادر الشوق لنا قلوبا
إذَنْ لآثرنا بهنّ النِّيبا إنّ الغريب يسعد الغريبا

ولعلي بن أفلح في هذا الباب:

دعها لك الخير وما بدا لها من الحنين ناشطًا عقالها
ولا تُعِقها عن عقيق رامةٍ فإنّها ذاكرة إفالَها[6]
ولا تعلّلها بجوّ بابلٍ فهو أهاج بالجوى بلبالَها
نشدتك الله إذا جئت الرُّبى فَرِدْ أَضاها واستظلّ ضالَها
وناوح[7] الوُرق بشجو ثاكلٍ أطفى لها ريب الردى أطفالها

وقال أبو فراس في النسيب:

---

(١) م، ي: أكبادها.
(٢) م، ي: - هذا الشطر.
(٣) ج، م، ي: تشهد.
(٤) م، ي: الحمى.
(٥) ج، م، ن: حبيبا. ي: حنينا.
(٦) الإفال: بنات مخاض وهي الإناث.
(٧) أ، ر، ن، ي: وبارح.

لولا تـذكّر مَن ذكرتُ بحـاجرٍ لم أبك[1] فيه مواقد النيرانِ
يا واقفين معي على الدارِ اطلُبا غيري لهـا إن كنتما تقفـانِ
منع الوقوف على المنازل طارق أمر الدموع بمقلتي ونهـاني
إنّا ليجمعنـا البكاء وكلّنـا نبكي على شجن من الأشجانِ

حماية إلهية

حدّثنا عبد الرحمن، ثنا أبو بكر الصوفي، أنا أبو سعيد الحِيري، أنا ابن باكويه، سمعت محمد بن أحمد النجار، سمعت أبا بكر الكتّاني يقول: كنت في طريق مكة فإذا أنا بهِميان[2] تلمع منه الدنانير، فهممتُ أن آخذه فأحمله إلى فقراء مكة، فهتف بي هاتف من ورائي: إن أخذتَه سلبناك فقرك.

وبالإسناد إلى النجار قال: أخبرني أبو علي الروذباري قال: سمعت بُنان الحمّال يقول: دخلتُ البرّيّة[3] على طريق تبوك وحدي، فاستوحشتُ فإذا بهاتف يهتف: يا بُنان؛ نقضتَ العهد، لِمَ تستوحش؟ أليس حبيبك معك؟

ومن باب هوان الدنيا على أهل الله

ما حدّثنا به محمد بن الفضل، ثنا أبو منصور، ثنا أبو بكر بن ثابت، ثنا عبد العزيز القِرميسيني، ثنا ابن جهضم، ثنا الخلدي، ثنا ابن مسروق، حدّثني محمد بن سهل البخاري قال: كنت أمشي في طريق مكة إذ رأيت رجلًا من أهل المغرب على بغل وبين يديه منادٍ ينادي: من أصاب هِميانًا فله ألف دينار، فإذا إنسان أعرج عليه أطمار رثّة يقول للمغربي: أيش علامة الهِميان؟ فقال: كذا وكذا، وفيه بضائع لقوم، وأنا أعطي من مالي ألف دينار. فقال الفقير: من يقرأ الكتابة؟ قلت: أنا، قال: اعدلوا إلى ناحية، فعدلنا، فأخرج الهميان، فجعل المغربي يقول: حبّتين لفلانة بنت فلان بخمسمائة دينار، وحبّة لفلان بمائة دينار[4]، وجعل يَعُدُّ فإذا هو كما قال، فحلّ المغربي هميانه وقال: خذ ألف دينار التي وعدتُ، فقال الأعرج الفقير: لو كان قيمة الهميان عندي بعرتين ما كنتَ تراه، فكيف آخذ منك ألف دينار

(١) أ، ن: أبل.
(٢) الهِميان: كيس تجعل فيه النقود ويشد على الوسط.
(٣) م، ي: البادية.
(٤) م، ي: - بخمسمائة دينار، وحبّة لفلان بمائة دينار.

على ما هذا قيمته؟ ومضى[١] ولم يأخذ منه شيئًا.

أخبرني الوجيه الفارسي بمدينة ملدني، سنة إحدى وستمائة قال: كان ببخارى والٍ يظلم ويجور، فركب في يوم شديد البرد، فرأى في بعض الأزقّة كلبًا أجرب قد أنكأه البرد، فدمعت عيناه، وأخذته[٢] عليه شفقة، فقال لبعض وزعته: احمل هذا الكلب إلى البيت حتى أرجع، فلمّا رجع من وجهه إلى البيت تولّى موضعًا من داره جعله مربطًا لذلك الكلب، وأطعمه وسقاه ودهنَه وكساه جُلًّا، وأوقد حوله نارًا يستدفئ به على بُعد[٣]. فلم يلبث الوالي بعد هذه الفعلة سوى ليلتين ومات رحمه الله[٤]. فرأى بعض الصالحين ممن كان يعرف جوره وظلمه فقال: ما فعل الله بك؟ فقال له: يا هذا؛ أوقفني الحقّ بين يديه، وقال لي: كنتَ كلبًا فوهبناك لكلب، فغفر لي، وضمن عنّي، وأدخلني الجنّة. فقلت له: يصدِّق هذا ما أخبر به رسول الله ﷺ عن بغيٍّ من بغايا بني إسرائيل رأت كلبًا على بئر يلهث عطشًا، فنزعتْ موقها من رِجلها[٥]، واستقت له وسقته، وانصرفت، فشكر الله فعلها فغفر لها.

فتوّة ومروءة

حدّثنا عبد الرحمن، عن أبي بكر الصوفي، عن علي[٦] الحيري، عن ابن باكويه، عن أبي الحسن الحنظلي، عن أحمد بن علي الاصطخري عن أبي عمر الدمشقي قال: خرجنا مع أبي عبد الله بن الجلّاء إلى مكة، فمكثنا أيّامًا لم نأكل، فوقعنا في البرّيّة إلى أعرابيّة عندها شاة، فقلنا لها: بكم هذه الشاة؟ قالت[٧]: بخمسين درهمًا، فقلنا لها: أحسني، فقالت: بخمسة دراهم، فقلنا لها: تهزئين؟ فقالت: لا واللهِ؛ ولكن سألتموني الإحسان، ولو أمكنني لما أخذت شيئًا. فقال ابن الجلّاء: أيش معكم؟ قلنا: ستمائة درهم. فقال: اعطوها واتركوا الشاة عليها. فما سافرنا سفرًا أطيب منها.[٨]

---

(١) م، ي: فمضى.
(٢) م، ي: فأخذته.
(٣) م، ي: - يستدفئ به على بعد.
(٤) م، ي: - رحمه الله.
(٥) م، ي: - من رجلها.
(٦) م، ي: - علي.
(٧) م، ي: فقالت.
(٨) انتهى السمر.

استنصار دوس ذي ثعلبان قيصر ملك الروم على ذي نواس

روينا من حديث ابن إسحق، عن المكي، عن سعيد بن جبير، وعكرمة، عن ابن عباس، أنّ زرعة ذا نواس، لمّا قتل أصحاب الأخدود، وقد ذكرنا قصّته[1] في هذا الكتاب، أفلتَ رجل منهم يقال له دوسٌ ذو ثعلبان، فذهب على فرس له يركض عليه حتى أعجزهم في الرمل، فأتى قيصر فذكر له ما بلغ منهم ذو نواس، واستنصره، فقال: بَعُدتْ بلادك، ونأت دارُك عنّا، ولكن[2] سأكتب لك إلى ملك الحبشة، فإنّه على ديننا فينصرك.

فكتب له إلى النجاشي يأمره بنصرِه. فلمّا قدم على النجاشي بعث معه رجلًا من الحبشة يقال له أرياط، وقال: إن دخلتَ اليمن فاقتل ثلث رجالها، وأخرب ثلث بلادها. فلمّا دخلوا[3] أرض اليمن وهم في سبعين ألفًا من الحبشة، من جملتهم أبرهة الأشرم أحد أجناد أرياط، وكان طريقهم إلى اليمن في البحر، فلمّا نزلوا بساحل اليمن سار إليه ذو نواس في حمير، ومن أطاعه من قبائل اليمن، فلمّا التقوا انهزم ذو نواس وأصحابه، فلمّا رأى ذو نواس ما نزل به وبقومه وجه فرسه في البحر ثمّ ضربه فدخل به حتى لجج في البحر فكان آخر العهد به، فدخل أرياط اليمن، فعمل ما أمره به النجاشي من القتل والتخريب.

فقال ذو جدن فيما أصاب أهل اليمن:

دعيني لا أبا لك لن تطيقي ... لحاكِ الله قد أنزفتِ ريقي
لدى عزف القيان إذا انتشينا ... وإذ نسقى من الخمر الرحيقِ
وشرب الخمر ليس عليّ عارًا ... إذا لم يشكني فيه رفيقي
فإنّ الموت لا ينهاه ناهٍ ... ولو شرب الشفاء مع النشوقِ
ولا مترهّبٌ في أسطوانٍ ... يناطح جدره بيض الأنوقِ
وغمدان الذي حدّثت عنه ... بنوه مسمّكًا في رأس نيقِ[4]
بمنهمة وأسفله حروث ... وحرّ المُوحِل اللثقِ الزليقِ
مصابيح السليط تلوح فيه ... إذا تمسي كتوماض البروقِ
ونخلته التي غرست إليه ... يكاد البسر يهصر بالعذوقِ

---

(١) ج، ن: قضيته.

(٢) م، ي: - ولكن.

(٣) م، ي: دخلوا على.

(٤) مسمّكا: أكثر سماكة. أ، ج: ممسكا. م، ي: متمسكا. والنيق: الطويل من الجبال.

فأصـــبح بعد جدّته رمادًا وغيّر حســـنه لهبُ الحريقِ
وأســلم ذو نواس مســتكينًا وحذّر قومه ضـنك المضـيقِ

المنهمة: التجارة[١]. والحروث: أرض الزرع. وحرّ الموحل: يعني الطين الحرّ الذي هو كالوحل من شدّة ريّه.

وقال ذو جدن أيضا الحميري:

هونك ما أن يردّ الدمع ما فاتا لا تهلكنْ[٢] أسفًا في إثر من ماتا
أبعـد بينون لا عينٌ ولا أثرٌ وبعد ســـلحين يبني الناس أبياتا

بينون وسلحين وغمدان: من حصون اليمن الذي هدم أرياط.

زاد ابن هشام في هذا الحديث ما قاله ربيعة بن عبد ياليل الثقفي في ذلك:

لعمرك مـا للفتى من مفرْ مع الموت يلحقـه والكبرْ
لعمرك مـا للفتى صخرةٌ لعمرك مـا إن له من وزرْ
أبعـد قبـائـل من حميرٍ أبيدو[٣] صباحًا بذات العبرْ[٤]
بـألـف ألـوفٍ وحرّابـةٍ كمثـل الســـماء قبيـل المطرْ
يصمّ صياحهم[٥] المقربات ينفون من قـاتلوا بالدفرْ[٦]
سعالي مثل عديد التراب تيبّس منهم رطـاب الشـــجرْ

يعني من أنفاسهم. و"ذات العبر": الراهية[٧] التي فيها عبر العين، أي سخنتها.

وصار مُلك اليمن بين أرياط وأبرهة، وكان أرياط فوق أبرهة. فأقام أرياط سنتين في سلطانه لا ينازعه أحد، ثمّ نازعه أبرهة الحبشي المُلك، وكان في جند من الحبشة، فانحاز إلى كلّ واحد من الحبشة طائفة، ثمّ سار أحدهما على الآخر، وكان لأرياط صنعاء وأحوازها، وكان لأبرهة الجنَد وأحوازها[٨]. فلمّا تقارب الناس، ودنا بعضهم من بعض، أرسل أبرهة إلى

(١) المنهمة: (في الأصل): النجارة. م، ي: المجارة.
(٢) أ، ر، ومعدلة في ج: لا تهلكا.
(٣) أ، ر، ن: أيبدو.
(٤) م، ي: القمر.
(٥) ج، ر، ن، م: صباحهم.
(٦) أ، ر، ن: بالذفر.
(٧) م، ي: الداهية.
(٨) م، ي: - وكان لأبرهة الجند وأحوازها.

أرياط: إنّك لا تصنع شيئًا بأن تلقي الحبشة بعضهم ببعض فتفني ما بيننا فيضعف[1] أمرها، فابرز إليّ بنفسك، وأبرز إليك[2]، فمن ظهر على صاحبه منّا كان الأمر له. فقال أرياط: أنصفت. وكان أرياط طويلًا في الرجال وسيمًا عظيم الخلق. وكان أبرهة قصيرًا دحداحة، وكان ذا دينٍ في النصرانية وعقل وحلم. فجعل أبرهة خلفه عبدًا له يحمي ظهره يقال له عتودة. فلمّا دنا كلّ واحد من صاحبه رفع أرياط الحربة يريد يافوخ أبرهة فوقعت الحربة على جبهة أبرهة فشرمت حاجبه وعينه وأنفه وشفتيه، فبذلك سمّي أبرهة الأشرم، وحمل غلام أبرهة عتودة على أرياط من خلف أبرهة فزرقه بالحربة فقتله. فانصرف جند أرياط إلى أبرهة واجتمعت عليه الحبشة باليمن.

وكان ما وقع من هذا الأمر كلّه بين أبرهة وأرياط عن غير علم ولا أمر من النجاشي ملك الحبشة، وكان مسكنه بأكسوم من بلاد الحبشة[3]، فلمّا بلغه ذلك غضب غضبًا شديدًا وقال: عدا على[4] أميري بغير أمري فقتله، وما كنت أمرتُه ولا أمّرته. ثمّ حلف النجاشي لا يدع أبرهة حتى يطأ أرضه، ويجزّ ناصيته. فلمّا بلغ أبرهة ذلك حلق رأسه، ثمّ ملأ جرابًا من تراب أرض اليمن، ثمّ بعث به[5] إلى النجاشي، وكتب إليه: أيّها الملك؛ إنما كان أرياط عبدك وأنا عبدك، اختلفنا في أمرك وكلّنا[6] طاعته لك، إلّا أنّي كنت أقوى على أمر الحبشة منه، وأضبَط وأسوس لهم منه، وقد حلقتُ رأسي كلّه حين بلغني قسم الملك، وبعثت به إليه مع جراب من تراب أرضي ليضعه تحت قدميه، فيبرّ بذلك قسمه. فلمّا انتهى ذلك إلى النجاشي رضي عنه، وكتب إليه: أن اثبت بأرض اليمن حتى يأتيك أمري. فأقام أبرهة باليمن إلى أن هلك. وقد ذكرت قصة هلاكه في حديث الفيل.

روينا من حديث ابن أبي الدنيا، عن القاسم بن هاشم[7]، عن علي بن عيّاش، عن إسماعيل بن عيّاش، عن ضمضم بن زُرعة، عن شريح بن عبيد أنّ بني إسرائيل لم يكن فيهم

---

(١) م، ي: فيضيع.
(٢) م، ي: عليك.
(٣) أ، ر، ن: الحبش.
(٤) أ، ن: عليّ.
(٥) م، ي: - به.
(٦) م، ي: وكلانا.
(٧) م، ي: هشام.

ملك إلّا ومعه رجل حكيم[١]، فإذا رآه غضبان كتب له[٢] صحائف، في كلّ صحيفة: ارحم المسكين[٣]، واخش الموت، واذكر الآخرة. فكلّما أخذ الملك صحيفة قطّعها حتى يسكن غضبه.

وحدّثنا عبد الصمد بن علي قال: كان ببلاد فارس في زمان الأكاسرة ينادي كلّ يوم على باب قصر الملك منادٍ، يقول: لا يكون ملك إلّا بالرجال، ولا يثبت[٤] الرجال إلّا بالمال، ولا يحصل المال إلّا بالعمارة، ولا تصحّ العمارة إلّا بالعدل.

وحدّثنا بعض الهنود أنّ الملك فيهم إذا خرج ركب على الفيل وبين يديه راكب مشرف على الناس ينادي بلسانهم، وفي يده طشت ذهب فيه جمجمة إنسان، وفي يده اليمنى قضيب فيقول: يا أيّها الناس؛ أو قال: ينظر إلى الملك ويقول: يا أيّها الملك؛ أنت ملك الناس، قد ركبت على ملك السباع وإلى هذا مصيركما، ويشير بالقضيب إلى الجمجمة، والملك يبكي وينظر في أمور الناس إلى أن يرجع.

ووقفت في كتاب "سر الأسرار" لأرسطو على دائرة صنعها للإسكندر[٥] يوصيه فيها، تتضمّن[٦]: العالم بستان سياجه الدولة. الدولة سلطان يحجبه السنة. السنة سياسة يسوسها الملك. الملك راع يعضده الجيش. الجيش أعوان يكفلهم المال. المال رزق تجمعه[٧] الرعيّة. الرعيّة عبيد تعبّدهم العدل. العدل مألوف فيه صلاح العالَم. ويتّصل الكلام بأوّله.

وقال عيسى بن مريم عليه السلام: معاشر الفقهاء؛ قعدتم على طريق الآخرة، فلا أنتم مشيتم فوصلتم إليها، ولا أنتم تركتم أحدًا يجوزكم إليها، فالويل لمن اغترّ بكم.

روينا من حديث ابن مروان، عن عبد الله[٨] بن مسلم، عن الرياشي، عن الأصمعي قال: كان بلال بن سعد يصلّي الليل أجمع، فكان إذا غلبه النوم في الشتاء، وكان في داره بِركة فيجيء فيطرح عنه ثيابه وينغمس في الماء ليذهب عنه النوم، فعوتب في ذلك فقال: ماء البركة في الدنيا خيرٌ من صديد أهل جهنّم.

---

(١) م، ي: حليم.
(٢) ج، م، ي: إليه.
(٣) م، ي: - المسكين.
(٤) أ، ر: تثبت.
(٥) النسخ عدا ن: الاسكندر. ن: الإسكندرية.
(٦) م، ن، ي: يتضمن.
(٧) ج، م، ي: يجمعه.
(٨) م، ي: عبيد الله.

وكان عندنا بأشبيلية رجل عابد، حسن الصوت، كثير الاجتهاد، سريع الدمعة، دائم العَبرة، كثير الفكرة والتهجّد، بِتُّ معه ليالي عدّة فلم يكن يفتر، فربما أسمعه في بعض الأحايين ينشد بصوت طيّب غرد، ودموعه تتحدّر[1] على خدّيه:

قطع الليـلَ رجـالٌ ورجالٌ وصـلوهُ
رقـدوا فيـه أناسٌ وأناسٌ سـهروهُ
لا يميلون إلى النو مِ ولا يستعذبوهُ
فكأنّ النـومَ شيءٌ لم يكونوا عرفوهُ
لبسوا ثوبًا من الخد مة حتى أخلقوهُ
مع جلبابٍ من الحز ن فما إن نزعوهُ

وروينا من حديث الدينوري، عن سعيد بن عمر الأزدي، عن أبيه، عن يونس بن حازم قال؛ قال العتابي: مررت بديرٍ فصحتُ[2]: يا راهب. فلم يجبني أحد، حتى قلت: يا صاحب الدير. فإذا به قد أشرف عليّ، فقلتُ له: ما منعك أن تجيبني؟ قال: لأنّك سمّيتني بغير اسمي، قلتُ: وما اسمك؟ قال الكلب العقور، وإنّما حبستُ نفسي في هذا الموضع لكي لا أعقر الناس.

وقال العتابي أيضًا: مررت بديرٍ فإذا راهبٌ ينادي، فرفعتُ رأسي إليه فقال لي: ويحك؛ هب إنّ المسيءَ قد عُفي عنه، أليس قد فاته ثواب الصالحين؟

وقال[3] أبو سليمان الداراني: لقيتُ راهبًا فقلت له: يا راهب؛ كيف ترى الدهر؟ قال[4]: يُخْلِق الأبدان، ويجدِّد الآمال، ويباعد الأمنيّة، ويقرّب المنيّة. فقلت له: كيف[5] ترى أهله؟ فقال: من ظفر بها نصب، ومن فاتته تعب. قلت[6]: فما الغنى عنه[7]؟ قال قطع الرجاء منه. قال، فقلت له: فأيّ الأصحاب أبرّ وأوفى؟ قال: العمل الصالح والتقى. قلت: فأين المخرج؟ قال: في سلوك المنهج. قلت: وما هو؟ قال: بذل المجهود وخلع الراحة. قلت: فأوصني، قال:

---

(١) أ، ر، ن: تنحدر.
(٢) م، ي: فصحت منه.
(٣) م، ي: قال.
(٤) م، ي: فقال.
(٥) أ، ر: فكيف.
(٦) أ، ج، ر، ن: قال.
(٧) م، ي: - عنه.

قد فعلت.

رويناه من حديث المالكي، عن أحمد بن عبّاد، عن أحمد بن أبي الحواري عن أبي سليمان، وروينا من حديث العتابي قبله من حديثه أيضًا، عن علي بن الحسين عنه[١].

واقعة لبعض الفقراء

حدّثنا عبد الله بن الأستاذ بمرشانة بدار شمس العابدات أمّ الفقراء، قال: رأى بعض الفقراء في واقعته[٢] أبا مدين وبعض مشايخ الصوفية، فقال بعضهم لأبي مدين: ما معنى الوصول؟ فقال: إذا دلّك به عليه كنت منه وإليه، وإذا أفناك عن الإحساس كنت في حضرة الإيناس، وإذا كاشفك بحبّه لم تلتذّ إلّا بقربه. وإذا غيّبك عن شهودك تجلّى لك من وجودك.

قلت: ورأيت[٣] ليلة في واقعة، وذلك أنّي بِتُّ في جماعة من الصالحين، منهم أبو العباس الحريري الإمام بزقاق القناديل بمصر، وأخوه محمد الخياط، وعبد الله المورووري، ومحمد الهاشمي البسكري، ومحمد بن أبي الفضل، فأريت نفسي والجماعة في بيت شديد الظلمة، وليس لنا فيه نور سوى ما ينبعث من ذواتنا، فكانت الأنوار تنفهق علينا من أجسامنا فنضيء بها[٤]، فدخل علينا شخص من أحسن الناس وجهًا ومنطقًا فقال: أنا رسول الحقّ إليكم، فكنت أقول له: فما جئتَ به في رسالتك؟ فقال: اعلموا أنّ الخير في الوجود، والشرّ في العدم، أوجد الإنسان بجوده، وجعله وحدانيًّا في وجوده، تخلّق بأسمائه وصفاته، وفني عنها بمشاهدة ذاته، فرأى نفسه بنفسه، وعاد العدد إلى أُسّه، فكان هو ولا أنت.

فأخبرتُ الجماعة بالواقعة، فسُرّوا وشكروا الله.

ثمّ وضعت رأسي في عبّي، فنظمت في نفسي أبياتا في المعرفة، ونام أصحابي، فاستيقظ عبد الله وناداني: يا أبا عبد الله؛ فلم أُجِبه كأنّي نائم. فقال لي: ما أنت بنائم، أنت تعمل شعرًا في معرفة الله وتوحيده. فرفعت رأسي وقلت له: من أين لك هذا؟ فقال: رأيتك تعقد شبكة رفيعة، فأوّلتُ الخيوط المنثورة تعقدها شبكة معاني متفرّقة تجمعها، وكلامًا منثورًا تنظمه، فقلت: هذا يعمل شعرًا. قلت له: صدقت، فمن أين عرفت أنّه في[٥] معرفة الله

(١) م، ي: - عن علي بن الحسين عنه. أ، ن: + عن محمد بن الحسين عنه.
(٢) ج: - في واقعته. م، ي: في الواقعة.
(٣) أ، ج، ر: وأفدت. ن: وأقدت.
(٤) م، ي: - بها.
(٥) أ، ر، ن: - في.

وتوحيده؟ قال؛ قلت: الشبكة لا يُصاد فيها إلّا ذو روح حيّ[١] عزيز المأخذ، فلم أجد شعرًا فيه روح وحياة وعزّة إلّا فيما يتعلّق بالله. فكان تأويل رؤياه أعجب إلينا من الرؤيا، رضي الله عن جميعهم.

حكاية من لم يقيّد جوارحه أتعب قلبه

حدّثنا أبو محمد بن يحيى، ثنا المبارك، عن علي بن محمد، عن عبد الملك بن بشران، عن أحمد بن إبراهيم الكِندي، عن جعفر الخرائطي، عن أبي العباس المبرّد، عن هشام، عن معمر بن المثنى، قال: حج عبد الملك بن مروان، وحج معه خالد بن يزيد بن معاوية، وكان من رجالات قريش المعدودين وعلمائهم، وكان عظيم القدر، جليل المنزلة، مهيب[٢] المجلس، موقّرًا معظّمًا عند عبد الملك، فبينما هو يطوف بالبيت إذ بَصُر برملة بنت الزبير بن العوام، فعشقها عشقًا شديدًا، وأخذت بجميع قلبه، وتغيّر عليه الحال، ولم يملك من أمره شيئًا.

فلمّا أراد عبد الملك القفول، همّ خالد بالتخلّف عنه، فبعث إليه فسأله عن أمره، فقال: يا أمير المؤمنين؛ رملة بنت الزبير، رأيتها تطوف بالبيت، فأذهلتْ عقلي، فواللهِ ما أبديتُ لك ما بي حتى عيل صبري، ولقد[٣] عرضتُ النومَ على عيني فلم تقبله، والسلوَّ على قلبي فامتنع منه.

فأطال عبد الملك التعجّبَ من ذلك وقال: ما كنت أقول أنّ الهوى يستأثر مثلك! فقال خالد: وإنّي لأشدّ تعجّبًا من تعجّبك منّي، فلقد كنت أقول إنّ الهوى لا[٤] يتمكن إلّا من صنفين من الناس: الأعراب والشعراء. فأمّا الشعراء فإنّهم ألزموا قلوبهم[٥] الفكر في النساء والغزل، فمال طبعهم إلى النساء، فضعفتْ قلوبهم عن دفع الهوى، فاستسلموا له منقادين. وأمّا الأعراب، فإنّ أحدهم يخلوا بامرأته فلا[٦] يكون الغالب عليه غير حبّه لها. وجملة أمري؛ ما رأيت نظرة حالت بيني وبين الحزم[٧]، وحسّنتْ عندي ركوب الإثم مثل نظرتي[٨] هذه.

---

(١) م، ي: - حي.
(٢) م، ي: مهاب.
(٣) م، ي: - لقد.
(٤) م، ي: ما.
(٥) م، ي: نفوسهم.
(٦) م، ي: ولا.
(٧) م، ي: الحرم.
(٨) النسخ عدا م: نظري.

فتبسّم عبد الملك وقال: أوكلّ هذا بلغ بك؟ فقال: واللهِ ما عرفتُ هذه البليّة قبل وقتي هذا. فوجّه عبد الملك[1] إلى آل الزبير يخطب رملة على خالد، فذكروا ذلك، فقالت: لا واللهِ أو يطلّق نساءه. فطلّق امرأتين كانتا عنده، وتزوّجها وظعن[2] بها إلى الشام، وفيها يقول:

أليس يزيد الشوق في كلّ ليلة ... وفي كلّ يوم من حبيبتنا قربا
خليليّ ما من ساعة تذكرانها ... من الدهر إلّا فرّجتْ عنّي الكربا
أُحبّ بني العوّام طرًّا لحبّها ... ومن أجلها أحببت أخوالها كلبا
تجول خلاخيل النساء ولا أرى ... لرملة خلخالًا يجول ولا قُلبا

كنتُ يومًا أطوف وقد عراني حال أعرفه، فخرجتُ عن البلاط من أجل الناس، وطفت على الرمل، فحضرتني أبيات، فأنشدتها أُسمع نفسي بها ومن يليني لو كان هناك أحد، وأنا أقول وأبكي:

ليت شعري هل[3] دَرَوا ... أيّ قلبٍ ملكوا؟
وفؤادي لو دَرى ... أيّ شِعبٍ سَلكوا
أتُراهم سَلِموا ... أم تُراهم هلكوا؟
حار أرباب الهوى ... في الهوى وارتبكوا

فلم أشعر إلّا وضربةً بين كتفي من كفٍّ ألين من الخزّ، فرددتُ وجهي فرأيت جارية من بنات الروم لم أر أحسن وجهًا[4]، ولا أعذب منطقًا، ولا أرقّ حاشية، ولا ألطف معنى، ولا أظرف محاورة منها. قد[5] فاقت النساء ظُرفًا وأدبًا وجمالًا[6] ومعرفة. فقالت: يا سيّدي؛ كيف قلتَ؟ فقلتُ:

ليت شعري هل[7] دَرَوا ... أيّ قلبٍ ملكوا؟

فقالت: عجبًا منك وأنت عارف زمانك؛ تقول مثل هذا! أليس كلّ مملوك معروف؟ وهل[8] يصحّ الملك إلّا بعد المعرفة؟ وتمنّي الشعور يؤذن بعدم المعرفة، والطريق لسانُ صدقٍ،

(١) م، ي: - وقال: أوكلّ هذا بلغ بك؟ فقال: والله ما عرفت هذه البليّة قبل وقتي هذا. فوجّه عبد الملك.
(٢) م، ي: ورحل.
(٣) النسخ عدا ج: لو.
(٤) م، ي: - وجهًا.
(٥) م، ي: فقد.
(٦) م، ي: - وجمالًا.
(٧) م، ي: لو.
(٨) م، ي: فهل.

فكيف يتجوّز مثلك؟ قل[1]، فماذا قلتَ بعده؟ قلت:

وفؤادي لو دَرى أيّ شِعبٍ سلكوا

قالت: الشِّعب الذي بين الشغاف والفؤاد وهو المانع له من المعرفة به، فكيف يتمنّى مثلك ما لا يتمكن الوصول إلى معرفته؟ والطريق لسان صدق، فكيف[2] يتجوّز مثلك يا سيّدي؟ قل، فماذا قلت بعده؟ قلت:

أتُراهم سَلِموا أم تُراهم هلكوا؟

قالت: أمّا هم فسلِموا، ولكن عنك ينبغي أن تسأل نفسك: هل هلكت أم سلِمت؟ يا سيّدي؛ قل، فماذا قلت بعده؟ قلت:

حار أرباب الهوى في الهوى وارتبكوا

فصاحت وقالت: يا عجبا! كيف يبقى للمشغوف فُضلة يحار بها! والهوى شأنه التعميم يخدّر الحواس، ويذهب بالعقول، ويدهش الخواطر، ويذهب بصاحبه في الذاهبين، فأين الحيرة هنا؟ أو مَن هنا باقٍ فيحار؟ والطريق[3] لسان صدق، والتجوّز على مثلك لا يليق. قلت: يا بنت الخالة[4]؛ ما اسمُكِ؟ قالت: قُرّة العين. قلتُ لها: لي.

ومن شعري فيها:

ما رحلوا يوم بانوا البُزَلَ العيسا إلّا وقد حملوا فيها الطواويسا
من كلّ فاتكةِ الألحاظِ مالكةٍ تخالها فوق عرشِ الدُرِّ بلقيسا
إذا تمشّتْ على صرحِ الزجاج ترى شمسًا على فلَكٍ في حجر إدريسا
يُحيي إذا قتلتْ باللحظ، منطقُها كأنّها عندما تحيي به عيسى
توراتها لوح ساقيها سنًا وأنا أتلو وأدرُسُها كأنّني موسى
أُسقفّةٌ من بنات الروم عاطلةٌ[5] ترى عليها من الأنوار ناموسا
وحشيّةٌ ما لها أُنسٌ قدِ اتّخذتْ في بيت خلوتها للذكر ناووسا
قد أعجزتْ كلّ علّام بملّتنا وداوديًّا وحَبرًا ثمّ قسّيسا
إن أومأت تطلب الإنجيل تحسبنا أقسّة أو بطاريقًا شمامیسا

(١) م، ي: قالت.
(٢) أ، ر، ن: - فكيف.
(٣) النسخ عدا ج: الطريق.
(٤) ر، ي: الحالة.
(٥) النسخ عدا م: راهبة.

ناديتُ إذ رحلتْ للبين ناقتها يا حادي العيس لا تحدو بها العيسا
عبّيت أجناد صبري يوم بَيْنِهم على الطريق كراديسًا كراديسا
سألتُ إذ بلغتْ نفسي تراقيها ذاك الجمال وذاك اللطف تنفيسا
فأسلمتْ ووقانا الله شِرّتها وزحزح الملِكُ المنصور إبليسا

وكان لنا أهلٌ تقرّ عيني بها[1]، ففرّق الدهر بيني وبينها، فتذكّرتها، ومنزلها بالحلّة من بغداد فقلت:

خليلَيّ عوجا بالكثيب وعرّجا على لعلع واطلب مياه يلملم
فإنّ بها من[2] قد علمت ومن لهم صيامي وحجّي واعتماري وموسمي
فلا أنس يومًا بالمحصّب من منىً وبالمنحر الأعلى أمورًا وزمزمِ
مُحصّبهم قلبي لرمي جمارِهم ومنحرهم نفسي ومشربهم دمي
فيا حادي الأجمال[3] إن جئت حاجرًا فقف بالمطايا ساعة ثمّ سلِّمِ
ونادِ القباب الحمر من جانب الحمى تحيّة مشتاقٍ إليكم متيّمِ
فإن سلّموا فاهدِ السلام مع الصبا وإن سكتوا فارحل بها وتقدّمِ
إلى نهرِ عيسى حيث حلّت ركابهم وحيث الخيام البيض من جانب الفمِ
وناد بدعدٍ والربابِ وفَرْتَنا وهندٍ وسلمى ثمّ لبنى وزمزمِ
وسلهُنَّ هل بالحلّة الغادةُ التي تُريك سنا البيضاء عند التبسّمِ

ولنا من باب النسيب، والإشارة للمقام الأعلى، والمنظر الأجلى

سلامٌ على سلمى ومن حلّ بالحمى وحُقّ لمثلي رِقّةً أن يُسلّما
وماذا عليها أن[4] تردّ تحيّةً علينا ولكن لا احتكام على الدُمى
سرَوا وظلامُ الليلِ أرخى سُدولَه فقلت لها صبًّا غريبًا متيّما
أحاطت به الأشواق شوقًا[5] وأرشدتْ له راشقات النبل أيّان يمّما
فأبدتْ ثناياها وأومضَ بارقٌ فلم أدرِ مَن شَقّ الحنادسَ منهما[6]

---

(١) أ، ج، ر: به.
(٢) أ، ر، ن: ما.
(٣) م، ي: يا حادي الأضعان.
(٤) م، ي: لو.
(٥) ج، ي: سورا.
(٦) النسخ عدا م: فلم أدر ممن أشرق الليل منهما.

وقالت: أما يكفيه أنّي بقلبه يشاهدني في كلّ وقت[1] أما أما؟[2]

خبر الحيّة الجنّيّة الطائفة بالبيت

روينا من حديث أبي الوليد، عن جدّه، عن سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، عن بشير بن تميم، عن أبي الطفيل قال: كانت امرأة من الجنّ في الجاهليّة تسكن ذا طوى[3]، وكان لها ابن ولم يكن لها ولد غيره، وكانت تحبّه حبًّا شديدًا، وكان شريفًا في قومه، فتزوّج وأتى زوجته، فلمّا كان يوم سابعه قال لأمّه: يا أمّه؛ إنّي أحبّ أن أطوف بالكعبة سبعًا نهارًا، قالت له أمّه: أي بنيّ؛ إنّي أخاف عليك سفهاء قريش، فقال: أرجو السلامة، فأذِنت له، فولّى في صورة جان، فلمّا أدبر جعلت تعوّذه وتقول:

أعيذه بالكعبة المستورهْ
ودعوات ابن أبي محذورهْ
وما تلا محمد من سورهْ
إنّي إلى حياته فقيرهْ
وإنّني بعيشه مسرورهْ

فمضى الجان نحو الطواف، فطاف[4] بالبيت سبعًا، وصلّى خلف المقام ركعتين، ثمّ أقبل منقلبًا حتى إذا كان ببعض دور بني سهم عرض له شاب من بني سهم أحمر أكشف أزرق أحول أعسر فقتله، فثارت بمكة غبرة حتى لم تُبصر لها الجبال. قال أبو الطفيل: وبلغنا أنّه إنما تثور تلك الغبرة عند موت عظيم من الجنّ[5]، قال: فأصبح من بني سهم على فُرشهم موتى كثير من قبل الجنّ، فكان فيهم سبعون شيخًا أصلع سوى الشباب.

قال: فنهضت[6] بنو سهم وحلفاؤها[7] ومواليها وعبيدها، فركبوا الجبال والشعاب[8]

---

(١) أ، ج، ر، ن: سرّا وجهرا.
(٢) انتهى السمر.
(٣) م، ي: بذي طوى.
(٤) م، ي: وطاف.
(٥) م، ي: الجان.
(٦) م، ي: فنهض.
(٧) أ، ج، ر: وخلفاؤها.
(٨) م، ي: - والشعاب.

بالثنيّة، فما تركوا حيّة ولا عقربًا ولا خنفساء ولا شيئًا من الهوام يدبُّ على وجه[١] الأرض إلّا قتلوه. فأقاموا بذلك ثلاثًا. فسمعوا في الليلة الثالثة على أبي قبيس هاتفًا يهتف بصوتٍ له جهوري يسمع[٢] به بين الجبلين: يا معشر قريش؛ الله الله فإنّ لكم أحلامًا وعقولًا، أعذرونا من بني سهم، فقد قتلوا منّا أضعاف ما قتلنا منهم، ادخلوا بيننا وبينهم بصلح، نعطيهم ويعطونا العهد[٣] والميثاق أن لا يعود بعضنا لبعض بسوء أبدًا. ففعلت ذلك قريش واستوثقوا لبعضهم من بعض، فسمّيت بنو سهم العياطلة قتلة الجنّ[٤].

ما جاء من الحكم في مثل هذه الواقعة

حدّثنا الضرير إبراهيم بن سليمان الصوفي الخابوري من دير الرمان بحلب، قال: كنت بدنيسير، فخرج رجل يحتطب لعياله، ففُقد أيّامًا حتى حزن عليه أهله، فدخل عليهم بعد ذلك ضعيفًا، متغيّر اللون، كاسف البال، أثر الرعب والجزع عليه ظاهر[٥].

قال: فسألناه عن شأنه، فقال[٦]: بينا أنا أحتطب إذ عرضتْ لي حيّة عظيمة[٧] فقتلتها، فغشي عليّ وغبتُ عن نفسي، فما أفقتُ إلّا وأنا[٨] بأرض لا أعرفها، بين قوم لا أعرفهم، فأخذني جماعة منهم وجاءوا بي إلى شيخ فيهم كبير هو زعيمهم، فمثّلوني بين يديه فقال: ما شأنكم؟ فقالوا: هذا قتل ابن عمّنا، وأشاروا إليّ، فَقِد لنا منه. فقال لي الشيخ: ما تقول؟ فقلت: لا أعرف ما يقولون، إنما أنا رجل كنت أحتطبُ[٩] فعرضتْ لي حيّة فقتلتها. فقالوا: ذلك ابن عمّنا. فقال الزعيم: أمسكوه عندكم واستوصوا به خيرًا حتى أرى في أمركم وأمره. فأخذوني إليهم، وجاءوني بأطعمة لا أعرف منها سوى اللبن، فكنت أشربه لا أعدل إلى غيره مدّة هذه الأيّام التي غبتُ فيها عنكم.

---

(١) م، ي: - وجه.
(٢) م، ي: فسمع.
(٣) م، ي: - العهد.
(٤) م، ي: - قتلة الجن.
(٥) م، ي: - ظاهر.
(٦) م، ي: قال.
(٧) م، ي: - عظيمة.
(٨) م، ي: - وأنا.
(٩) م، ي: أحطب.

فبينا أنا على ذلك إذ جاءوني فأخذوني[1] وحضروا بي عند ذلك الشيخ، وذكروا مثل مقالتهم الأولى من الدعوى. فسألني الشيخ، فذكرت له الأمر على ما جرى، فقال الشيخ للقوم: ما لكم عليه حقّ؛ فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: من تصوّر في غير صورته فقُتل، فلا عقل فيه ولا قِود، وصاحبكم تصوّر في صورة حيّة. فخلّوا سبيلي. قال؛ فقلت: يا شيخ؛ وهل رأيتَ رسول الله ﷺ؟ فقال[2]: نعم؛ كنت في وفد جنّ نصيبين حين قدم على رسول الله ﷺ، وما عاش اليوم من ذلك الوفد[3] غيري. فهؤلاء الجنّ قومنا، يتحاكمون[4] إلينا في أمورهم، فأحكمُ بينهم. ثمّ قال لهم: ردّوه إلى حيث أخذتموه، فما شعرتُ إلّا وأنا في موضعي، فأخذتُ عدّتي، وجئت. فهذا ما كان من خبري في غيبتي.

خبر حيّة أخرى طائفة بالبيت

روينا من حديث أبي الوليد، عن جدّه، عن داوود بن عبد الرحمن، عن ابن جريج، عن عبد الله بن عبيد بن عمير[5]، عن طلق بن حبيب قال: كنّا جلوسًا مع عبد الله بن عمرو بن العاص في الحِجر إذ قلص الظلّ، وقامت المجالس، إذ نحن ببريق أيم طالع من هذا الباب، يعني باب بني شيبة، فأشرأبّتْ له أعين الناس، فطاف بالكعبة سبعًا، وصلّى ركعتين وراء المقام، فقمنا إليه، فقلنا له[6]: ألا أيّها المعتمر؛ قد قضى الله نسكك، وإنّ بأرضنا عبيدًا وسفهاء، وإنّا نخشى عليك منهم، فكوّم برأسه كومة بطحاء، فوضع ذنَبه عليها، فسما في السماء حتى مثل[7] علينا فما نراه.

قال أبو محمد الخزاعي: الأيم؛ الحيّة الذكر.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ﴾[8] كانوا من أهل نصيبين، وكانوا سبعة: حسّا، ومسّا، وشاصر، وناصر، وأبناء الأزب، واينين، والأخضم. هذا من حديث محمد بن إسحق. وأمّا حديث إسحق بن عبد الله، عن أبي جعفر، فذكر منهم الأزدينان، والأحقب.

---

(١) م، ي: وأخذوني.
(٢) م، ي: قال.
(٣) أ، ر، ن: اليوم. ج: القوم.
(٤) أ، ي: يتحاكموا.
(٥) ج: عن عمير. م، ي: بن عمرو.
(٦) م، ي: فقمنا له وقلنا له.
(٧) ج: ميل. م، ي: سل.
(٨) [الأحقاف: ٢٩]

خبر الحيّة الشهيدة العابدة

روينا من حديث أحمد بن عبد الله، عن سليمان بن أحمد، ثنا مطلب بن شعيب، عن عبد الله بن صالح، عن عبد العزيز بن سلمة الماجشون، عن معاذ بن عبد الله بن معمر، قال: كنت جالسًا عند عثمان بن عفان ﷺ، فجاء[١] رجل فقال: يا أمير المؤمنين؛ بينا أنا بفلاة كذا وكذا، إذا إعصاران قد أقبلتا؛ إحداهما[٢] من مكان، والأخرى من مكان آخر، فالتقتا واعتركتا ثمّ تفرّقتا، وإحداهما[٣] أقلّ منها حين جاءت، فذهبت حتى جئت معتركيهما، فإذا من الحيّات شيء ما رأيت مثله قط غيره، فإذا ريح مسك من بعضها، فجعلت أقلِّب الحيّات أنظر من أيّها هذه الريح، فإذا ذلك من حيّة صفراء دقيقة. قال أبو محمد بن حيّان في حديثه: تتثنّى (ببطن) أبيض ينفح منها ريح المسك. فقلت لأصحابي: امضوا، فلست ببارح حتى أنظر إلى ما يصير أمر هذه الحيّة. قال: فما لبثتْ أن ماتت، فعمدتُ إلى خرقة بيضاء فلففتها فيها. وفي حديث ابن معمر: في عمامتي.

قال ابن حيّان: ثمّ نحّيتها عن الطريق فدفنتها، وأدركت أصحابي في المتعشّى. قال: فواللهِ إنّا لقعود، إذ أقبل أربع نسوة من قبل المغرب، فقالت واحدة منهنّ: أيّكم دفن عمرًا؟ قلنا: ومن عمرو؟ قالت: أيّكم دفن الحيّة؟ قال؛ قلت[٤]: أنا. فقالت: أما واللهِ لقد دفنتَ صوّامًا قوّامًا يأمر بما أنزل الله ﷻ، ولقد آمن بنبيّكم ﷺ، وسمع صفته في السماء قبل أن يُبعث بأربعمائة سنة.

وفي حديث ابن معمر بعد أن ذكر دفنها، فبينا أنا أمشي إذ ناداني منادٍ ولا أراه، فقال: يا عبد الله؛ ما هذا الذي صنعت؟ فأخبرته بالذي رأيت، فقال: إنّك قد هُديت، هذان حيّان من الجنّ: بني شعيبان وبني أقيش[٥]، التقوا، فكان من القتلى ما رأيت، واستشهد الذي أخذته، فكان من الذين استمعوا الوحي من رسول الله ﷺ.

وفي حديث ابن حيّان، قال الرجل[٦]: فلمّا قضينا حجّنا مررت بعمر بن الخطاب ﷺ بالمدينة، فأنبأته بأمر الحيّة، فقال: صدقت؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول: لقد آمن بي قبل

---

(١) م، ي: فجاءه.

(٢) ج، م، ي: أحدهما.

(٣) م، ي: وأحدهما.

(٤) م، ي: فقلت.

(٥) م، ي: أقبيش.

(٦) م، ي: - وفي حديث ابن حيّان، قال الرجل.

أن أُبعث بأربعمائة سنة.

إنّي رأيت أحد عشر كوكبًا

وهي: جرثان، والطارق، والذيّال، والكتفان، ويقال ذو الكتفين، ووثّاب، وعمودان، والفلق، والضروح، والضياء، والنور، وقابس، والمصيّح، وذو الفرع، يعني بالضياء والنور: الشمس والقمر.

مفارقة حبيب

روينا من حديث أبي بكر بن أبي الدنيا، عن محمد بن سلام قال: احتضر سيبويه النحوي[١]، فوضع رأسه في حِجر أخيه، فقطرت قطرة من دموع أخيه على خدّه، فأفاق من غشيته فقال:

أخيّين كنّا فرّق الدهر بيننا إلى أمد[٢] الأقصى ومن يأمن الدهرا

خبر شقّ وسطيح مع ملك اليمن[٣]

قال ابن إسحق: كان ربيعة بن نضر ملك اليمن، فرأى رؤيا هالته وفظع بها، فلم يدَعْ كاهنًا ولا ساحرًا ولا عائفًا ولا منجّمًا إلّا جمعه إليه، فقال لهم: إنّي رأيت رؤيا هالتني وفظعت بها، فأخبِروني بها وبتأويلها؟ قالوا له: اقصصها علينا نخبرك بتأويلها، فقال[٤]: إنّي إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم عن تأويلها، لأنّه لا يعرف تأويلها إلّا من عرفها قبل أن أخبره بها.

فقال له رجل: إن أردت علم ذلك فابعث إلى شقّ وسطيح، فبعث إليهما، فقدم إليه[٥] سطيح وهو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي[٦] بن مازن، فقال له الملك: إنّي قد رأيت رؤيا فأخبِرني بها وبتأويلها؟ قال: أفعلُ؛ رأيتَ حممة[٧] خرجت من ظلمة فوقعت بأرض تهمة، فأكلت منها كلّ ذات جمجمة. فقال الملك: ما أخطأت منها شيئًا، فما

---

(١) م، ي: - النحوي.

(٢) م، ي: الأمد.

(٣) م، ي: العنوان غير واضح فيهما.

(٤) م، ي: قال.

(٥) أ، ر، ن: عليه.

(٦) أ، ر، ن: بن عدي بن عدي.

(٧) جمة: قطعة النار. ج، م، ي: جمجمة.

عندك في تأويلها؟ قال: أحلف بما بين الحرّتين من حنش[١]، لتنزلنّ[٢] أرضكم الحبش، فليملكنّ[٣] ما بين أبين إلى جرش. فقال الملك: يا سطيح؛ إنّ هذا لنا لغائظ موجع، فمتى هو كائن؛ أفي زماني[٤] أم بعده؟ قال: لا بل بعده بحين، أكثر من ستين أو سبعين يمضين من السنين. قال: أفيدوم ذلك من ملكهم أم ينقطع؟ قال: بل ينقطع لبضع وسبعين[٥] يمضين من السنين، ثمّ يقتلون، ويخرجون منها هاربين. قال: ومن يلي ذلك مِن قتلهم؟ قال: يليه إرم ذي يزن، يخرج عليهم من عدن فلا يترك أحدًا منهم باليمن. قال: أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع؟ قال: بل ينقطع. قال: ومن يقطعه؟ قال: نبيّ زكيّ يأتيه الوحي من قبل العليّ. قال: وممّن هذا النبيّ: قال: رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر، يكون المُلك في قومه إلى آخر الدهر. قال: وهل للدهر من آخر؟ قال: نعم، يوم يجمع فيه الأوّلون والآخرون، يسعد فيه المحسنون[٦]، ويشقى فيه المسيئون. قال: أحقّ ما تخبرني؟ قال: نعم، والشفق والغسق، والفلق إذا اتّسق، إنّ ما أنبأتك به لحقّ.

ثمّ قدِم عليه بعد ذلك شقّ بن صعب بن يشكر بن رهم بن أفرك بن قسر بن عبقر بن أنمار بن نزار، فقال له كقوله لسطيح، وكتمه ما قال سطيح، لينظر أيتّفقان أم يختلفان؟ قال شقّ: نعم؛ رأيت حممة خرجت من ظلمة فوقعتْ بين روضة وأكمة، فأكلت منها كلّ ذات نسمة. قال[٧] الملك: ما أخطأتَ يا شقّ[٨] شيئًا، يريد المعنى، فما عندك في تأويلها؟ فقال شقّ: أحلف بما بين الحرّتين من إنسان، لينزلنّ أرضكم السودان، فليغلبنّ على كلّ طفلة[٩] البنان، وليملكنّ ما بين أبين إلى نجران. فقال الملك: إنّ هذا لنا[١٠] لغائظ موجع، فمتى هو كائن؛ أفي[١١] زماني أم بعده؟ قال: لا، بل بعده بزمان، ثمّ يستنقذكم منهم[١٢] عظيم ذو شأن،

---

(١) ج، ر، م، ن، ي: حبش.
(٢) أ، ن، ي: لينزلن.
(٣) أ، ج، ر، ن: فلتملكن.
(٤) م، ي: زماننا.
(٥) م، ي: - أو سبعين يمضين من السنين. قال: أفيدوم ذلك في ملكهم أم ينقطع؟ قال: بل ينقطع لبضع وسبعين.
(٦) م، ي: المسلمون.
(٧) م، ي: فقال.
(٨) م، ي: - يا شق.
(٩) م، ي: طائفة.
(١٠) م، ي: - لنا.
(١١) م، ي: في.
(١٢) م، ي: منها.

ويذيقهم أشدّ الهوان. قال: ومن هذا العظيم الشأن؟ قال: غلام ليس بدني ولا مدن[1] -أراد مدني بوزن مفعل فحذف الياء للسجع- يخرج عليهم من بيت ذي يزن. قال: أفيدوم سلطانه أم ينقطع؟ قال: بل ينقطع برسول مرسل يأتي بالحقّ والعدل، بين أهل الدين والفضل، يكون المُلك في قومه إلى يوم الفصل. قال: وما يوم الفصل؟ قال يوم يُجزى فيه الولاة، يدعى فيه من السماء بدعوات، يسمع منها الأحياء والأموات، ويجمع فيه الناس للميقات، يكون فيه[2] لمن اتّقى الفوز والخيرات. قال: أحقّ ما تقول؟ قال[3]: أي وربّ السماء والأرض، وما بينهما من رفع وخفض، إنّ ما أنبأتك لحقّ ما فيه أمض[4].

فوقع في نفس الملك ما قالا، فجهّز بنيه[5] وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم، وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خُرّزاد، فأسكنهم الحيرة، وإليهم ينتمي[6] النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نضر. هذا[7] الملك صاحب الرؤيا.

رؤيا الموبذان وارتجاس الإيوان وما قال في ذلك سطيح الكاهن[8]

روينا من حديث أحمد بن عبد الله، عن عبد الله بن محمد بن جعفر، عن عبد الرحمن بن الحسن، عن علي بن حرب، عن أبي أيوب يعلى بن عمران البجلي، عن مخزوم بن هاني المخزومي، عن أبيه، وأتت له خمسون ومائة سنة، قال: لمّا كانت ليلةَ وُلد فيها رسول الله ﷺ ارتجس إيوان كسرى، وسقطت منه أربع عشرة شُرافة، وخمدت نار فارس، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، وغاضت بحيرة ساوة، ورأى الموبِذان إبلًا صعابًا تقود خيلًا عِرابًا، قد قطعت دجلة، وانتشرتْ في بلادها.

فلمّا أصبح كسرى أفزعه ما رأى، فتصبّر عليه تشجّعًا، ثمّ رأى أن لا يكتم ذلك عن وزرائه، ومرازبته، فلبس تاجه، وقعد على سريره، وأرسل إلى الموبِذان، فقال: يا موبِذان؛

---

(١) المدن: المقصر في الأمور.

(٢) م، ي: - فيه.

(٣) ر، ن: - قال.

(٤) الأمض: الشك بلغة حمير.

(٥) أ، ج، ر، ن: بيته.

(٦) م، ي: ينتهي.

(٧) م، ي: فهذا.

(٨) أ، ج، ر، ن: الكهان.

إنّه سقط من إيواني أربع عشرة شرفة، وخمدت نار فارس، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام. فقال: وأنا أيّها الملك قد رأيت إبلًا صعابًا تقود[١] خيلًا عرابًا حتى عبرت دجلة، وانتشرت[٢] في بلاد فارس. قال: فما ترى ذلك يا موبذان؟ قال، وكان رأسهم في العلم، فقال: حدثٌ يكون من قبل العرب. فكتب حينئذ كسرى:

من كسرى ملك الملوك[٣] إلّا النعمان بن المنذر؛ ابعث إليّ رجلًا من العرب يخبرني بما أسأله عنه. فبعث إليه عبد المسيح بن حيّان بن نفيلة، فقال[٤] له: يا عبد المسيح؛ هل عندك علم بما أريد أن أسألك عنه؟ قال: يسألني الملك فإن كان عندي منه علم أعلمته، وإلّا أعلمته بمن علمه عنده، فأخبره به الملك. فقال: عِلمه عند خالٍ لي يسكن مشارق الشام يقال له سطيح. قال[٥]: فاذهب إليه واسأله، وأخبرني بما يخبرك به. فخرج عبد المسيح حتى قدم على سطيح وهو مشرف على الموت فسلّم عليه وحيّاه بتحية الملك، فلم يجبه سطيح، فأقبل يقول:

أصمٌّ أم يسمع غطريفُ اليمنْ
أم فاز فازْلَمَّ به شأو العَنَنْ
يا فاصل الخطّة أعيَتْ مَن ومَنْ
وكاشف الكربة في الوجه الغضنْ
أتاك شيخ الحيّ من آل سَنَنْ
وأمّه من آل ذئب بن حجنْ
تحمله وجناء تهوي من وجنْ
حتى أتى عاري[٦] الجآجي والقطنْ
أصكّ مهمى الناب صرّار الأذَنْ

فرفع سطيح رأسه إليه، فقال: عبد المسيح يهوي إلى سطيح، وقد أوفى على الضريح! بعثك ملك بني ساسان لارتجاس الإيوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان؛ رأى[٧] إبلًا صعابًا

(١) النسخ عدا م: تقوده.
(٢) م، ي: فانتشرت.
(٣) أ، ر، ن: من كسرى ملوك.
(٤) م، ي: قال.
(٥) م، ي: قال له.
(٦) متن أ، ر: غار.
(٧) م، ي: - رأى.

تقود خيلًا عِرابًا قد قطعت دجلة، وانتشرت في بلاد فارس. يا عبد المسيح؛ إذا ظهرت التلاوة، وغارت[1] بحيرة ساوة، وخرج صاحب الهراوة، وفاض وادي الساوة[2]، فليست الشام لسطيح بشام، يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات، وكلّ ما هو آت آت، ثمّ مات.

فقام عبد المسيح وهو يقول:

شمّر فإنّك ماضي الهمّ شِمّيرُ ... لا يفزعنّك تشريدٌ وتعزيرُ
فربما ربما أضحوا بمنزلةٍ ... يهاب صَوْلَهُم الأُسد المهاصيرُ
منهم أخو الصرح بهرام وإخوته ... والهرمزان وسابور وشابورُ
والناس أولاد علّات فمن علموا ... أن قد أقَلَّ فمهجور ومحقورُ
وهم بنو الأدم أمّا إن رأوا نسبًا ... فذاك بالغيب محفوظ ومنصورُ
والخير والشرّ مجموعان في قرَنٍ ... فالخير متّبَع والشرّ محذورُ

قال: فرجع عبد المسيح إلى كسرى، فأخبره، فقال: إلى أن يملك منّا أربع عشرة تكون أمور وأمور. قال: فملك منهم عشرة في أربع سنين، وملك الباقون بعدُ. أولاد[3] علّات، هم الأولاد لأب واحد، وأمّهم شتّى. أسد هصور، وهصير، وهصار: وهو الذي يكسر أزلام القوم إزليمامًا، أي ولّوا سراعًا، وشأوا سبق. والعَنَن: مصدر عنّ يعنّ عنًّا، أي اعترض، ويكون أزلم مقصورًا من إزلام. والجآجي: جمع جؤجؤ، وهو صدر الطير والسفينة. والموبِذان: قاضي المجوس، ويجمع موابذة. والشُّرفة: جمعها شُرَف[4]، والشرفة في غير هذا الموضع خيار المال. ورجست السماء، وارتجست: إذا رعدت[5] وتمخّضت.

خبر ظريف في الحنين إلى الوطن

قال ابن الرومي في سبب ذلك:

وحبّبَ أوطان الرجال إليهمُ ... مآربُ قضّاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكّرتهمُ ... عهود الصبا فيها فحنّوا لذلكا

(١) م، ي: وغاضت.
(٢) م، ي: السماوة.
(٣) م، ي: وأولاد.
(٤) أ، ج، ر، ن: - والشرفة جمعها شرف.
(٥) م، ي: أرعدت.

روينا من حديث أبي الوليد، عن محمد بن أبي عمر، عن القاضي محمد بن عبد الرحمن بن محمد المخزومي، عن القاضي الأوقص محمد بن عبد الرحمن بن هشام، قال: خرجت غازيًا في خلافة بني مروان، فقفلنا من بلاد الروم، فأصابنا مطر، فأوينا إلى قصر فاستكنّا به من المطر، فلمّا أمسينا خرجتْ جارية مولّدة من القصر، فتذكّرتْ مكة وبكت عليها، وأنشأت تقول[1]:

من كان ذا شجن بالشام يحبسه ... فإنّ في غيره أمسى لي الشجنُ
فإنّ ذا القصر حقًّا ما به وطني ... لكن بمكة أمسى الأهل والوطنُ
من ذا يسائل عنّا أين منزلنا ... فالأقحوانة منّا منزل قمِنُ
إذ نلبس العيش صفوًا ما يكدّره ... طعن الوشاة ولا ينبو بنا الزمنُ

قال: فلمّا أصبحنا لقيت صاحب القصر فقلت له: رأيت جاريةً خرجت من قصرك، فسمعتها تنشد كذا وكذا، فقال: هذه جارية مولّدة مكيّة اشتريتها، وخرجت بها إلى الشام، فواللهِ ما ترى عيشنا ولا ما نحن فيه شيئًا، فقلت: تبيعها؟ فقال: إذا فارق روحي.

قولها "فالأقحوانة منّا منزل قمن" الأقحوانة: منزل عند الليط بمكة، كان مجلسًا يجلس فيه من خرج من مكة، يتحدّثون فيه بالعشي، ويلبسون الثياب المحمرة والموردة والمطيّبة، فكان مجلسهم من حسن ثيابهم يقال له: الأقحوانة.

وقالت بعض بنات الأعراب: روتني[2] صاحبة القصر الذي على شاطئ دجلة قبالة سامراء يقال له عاشق ومعشوق، كان قد عشقها بعض الخلفاء فتزوّجها، ونقلها من البادية، فتغيّر عليها الحال. وكانت تحنّ إلى ما نشأت عليه، فبنى لها هذا القصر، وأمر بالإبل والغنم أن تحلب غدوة وعشية على باب قصرها في البرّيّة، فأَنِسَت بعض أنس، فدخل عليها (الخليفة) يومًا وهي تبكي وتقول:

وما ذنبُ أعرابيّة قذَفتْ بها ... صروف النوى من حيث لم تكُ ظنّتِ
تمنّتْ أحاليبَ الرعاة وخيمةً ... بنجدٍ فلم يقضى لها ما تمنّتِ
إذا ذكرتْ ماء العُذيب وطيبه ... وبرد حصاه آخر الليل أنّتِ
لها أنّة عند العشاء وأنّةٌ ... سحيرًا ولولا أنّتاها لَجُنّتِ

فذكر أنّه قال لها: الحقي بأهلكِ بكلّ ما معك. فسرّتْ، ولحقتْ بأهلها.

---

(١) م، ي: - وأنشأت تقول.

(٢) م، ي: وهي.

ولنا فيما يتعلق بعفو الله ومنّته:

الله يعلم أنّي لست أذكره	إلّا وجدتُ له نارًا على كبدي
لأنّني بلسان الذنب أذكره	وهو العليم بما أضمرتُ في خلَدي
لكنّني بجميل العفو أعرفه	وبالتجاوز والإحسانِ والرفدِ
وهل تقاوم[1] عفو الله معصيةٌ	هيهات هيهات لا تعدل عن الرشدِ
الله أكرم أن تنساك مِنّتُه	ومن يجود إذا الرحمن لم يجدِ
فحسّن الظن بالرحمن وارضَ به	ربًّا فليس وجود الفرد كالأحدِ[2]

ومن حديث مكة بعد خزاعة وولاية قصي بن كلاب البيت الحرام وما ذُكر من ذلك

ما رويناه[3] من حديث أبي الوليد، عن جدّه، عن سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، عن ابن جريج، وعن ابن إسحق، يزيد أحدهما على صاحبه، قال: أقامت خزاعة على ما كانت عليه من ولاية البيت والحكم بمكة ثلاثمائة سنة، وكان بعض التبابعة قد سار إليه فأراد هدمه وتخريبه، فقامت دونه خزاعة، فقاتلت عليه أشدّ القتال حتى رجع، ثمّ آخر كذلك.

وأمّا التبّع الثالث الذي نحر له وكساه، وجعل له غلقًا، وأقام عنده أيّامًا ينحر كلّ يوم مائة بدنة، ولا يرزأ[4] هو ولا أحد من أهل[5] عسكره منها شيئًا، يرِدها الناس بالفجاج والشِّعاب، فيأخذون منها حاجتهم، ثمّ تقع[6] الطير عليها فتأكل، ثمّ تنتابها السباع إذا أمست، ولا يُرَدّ عليها إنسان ولا طائر ولا سَبُع[7]. ثمّ رجع إلى اليمن، إنما كان في عهد قريش. قال: فلبثت خزاعة على ما هي عليه، وقريش إذ ذاك في بني كنانة متفرّقة، وقد قدم في بعض الزمان حاج قضاعة، فيهم ربيعة بن حرام[8] بن ضبّة بن عبد كبير بن عذرة بن سعد بن زيد، وقد هلك كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب، وترك زهرة وقصيًّا ابني كلاب مع أمهما فاطمة بنت عمرو بن سعد بن سبل، وسعد بن سبل الذي يقول فيه الشاعر، وكان أشجعَ

---

(١) ج، م، ي: يقاوم.
(٢) انتهى السمر.
(٣) ر، ن، ي: ما رويناه.
(٤) يرزأ: يأخذ.
(٥) م، ي: - أهل.
(٦) ج: يقطع. م، ي: يقع.
(٧) م، ي: - و سبع.
(٨) أ، ر، ن: حزام.

أهلِ[1] زمانه:

لا أرى في الناس شخصًا واحدًا فاعلموا ذاك كسعد بن سَبَلْ
فارس أضبط فيه عسره وإذا ما عاين القرن نَزَلْ
فارس يستدرج الخيل كما يدرج الحرّ القطاميّ الحجَلْ

قال: وزهرة أكبر من قصي سنًّا، فتزوّج ربيعة بن حرام[2] أمهما، وزهرة رجل بالغ، وقصي فطيم، أو في سنّ الفطيم، فاحتملها ربيعة إلى بلاده من أرض عذرة من أشراف الشام، فاحتملت معها قصيًّا لصغره، وتخلّف زهرة في قومه، فولدت فاطمة بنت عمرو بن سعد لربيعة رزاح بن ربيعة، فكان أخا قصي بن كلاب لأمّه ولربيعة بن حرام[3] من امرأة أخرى ثلاثة نفر: حُنّ، ومحمودة، وجلهمة، بنو ربيعة.

فبينا قصي بن كلاب في أرض قضاعة لا ينتمي إلّا إلى ربيعة بن حرام[4]، إذ كان بينه وبين رجل من قضاعة شيء، وقصي قد بلغ، فقال له القضاعي: ألا تلحق بنسبك وقومك؛ فإنّك لست منّا؟ فرجع قصي إلى أمّه وقد وجد في نفسه مما قال له القضاعي، فسألها عمّا قال له. فقالت: أنت واللهِ يا بنيّ خير منه وأكرم، أنت ابن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، وقومك عند البيت الحرام وما حوله. فأجمع قصي الخروج إلى قومه، واللحاق بهم، وكره الغربة في أرض قضاعة. فقالت له أمّه[5]: يا بنيّ؛ لا تعجل بالخروج حتى يدخل عليك الشهر الحرام فتخرج في حاجّ العرب، فإنّي أخشى عليك. فأقام قصي حتى دخل الشهر الحرام، وخرج في حاج قضاعة حتى قدم مكة. فلمّا فرغ من الحج أقام بها.

وكان قصي رجلًا جليدًا حازمًا بارعًا، فخطب إلى حُليل بن حبشيّة بن سلول[6] الخزاعي ابنته حُبَّى، فعرف حليل النسب، ورغب في الرجل، فزوّجه، وحليل يومئذ يلي الكعبة وأمر مكة، فأقام قصي معه حتى ولدت حبّى لقصي عبد الدار وهو أكبر ولده، وعبد مناف، وعبد العزّى، وعبدًا بني قصي. فكان حليل يفتح البيت، فإذا اعتلّ أعطى ابنته حُبَّى المفتاح،

(١) م، ي: - أهل.
(٢) أ، ر، ن: حزام.
(٣) أ، ج، ر، ن: حزام.
(٤) أ، ج، ر، ن: حزام.
(٥) م، ي: - أمه.
(٦) ج، ر، م، ي: سلوك.

ففتحته، فإذا اعتلّت أعطت المفتاح زوجها قصيًّا، أو بعض ولدها فيفتحه، وكان قصي يعمل في حيازته إليه، وقطع ذكر خزاعة عنه.

فلمّا حضرت حليل الوفاة نظر إلى قصي، وإلى ما انتشر له من الولد من ابنته، فرأى أن يجعلها في ولد ابنته[1]، فدعا قصيًّا، فجعل له ولاية البيت، وأسلم إليه المفتاح، وكان يكون عند حبّى.

فلمّا هلك حليل أبت خزاعة أن تدعه وذاك، وأخذوا المفتاح من حُبّى، فمشى قصي إلى رجال من قومه من قريش وبني كنانة، ودعاهم إلى أن يقوموا معه في ذلك، وأن ينصروه ويعضدوه، فأجابوا إلى نصره. وأرسل قصي إلى أخيه لأمّه رزاح بن ربيعة، وهو ببلاد قومه من قضاعة، يدعوه إلى نصره، ويعلمه ما حالت خزاعة بينه وبين[2] ولاية البيت، ويسأله الخروج إليه بمن[3] أجابه من قومه. فقام رزاح في قومه فأجابوه إلى ذلك، فخرج رزاح بن ربيعة ومعه إخوته من أبيه حنّ، ومحمودة، وجلهمة، بني ربيعة بن حرام[4] فيمن تبعهم من قضاعة في حاج العرب، مجتمعين[5] لنصر قصي والقيام معه.

فلمّا اجتمع الناس بمكة خرجوا إلى الحج، فوقفوا بعرفة وبجمع، ونزلوا منى، وقصي مجمع على ما أجمع عليه من قتالهم بمن معه من قضاعة. فلمّا كان آخر أيّام منى أرسلت قضاعة إلى خزاعة يسألونهم أن يسلّموا إلى قصي ما جعل له حليل، وعظّموا عليهم القتال في الحرم، وحذّروهم الظلم والبغي بمكة، وذكّروهم ما كانت فيه جرهم، وما صارت إليه حين ألحدوا فيه بالظلم، فأبت خزاعة أن تسلّم ذلك، فاقتتلوا بمفضى المأزمين من منى[6].

قال[7]: فسمّي ذلك المكان المفجر، لما فجر فيه وسُفك فيه الدماء -من الدم[8]- وانهتك من حرمته، فاقتتلوا حتى كثرت القتلى في الفريقين جميعًا، وفشت فيهم الجراحات، وحاج العرب جميعًا ينظرون إلى قتالهم من مضر واليمن. ثمّ تداعوا إلى الصلح، ودخلت قبائل العرب

---

(١) م، ي: - فرأى أن يجعلها في ولد ابنته.

(٢) أ، ر، ن، ي: وبين من. ج: وبين ولايته.

(٣) م، ي: ممن.

(٤) أ، ج، ر، ن: حزام.

(٥) أ، ر، ن: مجمعين.

(٦) م، ي: المأزمين بمنى.

(٧) م، ي: - قال.

(٨) م، ي: - من الدم.

بينهم، فاصطلحوا على أن يحكّموا بينهم رجلًا من العرب فيما اختلفوا فيه. قال: فحكّموا يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناف بن كنانة، وكان رجلًا شريفًا، فقال لهم: موعدكم فناء الكعبة غدًا. فاجتمع إليه الناس، وعدّوا القتلى، فكانت في خزاعة أكثر منها في قريش وقضاعة وكنانة، وليس كلّ بني كنانة قاتل مع قصي خزاعة، إنما كانت مع قريش من بني كنانة غلمان[1] يسيرة، فاعتزلت عنها بكر بن عبد مناة قاطبة.

فلمّا[2] اجتمع الناس بفناء الكعبة قام يعمر بن عوف فقال: ألا إنّي قد شدخت ما كانت بينكم من دم تحت قدمي هاتين، فلا تباعة لأحد على أحد في دم، وإنّي قد حكمت لقصي بحجابة الكعبة وولاية أمر مكة دون خزاعة لما جعل له حليل، وأن يخلّى بينه وبين ذلك، وأن لا تخرج خزاعة عن مساكنها من مكة. قال: فسمّى يعمر ذلك اليوم الشداخ. فسلّمت ذلك خزاعة لقصي، وأعظموا سفك الدماء في الحرم، وافترق الناس، فولي قصي بن كلاب حجابة الكعبة وأمر مكة، وجمع قومه من قريش من منازلهم إلى مكة يستعزّ بهم، وتملّك على قومه فملّكوه، وخزاعة مقيمة بمكة على رباعهم، لم يحرّكوا من مساكنهم ولم يخرجوا منها، فلم يزالوا على ذلك حتى الآن.

فحاز قصي شرف مكة، وبنى دار الندوة، وفيها كانت قريش تقضي أمورها، ولم يكن يدخلها من قريش من غير ولد قصي إلّا ابن أربعين سنة للمشورة، وكان يدخلها ولد قصي كلّهم أجمعون وحلفاؤهم. وكان قصي أوّل رجل من بني كنانة أصاب مُلكًا، فأطاع له به[3] قومه، فكانت إليه الحجابة والرفادة والسقاية والندوة واللواء والقيادة.

فلمّا جمع قصي قريشًا بمكة سمّي مجمّعًا، ومن أجل تجمّع قريش إلى قصي سمّيت قريش قريشًا.

وقال قصي يتشكّر لأخيه رزاح بن ربيعة:

أنا ابن العاصمين بني لؤيّ ... بمكة مولدي وبها ربيتُ
لي البطحاء قد علِمت معَدٌّ ... ومروتها رضيت بها رضيتُ
وفيها كانت الآباء قبلي ... فما شويت أخيَّ ولا شويتُ
فلست لغالب إن لم تؤثّل ... بها أولاد قيدر والنبيتُ

---

(١) النسخ عدا ج: فلان.

(٢) من هنا يبدأ نقص في النسخة م سنبين موضع نهايته.

(٣) ج، م، ي: - به.

رزاح ناصري وبه أُسامى فلست أخاف ضيمًا ما حييتُ

فقال رزاح في إجابته قصيًّا:

فلمّا أتى من قصيّ رسولٌ فقال الرسول أجيبوا الخليلا
نهضنا إليه نقود الجياد ونطرح عنّا المَلول[1] الثقيلا
نسير بها الليل حتى الصباح ونكمي النهار لئلّا يزولا
فهنّ سراع كورد القطا يجبن بنا من قصيّ رسولا
جمعنا من السرّ من أشمدين ومن كلّ حيّ جمعنا قبيلا
فيا لك حلبة[2] ما ليلة تزيد على الألف سيبًا رسيلا
فلمّا مررنا على عسجر وأسهلن من مستناخ سبيلا
وجاوزن بالركن من ورقان وجاوزن بالعرج حيًّا حلولا
مررن على الحلي ما ذقنه وعالجن من مرّ ليلًا طويلا
فدنّى من العود أفلاءها إرادة ان تسترقن الصهيلا
فلمّا انتهينا إلى مكة أنخنا الرحال قتيلًا قتيلا
نعاورهم ثمّ حدّ السيوف وفي كلّ أوب خلسن العقولا
نخبّرهم بصلاب السنو ن خبر القوي العزيز الذليلا
قتلنا خزاعة في دارها وبكرًا قتلنا وجيلًا فجيلا
نفيناهم من بلاد المليك كما لا يحلّون أرضًا سهولا
فأصبح سبيهم في الحديد ومن كلّ حيّ شفينا الغليلا

وقال ثعلبة بن عبد الله بن ديبان بن الحارث بن سعد بن هديم القضاعي في ذلك، من أمر قصي حين دعاهم فأجابوه:

جلبنا الخيل مضمرة تغالى من الأعراف أعراف الجنابِ
إلى غَوري تهامة فالتقينا من الفيفاء في قاع يبابِ
فأمّا صوفة الخنثى[3] فخلّوا منازلهم محاذرةَ الضِّرابِ
وقام بنو عليّ إذ رأونا إلى الأسياف كالإبل الطِّرابِ

وقال حذافة بن غانم الجمحي يمدح قريشًا بقصي:

---

(١) ج، ي: الملوك.
(٢) ج: حكبة. ن: حلبة. ي: حليه.
(٣) حروفها المعجمة مهملة في النسخ.

أبوهم قصي كان يدعى مجمّعًا ... به جمع الله القبائل من فهرِ
هُمُ نزلوها والمياه قليلة ... وليس بها إلّا كهول بني عمرو
هُمُ ملئوا البطحاء مجدًا وسؤددًا ... وهم طردوا عنها عراة بني بكرِ
وهم حفروها والمياه قليلة ... ولم تستق إلّا بنكدٍ من الجفرِ[1]
حليل الذي عادى كنانة كلّها ... ورابط بيت الله بالعسر واليسرِ
أحارث إمّا أهلكنّ فلا تزل ... لهم شاكرًا حتى توسّد في القبرِ

وقال: ولمّا استقرّ رزاح بن ربيعة في بلاده بعد انصرافه من قصي وقع بين رزاح بن ربيعة وبين نهد بن زيد وحوتكة بن أسلم، وهما بطنان من قضاعة، شيء فأخافهم، حتى لحقوا باليمن، وجلوا عن بلاد قضاعة، وهم اليوم باليمن. قال قصي بن كلاب، وقد كره ما صنع رزاح بهم:

ألا مَن مُبْلِغٌ عنّي رزاحًا ... فإنّي قد لحيتك في اثنتينِ
لحيتك في بني نهد بن زيد ... كما فرّقت بينهمُ وبيني
وحوتكة بن أسلم إنّ قومًا ... عنوهم بالمساءة قد عنوني

اعتراف عارف في أشرف المواقف

حدّثنا عبد الرحمن بن علي، ثنا أبو بكر الصوفي، أنا أبو سعيد[2] الحيري، أنا ابن باكويه، ثنا محمد بن هارون، ثنا ابن مسروق، ثنا محمد بن الحسين، عن وادع[3] بن مُرَجّا، عن صالح المرّي، قال: وقف مطرّف وبكر بن عبد الله بعرفة، فقال مطرّف: اللهمّ لاتردّهم اليوم من أجلي. وقال بكر: ما أشرفه من موقف وأرضاه لأهله، لولا أنّي فيهم. ورفع الفُضيل رأسه إلى السماء، وقد قبض على لحيته وهو يبكي بكاء الثكلى[4] ويقول: واسوأتاه منك وإن عفوت.

وممن مات حياءً من الله

ما رويناه من حديث ابن باكويه، قال: سمعت علي بن هزارمرد يقول: سمعت ابن محبوب تلميذ أبي الأديان يقول: سمعت أبا الأديان يقول: ما رأيت خائفًا إلّا رجلًا واحدًا؛ كنت بالموقف فرأيت شابًّا مطرقًا منذ وقف الناس إلى أن سقط القرص، فقلت: يا هذا؛ ابسط

(١) ج، ي: الحفر.
(٢) أ، ر، ن: أبو سعد.
(٣) ج، ي: وداع.
(٤) أ، ر، ن: الثكل.

يديك للدعاء! فقال لي: ثمّ وحشة؟ فقلت له: فهذا يوم العفو من الذنوب، قال: فبسط يده، ففي بسطه يديه وقع ميتًا.

ومن باب المجاهدة

ما رويناه من حديث المالكي، عن الرياشي قال: رأيت أحمد بن المعدل في الموقف، في يوم شديد الحرّ، وقد ضحى للشمس، فقلت: أبا الفضل؛ لو أخذت بالتوسعة، فأنشأ يقول:

ضحيت له كي أستظلّ بظلّهِ ... إذا الظلّ أمسى في القيامة قالصا
فوا أسفًا إن كان سعيك باطلًا ... ويا حسرتا إن كان حظّك ناقصا

ومن باب مَن دعا ربّه في حياة قلبه

ما رويناه من حديث ابن باكويه، عن أحمد بن عطاء، عن الحسن بن أحمد، قال: قال المأمون، قال إبراهيم بن أدهم: قال لي أبو عباد الرملي: حضرتُ عرفات، فوقفت أدعو فإذا أنا بفتىً قد أقبل نحوي فقال: أقوام يصلون إلى هذا الموضع يكون فيهم من الفضل ما يسألون الله ﷻ الحوائج، إلّا جعلوا حوائجهم في حياة قلوبهم؟ ثمّ قال لي: أنت أبو عباد الذي تركتَ الشهوات منذ ثلاثين سنة، فعند تركك أفدتَ فائدة. فبكيت، وقلت: ما أرى، فقال: هيهات أبى الله أن يجعل ذخائره لمن الدنيا أو الآخرة في قلبه.

أنشدنا علي بن عمرو الكاتب بقرطبة قال: أنشدني أبو القاسم بن بشكوال المحدِّث لأبي وهب عبد الرحمن الفاضل، وقبره بقرطبة مثل قبر معروف[1] ببغداد، في إجابة الدعاء عنده:

برئتُ من المنازل والقِبابِ ... فلم يعسر على أحد حجابي
فمنزلي الفضاء وسقف بيتي ... سماءُ الله أو قِطَع السحابِ
فأنت إذا أردت دخلت بيتي ... عليّ مسلِّمًا من غير بابِ
لأنّي لم أجد مصراع بابٍ ... يكون من السماء إلى الترابِ
ولا انشقّ الثرى عن عود تَخْتٍ ... أؤمّل أن أشدّ به ثيابي
ولا خفتُ الإباق على عبيدي ... ولا خفتُ الرّهاص على دوابي
ولا حاسبتُ يومًا قهرمانًا ... فأخشى أن أُغَلَّتَ[2] في الحسابِ
ففي ذا راحة وبلاغُ عيشٍ ... فدأب الدهر ذا أبدًا ودأبي

(١) هو الصوفي الشهير: معروف الكرخي.
(٢) ج، ي: أغلّب.

حدّثنا عبد الرحمن بن علي، ثنا أبو غالب محمد بن الحسين الماوردي، أنا أبو علي، ثنا عبد الله بن محمد، ثنا أبو إسحق الهُجيمي، ثنا محمد بن زكريا الغلابي، ثنا إبراهيم بن عمر قال: خرج أبو نوّاس في أيّام العشر يريد شراء أضحية، فلمّا صار في المربد إذا هو بأعرابي قد أدخل شاة له يقدمها كبش فارِه، فقال: لأجرّبنّ هذا الأعرابي، فأنظر ما عنده، فإنّي أظنّه عاقلًا، فقال أبو نوّاس:

أيا صاحب الشاة الذي قد يسوقها بكم ذاكم الكبش الذي قد تقدّما

فقال الأعرابي:

أبيعكه إن كنت ممن يريده ولم تك مزّاحًا بعشرين درهما

فقال أبو نوّاس:

أجدت رعاك الله ردّ جوابنا فأحسن إلينا إن أردت التكرّما

فقال الأعرابي:

أحطّ من العشرين خمسًا فإنّني أراك ظريفًا فاقبضنه[1] مسلّما

قال: فدفع إليه خمسة عشر درهمًا، وأخذ كبشًا يساوي ثلاثين درهمًا.

حدّثنا محمد بن محمد بن محمد، ثنا أبو القاسم الحريري، أنا أبو بكر محمد بن علي المقري، أنا ابن دوست العلّاف، ثنا ابن صفوان، عن عبد الله بن صفوان القرشي[2]، عن أبي الحسن الأزدي، قال: وجدت على قبر بشاطئ الفرات مكتوبًا:

يا عجبًا للأرض ما تشبعْ وكلّ حيّ فوقها يفجع[3]
ابتلعتْ عادًا فأفنتهم وبعد عادٍ هلكتْ تبّع
وقوم نوح أدخلت بطنَها فظهرها من جمعهم بلقع
يا أيّها الراجي لما قد مضى هل لك فيما قد مضى مطمع

وحدّثنا يوسف بن مالك، ثنا ابن جهور، ثنا أبو القاسم الحريري عن محمد بن علي عن ابن دوست، عن ابن صفوان، عن محمد بن الحسين، عن أبي عمر العمري، عن عبد الله بن صدقة بن مرداس البكري، عن أبيه قال: نظرت إلى ثلاثة أقبُرٍ على شرفٍ من الأرض، فإذا على أحدها مكتوب بنقش عجيب الصنعة:

---

(١) ج، ي: فاقتضيه.
(٢) ج، ر: القريشي.
(٣) أ، ي: تفجع.

وكيف يلذّ العيش مَن هو عالم بأنّ إله العرش لا بدّ سائلهْ
فيأخذ منه ظلمه لعباده ويجزيه بالخير الذي هو فاعلهْ

وإذا على القبر الثاني:

وكيف يلذّ العيش من كان موقنًا بأنّ المنايا بغتة ستعاجلهْ
فتسلبه ملكًا عظيمًا ونخوة وتسكنه البيت الذي هو آهلهْ

وإذا على القبر الثالث:

وكيف يلذّ العيش من كان صائرًا إلى جدث تبلي الشباب مناهلهْ
ويذهب رسم الوجه من بعد صونه ويبلى سريعًا جسمه ومفاصلهْ

خبر النجباء[1]

كان على عهد رسول الله ﷺ اثنا عشر نجيبًا، زادت هذه الأمّة في النجباء على سائر الأمم بخمسة نجباء، فإنّه لكلّ نبيٍّ سبعة[2] نجباء إلّا نبيّنا ﷺ فإنّه كان له اثنا عشر نجيبًا وهم:

علي بن أبي طالب، والزبير بن العوّام، وأبو بكر الصدّيق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وجعفر بن أبي طالب، ومصعب بن عمير، وبلال، وعمّار بن ياسر، والمقداد، وعثمان بن مظعون، وشكّ سفيان بن عيينة في عبد الله بن مسعود.

روينا أسماءهم من حديث الدينوري، عن محمد بن عيسى المدائني، عن سفيان بن عيينة، عن كثير، عن إسماعيل، عن أبي إدريس، عن المسيّب، عن علي بن أبي طالب.

وروينا عدّتهم بهذا الإسناد عن النبيّ ﷺ.

وأمّا نقباء هذه الأمّة

فروينا من حديث ابن مروان، عن محمد بن عيسى، عن سفيان بن عيينة، عن معمر، قال: النقباء كلّهم من الأنصار، والحواريّون كلّهم من قريش.

فأمّا النقباء: فسعد بن خيثمة من بني عمرو بن عوف، وسعد بن الربيع من بني النجار، وسعد بن عبادة من بني عبد الأشهل، وعبد الله بن رواحة، وأبو الهيثم بن التيهان، والبرّاء بن معرور، ورافع بن مالك الزرقي، وعبد الله بن عمرو بن حزام، وهو أبو جابر، وعبادة

(١) ذكرهم في الجزء الأوّل من هذا الكتاب بالنقباء.
(٢) أ، ر، ن: سبع.

بن الصامت من بني سلمة، والمنذر بن عمرو من بني ساعدة، وقد ذكرنا عدد الحواريين في أوّل الكتاب، وكذلك ذكرنا النقباء والنجباء.

ومن باب من جوزي هنا بخير عمله

روينا من حديث المالكي، عن جعفر بن محمد، وأفادنا علّان منعمًا، ثنا يزيد بن حكيم، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: أتى سائل امرأة وفي فمها لقمة فلفظتها فناولتها السائل، فلم تلبثْ أن رُزقت غلامًا، فلمّا ترعرع جاء ذئب فاحتمله، فخرجتْ تعدو في أثر الذئب وهي تقول: ابني ابني، فأمر الله ملكًا؛ الحقِ الذئب فخذ الصبي من فيه، وقل لأمّه: إنّ الله يقرئك السلام، وقل: هذه لقمة بلقمة.

ومن باب المواظبة على مجالس الذكر والصبر على الحقّ

ما رويناه من حديث ابن أبي الدنيا، عن محمد بن الحسين، عن أبي يعقوب الضرير، قال: حدّثني عمّار بن الراهب، قال: رأيت مسكينة الطفاوية في منامي فقلت: مرحبًا يا مسكينة مرحبا، فقالت: هيهات يا عمّار هيهات[1]، ذهبت المسكنة، وجاء الغنى الأكبر، قلت: هيه، قالت: ما تسأل عمن أبيح لها الجنّة بحذافيرها تظلّ فيها حيث تشاء. قال: قلت وبم ذاك؟ قالت: بمجالس الذكر والصبر على الحقّ. قال عمّار: وكانت تحضر معنا مجلس عيسى بن زاذان[2] بالأبلّة تنحدر من البصرة حتى تأتيه قاصدة. قال عمّار؛ قلت: يا مسكينة؛ فما فعل عيسى بن زاذان[3]؟ قال: فضحكتْ وقالت: قد كسي حلّة البهاء، وطافت بأباريق حوله الخدّام، ثمّ حلّي. وقيل: يا قارئ ارقأ، فلعمري لقد براك الصيام.[4]

ذِكر إسلام الجارود[5] وما جرى له من ذِكر قسّ[6] في مجلس النبيّ ﷺ

روينا من حديث السلمي وهو أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى، قال: ثنا أبو العباس الوليد بن سعيد بن حاتم بن عيسى الفسطاطي بمكة، قال: أنا محمد بن

---

(١) ج، ي: - هيهات.

(٢) ج، ي: زادان.

(٣) ج، ي: زادان.

(٤) انتهى السمر.

(٥) الجارود بن المعلى: قدم على النبي ﷺ في السنة العاشرة للهجرة وكان سيد قومه، استشهد في أرض فارس سنة ٢٠هـ.

(٦) يقصد قس بن ساعدة الإيادي.

عيسى بن محمد، أنا أبي عيسى بن محمد بن سعيد القرشي، عن علي بن سليمان، عن سليمان بن[1] علي، عن علي بن عبد الله بن العباس، عن عبد الله بن العباس، قال: قدم الجارود بن عبد الله وكان سيّدًا في قومه، مطاعًا عظيمًا في عشيرته، مطاع الأمر، رفيع القدر، ظاهر الأدب، بارع الفضل، شامخ الحسب، بديع الجمال، كبير الخطر، حسن الفعال، ذا مال ومنعة، في وفد عبد القيس من ذوي الأخطار والأقدار، والفضل والإحسان، والفصاحة والبرهان، وكلّ رجل منهم كالنخلة السحوق، على ناقة كالفحل الفنيق، قد جنّبوا الجياد، وأعدّوا للجلاد، جادّين في سيرهم، حازمين في أمرهم، يسيرون ذميلًا[2]، ويقطعون ميلًا فميلًا، حتى أناخوا عند مسجد رسول الله ﷺ.

فأقبل الجارود على قومه والمشيخة من بني عمّه، فقال: يا قوم؛ هذا محمد الأغرّ الأعزّ، سيّد العرب وخير سلالة عبد المطلب، فإذا دخلتم عليه، ووقفتم بين يديه، فأحسنوا عليه السلام، وأقلّوا عنده الكلام. فقالوا: أيّها الملك الهمام، والأسد الضرغام، لن نتكلّم إذا حضرت، ولن نجاوز إذا أمرت، فقل ما شئت فإنّا سامعون، واعمل ما شئت فإنّا تابعون، وأمر بما تراه فإنّا طائعون.

فنهض الجارود في كلّ كمي صنديد، قد دوّموا العمائم، وتردّوا بالصمائم، يجرّون أسيافهم، ويسحبون أذيالهم، يتناشدون الأشعار، ويتذاكرون مناقب الأخيار، لا يتكلّمون طويلًا، ولا يسكتون عِيًّا، إن أمرهم ائتمروا، وإن زجرهم ازدجروا، كأنّهم أُسد غيل، يقدمها ذو لبوة مهول، حتى مثلوا بين يدي رسول الله ﷺ. فلمّا دخل القوم المسجد، وأبصرهم أهل المشهد، دلف الجارود أمام النبيّ ﷺ، وحسر لثامه، وحسن إسلامه، ثمّ أنشأ يقول:

يا نبيّ الهدى أتتك رجالٌ ... قطعت فَدْفَدًا[3] وآلًا فآلا
وطوتْ نحوك الضحاضح طرًّا ... لا تخال الكلال فيك كلالا
كلّ دهماء يقصر الطرف عنها ... أرقلتها قِلاصُنَا إرقالا
وطوتها الجياد تجمح فيها ... بكماة كأنجم تتلالا
تبتغي دفع شرّ[4] يوم عبوسٍ ... أوجل القلب ذكره ثمّ هالا

(١) ج، ر: - سليمان بن.
(٢) سير ذميل: سير سريع ليّن.
(٣) الفدفد: الفلاة.
(٤) ج، ر، ي: - شر.

فلمّا سمع رسول الله ﷺ ما سمع منه فرح فرحًا شديدًا، وقرّبه وأدناه، ورفع مجلسه وحيّاه وأكرمه، وقال: يا جارود؛ لقد تأخّر بك وبقومك الموعد، وطال بكم الأمد. قال: واللهِ يا رسول الله؛ لقد أخطأ من أخطأك قصده، وعدم رشده، وتلك وأيم اللهِ أكبر خيبة، وأعظم حوبة، والرائد لا يكذب أهله، ولا يغشّ نفسه، لقد جئت بالحقّ، ونطقت بالصدق، والذي بعثك بالحقّ نبيًّا، واختارك للمؤمنين وليًّا، لقد وجدتُ وصفك في الإنجيل، ولقد بشّر بك ابن البتول، وطوّل التحية لك، والشكر لمن أكرمك وأرسلك، ولا أثر بعد عين، ولا شكّ بعد يقين، مد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّك محمد رسول الله.

قال: فآمن الجارود، وآمن من قومه كلّ سيّد، وسرّ النبيّ ﷺ بهم سرورًا، وابتهج حبورًا، وقال: يا جارود؛ هل في جماعة وفد عبد القيس مَن يعرف لنا قسًّا؟ قال: كلّنا نعرفه يا رسول الله، وأنا من بين قومي كنت أقفو أثره وأطلب خبره. كان قسٌّ سبطًا من أسباط العرب، صحيح النسب، فصيحا إذا خطب، ذا شيبة حسنة، عمّر سبعمائة سنة، يتقفرّ القفار، ولا تُكِنُّه دار، ولا يقرّه قرار، يتحسّى في تقفّره بيض النعام، ويأنس بالوحش والهوام، يلبس المسوح، ويتبع السيّاح على منهاج المسيح، لا يفتر من الوحدانية، مقرًّا لله بالوحدانية، تُضرب بحكمته الأمثال، وتُكشف به الأهوال، وتتبعه الأبدال، أدرك رأس الحواريين سمعان، فهو أوّل من تألّه من العرب، وأعبد من تعبّد في الحقب، وأيقن بالبعث والحساب، وحذّر سوء المنقلب والمآب، ووعظ بذكر الموت، وأمر بالعمل قبل الفَوت، الحسن الألفاظ، الخاطب بسوق عكاظ، العالم بشرق وغرب، ويابس ورطب، وأجاج وعذب، كأنّي أنظر إليه، والعرب بين يديه، يقسم بالربّ الذي هو له، ليبلغنّ الكتاب أجله، وليوفينّ كلّ عامل عمله.

وأنشأ يقول:[1]

هاج بالقلب من هواه ادّكارُ ... ولياليٍ خِلالهنّ نهارُ
ونجوم يحثّها[2] قمر الليـ ... ـل وشمسٌ في كلّ يوم تدارُ
ضوءُها يطمس العيون وإرعا ... دٌ شديدٌ في الخافقين مُطارُ
وغلامٌ وأشمطٌ ورضيعٌ ... كلّهم في التراب يومًا يُزارُ
وقصور مشيدة حَوَتِ الخيـ ... ـر وأخرى خلت فهنّ قِفارُ

(١) الشعر لقس بن ساعدة كما ذكرته الموسوعة الشعرية.
(٢) أ، ر، ن: تحثّها.

وكثير مما يقصِّرُ عنه حوشة الناظر الذي لا يحارُ
والذي قد ذكرتُ دلّ على اللـ ـه نفوس لها هدى واعتبارُ

فقال النبيّ ﷺ: على رسلك يا جارود، فلستُ أنساه بسوق عكاظ على جملٍ له أورق، وهو يتكلّم بكلام مونق، ما أظنّ أنّي أحفظه، فهل فيكم -يا معشر المهاجرين والأنصار- من يحفظ لنا منه شيئًا؟ فوثب أبو بكر ﷺ قائمًا وقال: يا رسول الله؛ إنّي أحفظه وكنت حاضرًا ذلك اليوم بسوق عكاظ حين خطب فأطنب، ورغّب ورهّب، وحذّر وأنذر، وقال في خطبته: أيّها الناس؛ اسمعوا وعوا، وإذا وعيتم شيئًا فانتفعوا؛ إنّه مَن عاش مات، ومَن مات فات، وكلّ ما هو آت آت، مطر ونبات، وأرزاق وأقوات، وآباء وأمهات، وأحياء وأموات، جمع[1] وأشتات، وآيات بعد آيات، إنّ في السماء لخبرا، وإنّ في الأرض لعِبرا، ليل داج، وسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ما لي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون؟ أرَضوا بالمقام فأقاموا؟ أم تُركوا هناك فناموا؟ أقسم قسٌّ قسمًا، حقًّا لا حانثًا فيه ولا آثمًا، إنّ لله دِينًا هو أحبّ إليه من دينكم الذي أنتم عليه، ونبيًّا قد حان حينه، وآن أوانه، وأظلّكم زمانه[2]، وأدرككم إبانه، فطوبى لمن أدركه فآمن به وهداه، وويل لمن خالفه وعصاه.

ثمّ قال: تبًّا لأرباب الغفلة، والأمم الخالية والقرون الماضية.

يا معشر إياد؛ أين الآباء والأجداد، وأين المريض والعُوّاد؟ وأين الفراعنة الشداد؟ أين مَن بنى وشيّد؟ وزخرف ونجّد، (أين) المال والولد؟ أين من بغى وطغى، وجمع فأوعى؟ وقال: أنا ربّكم الأعلى. ألم يكونوا أكثر منكم أموالًا؟[3] وأطولَ منكم آجالًا! طحنهم الثرى بكلكله، ومزّقهم بطوله، فتلك عظامهم بالية، وبيوتهم خالية، عمرتها الذئاب العاوية، كلّا، بل هو الله الواحد المعبود ليس بوالد ولا مولود.

ثمّ أنشأ يقول:

في الذاهبين الأوّليـ ـن من القرون لنا بصائرْ
لمّا رأيت مواردًا للموت ليس لها مصادرْ
ورأيت قومي نحوها يمضي الأصاغر والأكابرْ
لا يرجع الماضي إليّ ولا من الباقين غابرْ

---

(١) أ، ر، ن: جميع.
(٢) النسخ عدا ج: ونبيا قد حان حينه، وأظلكم أوانه.
(٣) ي: + وأبعد منكم آمالا.

أيقنت أنّي لا محا لة حيث صار القوم صائرْ

قال: ثمّ جلس.

وقام رجل من الأنصار بعده كأنّه قطعة جبل، ذو هامة عظيمة، وقامة جسيمة، قد دوّم عمامته، وأرخى ذوابته، منيف أنوف، أشدق، أجشّ الصوت، فقال: يا سيّد المرسلين، وصفوة ربّ العالمين؛ لقد رأيت من قسٍّ عجبا، وشهدت مزعبا!. فقال: ما الذي رأيته وحفظته عنه؟ فقال: خرجت في الجاهلية أطلب بعيرًا لي شرد منّي، أقفوا أثره وأطلب خبره، في تنائف حفاف[1]، ذات دعادع وزعازع، ليس لها للركب مقيل، ولا لغير الجنّ سبيل، وإذا أنا بموئل مهول في طود عظيم، ليس فيه إلّا البُوم، وأدركني الليل فولجته مذعورًا، لا آمن فيه حتفي، ولا أركن إلى غير سيفي، فبتّ بليل طويل كأنّه بليل موصول، أرقب الكوكب، وأرمق الغيهب، حتى إذا عسعس الليل، وكاد الصبح أن يتنفّس، هتف بي هاتف يقول:

يا أيّها الراقد في الليل الأحم قد بعث الله نبيًّا في الحرمْ

من هاشم آل الوفاء والكرم يحلو دجنّات الدياجي والبهمْ

قال: فأدرتُ طرفي فما رأيت له شخصًا، ولا سمعت له فحصًا.

فأنشأت أقول:

يا أيّها الهاتف في داجي الظلم أهلًا وسهلًا بك من طيفٍ ألَمْ

بيّن هداك الله في اللحن[2] الكلم ما ذا الذي تدعو إليه تغتنمْ

قال: وإذا أنا بنحنحةٍ، وقائل يقول: ظهر النور وبطل الزور، بعث الله محمدًا ﷺ بالحبور، صاحب النجيب الأحمر، والتاج والمغفر، والوجه الأزهر، والحاجب الأقمر، والطرف الأحور، صاحب القول شهادة أن لا إله إلّا الله، فذاك محمد المبعوث إلى الأسود والأبيض، أهل المدر والوبر، ثمّ أنشأ يقول:

الحمد لله الذي لم يخلق الخلق عبثْ

لم يخلنا سدى من بعد عيسى واكترثْ

أرسل فينا أحمدًا خير نبيّ قد بعثْ

صلّى عليه الله ما جّ له ركبٌ وحثْ

قال: فذهلت عن البعير، واكتنفني السرور، ولاح الصباح، واتّسع الأوضاح، فتركت

---

(١) تنائف: فلوات. حفاف: جافة.

(٢) ج: لحن.

القوز[1] وأخذتُ الجبل، فإذا أنا بالفنيق يشقشق النوق، فملكت خطامه، وعلوت سنامه، فمرح طاعة، وهزهزتُه ساعة، حتى إذا لعب، وذلّ منه ما صعب، وحميت الوسادة، وبردت المزادة، فإذا الزاد قد هشّ له الفؤاد، وبرّكته فبرك، وأنخته فنزل[2] في روضة خضراء نضِرة عطراء، ذات حوذان وقريان[3]، وعبقران وعبيثران، وحلي، وأقاحي جثجاث[4] وأنوار، وشقائق وبهار، كأنّما قد بات الجوّ بها مطيرا، وباكَرها المزن بكورا، فخلالها شجر، وإقرارها نهر، فجعل يرتع أبّا، وأصيد ضبّا، حتى إذا أكلتُ وأكل، ونهلتُ ونهل، وعللتُ وعل، حللتُ عقاله، وعلوتُ جلاله، وأوسعتُ مجاله، فاغتنم الحملة ومرّ كالنبلة، يسبق الريح، ويقطع عرض الفيح، حتى أشرف بي على واد، وشجر من شجر عاد، مورقة ومونقة، قد تهدّل أغصانها كأنّما بريرها[5] حبّ فلفل، فدنوتُ وإذا أنا بقسّ بن ساعدة في ظلّ شجرة، بيده قضيب من أراك ينكث به الأرض، وهو يترنّم بشعر وهو يقول:

يا ناعي الموت والملحود في جدثٍ ... عليهم من بقايا بَزّهم خِرقُ
دعهم فإنّ لهم يومًا يصاح بهم ... فهم إذا نُبِّهوا من نومهم حرَقُ
حتى يعودوا لحالٍ غير حالهم ... خلقًا جديدًا كما من قبله خُلقوا
منهم عراةٌ ومنهم في ثيابهم ... منها الجديد ومنها المنهج الخلقُ

قال: فدنوتُ منه وسلّمتُ عليه، فردّ السلام. وإذا بعين خرّارة في أرض خوّارة، ومسجد بين قبرين، وأسدين عظيمين يلوذان به ويتمسّحان بأثوابه، وإذا أحدهم يسبق صاحبه إلى الماء فتبعه الآخر، وطلب الماء، فضربه بالقضيب الذي في يده وقال: ارجع ثكلتك أمّك حتى يشرب الذي ورد قبلك، فرجع، ثمّ ورد بعده. فقلت له: ما هذان القبران؟ فقال: هذان قبرا أخوين لي، كانا يعبدان الله معي في هذا المكان، لا يشركان بالله شيئًا، فأدركهما الموت، فقبرتهما، وها أنا بين قبريهما حتى ألحق بهما. ثمّ نظر إليهما فتغرغرتْ عيناه بالدموع، فانكبّ عليهما وجعل يقول:

خليليّ هبّا طالما قد رقدتما ... أجِدَّكما لا تقضيان كَراكُما
ألم تريا أنّي بسمعان مفردٌ ... وما لي فيه من خليل سِواكما

(١) القوز: المستدير من الرمل.
(٢) النسخ عدا ج: فبرك.
(٣) ج، ي: وقربان.
(٤) الجثجاث: شجر أصفر اللون طيّب الرائحة.
(٥) البرير: ثمر الأراك. النسخ عدا ج: يريدها.

مقيم على قبريكما لست بارحًا طوال الليالي أو تجيب[1] صداكما
أأبكيكما طول الحياة وما الذي يردّ على ذي عولة إن بكاكما
كأنّكما والموت أقرب غائبٍ بروحيَ في قبريكما قد أتاكما
فلو جعلت نفسٌ لنفس وقاية لجدتُ بنفسي[2] أن تكون فداكما

فقال رسول الله ﷺ: يرحم الله قسًّا، إنّي لأرجو أن يبعثه الله أمّة وحده.

وأنشدوا في الموت

ذهب الأحبّةُ بعد طولِ تودّد ونأى المزار فأسلموكَ وأقلعوا
خذلوك أفقر ما تكون بغربةٍ لم يؤنسوك وكربةً لم يدفعوا
قُضِي القضاء وصرتَ صاحب حفرة عنك الأحبّة أعرضوا وتصدّعوا

وأنشدوا:

يا أيّها الواقف بالقبورِ
بين أناس غُيّبٍ حضورِ
قد سكنوا في خربٍ معمورِ
بين الثرى وجندل الصخورِ
لا تك عن حظّك في غرورِ

وأنشدوا:

صرت بعد النعيم في منزل البعد والقِلا
وجفاني أحبّتي حين غُيّبت في الثرى
أخلق الموت جِدّتي ومحا حسني البلا

ومن ذلك:

سلب الموت بهجتي وشبابي وجفاني في غربتي أحبابي
بعد ملك وظلّ عيشٍ عجيبٍ صرتُ رهنًا لجندل وترابِ

حدّثنا محمد بن محمد بن محمد، ثنا الحريري، ثنا أبو بكر الخياط، ثنا ابن دوست، ثنا ابن صفوان، ثنا أبو بكر القرشي، عن أبي جعفر القرشي قال: خرج رجل إلى مقابر البصرة. فرأى قبرًا قد نقش عليه:

---

(١) ج: مجيب.
(٢) أ، ر، ن: لنفسي.

يا غافل القلب عن ذكر المنيّات عمّا قليل ستثوي بين أمواتِ
فاذكر محلّك من قبل الحلول به وتب إلى الله من لهو ولذّاتِ
إنّ الحِمام له وقتٌ إلى أجلٍ فاذكر معائب أيّامٍ وساعاتِ
لا تطمئنّ إلى الدنيا وزينتها قد حان للموت يا ذا اللبّ أن يأتي

حدّثنا أبو الحسن علي بن عبد الله اللخمي الفريابي، حدّثني أبو الطاهر بن محمد بن أحمد، ثنا أبو نصر بن علي، حدّثني ابن النخاس[1]، عن ابن وسيم، عن إبراهيم بن عرفة، عن العباس بن محمد، عن عثمان بن عمر، عن شعبة، عن عطاء، عن ابن جبير، عن ابن عباس، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم، وإنّ لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم، إنّ المؤمن بين مخافتين: بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وبين أجل قد بقى لا يدري ما الله قاض فيه، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الكِبر، ومن الحياة قبل الموت، فو الذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتَب، ولا بعد الدنيا دار إلّا الجنّة أو النار».

أخبرنا عبد الرحمن بن علي كتابة، ثنا إبراهيم بن دينار، أنا إسماعيل بن محمد، عن عبد العزيز بن أحمد، ثنا ابن حيّان، ثنا أبو سعيد الثقفي، عن ذي النون المصري، قال: كنت في الطواف إذ طلع نورٌ لَحِق عنان السماء، فتعجّبتُ وأتممتُ طوافي، وأقمت أتفكّر في ذلك النور، فسمعتُ صوتًا حزينًا، فنظرت فإذا أنا بجارية متعلّقة بأستار الكعبة، وهي تقول:

أنت تدري يا حبيبي مَن حبيبي أنت تدري
ونحول الجسم والدمع يبوحان بسرّي
يا عزيزي قد كتمت الحبّ حتى ضاق صدري

قال ذو النون: فشجاني ما سمعتُ، ثمّ انتحبتْ وبكتْ، وقالت: إلهي وسيّدي ومولاي؛ بحبّك لي إلّا غفرتَ لي[2]. قال: فتعاظمني ذلك، فقلت: يا جارية؛ أما يكفيك أن تقولي بحبّي لك حتى تقولي[3] بحبّك لي! فقالت: إليك إليك يا ذا النون؛ أما علمت أنّ لله ﷻ قومًا يحبّهم قبل أن يحبّوه؟ أما سمعتَ الله يقول: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[4] فسبقت محبّته لهم قبل محبّتهم له. فقلت: من أين علمتِ أنّي ذو النون؟ فقالت: يا بطّال؛

(١) أ، ر، ن: المنخاس.
(٢) النسخ عدا ج: - لي.
(٣) أ، ر، ن: أما يكفيك أن تقول بحبّي لك حتى تقول.
(٤) [المائدة: ٥٤]

جالت القلوب في ميدان الأسرار، فعرفتك بمعرفة الجبّار. ثمّ قالت لي: انظر إلى من خلفك فأدرت وجهي، فلا أدري؛ السماء اقتلعتها أم الأرض ابتلعتها.

وروينا من حديث ابن باكويه، عن عبد العزيز بن الفضل، عن عبد الجبار بن عبد الصمد، عن الحسين بن أحمد بن هارون، عن محمد بن عبد الله، عن أبي شعيب قال: سألت إبراهيم بن أدهم الصحبة إلى مكة فقال لي: على شريطة على أنّك لا تنظر إلّا لله وبالله، فشرطت له ذلك على نفسي. فخرجت معه، فبينا نحن في الطواف إذا بغلام قد افتتن الناس في الطواف بحسنه وجماله، وجعل إبراهيم يديم النظر إليه، فلمّا طال ذلك قلت: يا أبا إسحق؛ أليس شرطتَ عليّ أن لا تنظر إلّا لله وبالله؟ قال: بلى، قلت: فإنّي أراك تديم النظر إلى هذا الغلام، فقال: هذا ابني وولدي، وهؤلاء غلماني وخدمي الذين معه، ولكن انطلِق وسلّم عليه منّي، وعانقه عنّي، فمضيتُ إليه وسلّمتُ عليه، فجاء إلى والده فسلّم عليه، ثمّ صرفه مع الخدم، وقال: ارجع انظر أيش يراد بك؟ وأنشأ يقول:

هجرت الخلق طرًّا في هواكا ... وأيتمتُ البنين لكي أراكا
فلو قطّعتَني في الحبّ إربًا ... لما حنّ الفؤاد إلى سِواكا

حدّثنا يونس، عن ابن أبي منصور، عن أبي الحسين بن يوسف قال؛ قال لنا أبو الحسن بن صخر: تعلّق رجل بالستر وقال:

ستور بيتك ذيل الأمن منك وقد ... علّقتها مستجيرًا أيّها الباري
وما أظنّك لمّا أن علقتُ بها ... خوفًا من النار تدنيني من النارِ
وها أنا جار بيتٍ أنتَ قلت لنا ... حجّوا إليه وقد أوصيتَ بالجارِ

وأنشدنا سليمان بن خليل بمكة لأبي الفرج بن علي بن محمد بن الجوزي الإمام العالم:

تملّكوا واحتكموا ... وصار قلبي لهمُ
تصرّفوا في ملكهم ... فلا يقال ظلموا
إن وصلوا محبّهم ... أو قطعوا فهمْ همُ
صبرًا لما شاءوا وإن ... ساء الذي قد حكموا
قد أودعوا سرّ فؤادي ... حبّهم واستكتموا
يا أرض سبعٍ أخبري ... وحدّثيني عنهمُ
يا ليت شعري إذ غدَوا ... أأنجدوا أم أتهموا
تبكيهم أرض منى ... وتشتكيهمْ زمزمُ

ما ضرّهم حين سروا لو وقفوا وسلّموا
يشوقني واديهم وضالهم والسلمُ

وأنشدنا له أيضًا في هذا الباب:

يا صاحبي إن كنت لي أو معي فعد إلى روض الحمى نرتعِ
وسل عن الوادي وأربابه وانشد فؤادي في ربى المجمعِ
حيّ كثيب الرمل رمل الحمى وقف وسلّم لي على لعلعِ
واسمع حديثًا قد روته الصَّبا تسنده عن بانة الأجرعِ
وابكِ فما في العين من فضلة ونُب فدَتكَ النفس عن مدمعي
وانزل على الشيح بواديهم واشمم نبات البلد البلقعِ
عند منىً كنتُ وكان الهوى فصمّ إلّا عنهم مسمعي
لهفي على طيب ليالٍ خلتْ عودي تعودي مدنفًا قد نعي
إذا تذكّرت زمانًا مضى فويح أجفاني من أدمعي

وأنشدت لأبي القاسم المطرّز:

صحا كلّ عذريّ الغرام عن الهوى وأنت على حكم الصبابة نازلُ
نزلنا إلى التوديع من دارة الحمى فضنّت علينا بالسلام المَنازِلُ[1]

(حفظ اللسان والسر)

قال المبرّد: أحسن ما سمعت في حفظ اللسان والسرّ، ما بلغني عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

ولا تفشِ سرّك إلّا إليك فإنّ لكلّ نصيح نصيحا
فإنّي رأيت وشاة الرجال لا يتركون أديمًا صحيحا

ولبعضهم في الباب من قصيدة:

فلا تودِعنّ الدهر سرّك أحمقًا فإنّك إن أودعته منه أحمقُ
وحسبك في ستر الأحاديث واعظًا من القول ما قال الأديب الموفّقُ
إذا ضاق صدر المرء عن سرّ نفسه فصدر الذي يستودع السرّ أضيقُ

روينا من حديث الهاشمي، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا إنّ الدنيا قد ارتحلت مدبِرة، والآخرة قد تجمّلت مقبِلة، ألا وإنّكم لفي يوم عمل ليس فيه حساب، ويوشك

(١) انتهى السمر.

أن تكونوا في يوم حساب ليس فيه عمل، وأنّ الله يعطي الدنيا من يحبّ ويبغض، ولا يعطي الآخرة إلّا من يحبّ، وإنّ للدنيا أبناء وللآخرة أبناء، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، إنّ شرّ ما أتخوّف عليكم اتّباع الهوى، وطول الأمل؛ فاتّباع الهوى يصرف بقلوبكم عن الحقّ، وطول الأمل يصرف هممكم إلى[1] الدنيا، وما بعدهما لأحد خير من دنيا ولا آخرة».

ومن حديث أنس بن مالك

قال؛ قال رسول الله ﷺ: «ما من بيت إلّا وملك الموت يقف على بابه في كلّ يوم خمس مرات، فإذا وجد الإنسان قد نفد أجله ألقى عليه غمّ الموت، فغشيته كرباته وغمرته غمراته. فمن أهل بيته الناشرة شعرها، والضاربة وجهها، والباكية بشجوها، والصارخة بويلها؛ فيقول ملك الموت عليه السلام: ويلكم ممّ الفزع؟ وفيم الجزع؟ ما أذهبتُ لواحد منكم رزقًا، ولا قرّبتُ له أجلًا، ولا أتيته حتى أُمِرت، ولا قبضتُ روحه حتى استأمرتُ، وإنّ لي فيكم عودة ثمّ عودة حتى لا أُبقي منكم أحدا.

قال النبيّ ﷺ: فوالذي نفس محمد بيده لو يرون مكانه، ويسمعون كلامه، لذهلوا عن ميّتهم، ولبكوا على نفوسهم، حتى إذا حُمل الميّت على نعشه، رفرف روحه فوق النعش وهو ينادي: يا أهلي ويا ولدي؛ لا تلعبَنّ بكم الدنيا كما لعبت بي، جمعتُ المال من حلِّه ومن غير حلِّه، ثمّ خلّفته لغيري، فالمهنأة له والتبعة عليّ، فاحذروا مثل ما حلّ بي».

ومن باب الكرم الإلهي ما روي عن موسى عليه السلام[2]

حدّثنا محمد بن قاسم، ثنا عمر بن عبد المجيد، قال: بلغنا أنّ موسى عليه السلام سجد في بعض تقرّبه وقال: يا ربّ؛ فقال له ربّه سبحانه وتعالى: لبّيك يا موسى. فلمّا سمع موسى عليه السلام تلبية الحقّ له بالإجابة، سجد ثانية وقال في سجوده: سبحانك سبحانك أنت أنت، ومَن عبدُك حتى تجيبه بالتلبية؟ فقال له ربّه[3] سبحانه وتعالى: يا موسى؛ إني آليت على نفسي أن لا يدعوني عبدي بالربوبيّة إلّا أجبته بالتلبية، فقال موسى: يا ربّ؛ هذا جعلتَه للطائعين من عبادك دون المذنبين؟ فقال

---

(١) أ، ر، ن: - إلى.

(٢) هنا ينتهي النقص في النسخة م.

(٣) أ، ج، ر، ن: - ربّه.

له سبحانه: يا موسى[1]؛ إذا أجبتُ المحسن لأجل إحسانه، ولم أجب المسيء لأجل عصيانه، فمنعتُه من فضلي ونعمتي، فأين عطفي وكرمي؟

ومن جيّد الشعر في الجود والشجاعة

ومن عجبٍ أنّ السيوف لديكم تحيضُ دماءً والسيوف ذكورُ
وأعجب من ذا أنها في أكفّكم تأجّجُ نارًا والأكفّ بحورُ

حدّث أبو ذر وأحمد بن يحيى، والسياق لأبي ذر، أنّ ابن يحيى النديم قال: دعاني أمير المؤمنين المتوكّل على الله ذات يوم، وهو في بعض راحاته فقال: يا ابن يحيى؛ أنشدني قول عمارة في أهل بغداد، فأنشدته:

من يشتري منّي ملوك محرّم أبِعْ حسنًا وابني هشامِ بدرهمِ
وأعطي رجالًا بعد ذاك زيادة وأمنح دينارًا بغير تندّمِ
فإن طلبوا منّي الزيادة زِدتهم أبا دلفٍ والمستطيل بن أكثمِ

فقال المتوكل: ويلي على ابن البوّال على عقبيه يهجو شقيق دولة ولد العباس.

ثمّ قال لي: يا ابن يحيى؛ هل عندك من المديح في أبي دلف القاسم بن عيسى شيء؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، قول الأعرابي الذي يقول فيه:

أبا دلف إنّ السماحة لم تزل مغلّلة تشكو إلى الله غلّها
فبشّرها ربّي بميلاد قاسمٍ فأرسل جبريلًا إليها فحلّها

ومن هذا الباب قول القائل:

حرٌّ إذا جئته يومًا لتسأله أعطاك ما ملكت كفّاه واعتذرا
يخفي صنائعَه والله يظهرها إنّ الجميل إذا أخفيته ظهرا

وقال الآخر:

فتىً عاهد الرحمن في بذل ماله فلست تراه الدهرَ إلّا على العهدِ
فتىً قصرتْ آماله عن فعاله وليس على الحرّ الكريم سوى الجهدِ

هذا المديح أقرب للديانة منه للكرم، فإنّ عطاؤه إنما هو من أجل الوفاء بعهده مع الله حتى لا يكون من الذين ينقضون عهد الله، والكريم سجيّته الكرم، فلا يحتاج إلى قسم عليه إلّا لعلّة في نفسه، فما وفّى هذا الشاعر مدح هذا في الكرم ما تصوّر له في خاطره، فهذا لفظ

(١) ج، ي: - يا موسى.

دون ما في القصد.

وقال الآخر في هذا الباب:

أرى نفسي تتوق إلى أمور يقصر دون مبلغهنّ مالي
فنفسي لا تطاوعني لبخلٍ ومالي لا يبلّغني فِعالي

وقول الآخر:[1]

إذا ما أتاه السائلون توقّدتْ عليه مصابيح الطلاقة والبِشرِ
له في ذوي المعروف نعمى كأنّها مواقع ماء المزن في البلد القفرِ

ينظر إلى البيت الأوّل قول زهير:

تراه إذا ما جئتَه متهلّلًا كأنّك تعطيه الذي أنت سائله

وأحسن منه لو قال ما قلنا:

تراه إذا ما جئتَه متهلّلًا كمثل الذي يعطي الذي أنت سائله

فإنّ مدحه بالفرح بما يعطي نقصٌ به إذا جاء مطلقًا، فلو قيّده من أجل ما يجد ما يعطي لكان أشعر:

ومن جيّد الشعر ما قال القائل:

لئن ساءني أن نلتني بمساءة لقد سرّني أنّي خطرت ببالكَ

وأحسن منه لو قال ما قلنا:

لئن سرّني أن نلتني بمساءة فما كان إلّا أن خطرت ببالكَ

لأنّ الأوّل قد أقرّ بأنّه إساءة ثمّ اعتذر.

ومن حسن الشعر ما قال الآخر في باب الشكوى:

فالليل إن وصلتْ كالليل إن هجرت أشكو من الطول ما أشكو من القِصر

وأحسن منه ما قلنا:

شغلي بها وصلت بالليل أو هجرت فما أبالي أطال الليل أم قصرا

فإنّ الأوّل شغله بطول الليل وقصره من أجلها، فهو فاقد لها في زمن الاشتغال بغيرها، والثاني شغله بها ومَن سواها تبع.

ومن حسن الشعر قول القائل:

---

(١) هو أحمد بن طيفور (٢٠٤-٢٨٠هـ).

ولقد هممت بقتلها من حبّها كيما تكون خصيمتي في المحشر

وأحسن منه وأحقّ قولنا:

ولقد سررت بظلمها من حبّها كيما تكون خصيمتي في المحشر

فإنّ الأوّل جعله مطلوبًا فقد تهبُ حقّها ولا تخاصم، والثاني جعل الحقّ له، وجعل المحبوب المطلوب، فالخصومة لازمة.

حدّثني عبد الله بن رجلون[١] اليابري قال:

علّم بعضُ الشعراء من أصحابنا زرزورًا الكلام حتى نطق لسانه، فعلّمه الدعاء لخليفة الوقت، وسوَرًا من القرآن. ومن جملة ما علّمه بيتان في الفصد، وأحضر بين يدي الزرزور هيئة الفصد وحركاته حتى ارتسمت في خياله، فصار الزرزور[٢] إذا رأى تلك الحالة أنشد البيتين. ثمّ أعلم حاجب الإمام بذلك، ودفع إليه الزرزور. فلمّا علم الحاجب أنّ أمير المؤمنين يفتصد استأذن في إدخال الزرزور عليه، فأذن له، فأُحضر، فلما حضر[٣] الزرزور في قفصه، قال: بسم الله الرحمن الرحيم[٤] النصر والتمكين لسيدنا أمير المؤمنين. فلمّا جاء الفاصد، ورأى[٥] الآلات قد حضرت، وأخرج أمير المؤمنين يده للحجّام، وأخذ المبضع، وهمّ بفصده[٦] نطق الزرزور فقال:

أيّها الفاصد رفقا بأمير المؤمنينا

إنما تفصد عرقًا فيه محيا العالمينا

فأعجب الخليفة به، وأمر لصاحبه بألفي دينار ذهب[٧]، وقال: لو زاد لزدناه.

وحكي أنّ ابن اللبّانة الأندلسي[٨] وكان وزيرًا للمعتمد بن عبّاد ملك الأندلس، فلمّا قبض على المعتمد، وتفرّق شمله، مرّ ابن اللبّانة على بعض أولاده بدكان صائغ وهو ينفخ في الفحم فبكى، وتذكّر ما كان فيه من الملك والنعمة، فقبّل يديه، وأنشده لنفسه:

---

(١) ج: زحلون. م، ي: رحلوان.

(٢) أ، ح، ر، ن: - هيئة الفصد وحركاته حتى ارتسمت في خياله، فصار الزرزور.

(٣) م، ي: - عليه، فأذن له، فأحضر، فلما حضر.

(٤) م، ي: - بسم الله الرحمن الرحيم.

(٥) أ، ر، ن، ي: فلما رأى.

(٦) م، ي: وهو يفصده.

(٧) م، ي: - ذهب.

(٨) م، ي: - الأندلسي.

صرفتَ في آلة الصيّاغ أنملة لم تدرِ إلّا الندى والسيف والقلما
يدٌ عهدتك للتقبيل تبسطها فتستقلّ الثريّا أن تكون فما
للنفخ في الصور هولٌ ما حكاه سوى هول رأيتك فيه تنفخ الفحما
وددتُ إذ نظرتْ عيني إليك به لو أنّ عيني تشكو قبل ذاك[1] عمى
ما حطّك الدهر لمّا حطّ عن شرف ولا تحيّف من أخلاقك الكرما
لح في العلا كوكبًا إن لم تلح قمرًا وقم بها ربوة إن لم تقم[2] علما
واصبر فربّما أحمدت عاقبة من يلزم الصبر يحمد غبّ ما لزما
واللهِ لو أنصفتك الشهب لانكسفت ولو وفى لك دمع العين لانسجما

فعمل في قلبه كلامه، وثار بقلعة اركش، وأقام بها إلى أن قتل.

وذكر الفتح بن خاقان أنّ الراضي ولد المعتمد بن عبّاد سلطان الأندلس، وكان معتكفًا على درس العلوم والاشتغال بها، فأراد منه أبوه المعتمد على الله محمد بن عبّاد أن يقدّمه على جيش لمحاربة[3] باديس بن حيوس[4] بأغرناطة. فتمارض الراضي على أبيه، وامتنع لشغفه بالعلم، فخرج المعتمد بنفسه لمحاربته، وتخلّف ابنه الراضي، فاتّفق أن هزمه العدو فعاد إلى أشبيلية، وهجر ابنه؛ فكتب إليه ابنه الراضي:

لا يكرثنّك خطب الحادث الجاري فما عليك بذاك الخطب من عارِ
ماذا على ضيغم أمضى عزيمته إن خانه حدّ أنياب وأظفارِ
عليك للناس أن تبقى لهم سندًا وما عليك لهم إسعاد أقدارِ
لو يعلم الناس حقًّا أن تدوم لهم لم يتحفوك بشيء غير أعمارِ

فأجابه أبوه المعتمد على الله يهزأ به:

الملك في طيّ الدفاتر فتخلّ عن قود العساكِرْ
طف بالسرير مسلّمًا وارجع لتوديع المنابرْ
وازحف إلى جيش المعا رف تهزم الحبر المقامرْ
واطعن بأطراف اليرا ع نصرت في ثغر المحابرْ
واضرب بسكين الدوا ة مكان ماضي الحدّ باترْ

(١) أ، ر، ن: ذل.
(٢) ر، ن: يقم.
(٣) أ، ر، ن: المحاربة.
(٤) أ، ر، ن: بادس بن حبوس.

أولستَ أسطاليس إذا ذَكر الفلاسفة الأكابرْ
وكذاك إن ذكر الخليـ ـل فأنت نحويٌّ وشاعرْ
وأبو حنيفة ساقط في الرأي حين[1] تكون حاضرْ
من هرمس من سيبويـ ـه من أب فورك إذ تناظرْ
هذي المكارم قد حويـ ـت فكن لمن حاباك شاكِرْ
واقعد فإنّك طاعم كاس وقل هل من مفاخرْ
لحجبت وجه رضاي عنـ ـك وكنت قد تلقاه سافرْ
أولست تذكر وقت لر قة حين قلبك ثمّ طائرْ
لا يستقرّ مكانه وأبوك كالضرغام خادرْ
هلا اقتديت بفعله وأطعته إذ ذاك آمرْ
قد كان أبصر بالعوا قب والموارد والمصادرْ

فأجابه ابنه الراضي رحمهما الله:

مولاي قد أصبحتُ كافرْ بجميع ما تحوي الدفاترْ
وفللت سكين الدوا ة وظلت للأقلام كاسرْ
وعلمتُ أنّ الملك والـ ـعلياءَ في ضرب العساكر
لا ضرب أقوال بأقـ ـوال ضعيفات مكاسرْ
قد كنت أحسب من سفا هٍ أنّها أصل المفاخرْ
وإذا بها فرع لها والجهل للإنسان عاذرْ[2]
وهجرتُ من سمّيتهم وجحدتُ أنّهمُ أكابرْ
إن كان في فضل فمنـ ـك فهل لذاك النور ساترْ
أو كان في نقصٍ فمنّـ ـي غير أنّ الفضل غامرْ[3]
ضحك الموالي بالعبيـ ـد إذا تؤمّل[4] غير صابرْ
لا تنس يا مولاي قو لة ضارع لا قول فاجرْ[5]
ضبط الجريرة عندما نزلت بعفوتك العساكر

(١) م، ي: حيث.
(٢) ج، م: غادر.
(٣) أ، ر، ن: عامر.
(٤) م، ي: توصل.
(٥) أ، ر، ن، ي: فاخر.

أيّام ظلت بها فريـ ـدًا ليس غير الله ناصرْ
إذ كان يغشى ناظري لمع الأسنّة والبواترْ
ويصمّ آذاني بها قرع الحجارة بالحوافرْ
وهي الحضيض سهولة لكن تبيت[1] بها مخاطرْ
هب زلّتي لبنوّتي واغفر فإنّ الله غافرْ

قال: فلم يزده ذلك إلّا تماديًا في هجرانه، فكتب إليه أيضًا:

مولاي أشكو إليك داء أصبح قلبي به جريحًا
سخطك قد زادني سقامًا فابعث إليّ الرضى مسيحا

قال: فرضي عنه وأدناه.

حدّثنا يونس، ثنا محمد بن طاهر، أنا الحسن بن علي الجوهري، عن أبي عمر بن حيّويه، عن أبي الحسن بن معروف، عن الحسين بن الفهم، عن محمد بن سعد، عن عبد الله بن نمير، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن مسروق، عن عائشة، قالت: مرض أبو بكر ﷺ مرضه الذي مات فيه، وقال[2]: انظروا ما زاد في مالي منذ دخلتُ في الإمارة، فابعثوا به إلى الخليفة من بعدي. فنظرنا فإذا عبدٌ نوبيّ كان يحمل صبيانه، وإذا ناضح كان يسقي بستانًا له، فبعثنا بهما إلى عمر. قالت: فأخبرني رسولي أنّ عمر بكى وقال: رحمة الله على أبي بكر، لقد أتعب مَن بعدَه تعبًا شديدًا.

وقال عبد الله بن عباس: سمعت أبا بكر الصدّيق ﷺ يقول هذين البيتين:

إذا أردت شريف الناس كلّهم فانظر إلى ملِك في زيّ مسكينِ
ذاك الذي حسنت في الناس سيرته وذاك يصلح للدنيا وللدينِ

وروينا عن السري السقطي أنّه قال: كنت أتكلّم يومًا بجامع المدينة فوقف عليّ شاب ذو شارة وخوَل، فسمعني أقول: عجبًا لضعيف يعصي قويًّا! فنظرت إلى لونه قد تغيّر وانصرف، ثمّ جاءني من الغد في المجلس فسلّم عليّ وقال: سمعتك بالأمس تقول: عجبًا لضعيف يعصي قويًّا، فما معناه؟ فقلت: لا أقوى من الله ولا أضعف من العبد وهو يعصيه.

فنهض فخرج، ثمّ عاد من الغد وعليه ثوبان أبيضان وليس معه أحد، فقال: يا سيّدي؛

(١) النسخ عدا ج: ثبت.
(٢) أ، ر، ن: قال. ج: فقال.

كيف الطريق إلى الله[١]؟ فقلت: إن أردتَ العبادة فعليك بصيام النهار وقيام الليل، وإن أردتَ اللهَ فاترك كلّ شيء سواه، وليس إلّا المساجد والخراب والمقابر. فقام وهو يقول: واللهِ[٢] لا سلكتُ إلّا أصعب الطرق، ثمّ ولّى خارجًا.

فلمّا كان بعد أيّام أقبل إليّ جماعة كثيرة من الغلمان، فقالوا: ما فعل أحمد بن يزيد الكاتب؟ فقلت: لا أعرفه، إلّا أنّ رجلًا جاءني من[٣] صفته كذا وكذا، فجرى لي معه كذا وكذا، ولا أعلم حاله. فقالوا: نقسم عليك بالله[٤] متى عرفت حاله فعرّفنا، ودَلّوني على منزله. فبقيت سنة لا أعرف له خبرًا.

فبينا أنا ذات ليلة بعد العشاء في بيتي إذا بطارق يطرق الباب، فأذنتُ له في الدخول، فإذا بالفتى عليه قطعة من كساء، وأخرى على عاتقه، ومعه زنبيل فيه نوى، فقبّل بين عيني وقال: يا سري؛ أعتقك الله من النار كما أعتقتني من رقّ الدنيا. فأومأت إلى صاحبي أن امض إلى أهله فأخبِرهم. فمضى فإذا زوجته قد جاءت ومعها ولده وغلمانه، فدخلتْ فألقت ولده في حجره وعليه حليّ وحلل، وقالت له: يا سيّدي؛ أرملتني وأنت حيّ، وأيتمتَ ولدك وأنت حيّ. فنظر إليّ وقال: يا سيّدي؛ ما هذا وفاء. ثمّ نزع ما على الصبي وقال: ضعي هذا في الأكباد الجائعة والأجساد[٥] العارية، فانتزعتْ ولدها منه، فقال: ضيّعتم عليّ ليلتي، بيني وبينكم الله. ثمّ خرج، فضجّتِ الدار بالبكاء، فقالوا: إن عدتَ فسمعتَ[٦] له خبرًا فأعلِمنا[٧].

فلمّا كان بعد أيّام إذا بعجوز قد جاءت فقالت: يا سري؛ معي بالشونيزيه غلام يسألك الحضور، فمضيت، فإذا به مطروح في ثوبه، تحت رأسه لبنة. فسلّمت عليه، ففتح عينيه وقال: يا سري؛ ترى تُغفر تلك الجنايات؟ فقلت: نعم، فقال: تغفر لمثلي؟ قلت: نعم، قال: أنا غريق، قلت: هو منجي الغرقى. قال: عليّ مظالم. قلت: إنّ الله يعوّض المظلومين. فقال: يا سري؛ معي دراهم من لقط النوى، فإذا أنا متّ فاشتر لي ما احتاج إليه، وكفّني، ولا تُعلم أهلي لئلّا يغيّروا كفني بحرام. قال السري: فجلست عنه، ففتح عينيه فقال: ﴿لِمِثْلِ هَذَا

---

(١) م، ي: - إلى الله.
(٢) م، ي: - والله.
(٣) م، ي: - من.
(٤) م، ي: - بالله.
(٥) م، ي: والأجسام.
(٦) م، ي: تسمع.
(٧) م، ي: - فأعلمنا.

فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾[1] ثمّ مات.

فأخذتُ الدراهم، واشتريتُ ما يحتاج إليه، وإذا الناس يهرعون، فقلت: ما الخبر[2]؟ فقيل: مات وليّ من أولياء الله، ونريد أن نصلّي عليه. فصلّينا ودفنّاه. فلمّا كان بعد مدّة بعث أهله إليّ يستعلمون[3] خبره، فأخبرتهم بموته. فأقبلتِ امرأتُه باكيةً، وسألتني أن أريها قبره. فقلت: أخاف أن تغيّروا كفنه، فقالت: لا والله[4]. فأريتها القبر، فبكت، وأمرت بإحضار شاهدين، فأحضرتهما، وأعتقتْ جواريها، وأوقفتْ[5] عقارها، وتصدّقتْ بمالها، ولزمتْ قبره حتى ماتت.

دخل على شيخنا الأديب ابن سيّد بمسجده بأشبيلية فتى وسيم الوجه به لثغ يردّ السين ثاء، وكان اسمه عيسى، فقال له الأستاذ: ما اسمك يا بنيّ؟ فقال: عيثى، فقال الشيخ:

وأغيدُ كالقضيب معطفه يحكي لنا في الكلام تخنيثا
سألتُه والسؤال يخجله ما اسمك يا بدر قال لي عيثى

ودخل شاب آخر به لثغ يردّ الراء غينًا على الأديب الملقّب بالأبيض، فجرى بين الصبيّ وبين[6] الأبيض حديث إلى أن قال له: ما غذاؤك؟ فقال الصبيّ: الفانيد[7] والسكغ، فطرب الأبيض وقال في الحين:

وألثغ ما مثله ألثغُ كأنّه من فضّة مفرغُ
قلت له مولاي ما تغتذي فقال لي الفانيد[8] والسكغ

اجتمع جماعة من أصحابنا من الأدباء من قرطبة بقرطبة، منهم[9] أبو الحسن بن خروف الأديب، وعمر الجزّار وغيرهم، فرأوا حلقة فيها صبيّ وسيم الوجه سندي، يلعب للناس، وينطوي حتى يجعل رأسه بين رجليه، والناس يتعجّبون من حسنه ولطافته، فقال واحد منهم:

---

(١) [الصافات: ٦١]
(٢) م، ي: - فقلت ما الخبر.
(٣) م، ي: يسألوني.
(٤) م، ي: - والله.
(٥) أ، ر، ن: ووقفت.
(٦) م، ي: - وبين.
(٧) الفانيد (والفانيذ): نوع من الحلوى. أ، ر، ن: الفاند.
(٨) أ، ر، ن: الفاند.
(٩) م، ي: فيهم.

ومنوّع الحركات يختلس النهى لبس المحاسن عند خلع لباسه

وقال الآخر:

متأوّدًا كالغصن فوق كثيبه متلاعبًا كالظبي عند كناسه

فقال الآخر:

بالعقل يلعب مقبِلا أو مدبِرا كالدهر يلعب كيف شاء بناسه[1]

فقال الآخر:

ويضمّ للقدمين منه رأسه كالسيف ضمّ ذبابه لرئاسه[2]

تاريخ فتح عمورية

فتحها المعتصم في شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين ومائتين، وكان المعتصم شجاعًا مقدامًا، وكان يقال له: المثمّن؛ فإنّه كان له إلى الثمانية أحد عشر وجهًا.

الأوّل: إنّه ثامن ولد العباس.

الثاني: إنّه ثامن خلفاء بني العباس.

الثالث: إنّه ولي سنة ثمان عشرة ومائتين.

الرابع والخامس: كانت خلافته ثمان سنين وثمانية أشهر.

السادس: إنّه توفّي وله ثمان وأربعون سنة.

السابع: إنّه ولد في ثامن شهر من السنة وهو شعبان.

الثامن: إنّه خلّف ثمانية ذكور.

التاسع: إنّه خلّف ثمان بنات.

العاشر: إنّه غزا ثمان غزوات.

الحادي عشر: إنّه خلّف ثمانية آلاف ألف دينار، ومثلها درهم، فيكون له على هذا اثنا عشر وجهًا إلى الثمانية.

---

(١) ج، ر: - هذا البيت.

(٢) رئاس السيف: مقبضه. انتهى السمر.

فأمّا[1] سبب فتحه لعمورية فهو ما ذكره أهل التواريخ[2] أنّ رجلًا وقف على المعتصم فقال: يا أمير المؤمنين؛ كنت بعمورية، وجارية من أحسن النساء أسيرة، قد لطمها علج في وجهها. فنادت: وا معتصماه! فقال العلج: وما يقدر عليه المعتصم؟ على أبلق ينصرك؟ وزاد في ضربها. فقال المعتصم: وفي أيّة[3] جهة عمورية؟ فقال له الرجل: وأشار إلى جهتها هكذا، فردّ المعتصم وجهه إليها وقال: لبّيكِ أيّتها الجارية لبّيك، هذا المعتصم[4] بالله قد أجابك. ثمّ تجهّز إليها في اثني عشر ألف فرس أبلق.

وفي هذه التلبية يقول له في قصيدته حبيب[5] مفرد:

لبّيت صوتًا زبطريًا هرقت له كأس الكرى ورضاب الخرّد العُرَبِ

فلمّا حاصرها وطال مقامه عليها جمع المنجّمين فقالوا له: إنّا نرى[6] أنّك ما تفتحها إلّا في زمان نضج العنب والتين! فبَعُد ذلك عليه، واغتمّ لذلك. فخرج ليلة مع بعض حشمه متجسّسًا في العسكر يسمع ما يقول الناس، فمرّ بخيمة حدّاد يضرب نعال الخيل وبين يديه غلام[7] أقرع قبيح الوجه[8]، وهو يضرب على السندان ويقول: في رأس المعتصم. فقال له معلّمه: اتركنا من هذا، ما لك والمعتصم؟ فقال[9]: ما عنده تدبير، له كذا وكذا على هذه المدينة مع قوّته ولا يفتحها، لو أعطاني الأمر ما بات غدًا إلّا فيها! فتعجّب المعتصم مما سمع، وترك بعض رجاله موكّلًا به، وانصرف إلى خبائه.

فلمّا أصبح جاءه به فقال: ما حملك يا هذا على ما بلغني عنك؟ فقال الرجل: الذي بلغك حقّ، ولّني ما وراء خبائك وقد فتح الله فيها. قال: قد ولّيتك، وخلع عليه، وقدّمه على الحرب. فجمع الرماة، واختار منهم أهل الإصابة، وجاء إلى بدن من أبدان السور، وفي البدن من أوّله إلى آخره عرضًا[10] خطّ أسود، عرضه ثلاثة أشبار أو أكثر، فحمّى السهام

---

(١) م، ي: وأمّا.

(٢) م، ي: التاريخ.

(٣) ج: أين. م، ي: أيّ.

(٤) م، ي: - وجهه إليها وقال: لبّيك أيّتها الجارية لبّيك، هذا المعتصم.

(٥) حبيب بن أوس الطائي: هو الشاعر أبو تمام.

(٦) أ، ر: نروا.

(٧) أ، ر، ن: غلامه.

(٨) أ، ر، ن: الصورة.

(٩) م، ي: فقال له.

(١٠) م، ي: - عرضا.

بالنار، فقال للرماة: من أخطأ منكم ذلك الخطّ الأسود ضربت عنقه، وإذا بذاك[1] الخطّ خشب ساج، فعندما حصلت فيه السهام المحميّة قام النار فيه واحترق، فنزل البدن كما هو، وتحامى الرجال، ودخل البلد بالسيف، وذلك قبل الزمان[2] الذي ذكره المنجّمون.

وفي ذلك يقول حبيب في قصيدته:

السيف أصدق أنباءً من الكتب ... في حدّه الحدّ بين الجدّ واللعبِ
بيض الصفائح لا سود الصحائف في ... متونهنّ جلاء الشكّ والريبِ
والعلم في شهب الأرماح لامعة ... بين الخميسين لا في السبعة الشهبِ
وخوّفوا الناس من دهياء داهية ... إذا بدا الكوكب الغربيّ ذو الذنبِ
تخرّصًا وأحاديثًا ملفّقة ... ليست بنبع إذا عدّت ولا غَرَبِ

ثمّ مشى في القصيدة إلى أن ذكر يعرّض بتاريخ المنجّم في نضج التين والعنب، فقال:

تسعون ألفًا كآساد الشرى نضجتْ ... جلودُهم قبل نضج التين والعنبِ

ولم تفتح من الوقت الذي أسّست فذكر ذلك في قصيدته، وذكر منعتها وقوّتها فقال:

من عهد إسكندر أو قبل ذاك فقد ... شابت نواصي الليالي وهي لم تشبِ
بِكْرٌ فما افترعتها كفّ حادثة ... ولا ترقّت إليها همّة النوبِ

فلمّا دخلها ومعه الرجل الذي بلّغه حديث الجارية قال له: سر بي إلى الموضع الذي رأيتها فيه، فسار به، وأخرجها من موضعها، وقال لها: يا جارية؛ هل أجابك المعتصم؟! وملّكها العلج الذي لطمها، والسيّد الذي كان يملكها، وجميع ماله.

ومن سِير عمر بن الخطاب رضي الله عنه

ما حدّثنا[3] محمد بن إسماعيل، عن عبد الرحمن بن علي، عن محمد بن أبي طاهر، عن الحسن بن علي الجوهري، عن أبي عمر بن حمويه، عن أحمد بن معروف، عن الحسين بن الفهم، عن محمد بن سعد، عن يزيد بن هارون، عن يحيى بن المتوكل، عن عبد الله بن نافع، عن أبيه، عن ابن عمر قال: قدِمتْ رفقةٌ من التجّار في أيّام خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فنزلوا المصلّى، فقال عمر لعبد الرحمن: هل لك أن نحرسهم الليلة من السرق؟ فباتا يحرسانهم

(١) م، ي: بذلك.
(٢) أ، ر، م، ي: زمان.
(٣) م، ي: ما حدثناه.

ويصلّيان ما كتب الله لهما.

فسمع عمر بكاء صبيّ فتوجّه نحوه فقال لأمّه: اتّقِ الله وأحسني إلى صبيّك، ثمّ عاد إلى مكانه، فسمع بكاءه فعاد إليها بمثل تلك المقالة، ثمّ عاد إلى مكانه. فلمّا كان من آخر الليل سمع بكاءه، فعاد إليها فعاتبها في ابنها، ثمّ سألها عن شأن بكائه، فقالت له: يا هذا الرجل؛ إنّي أريد أن أفطمه وهو يبكي على الثدي. فقال لها: وكم له؟ قالت: كذا وكذا شهر، قال لها: فما حملك على تعجيل فطامه؟ فقالت له: إنّ عمر أمر أن لا يفرض لصبيّ إلّا بعد الفطام، وأنا محتاجة، فأحبّ أن أفطمه حتى يفرض له. قال لها: ويحك؛ أرضعيه ولا تعجليه[1] بالفطام. ثمّ صلّى الفجر بالناس وما يستبين للناس قراءته من غلبة البكاء عليه. فلمّا سلّم قال: يا بؤسًا لعمر كم قتل من أولاد المسلمين! ثمّ أمر مناديًا فنادى: لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام، فإنّا نفرض لكلّ مولود في الإسلام.

وبالإسناد إلى محمد بن سعد قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدّثني عبد الله بن زيد بن أسلم، عن أبيه عن جدّه، قال: كان عمر يديم الصوم، وكان زمان الرمادة، فإذا أمسى أُتي بالخبز قد ثرد بالزيت، إلى أن نحر يومًا من الأيّام جزورًا، فأطعمها الناس، وغرفوا[2] له طيّبها، فأتي به فإذا قدر قطعة من سنام ومن كبد، فقال: أنّى هذا؟ قالوا: يا أمير المؤمنين؛ من[3] الجزور التي نحرنا اليوم. قال: بخٍ بخٍ، بئس الوالي أنا إن أكلت طيّبها، وأطعمت الناس كراديسها! ارفع هذه الجفنة، هات لنا غير هذا الطعام. فأُتي بخبز وزيت، فجعل يكسر بيده، ويثرد ذلك الخبز، ثمّ قال: ويحك يا برقي؛ احمل هذه الجفنة حتى تأتي بها أهل بيت بِثَمْغ[4]، فإنّي لم آتهم منذ ثلاثة أيّام، وأحسبهم مقفرين، فضعها بين أيديهم.

وروينا من حديث أنس بن مالك قال: بينما عمر يعسّ المدينة إذ رأى بيتًا من شَعر لم يكن بالأمس، فدنا منه، فسمع أنين امرأة، ورأى رجلًا قاعدًا، فدنا منه فقال: مَن الرجل؟ قال: رجل من أهل البادية جئت إلى أمير المؤمنين أصيب من فضله. قال: فما هذا الأنين؟ قال: امرأة تمخض، قال: هل عندها أحد؟ قال: لا، فانطلق إلى منزله، فقال لامرأته أمّ كلثوم بنت علي بن أبي طالب: هل لك في أجر ساقه الله إليك؟ قالت: وما هو؟ قال: امرأة

---

(١) م، ي: تعجلي.

(٢) أ، ج، ر، ن: وعرفوا. م، ي: وعرّقوا.

(٣) م، ي: - من.

(٤) ثمغ: أرض كانت للخليفة عمر بن الخطاب فوقفها. ج: ربيع. م: بسمع.

تمخض ليس عندها أحد، قالت: إن شئتَ، قال: خذي ما يصلح للمرأة من الخرق والدهن، وجيئيني ببرمة وشحم وحبوب، فجاءت به. فحمل البرمة، ومشت خلفه حتى انتهى إلى البيت، فقال: ادخلي إلى المرأة، وجاء حتى قعد إلى الرجل فقال له: أوقد لي نارًا، ففعل وأوقد تحت البرمة حتى أنضجها، وولدت المرأة، فقالت امرأته: يا أمير المؤمنين؛ بشّر صاحبك بغلام.

فلمّا سمع الرجل "يا أمير المؤمنين" كأنّه هابه، فجعل يتنحّى عنه، فقال له: مكانك كما كنت. فحمل عمر[1] البرمة حتى وضعها على الباب، ثمّ قال: أشبعيها، ففعلت، ثمّ أخرجت البرمة[2] فوضعتها على الباب، فقام عمر فأخذها فوضعها بين يدي الرجل، فقال: كُلْ ويحك؛ فإنّك قد سهرت من الليل، ففعل، ثمّ قال لامرأته: اخرجي، وقال للرجل: إذا كان غدًا فأتنا نأمر لك بما يصلحك، فأتاه، فأجازه وأعطاه.

ومن مواعظ علي بن أبي طالب رضي الله عنه

ما روينا من حديث أبي بكر بن أبي الدنيا قال: ثنا علي بن الحسن بن أبي مريم، عن عبد الله بن صالح بن مسلم العجلي، عن معاذ الهراء قال: سمع علي بن أبي طالب رجلًا يسبّ الدنيا، فقال علي رضي الله عنه[3]: إنّها لدار صدق لمن صدقها، ودار عافية لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزوّد منها، مسجد أحبّاء الله عز وجل، ومهبط وحيه، ومصلّى ملائكته، ومتّجر أوليائه، اكتسبوا فيها الرحمة، وربحوا فيها الجنّة. فمن ذا يذمّ الدنيا؟ وقد أذِنت بفراقها، ونادت بعيبها، ونعت نفسها وأهلها، فمثّلتْ ببلائها البلاء، وشوّقتْ بسرورها إلى السرور، فذمّها قوم عند الندامة، وحمدها آخرون، ذكّرتهم فذكروا.

يا أيّها المغرور بغرورها، متى غرّتك: مضاجع آبائك في الثرى؟ أم مضاجع[4] أمهاتك في البلاء؟ كم قد قلّبتَ بكفّيك، ومرّضتَ بيديك تطلب له الشفاء وتسأل له الأطبّاء؟ لم تظفر بحاجتك، ولم تسعف بطلبتك، قد مثّلت لك الدنيا بمصرعِه مصرعَك غدًا، ولا يغني عنك بكاؤك، ولا ينفعك أحبّاؤك.

---

(١) م، ي: - عمر.

(٢) م، ي: - أخرجت البرمة. + قامت.

(٣) م، ي: - علي رضي الله عنه .

(٤) م، ي: بمصارع.

ومن وعظ سعيد بن عامر بن حِذْيَم لعمر

ما رويناه من حديث ابن أبي الدنيا قال: حدّثني يعقوب بن عبيد، ثنا أبو مسهر، عن سعيد بن عبد العزيز قال: قال سعيد بن عامر بن حِذْيَم لعمر ﷺ: إنّي موصيك بكلمات من جوامع الإسلام ومعالمه، قال: أجل؛ فإنّ الله قد جعل عندك أدبًا. قال: اخشَ الله في الناس، ولا تخش الناس في الله، ولا يخالف قولك فعلك، فإنّ خير القول ما صدّقه الفعل، ولا تقضِ في أمر واحد بقضائين فيختلف عليك أمرك، وأحبب لقريب المسلمين وبعيدهم ما تحبّ لنفسك وأهل بيتك، وخض الغمرات إلى الحقّ حيث علمته، ولا تخفْ في الله لومة لائم. قال عمر: ومن يستطيع ذلك يا سعيد؟ قال: من رُكِّب في عنقه مثل الذي رُكِّب في عنقك.

موعظة

روينا من حديث المالكي قال: حدّثنا علي بن الحسن الربَعي قال: حدّثني محمد بن عبد الرحمن القرشي، عن أبيه قال: كتب بعض الحكماء إلى ملِك من ملوكهم: إنّ أحقّ الناس بذمّ الدنيا وقِلاها، من بُسط له فيها، وأُعطي حاجته منها، لأنّه يتوقع آفة تعدو على ماله فتجتاحه، أو على جمعِه فتفرّقه، أو تأتي سلطانه من القواعد فتهدمه، أو تدبّ إلى جسمه فتسقمه، أو[1] تفجعه بمن هو ضنين به من أحبابه وأهل مودّته. فالدنيا أحقّ بالذمّ؛ هي الآخذة ما تعطي، الراجعة فيما تهب، بينما تضحك صاحبها إذ أضحكت منه غيره، وبينما هي تبكي له إذ بكت عليه، وبينما هي تبسط كفّيه بالإعطاء[2] إذ بسطتها بالمسألة، تعقد التاج على رأس صاحبها اليوم، وتعفّره بالتراب غدًا، سَواء عليها ذهاب من ذهب، وبقاء من بقي، تجد في الباقي من الذاهب خلفًا، وترضى من كلٍّ بدلًا.

روي عن المزني قال: دخلت على الشافعي ﷺ في مرضه الذي مات فيه[3]، فقلت له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت[4] من الدنيا راحلًا، وللإخوان مفارقًا، ولسوء عملي ملاقيًا، وبكأس المنيّة شاربًا، وعلى الله واردًا، فلا أدري أروحي تصير إلى الجنّة فأهنّيها؟ أم إلى النار فأعزّيها؟ ثمّ أنشأ يقول:

ولمّا قسا قلبي وضاقت مذاهبي جعلت رجائي نحو عفوك سلّما

---

(١) النسخ عدا ج: و.

(٢) م، ي: بالعطاء.

(٣) م، ي: + قال.

(٤) م، ي: - أصبحت.

تعاظمني ذنبي فلمّا قرنتُهُ بعفوك ربّي كان عفوك أعظما
وما زلتَ ذا عفوٍ عن الذنب لم تزل تجود وتعفو منّةً وتكرّما

حكاية عن ملِك زهد في الدنيا

روينا من حديث أحمد بن محمد بن حنبل، عن يزيد بن هارون، ثنا المسعودي، عن سمّاك بن حرب، عن عبد الرحمن بن عبد الله، عن أبيه، عن ابن مسعود قال: بينا رجل ممن كان قبلكم في مملكته، فتفكّر، فعلم أنّ ذلك منقطِع عنه، وأنّ ما هو فيه قد شغله عن عبادة ربّه. فانساب ذات ليلة من قصره، فأصبح في مملكته غيره، فأتى ساحل البحر، فكان[1] يضرب اللبن بالأجر، فيأكل ويتصدّق بالفضل، فلم يزل كذلك حتى وصل أمره إلى ملكهم. فأرسل ملكهم إليه أن يأتيه، فأبى، فأعاد إليه الرسول، فأبى وقال: ما لك وما لي؟ فركب الملك إليه[2]، فلمّا رآه الرجل ولّى هاربًا، فلمّا رآه[3] ذلك الملك ركض في أثره فلم يدركه، فناداه: يا عبد الله؛ إنّه ليس عليك منّي بأس. فأقام حتى أدركه، فقال له: من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا فلان بن فلان صاحب ملك كذا وكذا، تفكّرتُ في أمري، فعلمت أنّ ما أنا فيه منقطع عنّي، وأنّه قد شغلني عن عبادة ربّي، فتركته، وجئت هاهنا أعبد ربّي ﷻ. فقال: ما أنت بأحوج[4] إلى ما سمعت منّي؟ قال: ثمّ نزل عن دابّته فسيّبها، ثمّ تبعه، فكانا جميعًا يعبدان الله ﷻ، فدعوا الله ﷻ أن يميتهما جميعًا، فماتا. قال عبد الله: فلو كنت برميلة مصر لأريتكم قبريهما بالنعت الذي نعت لنا رسول الله ﷺ.

قصة يحيى بن يُغان ملك تلمسان وهو من خئولتنا[5]

حدّثني أخوالي ووالدتي رحمهم الله، قالوا: كان بتلمسان الملك يحيى، فنزل يومًا في موكبه[6] من مدينة أقادير، يريد المدينة الوسطى، وبينهما بقيع فيه قبور، فبينا هو يسير وإذا برجل متعبّد يمشي لحاجته، فمسك عنانه وسلّم عليه، فردّ الرجل العابد السلام، وكلّمه

(١) م، ي: وكان.
(٢) أ، ج، ر، ن: - إليه.
(٣) أ، ج، ر، ن: رأى.
(٤) م، ي: أحوج.
(٥) ذكر هذه القصة في كتاب الفتوحات المكية السفر ١١ في حديثه عن الزهاد.
(٦) النسخ عدا ج: مركبه.

بأشياء، فكان من[1] بعض ما كلّمه به الملك أن قال له: أيّها العابد؛ ما تقول في الصلاة في هذه الثياب التي عليّ؟ فاستغرق[2] العابد ضحكًا، فقال له: ممّ تضحك؟ قال: مِن سخف عقلك، ما رأيت لك أيّها الملك في هذه المسألة شبيهًا إلّا الكلب! قال: وكيف؟ قال: الكلب يتمعّك في الجيفة، ويتلطّخ بدمها، فإذا أراد أن يبول يرفع رجله حتى لا يصيبه البول، وأنت بطنك حرام كلّك، وتسأل عن ثيابك؟ فاستعبر الملك باكيًا، ونزل من حينه عن دابّته، وتجرّد من ثيابه، فرمى عليه بعض العامة من أهل الدين ثوبًا، وقال لأهل[3] دولته: انظروا لأنفسكم فلست لكم بصاحب.

واقتفى أثر العابد، فصعد معه إلى "العُبّاد" موضع عال بقبلة تلمسان، وأقام معه ثلاثة أيّام. ثمّ أمره العابد بالاحتطاب، فجعل الملك يحتطب ويبيع بسوق تلمسان، ويأكل ويتصدّق بالفضل، فكان الناس إذا أتوا إلى العابد يسألونه الدعاء فيقول: سلوا يحيى في الدعاء، فإنّه خرج عن قدرة. ويقال أنّ ذلك العابد كان أبا عبد الله التونسي. وقفت أنا على قبريهما وقبر الشيخ أبي مدين بالعُبّاد بظاهر تلمسان[4].

روينا من حديث أحمد بن حنبل، عن أسباط بن محمد، ثنا هشام بن سعد، عن عبيد الله بن عباس قال: كان للعباس ميزاب على طريق عمر، فلبس عمر ثيابه يوم الجمعة، وكان إذ ذاك خليفة، وقد كان ذُبح للعباس فرخان، فلمّا وافى الميزاب صُبّ ماء بدم الفرخين فأصاب عمر، فأمر بقلعه، ثمّ رجع، فطرح ثيابه، ولبس ثيابا غير ثيابه، ثمّ جاء فصلّى بالناس، فأتاه العباس فقال: واللهِ إنّه للموضع الذي وضعه النبي ﷺ، فقال عمر للعباس: فأنا أعزم عليك لما صعدت على ظهري حتى تضعه في الموضع الذي وضعه رسول الله ﷺ، ففعل ذلك العباس.

ورووينا من مواعظ علي بن أبي طالب رضي الله عنه

أنّه ذكّر الناس يومًا في خلافته فقال: إنّكم مخلوقون اقتدارًا، ومربوبون اقتسارًا، ومضمّنون أجداثًا، وكائنون رفاتًا، ومبعوثون أفرادًا، ومدينون حسابًا. فرحم الله عبدًا اقترف

---

(١) م، ي: - من.

(٢) في النسخ: فاستغرب.

(٣) م، ي: لآل.

(٤) وبعد قرابة ثمانية قرون ونصف، وبالتحديد في ٢٥ من شهر محرم عام ١٤٣٣هـ وقفت أنا على قبريهما وقبر الشيخ أبي مدين بالعُبّاد بظاهر تلمسان، أثناء مشاركتنا في فعالية ملتقى التصوف العالمي الذي عقد بمدينة تلمسان في ١٨-٢١ ديسمبر ٢٠١١م.

فاعترف، ووجل فعمل، وحاذر فبادر، وعُمّر فاعتبر، وحُذّر فازدجر، وراجع فتاب، واقتدى فاحتذى، فتأهّب للمعاد، واستظهر بالزاد ليوم رحيله ووجه سبيله، وحال حاجته وموطن فاقته، فقدّم أمامه لدار مقامه. فمهّدوا لأنفسكم في سلامة الأبدان، فهل ينتظر أهل غضارة الشباب إلّا حواني الهرم[١]؟ وأهل بضاضة[٢] الصحّة إلّا نوازل السقم؟ وأهل مدّة البقاء إلّا مفاجآت الفنا[٣]، واقتراب الفوت، ونزول الموت، وحفر الأنين، ورشح الجبين، وامتداد العرنين، وألم المضض، وغصص الحرض؟ فاتّقوا الله تقية من شمّر تجريدًا، وجدّ تشميرًا، وانكمش في مهل، وأشفق في وجل، ونظر في كَرّة الموئل، وعاقبة المصير، ومغبّة المرجع. فكفى بالله منتقمًا ونصيرًا، وكفى بالجنّة ثوابًا ونوالًا، وكفى بالنار عقابًا ونكالًا، وكفى بكتاب الله حجيجًا وخصيمًا.

ومما وعظ به كعب الأحبار عمر بن الخطاب ﷺ

ما رويناه من حديث أحمد بن حنبل، ثنا بهز بن أسد، ثنا جعفر بن سليمان، ثنا علي بن زيد، عن مطرف، عن كعب، قال: قال عمر بن الخطاب وأنا عنده: يا كعب؛ خوّفنا؟ قلت: يا أمير المؤمنين؛ أليس فيكم كتاب الله وحكمة رسول الله؟ قال: بلى، ولكن خوّفنا، فقلت: يا أمير المؤمنين؛ اعمل عمل رجل، لو وافيتَ القيامة بعمل سبعين نبيًّا لازدريتَ عملك مما ترى. فأطرق عمر مليًّا، ثمّ أفاق فقال: زدنا يا كعب. قلت[٤]: يا أمير المؤمنين؛ لو فتح من جهنّم قدر منخر ثور بالمشرق، ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرّها. فأطرق عمر مليًّا، ثمّ أفاق فقال: زدنا يا كعب، قلت: إنّ جهنّم لتزفر يوم القيامة زفرة لا يبقى ملكٌ مقرّب، ولا نبيّ مصطفى إلّا خرّ جاثيًا على ركبتيه، ويقول: ربّ؛ نفسي نفسي، لا أسألك اليوم إلّا نفسي. فأطرق عمر مليًّا، فقلت: يا أمير المؤمنين؛ أوليس تجدون هذا في كتاب الله ﷻ؟ قال: كيف؟ قلت: يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾[٥].

وروينا من حديث ابن أبي الدنيا، حدّثني القاسم بن هاشم، قال: ثنا أبو اليمان قال: ثنا صفوان بن عمرو، عن أبي اليمان، عن عمر بن الخطاب ﷺ أنّه قال لكعب: ما تخوّف علينا

---

(١) حواني الهرم: انحناءات الظهر عند الكبر.

(٢) البُضاضة: رقة البشرة.

(٣) ج، ر: الفجا. ن: الفنجا.

(٤) م، ي: زدنا، فقلت.

(٥) [النحل: ١١١]

يا أبا إسحق؟ قال: يا أمير المؤمنين؛ إنّ في السماء ديّانًا، وإنّ[1] في الأرض ديّانًا، فويل لديّان الأرض من ديّان السماء إلّا من دان نفسه لله ﷻ، إنّك تأمر ولا تؤمر، وإنّك بين الناس وبين ربّك، وليس بينك وبين الله أحد. فقال له عمر: أنشدك بالله؛ كيف تجدني: أخليفة[2] أم ملِكًا؟ قال: بل خليفة،[3] فاستحلفه عمر، فحلف له كعب، وقال: خليفة واللهِ من خير الخلفاء، وزمانك خير زمان.[4]

موعظة أعرابي للرشيد بمكة

ذكر أبو الفرج في كتاب "مثير الغرام الساكن" له، أنّ الرشيد حج في بعض السنين، فبينا هو يطوف بالبيت عرض له أعرابي فأنشده:

عش ما بدا لك كم تراك تعيش ... أتظنّ سهمَ الحادثات يطيشُ[5]
عش كيف شئت لتأتينّك وقعةٌ ... يومًا وليس على جناحك ريشُ

فوقف فاستعاده، ثمّ بكى حتى بلّ وجهه، وأمر له بخمسين ألف درهم.

روينا من حديث الهاشمي قال: قال رسول الله ﷺ: «تكون أمّتي في الدنيا على ثلاثة أطباق:

أمّا الطبق الأوّل: فلا يرغبون في جمع المال وادّخاره، ولا يسعون في اقتنائه واحتكاره، إنما رضاهم من[6] الدنيا سَدُّ جوعة، وستر عورة، وغناهم فيها ما بلّغ الآخرة، فأولئك الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وأمّا الطبق الثاني: فيحبّون جمع المال من أطيب سبيله، وصرفه في أحسن وجوهه، يصلون به أرحامهم، ويبرّون به إخوانهم، ويواسون به فقراءهم، ولعَضُّ أحدهم على الرضف[7] أسهل عليه من أن يكسب درهمًا من غير حِلّه، وأن يضعه في غير وجهه، وأن يمنعه من حقّه، وأن يكون له خازنًا إلى حين موته، فأولئك الذين إن نوقشوا عُذّبوا، وإن عفي عنهم

---

(١) م، ي: - إن.
(٢) ج، ي: خليفة.
(٣) أ، ر، ن: + قال.
(٤) انتهى السمر.
(٥) ج، ن، ي: تطيش.
(٦) م، ي: في.
(٧) الرضف: الحجارة المحماة.

سلموا.

وأمّا الثالث: فيحبّون جمع المال ممّا حلّ وحرم، ومنعه مما افترض أو وجب، إن أنفقوه أنفقوه إسرافًا وبدارًا، وإن أمسكوه أمسكوه بخلًا واحتكارًا، أولئك الذين ملكت الدنيا أزمّة قلوبهم حتى أوردتهم النار بذنوبهم».

كان علي بن عبد الله بن العباس عند عبد الملك بن مروان، فأخذ عبد الملك يذكر أيّام بني أميّة، فبينا هو كذلك إذ نادى المنادي بالأذان، فقال: أشهد أن لا إلّا الله وأشهد أنّ محمدًا رسول الله. فقال علي:

هذي المكارم لا قعبان من لبن شيبًا بماءٍ فعادا بعد أبوالا

فقال عبد الملك بن مروان: الحقّ في هذا أبين من أن يكابر.

ومن هذا الباب

ما ذكره علي بن محمد النديم قال: دخلتُ على المتوكل وعنده الرضا، فقال: يا عليّ؛ مَن أَشعرُ الناس في زماننا؟ قلت: البحتري، قال: وبعده؟ قلت: مروان بن أبي حفصة عبدك، والتفت إلى الرضا فقال: يا ابن عم؛ مَن أشعر الناس؟ قال: علي بن محمد العلوي، قال: وما تحفظ من شعره؟ قال؛ قوله:

لقد فاخرَتنا مِن قريش عصابةٌ بمطّ خدودٍ وامتداد أصابعِ
فلمّا تنازعنا القضاءَ قضى لنا عليهم بما نهوى نداءُ الصوامعِ

قال المتوكل: ما معنى: نداءُ الصوامع؟ قال: الشهادة. قال: وأبيك إنّه أشعر الناس.

وله أيضا[1]:

بلغنا السماء بأنسابنا ولولا السماء لجزنا السماء
وحسبك من سؤدد أنّنا بحسن البلاء كشفنا البلاء
يطيب الثناء لآبائنا وذكر عليّ يطيب الثناء
إذا ذُكِر الناس كنّا ملوكًا وكانوا عبيدًا وكانوا إماء
هجاني رجالٌ ولم أهجهم أبى الله لي أن أقول الهجاء

(١) أ، ج، ر، ن: - وله أيضا.

ومن باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1]

ما رويناه[2] عن رسول الله ﷺ عن ربّه تعالى، قال: يقول الله جلّ ذِكره يوم القيامة: «اليوم أضع نسبكم وأرفع نسبي، أين المتّقون؟»

روينا من حديث ابن عباس قال: الناس يتفاضلون في الدنيا بالشرف والبيوتات والإمارات والغنى والجمال والهيبة والنطق، ويتفاضلون في الآخرة بالتقوى واليقين، وأتقاهم أحسنهم يقينًا، وأزكاهم عملًا وأرفعهم درجة.

(وقيل في ذلك):[3]

يزين الفتى في الناس صحّةُ عقلهِ وإن كان محظورًا عليه مكاسبهْ
وشَيْنُ الفتى في الناس قلّة عقلهِ وإن كرمت آباؤه ومناسِبهْ

قيل لعامر بن قيس: ما تقول في الإنسان؟ قال: وما أقول فيمن إن جاع ضغى[4]، وإن شبع طغى؟

قال الحكيم: أخوان من أب واحد وأمّ واحدة؛ الواحد عاقلٌ فساد بين الناس بعقله، فكان له الشرف والسؤدد، والآخر لا عقل له، فلم يرفع نسبه به رأسًا، فيقول له أخوه:

أبوك أبي والجدّ لا[5] شك واحدٌ ولكنّنا عودان آسٌ وخروع

وما أحسن ما قيل مما يليق بهذا الباب:

إنّ الفتى من يقول ها أنذا ليس الفتى من يقول كان أبي

ويقول الآخر:

وما ينفع الأصل من هاشم إذا كانت النفس من باهلة

روينا عن رسول الله ﷺ أنّه أتاه أعرابي فقال: «بأبي أنت وأمّي يا رسول الله؛ مَن أكرم الناس حسبًا؟ قال: أحسنهم خلقًا وأفضلهم تقوى. فانصرف الأعرابي فقال: ردّوه، فقال: يا أعرابي[6]؛ لعلّ أردت أكرم الناس نسبًا؟ قال: نعم يا رسول الله؛ قال: يوسف صدّيق الله[7]

---

(١) [الحجرات: ١٣]

(٢) م، ي: ما روينا.

(٣) هذان البيتان وردا في الموسوعة الشعرية تارة أنهما للإمام علي بن أبي طالب وأخرى أنهما للخليل بن أحمد الفراهيدي.

(٤) الضغاء: صوت الذليل إذا شُقّ عليه.

(٥) م، ي: ولا.

(٦) م، ي: - فقال يا أعرابي.

(٧) م، ي: - الله.

ابن يعقوب، إسرائيل الله ابن إسحق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله، فأين مثل هؤلاء الآباء في جميع الدنيا؟ ما كان مثلهم ولا يكون».

وفي ذلك يقول الشاعر:

ولم أر كالأسباط أبناء والد ولا كأبيهم والدًا حين يُنسبُ

فمن الشرف والسؤدد: الحلم، وبه ساد الأحنف بن قيس.

ومنها: الوفاء وبه ساد السموأل.

ومنها: الرأي، وبه ساد حصين بن المنذر.

ومنها: التحبب إلى الناس عامة وخاصة، وبه ساد مالك بن مسمع.

ومنها: الجود والكرم، وبه ساد حاتم ومعن بن زائدة[١].

ومنها: حبّ المساكين، وهو من جملة ما ساد به جعفر بن أبي طالب.

ومنها: العطف على الأرامل، وبه ساد سويد بن منجوف[٢].

ومن مكارم الأخلاق

ما حدّثه الفتح بن خاقان، عن المتوكل قال: خرج المتوكل إلى دمشق وأنا عديله، فلمّا صرنا بقنسرين قطعت بنو سليم على التجّار، فانتهى ذلك إليه، فوجّه قائدًا من وجوه قوّاده إليهم فحاصرهم، فلمّا قربنا من القوم إذا نحن بجارية ذات جمال وهيبة وهي تقول:

أميرُ المؤمنين سما إلينا سموّ الليث مال به الغريفُ[٣]

فإن نَسلم فعفو الله نرجو وإن نُقتل فقاتِلنا شريفُ

فقال لها المتوكل: أحسنتِ؛ ما جزاؤها يا فتح؟ قلت: العفو والصلة يا أمير المؤمنين. فأمر لها بعشرة آلاف درهم، وقال: مرّي إلى[٤] قومك، وقولي لهم: لا تردّوا المال على التجار، فإنّي أعوّضهم.

---

(١) م، ي: - ومعن بن زائدة.

(٢) أ، ر، ن: متخوف. ج، م: متحوف. ي: منحوف.

(٣) الغريف: الشجر الكثير الملتف.

(٤) م، ي: على.

حكمة بالغة

قال عبد الملك بن مروان لسالم بن يزيد الفهمي: أيّ الزمان[1] أدركتَ أفضل؟ وأيّ ملوكه أكمل؟ قال: أمّا الملوك فلم أر إلّا ذامًّا وحامدًا، وأمّا الزمان فرفع أقواما ووضع آخرين، وكلّهم يذمّ زمانه[2]، لأنّه يُبلي جديدهم، ويُهْرِم صغيرهم، وكلّ ما فيه منقطع إلّا الأمل، قال: فأخبرني عن "فهم"، قال: هم كما قال الشاعر:

درج الليل والنهار على فهـ ـم بن عمرٍ فأصبحوا كالرميم
وخلت دارهم فأضحت فعامًا بعد عزٍّ وثروةٍ ونعيم
وكذاك الزمان يذهب بالنا س وتبقى ديارهم كالرسومِ

وقال: فمن يقول منكم؟

رأيت الناس مذ[3] خلقوا وكانوا يحبّون الغنيّ من الرجالِ
وإن كان الغنيّ أقلّ خيرًا بخيلًا بالقليل من النوالِ
فلم أدرِ علام وفيم هذا وماذا يرتجون من المحالِ
أللدنيا فليس هناك دنيا ولا يرجى لحادثة الليالي

قال: أنا، وقد كتمتها.

وروينا من حديث ابن ودعان، عن أبي سعيد الآمُلي، عن السيرافي أبي سعيد، عن هبة الله بن عاصم، عن محمد بن عبد الله الخزاعي، عن حماد بن سلمة، عن أبي هارون، عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لرجل يعظه: «ارغبْ فيما عند الله يحبّك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبّك الناس، إنّ الزاهد في الدنيا يريح قلبَه وبدنَه في الدنيا والآخرة. ليجيئنّ أقوام يوم القيامة لهم حسنات كأمثال الجبال، فيؤمر بهم إلى النار، فقيل: يا نبيّ الله؛ أمصلّون[4] كانوا؟ قال: كانوا يصلّون ويصومون، ويأخذون وَهْنًا من الليل، لكنّهم كانوا[5] إذا لاح لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه».

وروينا من حديثه أيضًا، عن محمد بن علي، عن إبراهيم بن محمد، عن عبيد الله بن جرير، عن معاذ بن أسد، عن ابن المبارك، عن إسماعيل بن عياش، عن يحيى الطويل، عن

---

(١) م، ي: زمان.
(٢) م، ي: يذمّون زمانهم.
(٣) م، ي: قد.
(٤) ج، م: أيصلون.
(٥) أ، ج، ر، ن: - كانوا.

نافع، عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أيّها الناس؛ إنّ هذه الدار دار التواء لا دار استواء، ومنزل ترحٍ لا منزل فرح، فمن عرفها لم يفرح لرخاء ولم يحزن لشقاء، ألا وإنّ الله خلق الدنيا دار بلوى والآخرة دار عقبى، فجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سببًا، وثواب الآخرة من بلوى الدنيا عِوضًا، فيأخذ ليعطي ويبتلي ليجزي، وإنّها لسريعة الذهاب وشيكة الانقلاب. فاحذروا حلاوة رضاعها لمرارة فطامها، واهجروا لذيذ عاجلها لكريه آجلها، ولا تسعوا في عمرانِ دار قد قضى الله خرابها، ولا تواصلوها وقد أراد الله منكم[1] اجتنابها[2]، فتكونوا لسخطه متعرّضين، ولعقوبته مستحقّين».

ولمّا أتى عليٌّ رضي الله عنه العراق دخل المدائن، فنظر إلى إيوان كسرى معتبِرًا، فجعل يبكي، فقام إليه بعض الحاضرين فقال: يا أمير المؤمنين؛ أتحبّ أن أسمعك قول الأسود بن يعفُر؟ فقال: إن شئت، وعليّ يتلو[3]: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾[4] قال: وأيّ آية؟ ما أعظمها، ثمّ قال: يا هذا؛ ما قال الأسود؟ فقال:

ماذا يؤمّل بعد آل محرّقٍ تركوا منازلهم وبعد أيادِ
أرض الخورنق والسدير وبارقٍ والقصر ذو الشرفات من سنوادِ
نزلوا بأنقِرةٍ يسيل عليهم ماء الفرات يجيء من أطوادِ
أرض تخيّرها لطيبِ نسيمها كعب بن مامة وابن أمّ دؤادِ
جرت الرياح على محلّ ديارهم فكأنّما كانوا على ميعادِ
فإذا النعيم وكلّ ما يلهى به يومًا يصير إلى بلى ونفادِ

فقال علي رضي الله عنه: يا هذا؛ أبلغ من ذلك قول الله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ. وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ. كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾[5].

سمعت محمد بن أبي[6] محمد الكناني[7] ينشد يومًا أبياتًا فأثّر بي سماعها:

لو جرى دمعك يا هذا دمًا ما تقدّمتَ إلينا قدما

---

(١) م، ي: - منكم.
(٢) أ، ر، ن: اجتذابها.
(٣) م، ي: إن شئت تتلو عليّ.
(٤) [النمل: ٥٢]
(٥) [الدخان: ٢٥ - ٢٨]
(٦) م، ي: - أبي.
(٧) م، ي: اللباني.

إنما يصفو هوانا لامرئٍ حفِظ العهد وراعى الذمما
كيف يخفى لك أمرٌ بعدما نشر العذر[1] عليه علما
عندنا منك أمور كلّها حيرة فيما لدينا وعمى
وأرى داءك داءً معضلًا أبدًا تزداد فيه سقما
كم حميناك فلم تبق لنا وتعدّيت وواقفت[2] الحمى
نح علينا أسفًا أو لا تنح واقرع السنّ علينا ندما
لو أردناك لنا ما فُتّنا أو وصلنا حبلنا ما انصرما
ما رأينا منصفًا عامله منصفٌ في صفقة فاختصما
أنت لو سالمتنا نلت المنى قلّ من سالَم إلّا سلما

كان توبة صاحب ليلى الأخيلية قد قال:

ولو أنّ ليلى الأخيلية سلّمت عليّ ودوني تربةٌ وصفائحُ
لسلّمتُ تسليم البشاشة أو زقا إليها صدى من جانب القبر صائحُ
ولو أنّ ليلى في السماء لأصعدتْ بطرفي إلى ليلى العيونُ اللوامحُ

فيقال: أنّه لمّا مات توبة مرّ زوج ليلى بليلى على قبره، فقال لها: سلّمي على توبة، فإنّه زعم في شعره أنّه يسلّم عليك تسليم البشاشة! فقالت: ما تريد إلى من بليتْ عظامه؟ قال: واللهِ لتفعلي، فقالت وهي على البعير: سلامٌ عليك يا توبة فتى الفتيان. وكانت قطاة مستظلّة في نقب القبر، فلمّا سمعتِ الصوت طارت وصاحت، فنفر البعير ورمى بليلى، فماتتْ ودفنتْ إلى جنب قبره.

ويحكى أنّ ليلى الأخيلية دخلت على الحجاج فأنشدته قولها فيه:

إذا نزل الحجاج أرضًا سقيمةً تتبّع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذي بها غلامٌ إذا هزّ القناة ثناها
أحجاج لا تعطي العصاة مُناهم ولا الله لا يعطي العصاة مناها[3]

فوصلها الحجاج بألف دينار، وسألها الحجاج: هل كان بينك وبين توبة ريبة قط؟ قالت: لا والذي أسأله صلاحك، إلّا أنّه قال مرّة لي قولًا، ظننت أنّه خنع لبعض شيء[4]، فقلت

(١) م، ي: العدل.
(٢) م، ي: وواقعت.
(٣) م، ي: - هذا البيت.
(٤) النسخ عدا ج: - شيء.

له:

وذي حاجة قلنا له لا تبح بها فليس إليها ما حييت سبيلُ
لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه وأنت لأخرى فارغ وحليلُ[١]

قالت: فما كلّمني بعد ذلك بشيء حتى فرّق بيني وبينه الموت. قال الحجاج: فما كان من بعد ذلك؟ قالت: لم يلبث أن قال لصاحب له: إذا أتيتَ الحاضر من بني عباد فقل بأعلى صوتك:

عفا الله عنها هل أبيتنّ ليلة من الدهر لا يسري إلينا خيالها

فلمّا سمعت الصوت خرجت فقلت:

وعنه عفا ربّي فأصلح[٢] حاله يعزّ علينا حالة لا ينالها

ومن الكلام[٣] الأشد في نعت الأسد

ما حدّثناه بعض الأدباء قال: دخل أبو زبيد الطائي على عثمان بن عفان ﵁ في خلافته، وكان نصرانيًّا، فقال له: بلغني أنّك تجيد وصف الأسد! فقال له: لقد رأيت منه منظرًا، وشهدت منه مخبرًا، لا يزال ذكره يتجدّد على قلبي. قال: هات ما مرّ على رأسك منه. فقال[٤]: خرجت يا أمير المؤمنين في صيابة[٥] من أفناء قبائل العرب ذوي شارة حسنة، ترمي بنا المهاري[٦] بأكسائها القيروانيات، ومعنا البغال عليها العبيد يقودون عتاق الخيل[٧]، نريد الحارث بن أبي شمّر الغسّاني ملك الشام، فاخروّطَ[٨] بنا المسير في حَمارّة القيظ[٩]، حتى إذا عصبت الأفواه، وذبلت الشفاه، وسالت المياه، وأذكت الجوزاء المعزا[١٠]، وذاب الصخر وصرَّ الجُندب، وضاف العصفور الضبّ في وجاره.

---

(١) ج، ر، ن: وخليل.
(٢) م، ي: وأصلح.
(٣) أ، م، ي: كلام.
(٤) م، ي: قال.
(٥) أ، ر، ن، ي: صبابة.
(٦) المهاري: إبل مهرية نجائب تسبق الخيل.
(٧) عتاق الخيل: خيل أصيلة لا تشب بغير عديلها.
(٨) اخروّط: امتدّ.
(٩) حمارّة القيظ: شدّته.
(١٠) المعزا: الأرض الصلبة كثيرة الحصى.

قال قائلنا: أيّها الركب؛ غوّروا بنا في ضوج هذا الوادي[١]، وإذا واد كثير الدغَل[٢]، دائم الغلل[٣]، شَجراؤه مُعِتّة، وأطياره مُرِنّة. فحططنا رحالنا بأصول دوحات كَنُهبلات[٤] متهدّلات، فأصبنا من فضلات المزاود، وأتبعناها بالماء البارد، فإنّا لَنَصِفُ حرَّ يومنا، ومماطلته ومطاولته، إذ صرّ أقصى الخيل أذنيه، وفحص الأرض بيديه، ثمّ ما لبث أن جال فحمحم[٥]، وبال فهمهم، ثمّ فعل فعله الذي يليه واحد فواحد، فتضعضعت الخيل، وتكعكعت[٦] الإبل، وتقهقرت البغال، فمِن نافر بشكاله، وناهض بعقاله، فعلمنا أن قد أُتينا، وأنّه السبُع لا شكّ، ففزع كلّ امرئ منّا إلى سيفه، واستلّه من جربانه، ثمّ وقفنا له زردقًا[٧]، فأقبل يتطالع في مشيته كأنّه مجنوب، أو[٨] في هجار[٩]، لصدره نحيط[١٠] ولبلاعيمه غطيط[١١]، ولطرفه وميض ولأرساغه نقيض، كأنّما يخبط هشيمًا أو يطأ صريمًا، وإذا هامة كالمجن، وخدّ كالمسن، وعينان سجراوان[١٢]، كأنّهما[١٣] تقِدان، وقصرة ربلة، ولهزمة رهلة، وكتد مغتبط، وزور مفرِط، وساعد مجدول، وعضد مفتول، وكفّ شثنة البراثن[١٤] إلى مخالب كالمحاجن.

ثمّ ضرب بذنبه الأرض فأرهج، وكشّر فأفرج عن أنياب كالمعاول، مصقولة غير مفلولة، وفم أشدق كالغار الأخرق، ثمّ تمطّى فأسرع بيديه، وحفّز وركيه برجليه، حتى صار ظلّه[١٥] مثليه. ثمّ أقعى فاقشعرّ، ثمّ مثل فاكفهرّ، ثمّ تجهّم فازبأر.

فلا والذي بيته في السماء ما اتّقيناه بأوّل من أخ لنا من بني[١٦] فزارة، كان ضخم الجزارة،

---

(١) ضوج الوادي: منعطف الوادي.
(٢) الدغَل: الشجر الكثير الملتف.
(٣) الغلل: الماء الذي يجري بين الأشجار.
(٤) كنهبلات: شجر عظام.
(٥) الحمحمة: صوت الفرس دون الصهيل.
(٦) تكعكعت: تأخرت إلى وراء.
(٧) زردقا: صفّا.
(٨) م، ي: - أو.
(٩) الهجار: حبل يشد في رسغ رجل البعير أو يعقد في يده ورجله ثمّ يشد إلى حقوه أو رأسه.
(١٠) النحيط: زفير ثقيل من الغيظ.
(١١) أ، ر، م، ن: عطيط.
(١٢) عين سجراء: خالطت بياضها حمرة. أ، ر، ن: شجراوان.
(١٣) أ، ر، ن: كأنها.
(١٤) شثنة: خشنة. البراثن: المخالب.
(١٥) م، ي: - ظله.
(١٦) م، ي: - بني.

فوهصه، ثمّ أقعصه، فقضقض متنه، وبقر بطنه، فجعل يألغ في دمه. فذمرتُ[1] أصحابي، فبعد لأي ما استقدموا، فكرّ مقشعرَّ الزبرة[2] كأنّ بها شهمًا حوليًّا، فاختلج من دوني رجلًا ذا حوايا، فنفضه نفضة، فتزايلتْ أوصاله، وانقطعت أوداجه. ثمّ نهم فقرقر، ثمّ زفر فبربر، ثمّ زأر فجرجر، ثمّ لحظ فواللهِ لخلت البرق يتطاير من تحت جفونه من عن شماله ويمينه، فأرعشتِ الأيدي، واصطكّتِ الأرجل، وأطّت الأضلاع، وارتجّت الأسماع، وجمحت العيون، وانخزلت المتون، ولحقت البطون بالظهور، وساءت الظنون، وأنشأ يقول:

عبوس شموس مصلخِدٌّ حباسرٌ جريء على الأرواح للقرن قاهرُ
منيعٌ ويحمي كلّ وادٍ يرومه شديد أصول الماضغين مكابرُ
براثِنُه شثْنٌ وعيناه في الدجى كجمر الغضا في وجهه الشرّ ظاهرُ
يدلّ بأنيابٍ حدادٍ كأنّها إذا قلّص الأشداق عنها خناجرُ

فقال له عثمان رضي الله عنه: اكفف لا أُمّ لك؛ فلقد أرعبتَ قلوب المسلمين، ولقد وصفتَه حتى كأنّني أنظر إليه يريد يواثبني[3].

مثلٌ سائر

هو "أجبنُ من هِجْرِس" وهو القرد، وذلك أنّه لا ينام الليل إلّا وفي يده حجر مخافة أن يأكله الذئب.

قال قتيبة بن مسلم: لا تطلبوا الحوائج من كذوب، فإنّه يُقرّبها وإن كانت بعيدة، ويُبعّدها وإن كانت قريبة، ولا إلى الرجل قد جعل المسألة مأكلة، فإنّه يقدّم حاجته قبلها، ويجعل حاجتك وقاية لها، ولا إلى أحمق فإنّه يريد نفعك فيضرّك.

قال بعضهم: لو لم يترك العاقل الكذب إلّا مروءة لكان حقيقا بذلك[4]، فكيف وفيه المأثم والعار.

---

(١) ذمرتُ: لُمتُ.

(٢) الزبرة: الكاهل والشعر المجتمع بين كتفي الأسد.

(٣) أ: ر: يوانني. م: يوانيني. ي: يواتيني. ن: يواينني.

(٤) م، ي: لكان حقيقيا.

مكتوب في الحكمة

عند التراخي عن شكر النعم[١] يحلّ عظيم النقم.

وقيل لذي الرمّة: لم خصصت بلال بن أبي بردة بمدحك؟ قال: لأنّه وطئ مضجعي، وأكرم مجلسي، وأحسن صِلتي، فحقّ لكثير معروفه عندي أن يستولي على شكري.

وروينا من حديث عائشة أمّ المؤمنين قالت: «كان رسول الله ﷺ كثيرًا ما يقول لي: يا عائشة ما فعل نبيّك[٢]؟ فأنشده:

نجزيك أو نثني عليك وإنّ مَن أثنى عليك بما[٣] فعلت كمن جزى

فيقول ﷺ: صدق القائل يا عائشة؛ إنّ الله إذا أجرى على يد رجل خيرًا فلم يشكر فليس لله بشاكر».

قال الهيثم بن الحسن[٤] بن عمّارة: كان سراقة البارقي من أظرف الناس، وكان من أهل الكوفة، فأسره رجل من أصحاب المختار، وكان يومي إلى[٥] أنّه نبي، وعرف ذلك منه، فأتي بسراقة إليه، فقال له المختار: أسَرَك هذا؟ قال سراقة: كذب واللهِ؛ ما أسرني إلّا رجل عليه ثياب بيض على فرس أبلق. فقال المختار: أما إنّ الرجل قد عاين الملَك خلّوا سبيله. فلمّا أفلت أنشأ يقول:

ألا أبلغ أبا إسحق أنّي رأيت البلق دُهمًا مصمتاتِ
أُري عينيّ ما لم توریاه كلانا عالمٌ بالترّهاتِ
كفرتُ بوحيكم وجعلت نذرًا عليّ قتالكم حتى المماتِ

سئل بعض الحكماء عن المنطق، فقال: إنّك تمدح الصمت بالنطق، ولا تمدح النطق بالصمت[٦]، وما عَبّر عن شيء فهو أفضل منه.[٧]

---

(١) أ، ر، ن: المنعم. م، ي: - النعم.
(٢) أ، ج، ر، ن: بيتك.
(٣) ج، ر، ن: بمن.
(٤) م، ي: الحسين.
(٥) م، ي: إليه.
(٦) ج، ر: - بعض الحكماء عن المنطق، فقال: إنّك تمدح الصمت بالنطق، ولا تمدح النطق بالصمت.
(٧) انتهى السمر.

كتاب رسول الله ﷺ إلى قيصر ملك الروم وما كان منه في ذلك

روينا من حديث الحافظ أبي نعيم، قال: ثنا محمد بن أحمد بن الحسن أبو عمر، ثنا الحسن بن الجهم، ثنا الحسين بن الفرج، ثنا محمد بن عمر الواقدي، حدّثني مالك بن أبي الرجال، عن عمر بن عبد الله، عن محمد بن كعب القرظي، قال: بعث رسول الله ﷺ دحية الكلبي إلى قيصر، وكتب إليه معه، فلقيه دحية بحمص[١]، وقيصر ماشٍ من قسطنطينية إلى إيليا في نذر كان عليه إن ظهرت الروم على فارس أن يمشي حافيا من قسطنطينية[٢]، فلمّا لقيه قال له مِن[٣] قومه كلب: إذا رأيته فاسجد له، ثمّ لا ترفع رأسك حتى يأذن لك. قال دحية: لا أفعل هذا أبدًا، ولا أسجد لغير الله. قال: إذَنْ لا يؤخذ[٤] كتابك، ولا يكتب جوابك. قال: وإن لم يؤخذ. قال له رجل من القوم: أدلّك على أمر يأخذ فيه كتابك، ولا يكلّفك السجود فيه. قال دحية: وما هو؟ قال له: إنّ له على كلّ عقبة منبرا يجلس عليه[٥] فضع صحيفتك وِجاه المنبر، فإنّ أحدا لا يحرّكها حتى يأخذها هو، ثمّ يدعو صاحبها. قال: أمّا هذا فسأفعل. فعمد إلى منبر من تلك المنابر التي يستريح عليها، فألقى الصحيفةَ وِجاه المنبر، ثمّ تنحّى فجلس قريبًا.

فجاء قيصر فجلس على المنبر، ثمّ نظر إلى الصحيفة، فدعا بها، فإذا عنوانها: كتاب العرب. فدعا الترجمان الذي يقرأ العربية، فإذا فيه: من محمد رسول الله إلى قيصر صاحب الروم. فغضب أخٌ لقيصر يسمّى يناق[٦]، فضرب في صدره ضربة شديدة أجلسه على إسته، ثمّ نزعها منه، فقال: ما شأنك اختلستَ الصحيفة؟ قال: تنظر في كتاب رجل بدأ فيه بنفسه قبلك؟ قال قيصر ليناق: إنّك واللهِ ما علمت؛ أحمق صغيرا، مجنون كبيرا، تريد أن تخرق كتاب رجل قبل أن أنظر فيه؟ فلعمري إن كان رسول الله[٧] كما يقول، فنفسه أحقّ أن يبدأ بها منّي، وإن كان سمّاني صاحبَ الروم لقد صدق، وما أنا إلّا صاحبهم، وما أملكهم، ولكنّ الله سخّرهم لي، ولو شاء لسلّطهم عليّ كما سلّط فارس على كسرى فقتلوه.

---

(١) م، ي: - بحمص.

(٢) النسخ عدا ي: - إلى إيليا في نذر كان عليه إن ظهرت الروم على فارس أن يمشي حافيا من قسطنطينية.

(٣) أ، م، ي: - من.

(٤) م، ي: يأخذ.

(٥) م، ي: فيه.

(٦) ج، ي: نياق.

(٧) أضافت النسخ: + ﷺ.

ثمّ فتح الصحيفة فإذا فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله[1] إلى قيصر صاحب الروم، سلام على من اتّبع الهدى

أمّا بعد: ﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[2] في آيات من كتاب الله تعالى يدعوه إلى الله تعالى ويزهّده في مُلكه، ويرغّبه فيما رغّبه الله من ذِكر الآخرة، ويحذّره بطش الله وبأسه.

فقرأ قيصر الكتاب فقال: يا معشر الروم؛ إنّي لأظنّ أنّ هذا الذي بَشّر به عيسى بن مريم عليه السلام، ولو أعلم أنّه هو هو[3] مشيتُ إليه حتى أخدمه بنفسي لا يسقط وضوءُه إلّا على يدي. قالوا: ما كان الله ليجعل ذلك في الأعراب الأمّيّين، ويدعنا ونحن أهل الكتاب. قال: فاصل الهدى بيني وبينكم عندي الإنجيل، ندعو به فنفتحه، فإن كان هو إيّاه اتّبعناه[4]، وإلّا أعدنا عليه خواتمه كما كانت، إنما هي خواتم مكان خواتم. قال: وعلى الإنجيل يومئذ اثنا عشر خاتمًا من ذهب، ختم عليه هرقل، فكان كلّ ملك يليه بعده ظاهرَ عليه بخاتم آخر، حتى ألفى[5] مُلك قيصر وعليه اثنا عشر خاتمًا يخبر أوّلهم آخرهم إنّه لا يحلّ لهم أن يفتحوا الإنجيل في دينهم، وأنّه يوم يفتحونه يغيّر دينهم، ويهلك ملكهم.

فدعا بالإنجيل، ففضّ عنه أحد عشر خاتمًا حتى إذا بقي عليه خاتم واحد قامت الشمامسة والأساقفة والبطارقة فشقّوا ثيابهم وصكّوا وجوهم ونتفوا رءوسهم. قال: ما لكم؟ قالوا: اليوم يهلك ملك بيتك، ويتغيّر دين قومك. قال: فاصل الهدى، قالوا: لا تعجل حتى تسأل عن هذا وتكاتبه، وتنظر في أمره، فإنّك قادر إن شاء الله على أن تفضّ هذا الخاتم فتنظر فيه ما تريد، وإنّك لا تقدر إن انفتق عليك ما تكره أن تردّه بعد فتقه. قال: فمن نسأل عنه؟ قالوا: تسأل قومًا كثيرًا بالشام.

---

(١) أضافت النسخ: + ﷺ.

(٢) [آل عمران: ٦٤]

(٣) ج، م، ي: - هو الثانية.

(٤) م، ي: فاتبعناه.

(٥) ج، ر، م، ي: ألقى.

فأرسل يبتغي قومًا يسألهم قال[1]: فَجُمِع له أبو سفيان بن حرب وأصحابه، فجاء قوم[2] كلّهم لله ولرسوله ﷺ عدوّ. فقال: أخبرني يا أبا سفيان؛ من هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ فلم يألُ أن يصغّر أمره ما استطاع، قال: أيّها الملك؛ لا يكبر عليك شأنه؛ إنّا لنقول هو ساحر، ونقول هو شاعر، ونقول هو كاهن. قال قيصر: كذلك، والذي نفسي بيده، كان يقال للأنبياء قبله.

أخبِرني موضعه فيكم. قال: هو أوسطنا سِطَة، قال: كذلك يبعث الله كلّ نبيّ من أوسط قومه.

قال: أخبرني عن أصحابه، قال: غلماننا وأحداث أسنانهم والسفهاء، أمّا رؤساؤنا فلم يتبعه منهم أحد. قال: أولئك واللهِ أتباع الرسل منذ قط، أمّا الملأ والرءوس فتأخذهم الحميّة.

قال: فأخبرني عن أصحابه؛ هل يفارقونه بعد ما يدخلون في دينه سخطة له؟ قال: لا ما يفارقه منهم أحد.

قال: فلا يزال داخل منكم في دينه؟ قال: نعم، قال: ما تزيدونني عليه إلّا بصيرة، والذي نفسي بيده ليوشكنّ أن يغلب على ما تحت قدمي.

يا معشر الروم؛ هلمّ[3] إليّ أن نجيب هذا الرجل إلى ما دعا إليه؟ ونسأله الشام أن لا توطأ علينا أبدًا؛ فإنّه لم يَكتب قط نبيّ من الأنبياء إلى ملك من الملوك يدعوه إلى الله فيجيبه إلى ما دعاه، ثمّ يسأله غيرها فيسأله إلّا أعطاه مسألته ما كانت، فأطيعوني. فلنجبه إلى ما دعانا إليه، ونسأله الشام أن لا توطأ[4]. قالوا: لا نطاوعك في هذا أبدًا؛ تكتب إليه تسأله في ملكك الذي تحت رجليك، وهو هنالك لا يملك من ذلك شيئًا، فمن أضعف منك؟

قال أبو سفيان: والله ما يمنعني من أن أقول قولًا أسقطه من عينه[5] إلّا أنّي أكره أن أكذب عنده كذبة يأخذها عليّ ولا يصدّقني في شيء، قال: حتى ذكرت قوله ليلة أسري به. قال قلت: أيّها الملك؛ ألا أخبرك عنه خبرًا تعرف أنّه قد كذب؟ قال: وما هو؟ قال: يزعم لنا أنّه خرج من أرضنا، أرض الحرم، في ليلة فجاء مسجدكم هذا مسجد إيلياء ورجع إلينا في

---

(١) م، ي: - قال.

(٢) م، ي: قومه.

(٣) ج، م، ي: هل.

(٤) أ، ج، ر: يوطأ.

(٥) م، ي: عينيه.

تلك الليلة قبل الصباح. قال: وبِطْرِيق إيلياء عند رأس قيصر، قال بطريق إيليا: قد علمتُ تلك الليلة. قال: فنظر قيصر إليه[١] وقال: ما[٢] عِلمك بهذا. قال: إنّي[٣] كنت لا أنام ليلة أبدًا حتى أُغلق أبواب المسجد، فلمّا كانت تلك الليلة أغلقتُ الأبواب كلّها غير باب واحد غلبني، فاستعنتُ عليه عمّالي ومن حضرني كلّهم، فعالجته فلم نستطع أن نحرّكه كأنّما نزاول به[٤] جبلًا، فدعوت النجاجرة، فنظروا إليه فقالوا: هذا باب سقط عليه النجاف والبنيان، ولا نستطيع أن نحرّكه حتى نصبح فننظر من أين أُتي. قال: فرجعت وتركت البابين مفتوحين، فلمّا أصبحتُ غدوتُ عليهما، فإذا الحجر الذي من زاوية المسجد مثقوب، وإذا فيه أثر مربط الدابة. قال: قلت لأصحابي: ما حبس هذا الباب الليلة إلّا على نبيّ، وقد صلّى الليلة في مسجدنا.

فقال قيصر لقومه: يا معشر الروم؛ أليس تعلمون أنّ بين عيسى وبين الساعة نبيًّا بشّركم به عيسى، كنتم ترجون أن يجعله الله منكم؟ قالوا: نعم. قال: فإنّ الله قد جعله في غيركم في أقلّ منكم عددًا، وأضيق منكم بابًا، وهي رحمة الله يضعها حيث يشاء؛ فإمّا أن تطيعوني فيما آمركم به، وإلّا رأيتم الخيل دوّابين، نواصيها بين أظهركم، فيُقتل الرجال[٥]، ويستباح المال، ويسبى العيال. قالوا: نصبر له عشر سنين؟ قال: نعم، وعشرين سنة. قالوا: نصبر عشرين سنة؟ قال: نعم، وثلاثين. قالوا نصبر ثلاثين؟ قال: نعم، وأربعين. قالوا: نصبر أربعين؟ قال: نعم، وخمسين حتى بلغ رأس المائة يزيد عشرًا عشرًا، فلمّا بلغ رأس المائة، قالوا: فلك بهم علمٌ كيف هم بعد المائة؟ قال: هم بعد المائة كالدينار المضروب؛ ثلثه هبرزي خالص، وثلثه مغشوش، وثلثه لا خير فيه.

قال: ثمّ قال قيصر: ارجعوا عنّي اليوم حتى أفكّر في أمري وأدبّره، ثمّ اغدوا عليّ بالغداة بأجمعكم. قال: فغدوا عليه حين أصبح وأشرف لهم على بيت مرتفع، فقال[٦]: يا معشر الروم؛ إنّ هذا النبيّ الذي بشّر به عيسى بن مريم، فأجيبوه إلى ما دعا إليه. فلمّا رأى إنعاطهم[٧]

---

(١) أ، ر، ن: - إليه.

(٢) م، ي: وما.

(٣) أ، ر: إن. م: - إني.

(٤) م، ي: - به.

(٥) م، ي: - فإمّا أن تطيعوني فيما آمركم به، وإلّا رأيتم الخيل دوّابين، نواصيها بين أظهركم، فيُقتل الرجال.

(٦) م، ي: وأشرف بهم على بيت مرتفع وقال.

(٧) انعاطهم: تصلبهم.

وإباءهم صمت عنهم حتى[1] سكن عنه الصوت، ثمّ قال: يا معشر الروم؛ دعاكم ملككم يذوقكم كيف صلابتكم في دينكم، فشتمتموه وسببتموه وهو بين أظهركم. قال: فخرّوا له سجّدًا.

غريبٌ دعاه حبيب فأجابه[2]

حدّثنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي، ثنا محمد بن أبي منصور، ثنا أبو عبد الله الحميدي، أنا الأردستاني، ثنا أبو عبد الرحمن السلمي، سمعت أبا الحسن بن عبد الله الطوسي، سمعت علوس الدينوري يقول: سمعت المزني يقول: كنتُ مجاورًا بمكة فخطر لي خاطر في الخروج إلى المدينة، فخرجت، فبينا أنا بين المسجدين أمشي، فإذا أنا بشاب مطروح إلى جانب ميل عليه خرقتان وهو[3] ينزع، فقعدت عند رأسه وقلت: يا سيّدي؛ قل لا إله إلّا الله، ففتح عينيه ونظر إليّ، وأنشد[4]:

أنا إن متّ فالهوى حشو قلبي وبداء الهوى تموتُ الكرامُ

وشهق شهقة كانت فيها نفسه، فكفّنته في أطماره ورجعت.

وأنشد أبو علي القالي في الوطن:

أقول لصاحبي والعيس تحدي بنا بين المُنيفة والضِّمارِ
تزوّد من شميم عَرار نجدٍ فما بعد العشيّة من عَرارِ
ألا يا حبّذا أرواح نجد وريّا روضة غبّ القطارِ
وعيشك إذ يحلّ القوم نجدًا وأنت على زمانك غير زارِ
شهورٌ تنقضين[5] وما شعرنا بإنصافٍ لهنّ ولا سرارِ

وأنشد أبو بكر الأنباري في ذلك:

وأستشرف الأعلام حتى يدلّني[6] على طيبها مرّ الرياح النواسمِ
وما أنسم الأرواح إلّا لأنّها تمرّ على تلك الربّى والمعالمِ

وأنشد الشريف الرضي:

---

(١) النسخ عدا ج: - حتى.
(٢) ر، م، ن: فأجاب. ي: وأجاب.
(٣) م، ي: - وهو.
(٤) م، ي: + يقول.
(٥) م، ي: ينقضين.
(٦) م، ي: تدلني.

أقول وقد حنّت بذي الأثل ناقتي قرى لا ينل منك الحنينُ المرجّعُ
تحنّين إلّا أنّ بي لا بِكِ الهوى ولي لا لك اليوم الخليطُ المودّعُ
وباتت تشكّي تحت[1] رحلي ضمانة كلانا إذَنْ يا ناق نضوٌ مفجّعُ
أحسّتْ بنارٍ في ضلوعي فأصبحتْ يحثُّ بها نار الغرام ويوضعُ[2]

ومن وقائع بعض الفقراء

ما حدّثنا به عبد الله بن الأستاذ المورورى رحمه الله، قال: رأى بعض الفقراء ببجاية في الواقعة أبا حامد وجماعة من الصوفية يقولون للشيخ أبي مدين: أخبِرنا عن شيء مما خصّك به الحقّ من[3] العلم؟ فقال لهم: بالعلم الباقي أضاء سِرّي وحسنت أخلاقي، فعلم الله صفة ذاته، فكلّ ما عرف منه سبحانه معروف، والصفة لا تفارق الموصوف، فما ثبت في الوجود منه فبإمداده، وما فهموا عنه فبإرشاده، فكلّ علمٍ سِواه بالإضافة إليه مذموم، وإنّما يشرف العلم بشرف المعلوم، فانظر ما علمك وماذا؟ فمن هناك تجازى وتُنادَى. فخير العلوم ما وصّلك[4] إلى المعلوم، وعند مشاهدة الحقّ تضمحلّ الرسوم، ويتجلّى إذ ذاك الحيّ القيّوم، فمن رقى عن المحسوسات نال الغيوب، ومن قهقر عندها فهو محجوب، فالعارف أبدًا يترقّى، ودقائق الإشارات واللطائف يتلقّى، ليس له التفات إلى ذَيت وذَيت، ولا يقنع من البيت إلّا بربّ البيت، فهو أبدًا في التنزيه والمشاهدة، يُرفع عن الأغيار والمكابدة، ملاحِظ[5] ذلك الجمال الأبدي، متلذّذ بمشاهدة الملك العلي.

ثمّ قال الشيخ: مقامي مقام العبوديّة، وعلومي العلوم الإلهيّة، وصفاتي مستمدّة من الصفات الربّانيّة، بها عمر فكري، وهي غذاء لسرّي وجهري، فعِلمي بالله[6] متّصل، وعن كلّ من[7] سواه منفصل، اتّصاله بحضرة قدسِه، ومسرحه في رياض أنسه، فبالعلم بالله وذاته وصفاته نلت الجاه، ومعلومي هو الله، عظمته ملأتْ حقيقتي وسرّي، ونوره أضاء به برّي

(١) م، ي: بعد.
(٢) م، ي: وتوضع.
(٣) م، ي: عن.
(٤) م، ي: أوصلك.
(٥) م، ي: يلاحظ.
(٦) م، ي: بالله سبحانه.
(٧) م، ي: ما.

وبحري، فمن أحياه فهو الحيّ، ومن أماته عنه فهو[1] في ظلمة الغيّ[2]، إذ المقرّب به عليم، ولا يسمو إلّا من أتى الله بقلب سليم. فالقلب السليم هو الذي سلِم مما سِواه، ولا يكون في الوعاء إلّا ما جعل فيه مولاه. فقلب العارف يسرح في الملكوت بلا شكّ ولا ارتياب، ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾[3]، فالجبال بقدرته سيّرها، وبصنعه الجميل أتقنها، فكلامه العزيز لصدور أوليائه شفاء، وهو سبحانه لشدّة ظهوره خفاء.

ومن محاسن المخاطبة

ما قال عمارة بن حمزة لأبي العباس وقد أمر له بجوهر نفيس: وصلَك الله يا أمير المؤمنين وبرَّكَ، فواللهِ لئن[4] أردنا شكرك على إنعامك ليقصرنّ شكرنا عن نعمتك، كما قصر الله بنا عن منزلتك.

ودخل إسحق بن إبراهيم الموصلي على الرشيد فقال: ما مالك؟ فقال:

سوامي سوام المكثرين تجمّلًا ... ومالي كما قد تعلمين قليلُ
وآمرةٌ بالبخلِ قلت لها اقصري ... فذلك شيء ما إليه سبيلُ
وكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى ... ورأي أمير المؤمنين جميلُ
أرى الناس خلّان الجواد ولا أرى ... بخيلًا له في العالمين خليلُ

فقال الرشيد: هذا واللهِ الشعر الذي صحّت معانيه، وقويتْ أركانه ومبانيه[5]، ولذّ على أفواه القائلين، وأسماع السامعين، يا غلام؛ احمل إليه خمسين ألف درهم. قال إسحق: يا أمير المؤمنين؛ كيف أقبل صلتك وقد مدحتَ شعري بأكثر[6] مما مدحتُك به؟ قال الأصمعي: فعلمت أنّه أصيد للدراهم منّي.[7]

ودخل المأمون ذات يومٍ الديوان، فنظر إلى غلام جميل على أذنه قلم، فقال: من أنت: قال: أنا الناشئ في دولتك، المتقلّب في نعمتك، المؤمّل لخدمتك، الحسن بن رجاء. فقال

---

(١) ج، ر: - فهو.
(٢) ر، ن: الفي.
(٣) [النمل: ٨٨].
(٤) أ، ر، ن: لمن.
(٥) النسخ عدا ج: - ومبانيه.
(٦) م، ي: أكثر.
(٧) وردت هذه الحكاية والحكايتان التاليتان لها في مواضع مختلفة في هذا الكتاب من قبل.

المأمون: بالإحسان في البديهة تتفاضل[1] العقول، يُرفع عن مرتبة الديوان إلى مراتب الخاصة، ويعطى مائة ألف درهم تقوية له.

ووصف يحيى بن خالد الفضل بن سهل وهو غلام على المجوسيّة للرشيد، وذكر أدبه وحسن معرفته، فعمل على ضمّه إلى المأمون، فقال ليحيى يومًا: ادخِل[2] عليّ هذا الغلام حتى أنظر إليه فأوصله. فلمّا مثل بين يديه ووقف تحيّر، وأراد الكلام فارتجّ عليه، فأدركته كبوة، فنظر الرشيد إلى يحيى نظرة منكرة، لما كان تقدّم به في حقّه. فانبعث الفضل بن سهل، فقال: يا أمير المؤمنين؛ إنّ من أبين الدلالة على فراهة المملوك شدّة إفراط هيبته لسيّده، فقال له الرشيد: أحسنت واللهِ؛ لئن كان سكوتك لتقول[3] هذا إنّه لحسن، ولئن كان شيئًا أدركك عند انقطاعك لأحسن وأحسن. ثمّ جعل لا يسأله[4] عن شيء إلّا رآه فيه مقدّمًا، فضمّه إلى المأمون.

المزاح

روينا من حديث الدينوري، عن محمد بن المغيرة المازني، عن خالد بن عمرو، عن الربيع بن صبح، عن صبيح، عن الحسن قال: المزاح يذهب بالمروءة.

وأنشد محمد بن المغيرة:

أخوك الذي إن سُؤته قال إنّني ... أسأتُ وإن عاتبته لان جانِبُهْ
فعش واحدًا أو صِل أخاك فإنّه ... مقارف ذنبٍ مرّةً ومجانبهْ
إذا أنت لم تشرب مرارًا على القذى ... ظمئتَ وأيّ الناس تصفو مشاربهْ

بالعدل يكثر الخراج وينمي المال

روينا من حديث المالكي، عن إبراهيم الحربي، عن سليمان بن أبي شيخ، عن صالح بن سليمان قال؛ قال عمر بن عبد العزيز: لو تخابثتِ الأمم، وجئنا بالحجاج لغلبناهم، وما كان يصلح لدنيا ولا لآخرة، لقد ولي العراق وهي أوفر ما تكون[5] من العمارة، فأخسّ بها حتى صيّر خراجها أربعين ألف ألف، وقد أدّى إليّ عاملي هذا منها ثمانين ألف ألف، وإن بقيت

(١) أ، ر، ن، ي: يتفاضل. م: مفاصل.
(٢) أ، ج، ر، ن: + يوما.
(٣) م، ي: ليقول.
(٤) ج، ن: لا يسأل.
(٥) م، ي: يكون.

إلى قابل رجوت أن يؤدّوا إليّ ما أدّوا إلى عمر بن الخطاب مائة ألف ألف.

وصيّة بمكارم الأخلاق ممن بلغت نفسه التراق

روينا من حديث الدينوري، عن أبي بكر بن أبي الدنيا، عن زكريا بن يحيى، ثنا عمر بن حصن، عن جدّه حميد بن منهب[1]، عن خريم قال: لمّا حضر أبي[2] أوس بن حارثة الوفاة جمعنا فقال: يا بَنيّ؛ إنّي قلت أبياتًا فاحفظوها عنّي:

لنا خيرُ أخلاق ونحن أعزّةٌ ... نعُفّ ونأبى أن نذمّ وننصبا
نجاور أكفانًا وننزل بالربى ... ولا نكُ عن خير المشاهد غُيَّبا
ونجتنب الآفات والإثم كلّه ... ونحمي حمانا رهبة أن تؤنّبا
بذلك أوصانا أبونا وجدّنا ... وتحرمنا أحسابنا أن نؤنّبا
فنحن مناجيب لأكرم منجبٍ ... وجدّ أبينا كان من قبل منجبا
وما يتّقي فينا المجاور خيفة ... وكَلّا ومن زار الصفا والمحصّبا

ومن حديثه أيضًا عن أحمد بن محمد، أنشدني إسماعيل بن يزيد:

أحبّ الفتى ينفي الفواحش سمعه ... كأنّ به عن كلّ فاحشة وقرا
سليم دواعي الصدر لا باسطًا يدًا ... ولا ضائعًا خيرًا ولا قائلا هجرا
إذا ما أتت من صاحب لك زلّةٌ ... فكن أنت محتالًا لزلّته عذرًا
غنى النفس ما يكفيك من سدِّ فاقة ... فإن زاد شيئًا عاد ذاك الغنى فقرا

ومما لا بدّ منه، ما قال النابغة:

حسبُ الخليلين أنّ الأرض بينهما ... هذا عليها وهذا تحتها بالي

ومن باب مَن طُرِد فلزم حتى قُبِل

أخبرني شيخ بالتنعيم ونحن محرمين بعمرة نلبّي فقال[3]: جاور هنا شيخ[4] سبعين سنة ما منها حجة يحجّها أو عمرة يعتمرها إلّا يقال له عندما يقول لبّيك: لا لبّيك. فأحرم معه يومًا شابّ فقال الشيخ: لبّيك اللهمّ لبّيك، فسمع الشاب قائلًا يقول له: لا لبّيك، فقال له: يا عمّ؛

(١) م، ي: منبه.
(٢) م، ي: - أبي.
(٣) م، ي: قال.
(٤) م، ي: رجل.

قد قيل لك: لا لبّيك. فبكى الشيخ، وقال له: يا ولدي أسمعتَه؟ قال الشاب: نعم، قال له الشيخ: إنّ لي أسمعه سبعين سنة. قال له الشاب: ففيم تتعب؟ فقال: يا بنيّ؛ فإلى باب مَن ألزم؟ وإلى من أرجع؟ إنما لي اللزوم والجهد، وله سبحانه القبول إن شاء أو الردّ. يا بنيّ؛ لا ينبغي لعبد[1] أن يطرده هذا عن باب مولاه، ولا يحول بينه وبين خدمته. وبكى الشيخ حتى جرت دموعه على صدره.

ثمّ رفع صوته بالتلبية، فسمع الشاب ذلك القائل يقول له: قد قبِلنا إجابتك، وهكذا فعلنا بكلِّ من حسّن الظنّ بنا، مع الاجتهاد في خدمتنا، ولزوم طاعتنا، وإيثار ذكرنا على ذكر غيرنا، لا من يتّبع هواه، ويتمنّى علينا الأماني. فقال له[2] الشاب: أما سمعت ما ردّ عليك؟ قال: سمعت، وعلا نحيبه واشتدّ بكاؤه.

وأخبرني عبد الرحمن، عن عبد الله بن حبيب، عن عبد الغفار بن محمد، عن ابن أبي صادق، عن ابن باكويه، عن الحسن بن أحمد، عن محمد بن داود، عن أبي عبد الله الجلّاء قال: كنت بذي الحليفة وشابٌّ يريد أن يحرم، فكان يقول: يا ربّ؛ أريد أن أقول لبّيك اللهمّ لبّيك، فأخشى أن تجيبني بلا لبّيك ولا سعديك. يردّد ذلك مرارًا، ثمّ قال: لبّيك اللهمّ لبّيك[3]، مدّ بها صوته، وخرجت[4] روحه.[5]

في شرف التواضع والعلم ميراثه الخشية

حدّثنا أبو محمد بن عبد الله، ثنا علي بن الحسن، ثنا عبيد الله بن محمد بن أحمد، ثنا جدّي أحمد بن الحسين، أنا أبو بكر بن الحسن القاضي، أنا أبو جعفر أحمد بن علي بن دحيم، ثنا محمد بن الحسين بن أبي الحسن، ثنا سعيد بن منصور، ثنا الحارث بن عبيد الإيادي، عن أبي عمران الجوني، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أنا جالس إذ جاء جبريل عليه السلام فوكز بين كتفي فقمت، يعني إلى شجرة فيها مثل وَكري طائر[6]، فقعد جبريل عليه السلام في أحدهما، وقعدتُ في الآخر، فسمَتْ وارتفعتْ حتى سدّت الخافقين، وأنا أقلّب

(١) أ، ج، ر: - لعبد.
(٢) ج، ي: - له.
(٣) أ، ر: - لبيك.
(٤) م، ي: وخرجت بها.
(٥) انتهى السمر.
(٦) أ، ج، ر، ن: الطير.

طرْفي، فلو شئتُ أن أمسّ السماء مسستُ.

وفي حديث[1] ابن عطارد: فلو بسطتُ يدي إلى السماء لَنِلتها. ففتح بابٌ من أبواب السماء، فرأيت النور الأعظم.

قال ابن عطارد: فدلّي بسبب، وهبط النور، فوقع جبريل مغشيًّا عليه كأنّه حِلس، فعرفتُ فضل خشيته على خشيتي.

وقال أنس: فضلُ علمه بالله عليّ، وإذا دوني حجاب رفرف الدرّ والياقوت.

قال ابن عطارد: فأوحى إليّ: نبيًّا ملِكًا أو نبيًّا عبدًا؟ فأومأ إليّ جبريل وهو مضطجع، أن تواضع، قال؛ قلتُ: لا بل نبيًّا عبدًا».

وقال[2] ابن عباس في حديثه: فما أكلَ بعد تلك الكلمة طعامًا متّكئا حتى لقي ربّه. وخالفهما في المتن بل لم يذكر من الحديث إلّا قصة التخيير، فلعلّه هذا الحديث أو غيره، والله أعلم.

في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾[3]

حدّثنا أبو بكر السجستاني، ثنا علي بن إبراهيم، ثنا سعد الخير، عن محمد بن محمد المطرّز، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا إبراهيم بن عبد الله بن إسحق، ثنا محمد بن إسحق الثقفي، أنا قتيبة بن سعيد، ثنا رِشدَين بن سعد، عن سعيد بن عبد الرحمن المعافري، عن أبيه، أنّ كعب الأحبار رأى حبر اليهود[4] يبكي فقال له: ما يبكيك؟ قال: ذكرت بعض الأمر. فقال له كعب: أُنشدك بالله؛ لئن أخبرتك ما أبكاك لتصدقني؟ قال: نعم، قال: أنشدك بالله؛ هل تجد في كتاب الله المنزل أنّ موسى نظر في التوراة فقال: ربّ؛ إنّي أجد أمّة في التوراة "خير أمّة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر"، ويؤمنون بالكتاب الأوّل والكتاب الآخر، ويقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الدجّال. قال؛ فقال موسى: ربّ اجعلهم أمّتي، قال: هم أمّة أحمد يا موسى، قال الحبر: نعم.

قال كعب: أنشدك[5] بالله؛ هل تجد في كتاب الله المنزل أنّ موسى نظر في التوراة؛

---

(١) م، ي: - حديث.

(٢) م، ي: قال.

(٣) [آل عمران: ١١٠]

(٤) أ، ج، ر، ي: اليهودي.

(٥) أ، ر، ن: فأنشدك.

فقال: ربّ؛ إنّي أجد أمّةً هم الحمّادون رعاة الشمس، المحكمون إذا أرادوا أمرًا قالوا نفعله إن شاء الله، فاجعلهم أمّتي، قال: هم أمّة أحمد يا موسى، قال الحبر: نعم.

قال كعب: أنشدك بالله؛ هل[1] تجد في كتاب الله المنزل أنّ موسى نظر في التوراة؛ فقال: يا ربّ؛ إنّي أجد أمّة إذا أشرف أحدهم على شرفٍ كبّر الله، وإذا هبط واديًا حمد الله، الصعيد لهم طهور، والأرض لهم مسجد، حيثما كانوا يتطهّرون من الجنابة، طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء، غرٌّ محجّلون من آثار الوضوء،[2] فاجعلهم أمّتي، قال: هم أمّة أحمد يا موسى، قال الحبر: نعم.

قال كعب: أنشدك بالله؛ هل تجد في كتاب الله المنزل أنّ موسى عليه السلام نظر في التوراة؛ فقال: ربّ؛ إنّي أجد أمّة مرحومة ضعفاء، يرثون الكتاب، فاصطفيناهم؛ فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات، فلا أجد واحدًا منهم إلّا مرحومًا، فاجعلهم أمّتي، قال: هم أمّة أحمد يا موسى، قال الحبر: نعم.

قال كعب: أنشدك بالله؛ هل[3] تجد في كتاب الله المنزل أنّ موسى عليه السلام نظر في التوراة؛ فقال: ربِّ؛ إنّي أجد في التوراة أمّة، مصاحفهم في صدورهم، يلبسون ألوان ثياب أهل الجنّة، يصفّون في صلاتهم كصفوف الملائكة، أصواتهم في مساجدهم كدويّ النحل، لا يدخل النار منهم أحدٌ إلّا من برئ من الحسنات مثل ما برئ الحجر من ورق الشجر، قال موسى: فاجعلهم أمّتي[4]، قال: هم[5] أمّة أحمد يا موسى، قال الحبر: نعم.

هم الآخرون السابقون فاجعلها أمّتي. قال: تلك أمّة أحمد.

قال كعب: أنشدك بالله؛ هل[6] تجد في كتاب الله المنزل أنّ موسى عليه السلام لمّا نزلت عليه التوراة وقرأها فوجد فيها ذِكر هذه الأمّة قال: يا ربّ؛ إنّي أجد في الألواح أمّة هم السابقون[7] المشفوع لهم فاجعلها أمّتي. قال: تلك أمّة أحمد.

قال يا ربّ؛ إنّي أجد في الألواح أمّة هم المستجيبون والمستجاب لهم، فاجعلها أمّتي،

---

(١) النسخ عدا ج: - هل.

(٢) م، ي: + قال: يا رب.

(٣) أ، ج، ر، ي: - هل.

(٤) م، ي: أمّتي يا رب.

(٥) أ، ج، ر، ن: هي.

(٦) أ، ج، ر، ي: - هل.

(٧) م، ي: هم الآخرون السابقون فاجعلها أمّتي، قال: تلك أمة أحمد. قال: ربّ؛ إنّي أجد في الألواح أمّة هم السابقون.

قال: تلك أمّة أحمد.

قال: يا ربّ؛ إنّي أجد في الألواح أمّة يأكلون الفيء فاجعلهم أمّتي، قال: تلك أمّة أحمد.

قال: يا ربّ؛ إنّي أجد في الألواح أمّة يجعلون الصدقة في بطونهم يؤجَرون عليها، فاجعلها أمّتي، قال: تلك أمّة أحمد.

قال: يا ربّ؛ إنّي أجد في الألواح أمّة إذا همّ أحدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة، وإن عملها كتبت له عشر حسنات، فاجعلها أمّتي، قال: تلك أمّة أحمد.

قال: يا ربّ؛ إنّي أجد في الألواح أمّة إذا همّ أحدهم بسيّئة فلم يعملها لم تكتب، وإن عملها كتبت[1] سيّئة واحدة، فاجعلها أمّتي، قال: تلك أمّة أحمد.

قال: يا ربّ؛ إنّي أجد في الألواح أمّة يؤتون العلم الأوّل والعلم الآخر، فيقتلون قرون الضلالة المسيح الدجّال، فاجعلها أمّتي، قال: تلك أمّة أحمد.

قال الحبر: فلمّا عجب موسى عليه السلام من الخير الذي أعطاه الله محمدًا ﷺ وأمّته، قال: يا ليتني من أصحاب محمد.

وفي حديث أبي هريرة عن النبيّ ﷺ قال: يا ربّ؛ اجعلني من أمّة محمد. قال الحبر: فأوحى الله تعالى إليه ثلاث آيات يرضيه بهنّ: يا موسى؛ ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ. وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ إلى قوله ﴿دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾[2]. ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[3]. لم يذكر أبو هريرة في حديثه سوى الخصلتين: الرسالة والكلام. وذكره معاوية، والسياق من مصاحفهم في صدورهم، في هذا الحديث إلى "من أصحاب محمد" لأبي هريرة، عن النبيّ ﷺ، ذكرناه من رواية محمد بن أحمد بن الحسن، عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة، عن جبارة بن المغلس، عن الربيع بن النعمان، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة.

بلاغة واعتراف

روينا من حديث أحمد بن داءود، عن المازني، عن الأصمعي قال: قيل لأعرابي: ما

---

(١) ج: + عليه. م، ي: + له.

(٢) الآيتان: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ. وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤، ١٤٥]

(٣) [الأعراف: ١٥٩]

أحسن الثناء عليك؟ فقال: بلاءُ الله عندي أحسن من وصف المادحين وإن أحسنوا، وذنوبي إلى الله أكثر من عيب الذامّين وإن كثّروا[1]، فيا أسفى على ما فرّطت، ويا سوأتا[2] مما قدّمت.

حكمة

قال ابن داود، قال محمد بن سلام: قال قرشي لحكيم من العرب: علّمني الحِلم، فقال له: إنّ الحِلم هو الذلّ، فاصبر عليه.

موعظة

روينا عن أحمد بن عبّاد قال: أنشدني الرياشي:

لا يبعد الله إخوانًا لنا بعدوا أفناهم حدثان الدهرُ والأبدُ
يمدّهم كلّ يوم من بقيّتنا ولا يُرَدُّ إلينا منهم أحدُ

وروينا من حديث أحمد بن الحسين الأنماطي قال: أنشدنا سعيد الجرمي، ورسول الله ﷺ أولى بما قال:

أمّا القبور فإنّهنّ أوانسٌ بجوار قبرك والديار قبورُ
عمّت مصيبته فعمّ هلاكه فالناس فيهم كلّهم مأجورُ
ردّتْ صنائعه[3] إليه حياته فكأنّه من نشرها منشورُ

حدّثنا أبو بكر السجستاني، ثنا هبة الله بن علي، ثنا ابن بركات السعيدي، ثنا محمد بن سلامة، ثنا أحمد بن محمد بن الحاج، أنا أبو عبد الله الفضل بن عبيد الله الهاشمي، ثنا أبو محمد بكر بن سهل الدمياطي إملاءً[4]، ثنا محمد بن أبي السري، ثنا عبد العزيز بن عبد الصمد، ثنا أبان بن أبي عيّاش، عن أنس بن مالك قال: خطبَنا رسول الله ﷺ على ناقته الجدعاء فقال في خطبته: «أيّها الناس؛ كأنّ الحقّ فيها على غيرنا وجب، وكأنّ الموت فيها على غيرنا كتب، وكأنّ الذين[5] نشيع من الأموات سفرٌ عمّا قليل إلينا راجعون[6]، نبوّئهم أجداثهم

(١) م، ي: أكثروا.
(٢) م، ي: ويا سوأتاه.
(٣) م، ي: صناعته.
(٤) م، ي: - إملاء.
(٥) م، ن، ي: الذي.
(٦) م، ي: عائدون.

ونأكل تراثهم، كأنّا مخلّدون بعدهم، قد نسينا كلّ واعظة، وأمِنّا كلّ جائحة، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وأنفق من مال اكتسبه من غير معصية، وخالط أهل الفقه والحكمة، وجانَب أهل الذلّ والمعصية، طوبى لمن ذلّ في نفسه، وحسُنت خليقته، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله، ووسعته السنّة ولم يعدها إلى بدعة».

خبر وصيّ عيسى عليه السلام

حدّثنا عربشاه بن محمد بن أبي المعالي العلوي النوقي الخبوشاني كتابة، ثنا محمد بن الحسن بن سهل العباسي الطوسي، أنا خالي أبو المحاسن علي بن أبي الفضل الفارمدي، أنا أحمد بن الحسين بن علي قال: ثنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا أبو عمرو عثمان بن أحمد السمّاك ببغداد إملاءً، ثنا يحيى بن أبي طالب، ثنا عبد الرحمن بن إبراهيم الراسبي، ثنا مالك بن أنس، عن نافع، عن ابن عمر، قال:

كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى سعد بن أبي وقاص وهو بالقادسيّة، أنّ وجِّه نضلة بن معاوية الأنصاري إلى حلوان العراق، فليغر على ضواحيها. قال: فوجّه سعدٌ نضلة في ثلاثمائة فارس، فخرجوا حتى أتوا حلوان العراق وأغاروا[1] على ضواحيها، فأصابوا غنيمة وسبيًا[2]، فأقبلوا يسوقون الغنيمة والسبي حتى رهقت بهم العصر، وكادت الشمس أن تغرب، فألجأ نضلة الغنيمة والسبي إلى سفح الجبل، ثمّ قام فأذّن فقال: الله أكبر الله أكبر[3]، قال: ومجيبٌ من الجبل يجيبه، كبّرت كبيرًا يا نضلة. ثمّ قال: أشهد أن لا إله إلّا الله، فقال: كلمة الإخلاص يا نضلة. وقال: أشهد أنّ محمدًا رسول الله، قال: هو الدين، وهو الذي بشّرنا به عيسى بن مريم عليه السلام، وعلى رأس أمّته تقوم الساعة، ثمّ قال: حيّ على الصلاة، قال: طوبى لمن مشى إليها، وواظب عليها، ثمّ قال: حيّ على الفلاح، قال: أفلح من أجاب محمدًا وهو البقاء لأمّته، قال: الله أكبر الله أكبر، قال: كبّرت كبيرًا، قال: لا إله إلّا الله، قال: أخلصتَ الإخلاص يا نضلة؛ فحرَّم الله جسدك على النار.

قال: فلمّا فرغ من أذانه قمنا فقلنا: من أنت يرحمك الله؟ أملَك أنت، أم ساكن من الجنّ، أم من عباد الله؟ أسمعتنا صوتَك، فأرِنا شخصك، فإنّا وفد الله ووفد رسول الله ﷺ ووفد

---

(١) م، ي: فأغاروا.

(٢) م، ي: وسبايا.

(٣) م، ي: - الله اكبر.

عمر بن الخطاب. قال: فانفلق الجبل عن هامة كالرحاء، أبيض الرأس واللحية، عليه طمران من صوف، فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقلنا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته[1]، من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا زريب بن برثملا وصيّ العبد الصالح عيسى بن مريم عليه السلام، أسكنني هذا الجبل، ودعا لي بطول البقاء إلى نزوله من السماء، فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويتبرّأ مما نحلته النصارى. ما فعل النبيّ ﷺ؟ قلنا: قبض، فبكى بكاءً طويلًا حتى خضّب لحيته بالدموع، ثمّ قال: من قام فيكم بعده[2]؟ قلنا: أبو بكر، قال: ما فعل؟ قلنا: قبض، قال: فمن قام فيكم بعده؟ قلنا له: عمر.

قال: أما إذ فاتني لقاء محمد ﷺ فاقرِئوا عمر منّي السلام، وقولوا له: يا عمر؛ سدّد وقارب، فقد دنا الأمر، وأخبروه بهذه الخصال التي أخبركم بها: يا عمر؛ إذا ظهرت هذه الخصال في أمّة محمد ﷺ، فالهرب الهرب: إذا استغنى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، وانتسَبوا في غير مناسبهم، وانتموا إلى غير مواليهم، ولم يرحم كبيرهم غيرهم، ولم يوقّر صغيرهم كبيرهم، وتُرك الأمر بالمعروف فلم يؤمَر به، وترك النهي عن المنكر فلم يُنته به، وتعلّم عالمهم العلم ليجلب به الدنانير والدراهم، وكان المطر قيظًا والولد غيظًا، وطوّلوا المنابر، وفضّضوا المصاحف، وزخرفوا المساجد، وأظهروا الرشا، وشيّدوا البناء، واتّبعوا الهوى، وباعوا الدين بالدنيا، واستخفّ بالدماء، وتقطّعت الأرحام، وبيع الحكم، وأُكِل الربا، وصار التسلّط فخرًا، والقتل عزًّا، وخرج[3] الرجل من بيته، فقام إليه مَن هو خير منه، ورَكبت النساءُ السروج. قال: ثمّ غاب عنّا.

فكتب بذلك نضلة إلى سعد، فكتب سعد إلى عمر، فكتب عمر: ائتِ أنت ومن معك من المهاجرين والأنصار، حتى تنزل هذا الجبل، فإذا لقيته فاقرئه منّي السلام، فإنّ رسول الله ﷺ قال: إنّ بعض أوصياء عيسى بن مريم نزل بذلك الجبل بناحية العراق. فنزل سعد في أربعة آلاف من المهاجرين والأنصار حتى نزل الجبل أربعين يومًا، ينادى بالأذان في كلّ وقت صلاة.

لم يتابع الراسبي على قوله، عن مالك بن أنس، والمعروف في هذا الحديث مالك بن الأزهر، عن نافع، وابن الأزهر مجهول، قال الحكم: لم يسمع بذكره في غير هذا الحديث،

---

(١) النسخ عدا ن: - فقلنا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته.

(٢) م، ي: - بعده.

(٣) م، ي: وجعل.

والسؤال عن النبيّ ﷺ وعن أبي بكر هو من حديث ابن لهيعة، عن ابن الأزهر. وقوله: في زخرفة المساجد، وتفضيض المصاحف ليس على طريق الذمّ، وإنّما[1] هو دلالة على قرب الساعة، وفساد الزمان كدلالة نزول عيسى عليه السلام وخروج المهدي وطلوع الشمس[2].

وصيّة نبويّة

حدّثنا محمد بن قاسم، ثنا هبة الله بن مسعود، ثنا محمد بن بركات، ثنا محمد بن سلامة بن جعفر، ثنا هبة الله بن إبراهيم الخولاني، ثنا علي بن الحسين بن بندار، ثنا إسماعيل بن أحمد بن أبي حازم، ثنا أبي، ثنا عمرو بن هاشم، أخبرني سليمان بن أبي كريمة، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا هريرة؛ أحسِن مجاورة من جاورك تكن مسلمًا، وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمنًا، واعمل بفرائض الله تكن عابدًا، وارض بقسم الله تكن زاهدًا».

همّة شريفة

روينا من حديث جعفر بن محمد، عن معاوية بن عمرو، عن أبي إسحق، قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عمّاله ممن عزّاه بموت سهيل بن عبد العزيز بن مروان:

وحسبي حياة الله من كلّ ميّتٍ وحسبي بقاء الله من كلّ هالكِ

تنبيه وتعليم من عالمٍ شفيق

روينا من حديث أبي قلابة عن مسلم بن إبراهيم قال: عزّى صالح المرّي بعض إخوانه فقال له: إن لم تكن مصيبتك أحدثتْ في نفسك موعظة فمصيبتك بنفسك أعظم.

وفي هذا المعنى لبعض الشعراء:

إن يكن[3] ما به أصيب جليلًا فذهاب العزاء فيه أجلُّ

تذكرة عاقل وتنبيه غافل

روينا من حديث ابن أبي الدنيا، عن عبد الله بن محمد قال: قرأت على ركن دار مشيّد:

---

(١) م، ي: إنما.

(٢) ج: + من المغرب. ن: + من مغربها.

(٣) م، ي: يك.

لو كنت تعقل يا مغرور ما رقأت[1] دموع عينيك من خوفٍ ومن حذرِ
ما بال قوم سهام الموت تخطفهم يفاخرون برفع الطين والمدَرِ

وأمّا أنا فمررت بجبّانة فرأيت على قبر مكتوبًا:

أيّها الناس كان لي أملُ قصّر بي عن بلوغه الأجلُ
فليتّق الله ربّه رجلٌ أمكنه في[2] حياته العملُ
ما أنا وحدي نُقلت حيث تروا كلٌّ إلى مثله سينتقلُ

ومن حسن العهد ومكارم الأخلاق

ما رويناه من حديث إبراهيم الحربي، عن عثمان بن محمد الأنماطي، عن عمرو بن أبي قيس، قال: خرج عبد الله بن جعفر إلى حيطان المدينة، فبينا هو يسير إذ نظر إلى أَسود على بعض الحيطان وهو يأكل، وبين يديه كلب رابض، فكلّما أخذ لقمة رمى للكلب مثلها، فلم يزل كذلك حتى فرغ من أكله، وعبد الله بن جعفر واقف على دابّته ينظر إليه، فلمّا فرغ دنا منه فقال له: يا غلام؛ لمن أنت؟ فقال[3]: لورثة عثمان بن عفان ﷺ. فقال: لقد رأيت منك عجبًا. قال: وما الذي رأيت من العجب يا مولاي؟ قال: رأيتك تأكل، وكلّما أكلت لقمة رميت للكلب مثلها. فقال له: يا مولاي؛ هو رفيقي منذ سنين، ولا بدّ أن أجعله كأسوتي في الطعام. فقال له: فدون هذا يجزيك. فقال له: واللهِ يا مولاي؛ إنّي لأستحي من الله ﷻ أن آكل وعينٌ تنظر إليّ.

ثمّ مضى عنه حتى أتى ورثة عثمان بن عفان، فنزل عندهم، فقال: جئتُ في حاجة. فقالوا[4] له: وما حاجتك؟ قال: تبيعوني الحائط الفلاني[5]، فقالوا له: قد وهبناه إيّاك. فقال: لست آخذه إلّا بضعف، فباعوه. فقال لهم: وتبيعوني[6] الغلام الأسود؟ فقالوا له: إنّ الأسود ربّيناه، وهو كأحدنا. فلم يزل بهم حتى باعوه، وانصرف عنهم. فلمّا أصبح غدا على الغلام وهو في الحائط، فخرج إليه فقال: أما شعرتَ أنّي قد اشتريتك واشتريت الحائط من مواليك؟

---

(١) ما رقأت: ما سكنت.
(٢) م، ي: من.
(٣) م، ي: قال.
(٤) م، ي: قالوا.
(٥) م، ي: - الفلاني.
(٦) م، ي: تبيعوني.

فقال له: بارك الله لك فيما اشتريت، ولقد غمّني مفارقتي لموالي، إنّهم ربّوني. فقال: لا تغتم[1] فأنت حرّ والحائط لك. فقال: إن كنتَ صادقًا يا مولاي؛ فاشهد أنّي قد أوقفته على ورثة عثمان بن عفان. قال: فتعجّب عبد الله بن جعفر منه، وقال: ما رأيت كاليوم. فقال: بارك الله فيك[2]، ودعا له ومضى.[3]

ومن باب فضل مواساة أهل البيت وإيثارهم بالنفقة على الحجّ إلى البيت

ما حدّثناه يونس بن يحيى، عن محمد بن ناصر، عن الحسن بن أحمد[4]، عن أبي الحسن علي بن أحمد الهذلي، حدّثني أبو الحسن بن شمعون أنّ عبد الله بن المبارك قال: كان بعض المتقدّمين قد حبّب إليه الحج، قال؛ فحدّثت أنّه ورد الحاج في بعض السنين إلى بغداد فعزمت على الخروج معهم إلى الحج، فأخذت في كمّي خمسمائة دينار، وخرجت إلى السوق أشتري آلة الحج، فبينا أنا في بعض الطريق عارضتني امرأة فقالت: يرحمك الله؛ إنّي امرأة شريفة، ولي بنات عراة، واليوم الرابع ما أكلنا شيئًا. قال: فوقع كلامها في قلبي، فطرحت الخمسمائة دينار في طرف إزارها، وقلت: عودي إلى بيتك فاستعيني[5] بهذه الدنانير على وقتك. فحمدت الله وانصرفت، ونزع الله ﷻ من قلبي حلاوة الخروج في تلك السنة، وخرج الناس، وحجوا، وعادوا، فقلت: أخرج للقاء الأصدقاء والسلام عليهم، فخرجت، فجعلت[6] كلّما لقيت صديقًا سلّمت عليه وقلت: قبِلَ الله حجّك وشكر سعيك. يقول لي: وأنت قبل الله حجّك. فطال عليّ ذلك! فلمّا كان الليل، نمتُ فرأيت النبيّ ﷺ في المنام يقول لي: يا فلان؛ لا تعجب من تهنئة الناس لك بالحج؛ أغثتَ ملهوفًا، وأغنيت ضعيفًا، فسألتُ الله تعالى، فخلق في صورتك ملكًا فهو يحجّ عنك في كلّ عام، فإن شئت تحجّ وإن شئت لا تحجّ.

ولمهيار في النسيب الحجازي:

---

(١) النسخ عدا ج: - تغتم.
(٢) م، ي: لك.
(٣) انتهى السمر.
(٤) ج: يحيى. م، ي: محمد.
(٥) م، ي: واستعيني.
(٦) م، ي: فخرجت فجعلت.

وبجرعاء الحمى قلبي فعُج بالحمى واقرأ[1] على قلبي[2] السلاما
وترحّل فتحدّث عجبًا إنّ قلبًا سار[3] عن جسم أقاما
قل لجيران الغضا آهٍ على طيب عيشٍ بالغضا لو كان داما
حمّلوا ريح الصبا نشركمُ قبل أن تحمل شيحًا وثُماما
وابعثوا أشباحكم لي في الكرى إن أذنتم لجفوني أن تناما

من حج من خلفاء بني العباس

حج أبو جعفر المنصور بالناس في سنة أربعين ومائة، ثمّ في سنة أربع وأربعين (ومائة)، ثمّ في سنة سبع وأربعين (ومائة)[4]، ثمّ في سنة اثنين وخمسين (ومائة)، ثمّ في سنة ثمان وخمسين (ومائة)، وتوفّي قبل التروية بيومين.

وحج المهدي بالناس في خلافته سنة ستين ومائة.

وحج الرشيد في خلافته سنة سبعين (ومائة)، ثمّ في سنة ثلاث وسبعين (ومائة)، ثمّ في سنة أربع وسبعين (ومائة).

وروينا من حديث ابن ودعان، عن محمد بن علي بن سليمان، عن عثمان الدقّاق، عن إسماعيل بن إسحق، عن سليمان بن حرب، عن حمّاد بن زيد، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر قال: خطبَنا رسول الله ﷺ خطبة ذرفتْ منها العيون، ووجلتْ لها القلوب، فكان مما ضبطتُ منها: «أيّها الناس؛ إنّ أفضل الناس من تواضع عن رفعة، وزهد عن غنية، وأنصف عن قوّة، وحلم عن[5] قدرة. وإنّ أفضل الناس عبدٌ أخذ من الدنيا الكفاف، وصاحب فيها العفاف، وتزوّد للرحيل، وتأهّب للمسير. ألا وإنّ أعقل الناس عبدٌ عرف ربّه فأطاعه، وعرف عدوّه فعصاه، وعرف دار إقامته فأصلحها، وعلم سرعة رحلته فتزوّد لها. ألا وإنّ خير الزاد ما صحبه التقوى، وخير العمل ما تقدّمته النيّة، وأعلى الناس منزلة عند الله أخوفهم منه».

---

(١) النسخ عدا ج: وأقر.
(٢) م، ي: قلبي مني.
(٣) أ، ر، ن: صار.
(٤) م، ي: - ثمّ في سنة سبع وأربعين (ومائة).
(٥) م، ي: - قوة، وحلم عن.

ومن وقائع بعض الفقراء إلى الله تعالى

ما حدّثناه عبد الله بن الأستاذ المورواري قال: قال لي بعض أصحاب أبي مدين: رأيت في واقعتي الشيخ أبا مدين، وهو في قبّة من نور، وقد أحدق المريدون بتلك القبّة، وهم لا يرونه، فخاطبهم من باطن القبّة، فقال لهم مِن عنده: من[1] يراني به فليراني. فقال[2] له بعض الحاضرين: إنّي أراك. فقال له: بم رأيتني؟ فقال له: أمدّ نورك نوري فرأيتك. فقال عند ذلك الشيخ: لا يرى صدّيقًا إلّا صدّيق، ولا نبيًّا إلّا نبيّ، ولا رسولًا إلّا رسول، ولا ملكًا إلّا ملك. فالمحسوسات لا معنى لها من نفسها؛ إذ هي المستمدّة[3] من غيرها، والوقوف مع الأجسام قصور وعي، ولا يُرى من ليس كمثله شيء. فالمحسوسات إنما[4] تواجه ما له مكان وجهة، والله سبحانه يتعالى[5] أن يُرى بهذه الصفة.

فنحن في هذه الدار الفانية، كمثل قواديس السانية[6]. وأصل الرؤية قوّة الإيمان، وبقدر ما يصحب كلّ أحد منه يكون العيان، إذ الحقّ سبحانه لا يحويه حجاب، تعالى عن ذلك ربّ الأرباب. والحجب صفة للبشر، وبقوّة أسرار[7] القلوب وضعفها يكون النظر، ففي بدائع صنع الله ما يُعجز الأوهام عن وصفه، وتكلّ الأفكار عن الإحاطة بكنه علمه. فالأرضون وما منها ظلمات، وإنّما أضاءت بنور السماوات، فما من أرض[8] إلّا ولها سماء يحييها بما ينزل عليها من الماء.

ومن سماعنا على قول الرضي بالقلب

ترى النازلين بأرض العرا ق قد علموا أنّ وجدي كذا
دنا طربٌ والهوى نازحٌ فيا بُعد ذاك ويا قُرب ذا

وسماعنا على قول الأشجع بالسرّ[9]:

---

(١) جميع النسخ: ما.
(٢) م، ي: قال.
(٣) النسخ عدا ج: المستمد.
(٤) م، ي: إنما هي.
(٥) أ، ج، ر، ن: وتعالى.
(٦) قواديس (مفردها قادوس) وهو إناء من خزف يُخرَج به الماء من السواقي. والسانِيَةُ: الغَرْبُ وأدَاتُهُ، والناقَةُ يُسْقَى عليها.
(٧) م، ي: إشراق.
(٨) ج: فما من الأرض. م، ي: فما في الأرض.
(٩) م، ي: + وذلك أنه استأذن الأشجع السلمي الرشيدَ في الحج فأذن له، فلما رجع بعد حجه وبلغ بئر ميمون، قال:.

ألا ليت حيًّا بالعراق عهدتهم ذوي غبطة في عيشهم وأمانِ
يرون دموعي حين يشتمل الدجى عليّ وما ألقى من الحدثانِ
أمن[١] بئر ميمون تحنّ صبابة إلى أهل بغداد[٢] وتلك أماني
بعدت -وبيتِ الله- عمّن تحبّه هواك عراقيٌّ وأنت يماني
إذا ذكرت بغداد[٣] لي فكأنما تحرّك في صدري شباة[٤] سنانِ

وسماعنا على قول موسى بن عبد الملك بالنفس والروح، لمّا حج ووصل إلى الثعلبيّة اشتدّ شوقه فقال:

لمّا وردت الثعلبيّة عند مجتمع الرفاقِ
وشممت من برد الحجا زِ نسيم أنفاس العراقِ
أيقنت لي ولمن هويـ ـتُ بجمع شمل واتّفاقِ
ما بيننا إلّا تصرّ م هذه السبع البواقي
حتى يطول حديثنا بصنوف ما كنّا نلاقي

وسماعنا على قول جرير في التوديع بالنفس لا غير:

أَتبعتهمْ مقلةً إنسانُها غَرِقٌ هل ما ترى تاركٌ للعين إنسانا
يا حبّذا جبل الريّان من جبل وحبّذا ساكن الريّان مَن كانا
وحبّذا نفحاتٌ من يمانية تأتيك من قِبل الريّان أحيانا
هل يرجعنّ وليس الدهر مرتجِعًا عيشٌ لنا طالما احلولى وما لانا

ورأينا[٥] في تراجم الكتب المتقدّمة أنّ الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام:

يا ابن عمران؛ حبّبني إلى عبادي. قال: يا ربّ؛ كيف أصل إلى ذلك؟ فأوحى الله إليه: يا ابن عمران؛ ذكّرهم إحساني إليهم، وعظيم تفضُّلي عليهم؛ فإنّهم لا يعرفون منّي إلّا الحسن الجميل. يشهد لصحّة هذا الخبر إخبار الله تعالى[٦] لنا في القرآن: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾[٧].

---

(١) م، ي: من.
(٢) أ، ر، ن: بغداذ.
(٣) أ، ر، ن: بغداذ.
(٤) شباة الشيء: طرفه.
(٥) م، ي: وروينا.
(٦) م، ي: - تعالى.
(٧) [إبراهيم: ٥]

جاء في التفسير: بآلاء الله ونِعمه، فكنى عنها بالزمان الذي أوجدها فيه.

المعنى: رويناه من حديث ابن ماجة قال[1]: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى لموسى: اشكرني حقّ الشكر. قال: ومن يقدر على ذلك؟ قال: يا موسى؛ إذا رأيت النعمة منّي فقد شكرتني».

حدّثنا محمد بن قاسم من حديث اليسع لمّا ذكر النور الأبهى، حيث كان الزّج[2] الأقدس الأسنى، بالمعراج المحمّدي الأعلى، على الرفرف الأنزه الأزهى، أنّ عنده بين يديه أو خلفه - لا أدري أيّ ذلك قال- صُوَر على صور بني آدم، فإذا فعل العبد هنا قبيحًا تغيّر وجه تلك الصورة الشبيهة به هناك، فيرسل الله سترًا بينها وبين سائر الصور، وإذا فعل العبد هنا حسنا حسّن وجه تلك الصورة الشبيهة به هناك، فيرفع الستر بينها وبين سائر الصور، فينظر تلك الصور إلى ما أعطيت تلك الصورة من الحسن. قال: وعبادة تلك الصور هناك: "سبحان من أظهر الجميل، وستر القبيح". وأنشدنا لبعضهم:

جعلت توسّلي دمعي وذلّي ... ومثلي من توسّل بالدموعِ
وبالحزنِ الشديد ووضع خدّي ... على أرض التنصّلِ والخضوعِ
عسى المولى يجود بكشف ضرّي ... ويقضي بالإنابة والرجوعِ

قال ابن عطاء: إذا تنفّس العبد افتقارًا وذلًّا، هتك بذلك النفَس كلّ حجاب حال بين سرّه وبين مشاهدة[3] ربّه. يؤيّد هذا القول في باب المعرفة: «من عرف نفسه عرف ربّه».

قال القائل:

لبستُ ثوب الدجى والناس قد رقدوا ... وقمت أشكو إلى مولاي ما أجدُ
أشكو إليك ذنوبًا أنت تعلمها ... ما لي على حملها صبر ولا جلدُ
وقد مددتُ يدي بالذلّ صاغرة ... إليك يا خير من مُدّت إليه يدُ

وقال الآخر:

إليك قصدي بفقري لا إلى أحدٍ ... فخذ بفضلك من بحر الهوى بيدي
وانظر إليّ فكم أوليتني حسنًا ... ما مرّ يومًا على بالي ولا خلدي
يا من أجاب دعائي بعد معصيتي ... ومن عليه وإن أخطأت معتمدي

---

(١) أ، ر، ن: - قال.

(٢) م، ي: الروح.

(٣) م، ي: - مشاهدة.

حكى لنا بعض شيوخنا أنّ الحسن بن هاني المستهتر[1] بالمعاصي، رآه بعض أصحابه في النوم، وهو على حالة حسنة، فقال له، وقد أنكر في نفسه ما رآه من حسن حاله، مع ما يعرفه من خبث سيرته: ما فعل الله بك يا أبا نوّاس؟ قال: غفر لي، وصيّر حالي إلى ما ترى! قلت له: فهل تعرف لذلك سببًا عملته سوى جوده سبحانه؟ فقال لي: يا أخي؛ من جود الله وعظيم منّته، أن وقفني قبل أن يقبضني، إلى أبيات عملتها في حالتي بقلب منكسر وحسن ظنٍّ بمن لجأت إليه في وقت ضرورتي، فقبِل منّي ذلك وغفر لي. قال: فقلت له[2]: فأنشدني[3] إيّاها. قال لي: تراها في بيتي تحت وسادتي. فاستيقظت، وجئت البيت، واستأذنت، فرفعت الوسادة التي كانت تحت رأسه، فإذا بالرقعة تلوح، فتناولتها، فإذا فيها:

يا ربّ إن عظمتْ ذنوبي كثرة ... فلقد علمت بأنّ عفوك أعظمُ
إن كان لا يرجوك إلّا محسن ... فمن الذي يدعو ويرجو المجرمُ
أدعوك ربّ كما أمرتَ تضرّعًا ... فإذا رددتَ يدي فمن ذا يرحمُ
ما لي إليك وسيلة إلّا الرجا ... وجميل ظنّي ثمّ إنّي مسلمُ

غضب السلطان على جماعة من العلماء خرجوا[4] عليه ووقعوا فيه، فلمّا ظفر بهم أمر بقتلهم، فبلغ الخبر شيخنا أبا مدين رحمه الله، وكان مَرعي الجانب[5] عند السلطان والخاصة والعامة، فأخذ عصاه وخرج، فلمّا جاء دار السلطان أبصر القومَ على تلك الحالة، فبكى وأُخبر السلطان بمكانه فتلقّاه، وقال: ما جاء بالشيخ في هذا الوقت؟ فقال: الشفاعة في هؤلاء. فقال السلطان: أوما تعرف يا شيخ إساءتهم؟ فقال: يا أبا علي؛ وهل على المحسنين من سبيل؟ وهل الشفاعة إلّا في أهل الكبائر من المسيئين؟ فاستعبر السلطان، وعفا عن الجميع، وانصرف.

قرأنا في الخبر الأوّل أنّ الخليل عليه السلام، اتّفق له قضيّتان متعارضان: أُدّب في الواحدة، وشكر في الأخرى[6]، فإنّ الله تعالى هو متولّي آداب عباده الصالحين. أمّا التي شكر عليها فمن هذا الباب، وذلك أنّه عليه السلام نزل به رجل من عبدة الأوثان، فأضافه الخليل وأكرمه،

(١) ج، م: المشتهر.
(٢) م، ي: - له.
(٣) م، ي: فقلت: أنشدني.
(٤) م، ي: وخرجوا.
(٥) م، ي: الجناب.
(٦) النسخ عدا ج: الآخر.

فضجّت الملائكة في السماوات، قالوا: ربّنا؛ خليلك يكرم عدوّك! فقال لهم جلّت قدرته: يا ملائكتي؛ أنا أعلم بخليلي منكم. ثمّ أمر جبريل عليه السلام، فنزل، وعرض عليه قول الملائكة. فبكى إبراهيم وقال: يا جبريل؛ قل لمولاي: منك تعلّمت -يشير إلى حكاية الأدب التي أسوقها بعد هذه إن شاء الله تعالى- رأيتك تحسن إلى من أساء فتعلّمت منك.

وأمّا حكاية الأدب، فنزل به ﷺ رجل من عبدة الأوثان، فاستضافه، فقال له إبراهيم: لا أضيفك حتى تُسلم، فأبى عليه وانصرف، فأمر اللهُ جبريلَ أن ينزل على إبراهيم[1] عليه السلام، فقال له: يا إبراهيم؛ يقول لك ربّك استضافك عبدي فشرطتَ عليه أن يترك دينه من أجل لقمة يأكلها عندك، وأنا أرزقه منذ ثمانين سنة على شِركه، فلمّا أبى عليك تركتَه؟ قال: فبكى إبراهيم، ثمّ قام يقفو أثر الوثني إلى أن لحق به، فعرض عليه الرجوع، فأبى عليه أو يخبره بسبب ذلك. فقال له إبراهيم: إنّ الله[2] عتبني فيك، وقال لي ذيت وذيت. فبكى الوثني وقال[3]: يا إبراهيم؛ هذا هو الكريم الذي ينبغي أن يُعبد وحده[4]، يا إبراهيم؛ أسلمت لله ربّ العالمين، فأسلم الوثني. هذا نتيجة الكرم.

وأنشد بعضهم:

أطمعتني بالجود حين بدأتني ... أفلا أؤمّل نعمة الإتمامِ
حاشا الكريم إذا تفضّل منعِمًا ... مما يشين محاسن الإنعامِ

وفي معنى هذين البيتين، ما سمعت شيخنا الشَّنْخَتَّة بإشبيلية وهو يقول لرجل[5] -وما رأت عيني رجلًا قط أحسن شيبة ولا وجهًا منه، ودموعه قد أخضلت لحيته-: يا أخي؛ حاشا الكريم أن يمنّ عليّ بالإسلام ابتداءً قبل أن أسأله، ثمّ ينزعه منّي مع سؤالي. هذا نقيض الكرم. وعلا بكاؤه وعظم انتحابه. فبكينا لبكائه رضي الله عنه. وهو[6] من أجلّ من لقيت في طريق الله.

ومن حميد الخصال

ما اشترط عبد الملك بن مروان على الشعبي، لمّا دخل عليه قال له: يا شعبي؛ جنّبني

---

(١) م، ي: الخليل.
(٢) م، ي: ربّي.
(٣) م، ي: فقال.
(٤) أ، ج، ر، ن: - يا إبراهيم؛ هذا هو الكريم الذي ينبغي أن يُعبد وحده.
(٥) م، ي: - لرجل.
(٦) أ، ر، ن: هو. م، ي: فهو.

خصالًا أربعًا، وما شئتَ فافعل. قال: يا أمير المؤمنين؛ وما هي؟ قال: الواحدة؛ لا تطريني في وجهي، ولا أجربن عليك كذبة، ولا تغتابنّ عندي أحدًا، ولا تفشينّ لي سرًّا، فقل ما شئت يا شعبي. فقال الشعبي: أيأذن لي أمير المؤمنين في الانصراف. قال: انصرِف، فانصرَف وما تكلّم.

ولبعضهم في الكتمان:

النجم أقرب من سرّي إذا اشتملتْ منّي على السرّ أضلاعي وأحشائي

ولنا في مصراع من قصيدة:

فالسرّ ميت بقلب الحرّ مدفونُ

أخذته من قول القائل: قلوب الأحرار قبور الأسرار.

وقال الآخر:

ونفسك فاحفظها ولا تفش للعدى من السرّ ما يطوى عليه ضميرها
فما يحفظ المكتوم من سرّ أهله إذا عقد الأسرار ضاع كثيرها[1]
من القوم إلّا ذو عفاف يعينه على ذاك منه صدق نفس وخيرها

يقال لكاتم سرّه: مِن كتمانه إحدى فضيلتين: الظفر بحاجته، والسلامة من شرّه.

موطن شكر

قال في الحكمة: ينبغي لذي اللبّ أن يصون شكره عمّن لا يستحقّه، ويستر[2] ماء وجهه بالقناعة، وهو الرضى بالموجود في الوقت، وعدم التجاوز عنه إلى ما يذهب بماء الوجه، فمن أراد أن تعظم[3] منزلته فليكفّ مسألته. ومن أحبّ الزيادة من النعم فليشكر. قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[4].

يحكى عن بعض الأعراب أنّه رؤي وهو يتعلّق بأستار الكعبة وهو يقول: أحمدك سبحانك لا أشكرك. فعاتبه بعض الطائفين في ذلك، فقال: إنّه أعطاني الفقر، فإن شكرته عليه أخاف من زيادة فقري، فإنّ وعده حقّ. ثمّ انصرف. فلمّا جاءت السنة الثانية رؤي

(١) أ، ر، ن، ي: كبيرها.
(٢) م، ي: ويصن.
(٣) م، ي: يعظم.
(٤) [إبراهيم: ٧]

حسن الهيئة، وهو يحسن الثناء والشكر على الله، فقيل له: فأين هذا من ذاك؟ فقال: إنّه سبحانه أنعم عليّ بالخير بالشاءِ والإبل، فأشكر للزيادة فإنّ وعده حقّ[1].

قال بعضهم: من أحبّ بقاء عزّه فليسقط دالّته[2] ومكره.

محلّ صنائع المعروف

في الحكمة الأولى: المعروف إلى الكرام يُعقِب خيرًا، وإلى اللئام يُعقِب شرًّا.

ومثل ذلك[3] المطر يشرب منه الصدف فيعقب لؤلؤًا، ويشرب منه الأفاعي فيعقب سمًّا.

حكاية

ذُكر أنّ جماعة من الأعراب أثاروا ضبعًا، فدخلت خباء شيخ، فقصدوه، فخرج إليهم فقال: ما بغيتكم؟ قالوا: جارك. قال: أما إذ قد سمّيتموه جاري فإنّ هذا السيف دونه. فتركوه. وكانت[4] الضبع هزيلًا، فأحضر لها من لقاحه، وجعل يسقيها حتى عاشت، فنام الشيخ فوثبت عليه فقتلته[5]. فقال شاعرهم في ذلك:

ومن يصنع المعروف في[6] غير أهله ... يلاقي الذي لاقى مجير أمّ عامرِ
أقام لها لمّا أناخت ببابه ... لتسمن ألبان اللقاح الدرائرِ
فأسمنَها حتى إذا ما تمكّنتْ ... فرته بأنياب لها وأظافرِ
فقل لذوي المعروف هذا جزاء مَن ... يعود بإحسان إلى غير شاكرِ

يا أخي؛ أما لك فيما ترى معتبر؟ الله يرسل نعمه على عبديه؛ فالكريم منهما يطيعه بها، واللئيم منهما يستعين على معصيته بها.

يقول سفيان: وجدنا أصل كلّ عداوة اصطناع المعروف إلى اللئام.

يحكى عن بعض الأعراب أنّه أخذ جرو ذئب عندما ولد قبل أن يعرف أمّه، فاحتمله

---

(١) م، ي: - ثمّ انصرف. فلمّا جاءت السنة الثانية رؤي حسن الهيئة، وهو يحسن الثناء والشكر على الله، فقيل له: فإين هذا من ذاك؟ فقال: إنّه سبحانه أنعم عليّ بالخير بالشاه والإبل، فأشكر للزيادة فإنّ وعده حقّ.

(٢) م، ي: حالته.

(٣) أ، ن، ي: ومثل ذلك مثل.

(٤) ج، م، ي: وكان.

(٥) م، ي: فأحضر له من لقاحه، وجعل يسقيه حتى عاشت، فنام الشيخ فوثب عليه فقتله.

(٦) ج، م: مع.

إلى خبائه، وقرّب له شاة، فلم يزل الذئب يمتصّ من لبنها حتى سمن وكبر، ثمّ شدّ على الشاة فقتلها. فقال الأعرابي في ذلك:

غذتك شويهتي ونشأت عندي فما أدراك أنّ أباك ذيبُ
فَجَعتَ نسيةً وصغار قوم بشاتِهم وأنت لهم ربيبُ
إذا كان الطباع طباع سوء فما يجدي التحفّظ والأديبُ

وفي باب الأخلاق ومكارمها

في الحكمة: عليك بالصدق، فما السيف القاطع في كفّ الشجاع بأعزّ من الصدق، والصدق عزٌّ وإن كان فيه ما تكره، والكذب ذلّ وإن كان فيه ما تحب، ومن عرف بالكذب اتّهم في الصدق.

ولبعضهم:

لا يكذبُ المرء إلّا من مهانته أو عادةِ السوء أو من قلّة الأدبِ

مذكور في كتاب الهندي: ليس لكذوب مروءة، ولا لضجور رياسة، ولا لملول وفاء، ولا لبخيل صديق.

يقول بعضهم: الصدق ميزان الله الذي يدور عليه العدل، والكذب مكيال الشيطان الذي يدور عليه الجور.

من عفا عن قدرة

يحكى أنّ أمير المؤمنين هارون الرشيد، أمر يحيى بن خالد بحبس رجل جنى جناية فحبسه، ثمّ سأل عنه الرشيد فقيل: هو كثير الصلاة والدعاء. فقال للموكّل به: عرّض له بأن يكلّمني، ويسألني إطلاقه. فقال له الموكّل ذلك، فقال: قل لأمير المؤمنين؛ إنّ كلّ يوم مضى من نعمتك ينقص من محنتي، والأمر قريب، والوعد الصراط، والحاكم الله. فخرّ الرشيد مغشيًّا عليه، ثمّ أفاق وأمر بإطلاقه.

حكاية

ظفر المأمون برجل كان يطلبه، فلمّا دخل عليه قال: يا عدوّ الله؛ أنت الذي تفسد في الأرض بغير الحقّ؟ يا غلام؛ خذه إليك فاسقِه كأس المنيّة، فقال: يا أمير المؤمنين؛ إن رأيت أن تستبقيني حتى أؤيّدك بمال. قال: ليس إلى ذلك سبيل. فقال: يا أمير المؤمنين؛ فدعني

أنشدك أبياتًا، فقال: هات، فأنشده:

زعموا بأن الصقر صادف مرّةً عصفور برّ ساقه المقدورُ
فتكلّم العصفور تحت جناحه والصقر منقضّ عليه يطيرُ
ما كنتُ خاميزًا[1] لمثلك لقمة ولئن شويتُ فإنّني لحقيرُ
فتهاون الصقر المدلّ بصيده كرمًا وأفلتَ ذلك العصفورُ

فقال له المأمون: أحسنت، ما جرى ذلك على لسانك إلّا لبقيّةٍ بقيت من عمرك. فأطلقه، وخلع عليه ووصله.

حكاية مضحكة

ذكر[2] أنّ معلّمًا كان يعلّم الصبيان، وكان اسمه أبو عاصم، فبينا هو ذات يوم قاعد وبين يديه ثلاثة من صبيان الأعراب صغار يعلّمهم، إذا به ضرط، فقال أحد الصبيان:

وضرطة جاءت على غفلة من مغلق الشيخ أبي عاصمِ

فقال الآخر:

فأيقظتْ من كان من نائم وأقعدتْ من كان من قائمِ

فقال الثالث:

وانهدّت الأرض وأجبالها والتزم المظلوم بالظالم

حكاية في معناها

حكي عن بعضهم أنّ واليًا أُتي برجل جنى جنايةً فأمر بضربه، فلمّا مُدّ فقال: بحقّ رأس أمّك إلّا عفوت عنّي، قال: أوجِع، قال: بحقّ خدّيها ونحرها، قال: اضرب، قال: بحقّ ثدييها، قال: اضرب، قال: بحقّ سُرّتها، قال: ويلكم دعوه لا ينحدر قليلًا.

وأُتي محتسب كان عندنا بفاس بشاعر جنى، فأمر بضربه، فسأله العفو حتى أغضبه، فصاح على الضرّاب: شدّ عليه، ففي صيحته تلك[3] ضرط المحتسب ضرطات. فقال في ذلك، والسياط تأخذه:

اسمعوني واعجبوا ضرط المحتسبُ

---

(١) الخاميز: طعامٌ يُتَّخَذُ من لحمِ عِجْلٍ بِجِلْدِهِ، أو مَرَقُ السِّكْبَاجِ المُبَرَّدُ المُصَفَّى من الدُّهْنِ.
(٢) م، ي: ذكروا.
(٣) م، ي: - تلك.

ضرطة صافية طار منها العنبُ
سهّلت حلق[1] سلا وعّرت وادي سبُ
سبعة في نسق بُ بُ بُ بو ب ب بُ[2]

كتاب رسول الله ﷺ إلى كسرى ملك فارس، وما كان منه في ذلك

روينا من حديث أحمد بن عبد الله قال: ثنا حبيب بن الحسن، ثنا محمد بن يحيى، ثنا أحمد بن محمد بن أيوب، ثنا إبراهيم بن سعد، عن صالح بن كيسان قال[3]: قال ابن شهاب، أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أنّ ابن عباس أخبره أنّ رسول الله ﷺ بعث بكتابه إلى كسرى، مع عبد الله بن حذافة، وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين[4]، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلمّا قرأه كسرى خرَقه. قال ابن شهاب: فحسبت أنّ ابن المسيّب قال: فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يمزَّقوا كلّ ممزّق.

قال محمد بن إسحق: وبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعيد بن سهم إلى كسرى بن هرمز ملك فارس، وكتب معه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله النبي إلى كسرى عظيم فارس؛ سلام على من اتّبع الهدى، وآمن بالله[5]، وشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمدًا عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الله، فإنّي رسول الله إلى الناس كافّة لأنذر من كان حيًّا ويحقّ القول على الكافرين، فأسلم تسلم، فإن أبيت فإنّ إثم المجوس عليك.

فلمّا قرأ كتاب رسول الله ﷺ شقّقه، وقال: يكتب إليّ بهذا الكتاب وهو عبدي! قال محمد بن إسحق[6]: فبلغني أنّ رسول الله ﷺ قال: مُزِّق ملكه، حين بلغه شقّ كتابه.

ثمّ كتب كسرى إلى باذان، وهو على اليمن: ابعث إلى هذا الرجل[7] الذي بالحجاز من

---

(١) م، ي: سهللت حق.
(٢) انتهى السمر.
(٣) م، ي: - قال.
(٤) عظيم البحرين: هو المنذر بن ساوى العبدي نائب كسرى على البحرين.
(٥) م، ي: به.
(٦) م، ي: - قال محمد بن إسحق.
(٧) م، ي: - الرجل.

عندك رجلين جلدين، فليأتياني به. فبعث باذان قهرمانه، وهو أبا نويه، وكان كاتبًا حاسبًا بكتاب ملك فارس، وبعث معه برجل من الفرس يقال له خرخرشويه، وكتب معهما إلى رسول الله ﷺ يأمره أن ينصرف معه إلى كسرى، وقال لأبي نويه: ويلك؛ انظر ما الرجل؟ وكلّمه، وائتني بخبره. فخرجا حتى قدما الطائف، فسألاهم[1] عنه، فقالوا: هو بالمدينة، فاستبشروا بهما، وفرحوا. فقال بعضهم لبعض: ابشروا فقد نُصب له كسرى ملك الملوك، كفيتم الرجل.

فخرجا حتى قدما المدينة على رسول الله ﷺ، فكلّمه أبو نويه وقال: إنّ شاهٍ شاه ملك الملوك كسرى كتب إلى الملك باذان يأمره أن يبعث إليك من يأتي بك، وقد بعثني إليك لتنطلق معي، فإن فعلتَ كتب فيك إلى ملك الملوك بكتاب ينفعك ويكفّ به عنك، وإن أبيت فهو من قد علمت، وهو مهلكك ومهلك قومك ومخرّب بلادك.

فدخلا على رسول الله ﷺ وقد حلقا لحاهما، وأعفيا شواربهما، فكره النظر إليهما وقال: ويلكما، مَن أمركما بهذا؟ قالا: أمرنا بهذا ربّنا، يعنيان كسرى. فقال رسول الله ﷺ: لكنّ ربّي أمرني بإعفاء لحيتي، وقصّ شاربي. ثمّ قال لهما: ارجعا حتى تأتياني غدًا.

وأتى رسول الله ﷺ الخبر، أنّ الله ﷻ سلّط على كسرى ابنه شيرويه، فقتله في شهر كذا وكذا، في ليلة كذا وكذا، لعدّة ما مضى من الليل، فلمّا أتيا رسول الله ﷺ قال لهما إنّ الله ﷻ قد قتل ربّكما ليلة كذا وكذا من شهر كذا وكذا، سلّط عليه ابنه شيرويه[2]، فقتله. فقالا: هل تدري ما تقول، فنكتب بهذا عنك، ونخبر الملك؟ قال: نعم؛ أخبراه ذلك عنّي، وقولا له: إنّ ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ مُلك كسرى، وينتهي إلى منتهى الخفّ والحافر. وقولا له: إنّك إن أسلمتَ أعطيتك ما تحت يديك، وملّكتك على قومك. ثمّ أعطى خرخرشويه منطقة[3] فيها ذهب وفضّة، كان أهداها له بعض الملوك.

فخرجا من عنده حتى قدما على باذان، فأخبراه الخبر[4]، فقال: واللهِ؛ ما هذا بكلام

---

(١) م، ي: فسألا.

(٢) ر، م، ي: - فقتله في شهر كذا وكذا، في ليلة كذا وكذا، لعدّة ما مضى من الليل، فلمّا أتيا رسول الله ﷺ قال لهما إنّ الله ﷻ قد قتل ربّكما ليلة كذا وكذا من شهر كذا وكذا، سلّط عليه ابنه شيرويه. والعبارة مرتبكة في بقية النسخ وهذا النص من أ.

(٣) منطقة: حزام.

(٤) م، ي: بالخبر.

ملِك، وإنّي لأرى هذا الرجل نبيًّا كما يقول، ولننظرن ما قال؛ فلئن كان ما قد قال حقًّا، ما فيه كلام إنّه لنبيّ مرسل، وإن لم يكن فسنرى فيه رأينا. فلم ينشب[1] باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه:

أمّا بعد، قد[2] قتلتُ كسرى، ولم أقتله إلّا غضبًا لفارس، لما كان استحلّ من قتل أشرافهم وتجهيزهم وبعوثهم. فإذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قِبلك، وانظر الرجل الذي كتب إليك كسرى، فلا تهجه حتى يأتيك أمري.

فلمّا انتهى كتاب شيرويه إلى باذان قال[3]: إنّ هذا الرجل لرسول. فأسلم وأسلمت الأبناء من فارس، من كان منهم باليمن. فكانت حمير تقول: لخرخرشويه ذو المعجزة للمنطقة التي أعطاه رسول الله ﷺ، والمنطقة بلسان حمير: المعجزة، فبنوه اليوم باليمن، ينسبون إليها خرخرشويه ذو المعجزة. وقد قال أبو نويه لباذان: ما كلّمت رجلًا قط أهيب عندي منه. فقال له باذان: هل معه شُرَط؟ قال: لا.

أُنسٌ بعرفان[4] وخلوة برحمان

حدّثنا محمد بن إسماعيل، ثنا علي بن النفيس، ثنا عبد الرحمن بن علي بن محمد، أنا أبو بكر الصوفي، أنا أبو سعيد الحيري، أنا ابن باكويه الشيرازي، ثنا عبد الواحد بن بكر الورثاني، أنا أبو بكر أحمد بن محمد المارستاني، عن محمد بن عيسى القرشي، حدّثني أبو الأشهب السائح: رأيت بين الثعلبيّة والخزيميّة غلامًا قائمًا يصلّي عند بعض الأميال، قد انقطع عن الناس، فانتظرته حتى قطع صلاته، ثمّ قلت له: ما معك مؤنس؟ قال: بلى. قلت: وأين هو؟ قال: أمامي ومعي[5] وخلفي وعن شمالي وعن يميني وفوقي. فعلمتُ أنّ عنده معرفة. فقلت له: أما معك زاد؟ قال: بلى. قلت: وأين هو؟ قال: الإخلاص لله ﷻ، والتوحيد له، والإقرار بنبيّه ﷺ، وإيمان صادق، وتوكّل واثق. قلت: هل لك في مرافقتي؟ قال: الرفيق شُغل عن الله ﷻ، ولا أحبّ أن أرافق أحدًا فأشتغل به عنه طرفة عين. قلت: أما تستوحش في هذه البرّيّة وحدك؟ قال: إنّ الأنس بالله قطع عنّي كلّ وحشة، حتى لو كنت بين السباع

---

(١) ج، م، ي: يلبث. (وهي بذات المعنى).

(٢) م، ي: فقد.

(٣) م، ي: فقال.

(٤) م، ي: بفرقان.

(٥) م، ي: - ومعي.

ما خِفتها، ولا استوحشت منها. قلت: فمن أين تأكل؟ قال: الذي غذّاني في ظُلَمِ الأرحام صغيرًا تكفّل برزقي كبيرًا. قلت: في أيّ وقت تجيئك الأسباب؟ فقال: لي حدّ معلوم، ووقت مفهوم، إذا احتجت إلى الطعام أصبته في أيّ موضع كنت، وقد علم ما يصلحني، وهو غير غافل عنّي. قلت: لك حاجة؟ قال: نعم. قلت: وما هي؟ قال: إن رأيتني فلا تكلّمني، ولا تعلِم أحدًا أنّك تعرفني. قلت: لك ذلك. فهل حاجة أخرى؟ قال: نعم. قلت: وما هي؟ قال: إن استطعت أن لا تنساني في دعائك، وعند الشدائد إذا نزلتْ بك فافعل. قلت: كيف يدعو مثلي لمثلك وأنت أفضل منّي خوفًا وتوكّلًا؟ فقال: لا تقل هذا؛ إنّك قد[1] صلّيت لله ﷻ قبلي، وصمتَ قبلي، ولك حقّ الإسلام، ومعرفة الإيمان. قلت: فإنّ لي أيضًا حاجة. قال: وما هي؟ قلت: أدع الله لي. قال: حجب الله طرفك عن كلّ معصية، وألهم قلبك الفكر فيما يرضيه، حتى لا يكون لك همّ إلّا هو. قلت: يا حبيبي؛ متى ألقاك وأين أطلبك؟ قال: أمّا في الدنيا فلا تحدِّث نفسك بلقائي فيها، وأمّا الآخرة فإنّها مجمع المتّقين، فإيّاك أن تخالف الله فيما أمرك وندبك إليه، وإن كنت تبغي لقائي فاطلبني مع الناظرين إلى الله تعالى في زمرتهم. قلت: وكيف علمت؟ قال: بغضِّ طرفي له عن كلّ محرَّم، واجتنابي فيه كلّ منكر ومأثم، وقد سألته أن يجعل جنّتي النظر إليه. ثمّ صاح وأقبل يسعى حتى غاب عن بصري.

تذكرة[2] بلسان حال

روينا من حديث المالكي، عن محمد بن غالب، عن محمد بن إبراهيم، عن إسماعيل بن عبد الكريم، عن عقيل بن معقل، عن وهب بن منبّه، قال: ما من شعرة تبيضّ إلّا تقول للسوداء: يا أختاه قد أتاك الموت فاستعدّي.

حدّثنا محمد بن أحمد الهروي، عن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن، عن أبي الفضل محمد بن أحمد الماهياني، سمعت محمد بن القاسم الصفار، سمعت حمزة بن عبد العزيز، سمعت أبا بكر الأبهري، سمعت يوسف بن الحسين، سمعت ذا النون المصري يقول: الحسود لا يسود.

إيقاع وحسن استماع

حدّثنا أحمد بن محمد، ثنا الثقفي، ثنا أبو عبد الرحمن السلمي، ثنا أحمد بن سعيد، ثنا

---

(١) م، ي: - قد.

(٢) أ، ج، ر، ن: تذكيره.

محمد بن سعيد المروزي، ثنا العباس الترقفي، ثنا عبد الله بن عمرو الوراق، ثنا الحسين بن علي بن منصور، ثنا أبو غياث البصري، عن إبراهيم بن محمد الشافعي أنّ سعيد بن المسيّب مرّ في بعض أزقّة مكة فسمع الأخضر الجدى يتغنّى في دار العاص بن وائل ويقول:

تضوّع مسكًا بطنُ نعمان إن[1] مشتْ ... به زينبٌ في نسوةٍ عطراتِ
فلمّا رأت ركب النَّميري أعرضتْ ... وهُنّ من أن يلقينَهُ حذِراتِ

قال: فضرب برجله الأرض زمانًا وقال: هذا مما يلذّ سماعه، وكانوا يرون أنّ الشعر لسعيد.

وللشريف الرضي أنشدني ابن فرقد:

ألا هل إلى ظلّ الأثيل تخلّصٌ ... وهل لثنيّات الغوير طلوعُ
وهل لليالينا الطوال تصرُّم ... وهل لليالينا القصار رجوعُ

وأنشد له[2] أيضًا في ذلك:

أقول لركب رائحين لعلّكم ... تحلّون من بعد العقيق اليمانيا
خذوا نظرةً منّي فلاقوا بها الحمى ... ونجدًا وكثبان اللوى والمطاليا
ومرّوا على أبيات حيّ برامةٍ ... وقولوا لديغٌ يبتغي اليوم راقيا
عدمتُ دوائي بالعراق فربما ... وجدتم بنجدٍ لي طبيبًا مداويا
وقولوا لجيرانٍ على الخيف من منىً ... تراكم من استبدلتم بجواريا
ومن ورد الماء الذي كنت واردًا ... به ورعى العشب الذي كنت راعيا
فوا حسرتا كم لي على الخيف شهقة ... تذوب عليها قطعة من فؤاديا
ترحّلتُ عنكم لي أمامي نظرة ... وعشر عشر[3] بعدكم من ورائيا

ومن نظمِه أيضًا في ذلك:

مَن معيدٌ لِيَ أيّـ ... ـامي بجزع السمُراتِ
ولياليا بجمع ... ومنًى والجمراتِ
يا وقوفًا ما وقفـ ... ـنا في ظلال السلماتِ
نتشاكى ما عنانا ... بكلام العبراتِ
آه من جيد إلى الدـ ... ـار طويل اللفتاتِ

(١) م، ي: إذ.
(٢) م، ي: - له.
(٣) م، ي: وألف وألف.

وغرام غير ماضٍ بلقاءٍ غير آتِ
فسقى بطن منى والخيف صوب الغادياتِ[1]
غرست عندي غَرْسَ الشـ ـوق ممرور الجناةِ
أين راقٍ لغرامي وطبيب لشكاتي

دعاء مجاب لبعض نساء الأعراب[2]

روينا من حديث ابن مروان، عن إسماعيل بن يونس، عن الرياشي، عن الأصمعي، قال: سمعت أعرابيّة بعرفات وهي تقول: اللهمّ إن كان رزقي في السماء فأنزله، وإن كان في الأرض فأخرجه، وإن كان نائيًا فقرّبه، وإن كان قريبًا فيسّره.

حِفظ اللسان دليل على عقل الإنسان

رأيت اللسان على أهله إذا ساسه الجهل ليثًا مغيرا

وقال بعض العرب لآخر يعظه: إيّاك أن يضرب لسانك عنقك.

وقال أكثم بن صيفي: مقتل الرجل بين فكّيه، يعني لسانه. والفكّان: اللحيان.

وكان أبو بكر الصديق ﷺ كثيرًا ما ينشد:

اخزن لسانك لا تقول فتبتلى إنّ البلاء موكّل بالمنطق

وقال المؤمّل:

شفّ المؤمّل يوم الحيرة النظرُ ليت المؤمّل لم يخلق له بصرُ

فعمي في مجلسه ذلك.

ومن باب العناية الإلهيّة

ما حدّثنا به عبد الرحمن بن علي، ومحمد بن محمد بن محمد. فأمّا محمد بن محمد فقال: كتب إلينا، وأمّا عبد الرحمن فقال: قرأت على أبي القاسم الحريري، عن أبي طالب العشاري، عن مبادر بن عبيد الله[3] الصوفي قال: سمعت أبا الأزهر عبد الواحد بن محمد الفارسي قال: لقيت إبراهيم الخُتُّلي بمكة بعد رجوعه إلى وطنه، وتزويجه ابنة عمه، وكان قد قطع البادية

(١) م، ي: العاديات.
(٢) ج، م، ي: العرب.
(٣) ج، م، ي: عبد الله.

حافيًا، فحدّثني أنّه لمّا رجع إلى بلده، وتزوّج شُغِف بابنة عمّه شغفًا شديدًا حتى ما كان يفارقها لحظة. قال: فتفكّرت ليلة في كثرة ميلي إليها، فقلت: ما يحسن بي أن أرِد القيامة وفي قلبي هذه، فتطهّرتُ، وصلّيت ركعتين، وقلت: سيّدي؛ ردّ قلبي إلى ما هو أولى. فلمّا كان من الغد أخذتها الحمّى، وتوفّيتْ في اليوم الثالث. فنويت الخروج حافيًا من وقتي إلى مكة.

قلت: هكذا يحمي الله أولياءه ويختار لهم ويرعاهم.

ومن باب حثّ النفس على المجاهدة

ما حدّثنا به محمد بن الفضل، عن أبي منصور القزاز، عن أبي بكر الخطيب، عن أبي سعيد الصيرفي، عن أبي عبد الله الأصفهاني، عن أبي بكر القرشي، عن الحسين بن عبد الرحمن قال: حج سعيد بن وهب ماشيًا، فبلغ منه الجهد، فقال:

قدميّ اعتورا رمل الكثيبِ ... وأطرقا الآجن من ماء القليبِ
ربّ يوم رحتما فيه على ... زهرة الدنيا وفي وادٍ خصيبِ
وسماعٍ حسنٍ من حسن ... صخب المزهر كالظبي الربيبِ
فاحسبا ذاك بهذا واصبرا ... وخذا من كلّ فنٍّ بنصيبِ
إنما أمشي لأنّي مذنبٌ ... فلعلّ الله يغفر عن ذنوبي

ومن باب حنين الإبل وسيرها[1]

يا لزماني على الحمى عجبَا ... وأيّ زمان مضى وأيّ حمى
حلفت بالراقصات تجهد ... أعناقًا حقوبًا وأظهرًا سنما
تحسب أشخاصها إذا اختلطت ... بالأكم الوقص في الدجى أكما
تحمل شعثًا إذا هم ذكروا ... ذخيرة الأجر غالطوا السأما
عدوًا نزاعًا من عامهم وتقى ... أيّام جمع والأشهر الحرما
حتى أناخوا بذي الستور ملبّـ ... ـين بأرض كادت تكون سما

ومن هذا الباب:[2]

أجاذبها لو أمكنتْ من زمامها ... أريد وراءً والهوى من أمامها
فما الحزن إلّا بين حلمي وخرقها ... وبين زفيري خائفًا وبُغامها

(١) القصائد في هذا الباب لمهيار الديلمي.

(٢) م، ي: - هذه القصيدة.

يعزّ عليها نومها[1] تحت كورها بما فات من أيّامها في مشامها
وأن تُعلف الرطب الخليط ببابل مكان أراكٍ حاجر وبَشامها
فليت بلادا شرّها في قصورها فداء بيوت خيرها في خيامها

ومن هذا الباب:

ردّوا لها أمامها بالغميم إن كان من بعد شفاء نعيم
ولا تدلّوها فقد أمّها أدلّة الشوق وهادي الشميم

ومن هذا الباب:

أمن خفوق البرق تُرزمينا حِنّي فما أمنعك الحنينا
سيري يمينًا وسُراك شامة فضلّت ما تتلفّتينا[2]
نعم تشاقين ونشتاق له ونعلن الوجد وتكتمينا
فأين منك اليوم أو منّا الهوى وأين نجدٌ والمغورونا

ومن هذا الباب:

أين تريد يا مثير الظعنِ أوطنٌ برامة بوطنِ
حبسًا ولو زادك من مضمضة بين الفرار[3] خائفًا والوسنِ
لعلّها أن تشتفي نائحة بالعبرات أعينٌ من أعينِ
كم كبدٍ كريمةٍ في برّةٍ خزمتها ومهجة في رَسنِ
يا قاتَلَ الله العذيبَ موقفًا على ثبوت قدمي أزلّني
يا زمني بالخيف بل يا جيرتي فيه وأين جيرتي وزمني
ليت الذي كان وطار شعبًا به الفراق بيننا لم يكنِ

خبر لَخنيعة مع ذي نواس

ولي حمير باليمن بعد هلاك عمرو بن أسعد تبّع لَخنيعة ذي شناتر، فقتل خيارهم، وعبث ببيوت أهل مملكته، وكان يعمل عمل قوم لوط، فكان يرسل إلى الغلام من أبناء الملوك فيقع عليه في مشربة له قد صنعها لذلك. فإذا فرغ مِن فسقه بالغلام يطّلع من مشربته تلك إلى حرسه، وقد أخذ سواكًا فجعله في فيه يعلمهم أنّه قد فرغ منه.

---

(١) أ، ر، ن: يومها.
(٢) أ، ر، ن: ما إن تتلقينا.
(٣) ج، م، ي: القرار.

حتى بعث إلى ذي نواس وهو زرعة بن أسعد تبّع[1] الذي كسا الكعبة، وكان وسيمًا ذا هيبة، وعقل من أجمل الغلمان. فلمّا أتاه رسول ذي شناتر عرف زرعة ما يريد به، فأخذ سكينًا لطيفًا فخبّأه بين قدمه ونعله. ثمّ أتاه، فلمّا خلا معه، وثب إليه، فواثبه ذو نواس فوجأه حتى قتله، ثمّ حزّ رأسه، فوضعه[2] في الكوّة التي كان يشرف منها، ووضع مسواكه في فيه، ثمّ خرج على الناس، فقالوا له: ذو نواس؛ أرطب أم يباس؟ فقال: سَل تحماس، استرطبان ذو نواس، استرطبن لا باس. فنظروا إلى الكوّة فإذا رأس لَخنيعة مقطوع، فخرجوا في أثر ذي نواس، حتى أدركوه، فقالوا: ما ينبغي أن يملكنا غيرك، إذ أرحتنا من هذا الخبيث. فملّكوه، واجتمعت عليه حمير وقبائل اليمن، فكان آخر ملوك حمير، ويسمّى يوسف، وعاش في الملك زمانًا.

الشناتر: الأصابع بلغة حمير. وتحماس: الرأس بلغتهم. واسترطبان: بمعنى استرطب. والكلام حميري يفهم بالغرض والقرينة، لأنّه يخالف كلام العرب.

قال أبو محمد بن سنان الخفاجي:

ودع النسيم يعيد من أخباره ... فله حواشٍ للحديث رقاقُ[3]
ما ثمّ من علق العذيب بغائبٍ ... إلّا وقد شهدتْ به الآماقُ

وقال أيضا:

ومهوّن للوجد يحسب أنّه ... يوم العذيب مدامع وخدودُ
سل بانة الوادي فليس يفوتها ... خبرٌ يطول به الجوى ويزيدُ
وانشدْ معي ضوء الصباح وقل له ... كم تستطيل بك الليالي السودُ
وإذا هبطتَ الواديين وفيهما ... دِمَنٌ حُبِسن على البكا وعهودُ
فأخدع فؤادي في الخليط لعلّه ... يهفو على آثارهم ويعودُ
أَصبابة بالجزع بعد سويقة[4] ... شغل لعمرك يا أميم جديدُ

وقال عبد الرحمن بن علي، حدّثناه كتابة:

في شُغُلٍ عن الرقاد شاغلِ ... من هاجه البرق بسفح عاقلِ

---

(١) م، ي: - تبع.
(٢) م، ي: حتى وضعه.
(٣) أ، ر، ن: رفاق.
(٤) ج، م، ي: سويقه. ن: سويعة.

يا صاحبي هذي رياح رَبعهم ... قد أخبرت شمائل الشمائلِ
نسيمهم سحيري الريح ما ... تشبهه روائح الأصائلِ
ما للصبا مولعة بذي الصبا ... أوَصَبًا فوق الغرام القاتلِ
ما للهوى العذري في ديارنا ... أين العذيب من قصور بابلِ
لا تطلبوا ثأرًا لنا يا قومنا ... دماؤنا في أذرع الرواحلِ
للهِ درّ العيش في ظلالهم ... ولّى وكم أسأر في المفاصلِ
واطربي إذا رأيت أرضهم ... هذا وفيها رميت مقاتلي
يا طرّة الشيح سقيت أدمعًا ... ولا ابتليت بالهوى تمايلي
ميلك عن زهو وميلي عن أسى ... ما طربُ المخمور مثل الثاكلِ

وقال مهيار الديلمي:

أهفو لعلويّ الرياح إذا جرت ... وأظنّ رامة كلَّ دار أقفرتْ
ويشوقني روض الحمى متنفّسًا ... يصف الترائب والبروق إذا سرتْ
نادين[1] قلبي من ليالي حاجر ... مكرت به يومًا عليه وأنقضتْ[2]

رسالة أبي بكر الصديق وإتباع عمر بن الخطاب لها إلى عليّ مع أبي عبيدة بن الجراح وجواب عليّ عن ذلك ومبايعته لأبي بكر رضي الله عنهم

عن[3] أبي حيّان علي بن محمد التوحيدي البغدادي قال: سمرنا ليلة عند القاضي أبي حامد أحمد بن بشر المروزي العامري في دار أبي حبشان في شارع المازبان، فتُصرّف الحديث كلّ متصرّف، وكان -واللهِ- مِعَنًّا، مِفَنًّا، مِخْلَطًا، مِزْيَلًا[4]، عزيز الرواية، لطيف الدراية، له في كلّ جوّ متنفّس، ومن كلّ نار مقتبَس.

فجرى حديث السقيفة، وشأن الخلافة، فركب كلّ منّا متنًا، وقال قولًا، وعرّض بشيء، ونزع إلى فنّ. فقال: هل فيكم من يحفظ رسالةً لأبي بكر الصديق إلى عليّ بن أبي طالب، وجواب عليّ له، ومبايعته إيّاه عقيب تلك المناظرة؟ فقالت الجماعة التي بين يديه: لا واللهِ.

---

(١) أ، ر، ن: يا دين.
(٢) انتهى السمر.
(٣) في النسخ: وعن.
(٤) المِزيل: الجَدِل في الخصومات.

قال: هي من بنات الحُقاق[1]، ومخبّآت الصناديق في الخزائن، ومذ حفظتها ما رويتها إلّا للمهلبي أبي محمد في وزارته، وكتبها عنّي بيده في خلوة، وقال: لا أعرف على وجه الأرض رسالة أعقل منها ولا أبيَن. وإنّها لتدلّ على حلم وعلم وفصاحة وفقاهة ودهاء ودِين وبُعد غور وشدّة غوص. فقال له أبو بكر العباداني: أيّها القاضي؛ لو أتممتَ المنّة بروايتها سمعناها، ونحن أوعى لها عنك من المهلّبي، وأوجب ذمامًا عليك، فاندفع فقال:

حدّثنا الخزاعي بمكة قال: ثنا ابن أبي ميسرة، ثنا محمد بن فليح، ثنا عيسى بن داب، ثنا صالح بن كيسان، ويزيد بن رومان وكان معلّم عبد الملك بن مروان، قالا: ثنا هشام بن عروة، ثنا أبو التياح مولى أبي عبيدة بن الجراح، وروى هذا الحديث وكان له عليه جرأة ظاهرة، وكان من محفوظاته القديمة. فلمّا كان بعد ذلك بدهر ذاكرنا بأحرف من هذه الرسالة ابن مروان، وكان نسيج وحده حفظًا وبيانًا واتّباعًا، فعرّفناه أنّ الحديث عندنا من جهة أبي حامد، فزعم أنّ أستاذه ابن شجرة أحمد بن كامل القاضي سرده، ولم يكن فيه صالح بن كيسان، وذكر مولى أبي عبيدة أبا النفاح بالنون والفاء، وخالف في أحرف، وأنا أكرر على الرسالة والحديث بعد ذكرهما، وأسمي حرفًا حرفًا مما وقع فيه الخلاف على جهة التصحيف، أو على جهة التحريف، على أنّني ما سمعت بحديث في طوله وغرابته بأحسن سلامة منه. وإنّما ذلك لأنّه صار إلينا من رواية هذين الشيخين العلّامتين. وكان سماعنا من أبي حامد سنة ستين، ومن أبي منصور سنة خمس وسبعين.

قال أبو حامد؛ قال أبو التياح: سمعت أبا عبيدة بن الجراح يقول: لمّا استقامت الخلافة لأبي بكر الصدّيق بين المهاجرين والأنصار، ولحظ بعين الهيبة والوقار، وإن كان لم يزل كذلك بعد هنّة كاده الشيطان بها، فدفع الله ﷻ شرّها، ورحض عرّها، ويسّر خيرها، وأزاح ضيرها[2]، وردّ كيدها، وقصم ظهر النفاق والفسق من أهلها.

بلغ أبا بكر الصديق عن علي بن أبي طالب تلكّؤ وشماس، وتهمهم ونَفاس، وكره أن يتمادى[3] الحال وتبدو العداوة وتنفرج ذات البين، ويصير ذلك دريبة لجاهل، أو لعاقل ذي دهاء أو صاحب سلامة ضعيف القلب خوّار العنان.

---

(١) الحقاق: الإدراك.

(٢) م، ي: ضرّها.

(٣) أ، ر، ن: تتمادى.

دعاني فحضرته، وعنده عمر بن الخطاب وحده، وكان يرمل أرضه بالسِّرجين[1]، وكان عمر قبسًا له، ظهيرًا معه، يستضيء برأيه، ويستملي على لسانه. فقال لي: يا أبا عبيدة؛ ما أيمن ناصيتك، وأبين الخير بين عارضيك، ولقد كنتَ من رسول الله ﷺ بالمكان المحوط والمحلّ المغبوط. ولقد قال فيك في يوم مشهود: «أبو عبيدة أمين هذه الأمة» وطالما أعزّ الله بك الإسلام، وأصلح مثأه على يديك. ولم تزل للدين ملجأ، وللمؤمنين دوحًا، ولأهلك ركنًا، ولإخوانك ردءًا. قد أردتك لأمر له ما بعده، خطره مخوف، وصلاحه معروف. وإن لم يندمل جرحه بسبارك[2]، ولم تجب حيّته برقيتك، فقد وقع اليأس، وأعضل البأس، واحتيج بعد ذلك إلى ما هو أمرّ من ذلك وأعلق، وأعسر منه وأغلق، والله أسأل تمامه بك، ونظامه على يديك. فتأتَّ له يا أبا عبيدة وتلطّف فيه، وانصح لله تعالى ولرسوله ﷺ ولهذه العصابة، غير آلٍ جهدًا، ولا قالٍ جدًّا، والله كالئك وناصرك ومبصّرك، وبه الحول والتوفيق.

امضِ إلى عليّ واخفض جناحك له، واغضض من صوتك[3]. واعلم أنّه سلالة أبي طالب، ومكانه ممن فقدناه بالأمس ﷺ مكانه، وقل له: البحر مغرقة، والبرّ مفرقة، والجو أكلف، والليل أغلف، والسماء جلواء، والأرض صلعاء، والصعود متعذّر، والهبوط متعسّر، والحقّ رءوف عطوف، والباطل شنوف عنوف، والضغن رائد البوار، والتعريض شجار الفتنة، والقعة ثقوب[4] العداوة، وهذا الشيطان متّكئ على شماله، متحبّل[5] بيمينه، نافخ حضنيه[6] لأهله، ينتظر الشتات والفرقة، ويدبّ بين الأمّة بالشحناء والعداوة، عنادًا لله ﷻ ولرسوله ﷺ ولدينه، ثالبًا يوسوس بالفجور، ويدلّي بالغرور، ويمنّي أهل الشرور، ويوحي إلى أوليائه بالباطل، دأبًا له مذ كان على عهد أبينا آدم ﷺ، وعادةً منه منذ أهانه ﷻ في سالف الدهر، لا ينجي منه إلّا بِعَضِّ الناجذ على الحقّ، وغضِّ الطرف عن الباطل، ووطء هامة عدوّ الله وعدوّ الدين، بالأشدّ فالأشدّ، والأجدّ فالأجدّ، وإسلام اليقين لله ﷻ فيما حاز رضاه وجنّب سخطه.

ولا بدّ الآن من قول ينفع إذ ضرّ السكوت وخيف غبّه. ولقد أرشدك من أفاد ضالتك،

---

(١) السرجين: الزبل.

(٢) السبار: مفرده السبر؛ وهو فتيلة تدخل في الجرح.

(٣) م، ن، ي: + عنه.

(٤) أ، ج، ر، م، ن: تقرّب.

(٥) ر، ن، ي: متحيل.

(٦) نافخ حضنيه: متعاظم متكبّر.

وصافاك من أحيا مودّته لك بعتابك، وأراد الخير بك مَن آثر البقيا معك. ما هذا الذي تسوّل لك نفسك، ويدوي به قلبك، ويلتوي به عليك رأيك، ويتحاوص دونه طرفك، ويسري فيه ظعنك، ويترادّ معه نفَسُك، وتكثر معه صعداؤك، ولا يفيض به لسانك.

أعجمة بعد إفصاح؟ أتلبيس بعد إيضاح؟ أدين غير دين الله عزّ وجهه؟ أخلق غير خلق القرآن؟ أهدي غير هدي النبيّ عليه السلام؟ أمثلي يمشي له الضرّ؟ أو يدبّ إليه الخمر؟ أم مثلك ينغص[1] عليه الفضاء؟ ويكسف في عينه القمر؟ ما هذه القعقعة بالشنان؟ وما هذه الوعوعة بالشنآن[2]؟ إنّك جدّ عارف باستجابتنا لله عزّ وجهه ولرسوله عليه السلام، وخروجنا عن أوطاننا وأموالنا وأولادنا وأحبّتنا هجرة إلى الله تعالى ذِكره، ولنصرة نبيّه[3] ﷺ في زمان أنت فيه في كنّ الصبا، وخدر[4] الغرارة، غافل عمّا تُشبّب وتُربّب، لا تعي ما يراد[5] ويشاد، ولا تحصّل ما يساق ويقاد، سوى ما أنت جار عليه إلى غايتك التي إليها عُدِّي بك، وعندها حطّ رحلك، غير مجهول القدر ولا مجحود الفضل.

ونحن في أثناء ذلك نعاني أحوالًا تزيل الرواسي، ونقاسي أهوالًا تشيب النواصي، خائضين غمارها، راكبين تيّارها، نتجرّع صابَها، ونشرّج عِيابها، ونتلقّى عُبابها، ونحكم أساسها، ونهرم أمراسها، والعيون تحدج بالحسد، والأنوف تعطس بالكبر، والصدور تستعر بالغيظ، والأعناق تتطاول بالفخر، والشفار تشحذ بالمكر، والأرض تميد بالخوف، ولا ننتظر عند المساء صباحًا، ولا عند الصباح مساءً، ولا ندفع في نحرِ أمر لنا إلّا بعد أن نحسو الموت دونه، ولا نتبلّغ إلى شيء إلّا بعد جرع الغصص معه، ولا نقوّم منآدا إلّا بعد اليأس من الحياة عنده، فادِين في كلّ ذلك لرسول الله ﷺ بالأب والأم، والخال والعم، والنشب والسبد واللبد[6]، والهلّة والبلّة، بطيب نفس وقرور عين، ورحب أعطان، وثبات عزائم، وصحّة عقول، وطلاقة أوجه، وذلاقة ألسن، هذا إلى خفيّات أسرار، ومكنونات أخبار كنتَ عنها

(١) الكلمة غير واضحة في النسخ، فهي: ينغص في أ، ينقض في ج، ينقص في م، ينعص في ن، ينقبض في ي، وحروفها المعجمة مهملة في ر.

(٢) ج، ر: باللسان.

(٣) النسخ عدا ج: لنبيّه.

(٤) ر، ن: وحذر.

(٥) أ، ر، ن: يزاد.

(٦) النشب والسبد واللبد: المال والشعر والصوف.

غافلًا، ولولا سنّك لم تكن عن شيء منها ناكلًا، كيف وفؤادك مشهوم[1]، وعودك معجوم، وغيبك مخبور، والقول فيك كثير.

والآن قد بلغ الله بك، وأرهص الخير لك، وجعل مرادك بين يديك، وعن علم أقول ما تسمع. فارتقب زمانك، وقلّص إليه أردانك، ودع التحبُّس والتعبُّس لمن لا يظلَع لك إذا خطا، ولا يتزحزح عنك إذا عطا. فالأمر غضٌّ، والنفوس فيها مضٌّ، وإنّك أديم هذه الأمّة فلا تحلم لجاجًا، وسيفُها العضب فلا تنبو اعوجاجًا، وماؤها العذب فلا تحل أجاجًا.

واللهِ لقد سألت رسول الله ﷺ عن هذا الأمر فقال لي: يا أبا بكر؛ هو لمن يرغب عنه، لا لمن يرغب فيه ويجاحش عليه، ولمن يتضاءل له لا لمن يتنفّج إليه، ولمن يقال: هو لك لا لمن يقول: هو لي.

واللهِ لقد شاورني رسول الله ﷺ في الصِّهر، فذكر فتيانًا من قريش! فقلت له: أين أنت من علي؟ فقال: إنّي لأكره لفاطمة ميعة شبابه وحدّة سنّه. فقلت له: متى كنفَته يدك ورعَته عينك حفّتْ بهما البركة وسبغتْ عليهما النعمة، مع كلام كثير خطبت[2] به عنك ورغّبته فيك. وما كنت عرفت منك في ذلك حوجاء ولا لوجاء. فقلتُ ما قلت، وأنا أرى مكان غيرك، وأجد رائحة سِواك. وكنت لك إذ ذاك خيرًا منك الآن لي. ولئن كان عرّض بك رسول الله ﷺ فقد كنى عن غيرك. وإن كان قال فيك فما سكت عن سواك، وأن يختلج في نفسك شيء فهلمّ فالحكم مرضي، والصواب مسموع والحقّ مطاع.

ولقد نُقِل رسول الله ﷺ إلى ما عند الله ﷻ، وهو عن هذه العصابة راض، وعليها حدب، يسرّه ما يسرّها، ويكيده ما كادها، ويرضيه ما أرضاها، ويسخطه ما أسخطها. أما تعلم أنّه لم يدع أحدًا من أصحابه وخلطائه وأقاربه وسجرائه[3] إلّا أبانه بفضيلة، وخصّه بمكرمة، وأفرده بجلالة لو أصفقت الأمّة عليه لكان عنده إبالتها[4] وكفالتها وكرامتها وعزازتها.

أتظنّ أنّه ﷺ ترك الأمّة نشرًا سدى، بردًا عِدًى، مباهل عباهل طلاحي، مفتونة بالباطل، مغبونة عن الحقّ، لا ذائد ولا حائط، ولا ساقي ولا واقي، ولا هادي ولا حادي.

---

(١) المشهوم: الحديد الفؤاد.

(٢) م، ي: خاطبت.

(٣) سجرائه: أخلّائه.

(٤) م، ي: إيالتها.

كلّا واللهِ ما اشتاق إلى ربّه تعالى، ولا سأله المصير إلى رضوانه[1]، حتى ضرب الصوى، وأوضح الهدى، وأمِن المهالك والمطاوح، وسهّل المبارك والممائح، وإلّا بعد أن شدخ يافوخ الشرك بإذن الله ﷻ، وشرم وجه النفاق لوجه الله تعالى جدّه، وجدع أنف الفتنة في ذات الله تبارك اسمه، وتفل في وجه الشيطان بعون الله جلّ ذكره، وصدع بملء فيه ويده أمر الله ﷻ.

وبعد فهؤلاء الأنصار والمهاجرون عندك ومعك في دار واحدة وبقعة جامعة، إن استفاءوني[2] لك، وأشاروا عندي بك، فأنا واضع يدي في يدك، وصائر إلى رأيهم فيك. وإن تكن الأخرى فادخل فيما دخل فيه المسلمون، وكن العون على مصالحهم[3]، والفاتح لمغالقهم، والمرشد لضالّهم، والرادع لغاويهم. فقد أمر الله ﷻ بالتعاون على البرّ، وأهاب[4] إلى التناصر على الحقّ، ودعنا نقضي هذه الحياة الدنيا بصدور بريئة من الغلّ، ونلقى الله ﷻ بقلوب سليمة من الضغن.

وبعد؛ فالناس ثمامة؛ فارفق بهم، وأحن عليهم، ولِن لهم، ولا تسؤ نفسك بنا خاصة فيهم، واترك ناجم الحقد حصيدًا، وطائر الشرّ واقعًا، وباب الفتنة غلقًا؛ فلا قال ولا قيل، ولا لوم ولا تبيع، والله ﷻ على ما نقول شهيد، وما نحن عليه بصير.

قال أبو عبيدة ﷺ: فلمّا تهيّأت للنهوض، قال لي عمر: كن لدى الباب هنيهة، فلي معك ذرء[5] من القول. فوقفتُ ولا أدري ما كان بعدي إلّا أنّه لحقني ووجهه يندي تهلّلًا وقال: قل لعلي: الرقاد محلمة، واللجاج ملحمة، والهوى مقحمة. وما منّا أحد إلّا له مقام معلوم، وحقّ مشاع أو مقسوم، ونبأ ظاهر أو مكتوم. وأنّ أَكْيَسُ الكَيْسِ من منح الشارد تألّفًا، وقارَب البعيد تلطّفًا، ووزن كلّ امرئ بميزانه، ولم يخلط خبره بعيانه، ولم يجعل فِتْرَهُ مكان شِبْرِه، ولا خير في معرفة مشوبة[6] بنكرِه، ولا في علم معتمل في جهل. ولسنا كجلدة رفغ البعير بين العجان وبين الذنب. وكلّ صالٍ فبناره، وكلّ سيل فإلى قراره. وما كان سكوت هذه العصابة إلى هذه الغاية لِعَيٍّ وشيٍّ، وكلامها اليوم لفتق أو رتق. قد جدع الله بمحمد ﷺ

(١) م، ي: إخوانه.
(٢) استفاءوا: رجعوا. ي: استقالوني.
(٣) أ، ر، ن: صالحهم.
(٤) م، ي: - وأهاب.
(٥) ذرء: طرف.
(٦) أ، ج، ر، م، ن: مشربة.

أنف كلّ ذي كبر، وقصف[1] ظهر كلّ جبّار، وقطع لسان كلّ كذوب؛ ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾[2].

ما هذه الخنزوانة[3] التي في فراش رأسك؟ وما هذا الشجا[4] المعترض في مدارج أنفاسك؟ وما هذه الوحرة التي أكلت شراسيفك؟ والقذاة التي أغشت ناظرك؟ وما هذا الدَّخَس والدأس اللذان يدلّان على ضيق الباع وخوَر الطباع؟ وما هذا[5] الذي لبست بسببه جلدة النمر، واشتملت عليه بالشحناء والنكر؟ لَشَدَّ ما استسعيت إليها، وسريت سُرى ابن أنقد[6] إليها. إنّ العوان لا تعلّم الخُمرة، وإنّ الحَصان لا تكلّم خبرة. وما أحوج الفرعاء إلى قال[7]، وما أفقر الصلعاء إلى حال.

لقد خرج رسول الله ﷺ والأمر مقيّد محبّس ليس فيه لأحد ملمس ولا مأيس، لم يسيّر فيك قولًا، ولم يستنزل فيك قرآنًا، ولم يحزم في شأنك حكمًا، ولسنا في كسرويّة كسرى، ولا[8] قيصرية قيصر، تانك لأخدان فارس وأبناء الأصفر، قومًا جعلهم الله[9] جزرًا لسيوفنا، وخرزًا لرماحنا، ومزعًا لطعاننا، وتبعًا لسلطاننا، بل نحن في نور نبوّة، وضياء رسالة، وثمرة حكمة، وأثرة رحمة، وعنوان نعمة، وظلّ عصمة، بين أمّة مهديّة بالحقّ والصدق، مأمونة على الفتق والرتق، لها من الله ﷻ قلبٌ أبيٌّ وساعد قويٌّ، ويد ناصرة وعين باصرة.

أتظنّ ظنّا أنّ أبا بكر الصديق وثب على هذا الأمر مفتئتًا على الأمّة، خادعًا لها، متسلّطًا عليها؟ أتراه امتلخ أحلامها، وأزاغ أبصارها، وحلّ عقدها، وأحال عقولها، واستلّ من صدورها حميّتها، وانتزع من أكبادها عصبيّتها، وانتكث رشاها، وانتضب ماءها، وأضلّها عن هداها، وساقها إلى رداها، وجعل نهارها ليلًا ووزنها كيلًا، ويقظتها رقادًا وصلاحها فسادًا؟ (إن كان هكذا) إنّ سحره لمبين، وإنّ كيده لمتين.

---

(١) م، ي: وقصم.

(٢) [يونس: ٣٢]

(٣) الخنزوانة: الكبر.

(٤) الشجا: ما اعترض ونشب في الحلق من عظم أو نحوه.

(٥) م، ي: - هذا.

(٦) أنقد: اسم من أسماء القنفذ.

(٧) أ، ر، م، ن: فال.

(٨) م، ي: ولا في.

(٩) أ، ر، م، ن: - الله.

كلّا واللهِ بأيّ خيل ورجْل، وبأيّ سنان ونَصْل، وبأيّ قوّة ومُنّة[1]، وبأيّ ذخر وعدّة، وبأيّ أيدٍ وشدّة، وبأيّ عشيرة وأُسرة، وبأيّ تذرُّع وبسطة، لقد أصبح عندك بما وسمته منيع الرقبة، رفيع العتبة. لا واللهِ، ولكن سلا عنها فولهتْ إليه، وتطامن لها فلصقتْ به، ومال عنها فمالتْ إليه، واشتمل دونها فاشتملتْ عليه. حُبوةٌ حباه الله بها، وعاقبةٌ بلّغه الله إيّاها، ونعمةٌ سربله[2] الله جمالها، ويدٌ أوجب عليه شكرَها، وأمّة نظر الله به لها. ولطالما حلّقت فوقه في أيّام رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت لفتها، ولا يرتصد وقتها، والله أعلم بخلقه وأرأف بعباده، يختار ما كان لهم الخيرة.

وإنّك بحيث لا يُجهل موضعك من بيت النبوّة ومعدن الرسالة وكهف الحكمة، ولا يُجحد حقّك فيما آتاك ربّك، ولكن لك من يزاحمك بمنكب أضخم من منكبك، وقُربا أمسُّ من قرباك، وسنّ أعلى من سنّك، وشيبة أروع من شيبتك، وسادة لها عرق من الجاهلية، وفرع من الإسلام والشريعة، ومواقف ليس لك فيها من جمل ولا ناقة، ولا تُذكر منها[3] في مقدّمة ولا ساقة، ولا تضرب فيها بذراع ولا إصبع، ولا تخرج منها ببازلٍ ولا هُبَع.

فإن عذرتَ نفسك فيما[4] تهدر به شقشقتك من صاغيتك، فاعذرنا فيما تسمع منّا في لين وسكون، مما لا تُبعده منه ولا تناضله عليه. ولئن خذبتَ[5] بهذا[6]، لينتجشن عليك ما ينسيك الأولى، ويلهيك عن الأخرى. ولو علم من عرضنا به بما في أنفسنا له وعليه لما سكت، ولا اتّخذتَ أنت وليجة إلى بعض الأرب.

فأمّا الصدّيق أبو بكر رضوان الله عليه فلم يزل حبّةَ سويداء قلب رسول الله ﷺ، وعلاقةَ همّه، وعيبةَ سرّه، ومَتو[7] حزنه، ومفزع رأيه ومشورته، وراحة كفّه، ومرمق طرفه، وذلك كلّه بمحضر الصادر والوارد من المهاجرين والأنصار. شهرته مغنية عن الدلالة عليه.

ولعمري إنّك أقرب إلى رسول الله ﷺ قرابة، لكنّه أقرب قربة. والقرابة لحم ودم، والقُربة روح ونفس. وهذا فرقٌ قد عرفه المؤمنون، ولذلك صاروا أجمعين.

---

(١) المُنّة: القوّة.

(٢) النسخ عدا ي: سربلها.

(٣) م، ي: فيها.

(٤) م، ي: عما.

(٥) ج، ي: حدّثت. م: حديث.

(٦) ج، ر: + نفسك.

(٧) ر: مثو. م، ن، ي: مثوى.

"المعنى ههنا ليست التي يراد بها التوكيد، إنما هي المستعملة في قول العرب: جاء القوم بأجمَعهم. وكان الأصمعي يقول: إنما هو بأجُمعهم -بضمّ الميم- لأنّ المفتوحة الميم لا تضاف، ولا تكون إلّا مؤكّدة. وخالفه ابن الأعرابي في ذلك وأجاز فتح الميم. وقال: ليست هذه تلك، كما أنّ كُلًّا، المستعملة في قولنا: كلّ القوم ذاهب، ليست المستعملة في قولنا: مررت بالقوم كلّهم."[1]

ومهما شككت فيه فلا شكّ[2] أنّ يد الله مع الجماعة، ورضوانه لأهل الطاعة، فادخل فيما هو خير لك اليوم وأنفع لك غدًا، والفظْ من فيك ما تعلّق بلهاتك، وانفث سخيمة صدرك عن نفاثك. فإن لم يكن في الأمد طول وفي الأجل فسحة، فستأكله مريًّا أو غير مريء، وستشربه هنيًّا أو غير هنيء، حين لا ردّ لقولك إلّا من كان منك، ولا تابع لك إلّا من كان طامعًا فيك، يمضُّ إهابك ويفري قادمتك ويزري على هديك، هناك تقرع السنَّ من ندم، وتجرع الماء ممزوجًا بدم، وحينئذ تأس على ماضي[3] عمرك ودارج قومك، فتودّ أن لو سقيت بالكأس التي أبيتها، ورددت إلى الحال التي استبريتها، ولله تعالى فينا وفيك أمرٌ هو بالغه، وغيبٌ هو شاهده، وعاقبة هو المرجوّ لضرّائها وسرّائها، وهو الوليّ الحميد الغفور الودود[4].

قال أبو عبيدة ﷺ: فمشيت مترمّلًا، أتوجّأ كأنّما أخطو على أمّ رأسي، فرَقًا من الفرقة، وشفقًا على الأمّة، حتى وصلت إلى عليّ في خلاءٍ، فأبثثتُه بثّي كلّه، وبرئت إليه منه، ورفقت له. فلمّا سمعها ووعاها، وسَرَتْ في أوصاله حميّاها قال: حلّت معلوطة، وولّت مخروطة، حلّي لا حلّيت، التعس أدنى لها من قول لعا:

إحدِي لياليك فهيسي هيسي لا تنعمي الليلة بالتعريس

نعم يا أبا عبيدة؛ أكلّ هذا في أنفس القوم يجبتون عليه ويضطبعون به؟

قال أبو عبيدة: فقلت: لا جواب لك عندي، إنما أنا قاضٍ حقّ الدين، وراتق فتق الإسلام، وساد ثلمة الأمّة، يعلم الله ذلك من جلجلان قلبي[5] وقرارة نفسي.

قال عليّ ﷺ: واللهِ ما كان قعودي في كسر هذا البيت قصدًا للخلاف[6]، ولا إنكارًا

(١) لم ترد هذه الفقرة في م، ي.
(٢) أ: يشك. م، ي: نشك.
(٣) ج، م: ما مضى من.
(٤) م، ي: - الغفور الودود.
(٥) جلجلان قلبي: حبّة قلبي.
(٦) ج، م، ي: للخلافة.

للمعروف، ولا زراية على مسلم، بل لما وقدني به رسول الله ﷺ بفراقه، وأودعني من الحزن بفقده، وذلك أنّي لم أشهد بعده مشهدًا إلّا جدّد لي حزنًا، وذكّرني شجوًا، وإنّ الشوق إلى اللحاق به[1] كافٍ عن الطمع في غيره. فقد عكفتُ على عهد الله أنظر فيه، وأجمع ما تفرّج منه، رجاء ثواب معدٍّ لمن أخلص عمله، وسلِم لعلمه ومشيئة ربّه. على أنّي ما علمت أنّ التظاهر عليّ واقع، ولا[2] عن الحقّ الذي سبق إليّ دافع. وإذ قد أفعم الوادي بي، وحشد النادي من أجلي، فلا مرحبًا بما ساء أحدًا من المسلمين. وفي النفس كلام؛ لولا سابق قول وسالف عهد، لشفيت غيظي بخنصري وبنصري، وخضت لجّته بأخمصي ومفرقي، لكنّي ملجم إلى ن ألقى ربّي ﷻ، وعنده أحتسب ما نزل بي. وأنا عادل إلى جماعتكم، ومبايع لصاحبكم، وصابر[3] على ما ساءني وسرّكم، ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا، وكان الله على كلّ شيء شهيدًا.

قال أبو عبيدة: فعدتُ إلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فنصصتُ القول على غرّه، ولم أختزل شيئًا من حلوه ومرّه، وذكرت غدوّه إلى المسجد.

فلمّا كان صباح يومئذ، وافى عليّ فخرق إلى أبي بكر وبايعه، وقال خيرًا ووصف جميلًا، وجلس زميتًا. واستأذن للقيام ونهض، فشيّعه عمر تكرمة له، واستئثارًا[4] لما عنده. فقال له عليّ: ما قعدتُ عن صاحبكم كارهًا له، ولا أتيتُه فرَقًا منه، وما أقول ما أقول تعلّة، وإنّي لأعرف مسمّى طرفي، ومخطى قدمي، ومنزع قوسي، وموقع سهمي، ولكنّي قد أزمت على فاسي ثقة بالله في الإبالة في الدنيا والآخرة.

فقال له عمر: كفكف غربك، واستوقف سربك، ودع العصا بلحائها، والدِّلا برشائها، فإنّا من خلفها ووراءها، إن قَدَحنا أورينا، وإن مَتَحنا أروينا، وإن قرحنا أدمينا، وإن نصحنا أربينا، ولقد سمعتُ أماثيلك التي لغوتَ بها عن صدرٍ آكل بالجوى، ولو شئتُ لقلت على مقالتك ما إذا سمعتَه ندمتَ على ما قلتَه.

زعمتَ أنك قعدت في كسر بيتك لما وقدك به رسول الله ﷺ بفراقه. أفرسول الله ﷺ وقدك وحدك ولم يقد سواك؟ بل مصابه أعظم وأعزّ من ذلك، فإنّ من حقّ مصابه أن لا

---

(١) أ، ر، ن: - به.

(٢) رسمها في النسخ: ولى.

(٣) ر، ن: وصاير.

(٤) أ، ر، ن: استيتارا. ج، م: استبشارا.

يصدّع شمل الجماعة بكلمة لا عصام لها، ولا يزرى عل اختيارها بما لا يؤمن كيد الشيطان في عقباها، هذه العرب حولنا، واللهِ لو تداعت علينا في مصبح يوم لم نلتقِ في ممسى[1].

وزعمتَ أنّ التشوّق إلى اللحاق به كافٍ عن الطمع في غيره؛ فمن التشوّق إليه نصرة دينه، وموازرة أولياء الله تعالى جَدُّه، ومعاونتهم فيه.

وزعمتَ أنّك عكفت على عهد الله ﷻ تجمع ما تبدّد منه؛ فمن العكوف على عهده النصيحة لعباده، والرقّة على خلقه، وبذل ما يصلحون به ويرشدون إليه.

وزعمت أنّك لم تعلم أنّ التظاهر عليك واقع، وأيّ حقّ لطّ دونك؟ قد[2] علمت ما قالت الأنصار بالأمس سرًّا وجهرًا، وما تقلّبتْ عليه بطنًا وظهرًا. فهل ذكرتك أو أشارت بك، أو وجدنا رضاها عندك؟ هؤلاء المهاجرون، من الذي قال بلسانه: تصلح لهذا الأمر؟ أو أومأ بعينه، أو همهم في نفسه؟ أتظنّ أنّ الناس قد ضلّوا من أجلك وعادوا كفّارًا زهدًا فيك؟ وباعوا الله ﷻ ورسوله ﷺ تحاملًا عليك؟ لا والله؛ ولكنّك اعتزلت تنتظر[3] الوحي، وتتوكّف مناجاة الملَك لك. ذلك أمر طواه الله ﷻ بعد محمد ﷺ. كان الأمر معقودًا[4] بأنشوطة، أو مسدودًا[5] بأطراف ليطة؟ كلّا واللهِ؛ إنّ الغيابة لمحلقة، وإنّ الشجرة لمورقة، ولا عجماء بحمد الله إلّا وقد فصحتْ، ولا عجفاء إلّا وقد سمنتْ، ولا بلهاء إلّا وقد فطنتْ، ولا شوكاء إلّا وقد نفحَتْ.

ومن أعجب شأنك قولك: لولا سابق قول وسالف عهد، لشفيتُ غيظي. وهل ترك الدين لأحد من أهله أن يشفي غيظه بيده ولسانه؟ تلك جاهلية قد استأصل الله شأفتها، ودفع عن الناس آفتَها[6]، واقتلع جرثومتها، وهوَّر ليلها، وغوّر[7] سيلها، وأبدل[8] منها الروح والريحان، والهدى والبرهان.

وزعمتَ أنك ملجم. فلعمري أنّ من اتّقى الله عزّ وجهه وآثر رضاه، وطلب ما عنده،

---

(١) رسمها في النسخ: ممساء.
(٢) م، ي: فقد.
(٣) أ، ر، ن: تنظر.
(٤) أ، ر، ن: معقود. م: مقصود.
(٥) جميع النسخ: أو مسدود.
(٦) أ، م، ي: - ودفع عن الناس آفتها.
(٧) أ، ر، ن، ي: عوّر.
(٨) م، ي: فأبدل.

أمسك لسانه، وأطبق فاه، وجعل سعيه لما وراه.

قال[1] علي ﷺ: واللهِ ما بذلتُ ما بذلتُ وأنا أريد نكثه، ولا أقررتُ بما أقررتُ وأنا أبغي حِوَلًا عنه، وإنّ أخسر الناس صفقة عند الله ﷻ من آثر النفاقَ واحتضن الشقاق. وبالله سلوة من كلّ كارث، وعليه التوكّل في جميع الحوادث.

ارجع يا أبا حفص إلى منزلك ناقع القلب، مبرود الغليل فسيح اللَّبان فليس وراء ما سمعته وقلته إلّا ما يشدّ الأزر، ويحطّ الوزر، ويضع الإصر، ويجمع الألفة، ويرفع الكلفة، ويوقع الزُّلفة بمعونة الله ﷻ وحسن توفيقه.

قال أبو عبيدة: وانصرف عمر، وهذا أصعب ما مرّ بناصيتي بعد فراق رسول الله ﷺ.[2]

قال أبو حيّان: وروى لنا هذا كلّه أبو حامد، ثمّ أخرج[3] لنا أصله، فقابلناه به، فما كان غادر منه إلّا ما لا بال له.

فأمّا ما رواه لنا أبو منصور الكاتب، فإنّه خالف في أحرف في حواشي الكتاب، كلّ حرف بإزاء نظيره الذي هو مبدل منه. وقد كان أبو منصور بلغة العرب أبصر، وفي غرائبها أنفد.

وإنّما قدمت رواية أبي حامد لأنّه بشأن الشريعة أعلم، ولأعاجيبها أحفظ، وفيما أشكل منها[4] أفقه. وكان إسناد[5] الحديث من جهته.

وقال لنا أبو منصور الكاتب في حديثه: ولمّا[6] حضر عليٌّ أبا بكر رضي الله عنهما، فقال له أبو بكر: إنّ عصابةً أنت منها لمعصومة، وإنّ أمّةً أنت فيها لمرحومة. ولقد أصبحتَ عزيزًا علينا، كريمًا لدينا، نخاف الله إذا سخطتَ، ونرجوه إذا رضيتَ، ولولا أنّي شُدِهت لَمَا أجبتُ[7] إليه، ولقد حطّ الله عن ظهرك ما أثقل كاهلي به، وما أسعد من نظر الله تعالى له بالكفاية، وإنّا إليك محتاجون وبفضلك عالمون، وإلى الله ﷻ في جميع الأحوال راغبون.

---

(١) م، ي: فقال.

(٢) انتهى السمر.

(٣) م، ي: خرج.

(٤) م، ي: فيها.

(٥) النسخ عدا ج: أستاذ.

(٦) م، ي: لما.

(٧) أ، ج، ر، م: أحببت.

شرح ما وقع في هذه الرسالة من الغريب

المِفن: الذي يتصرّف في كلّ فن. والمخلط: الذي يخلط بعض الأمور ببعض. والمِزيل: الذي يفصل بعضها عن بعض. والمِعن: الذي يتصرّف[1] في المعاني. والجوّ: الهوى. والجواء: الناحية من الأرض. والمتنفّس: الاستراحة والانّساع.

والسقيفة: التي ذكرها هي سقيفة بني ساعدة التي اجتمع فيها الأنصار والمهاجرون، عند موت النبي ﷺ.

والفنّ: النوع ويجمع على فنون.

والمتن في الحديث: نصّه على وجهه، وهو من كلّ شيء ظهره.

والحُقاق: جمع حُقّة، وهي وعاء يحبس فيه الطيب والأعلاق.

والغوص: الدخول في الشيء الغامض.

قوله: نسيج وحده؛ أي فريد ما له نظير، وأصله في الثوب الرفيع الذي لا مثال له، يصنع له منسج وحده لا ينسج عليه غيره. واستعير ذلك للرجل الذي لا نظير له في فنّه.

سرد الحديث: تتابُع ألفاظه وكلماته كما هي، لا يقدِّم المتأخّر، ولا يؤخّر المتقدّم. ويقال: سرد الحديث: نصّه ووصل إسناده.

والهنّة: اللطيف من كلّ شيء.

قوله ورحض عرّها: أزال مكروهها، وأصله من العرّ، وهو داء يأخذ الإبل.

قال الشاعر:

كذا العرّ يكوي[2] غيره وهو راتع

وقوله: أزاح ضيرها: أذهب ضررها. والتلكؤ: التأخّر. والشماس: النفار. والتهمهم والهمهمة: كلام لا يصرّح به. والنّفاس: المنافسة والحسد. يرمل: يصلح. والسرجين والسرقين: لغتان للزبل. تنفرج: تفترق.

وذات البين: الحال المتّصلة من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾[3].

والظهير: المعين الذي يشدّ به ظهره.

---

(١) ج، ر: ينصرف.

(٢) أ، م، ي: يكون.

(٣) [الأنعام: ٩٤]

مثأه والثأي: الفساد. وأصله في الخرز، وهو أن يثقب الخرز، فتصير الاثنان واحدة. يقال: أثأت الخرز فهو مثاء.

والمغبوط: الذي يتنافس فيه.

والقبس: عود في طرفه نار، فضُرب مثلًا لمن يستعان برأيه.

وقوله؛ خوّار العنان؛ يقال: فرس خوّار العنان، إذا كان راكبه يصرفه كيفما أراد، فضرب مثلًا.

الدوح: الشجر العظيم. والردء: العون. وقوله: يندمل يقول: يفيق.

والسبار: فتيل يدخل في الجرح. يقال: سبرت الجرح، إذا اختبرته بالمسبار، وهو المرود الذي يدخل في الجرح ليرى كم عمقه.

وقوله: من غير آلٍ: أي مقصّر.

والجهد: بضم الجيم الطاقة، وبفتح الجيم الغاية. وقد سوي بينهما.

والقالي: المبغِض الكاره. والجدّ: التشمير والاجتهاد.

وقوله مغرقة: يغرق فيه. وقوله مفرقة: يفرَق من الفزع، يقول: يفزع من السير فيه.

والجوّ: الهواء. وأكلفْ: أغبر. وأغلف: شديد الظلمة. وجلواء: ظاهرة النجوم. وصلعاء: لا نبات فيها.

والصعود: المرتفع، وبضمّ الصاد المصدر، وكذلك الهبوط بالفتح: المكان المنحدر، وبالضمّ المصدر.

والثقوب: الناقة الغزيرة اللبن، قال: والصواب؛ ثقوب العداوة، والثقوب: الحطب وما يهيج به النار.

والقعة: التأخّر والقعود عن الأمر، وهو مأخوذ من قولهم: وقع الرجل؛ وهو وقع الرجل إذا اشتكى لحم قدمه، ولم يقدر على المشي.

وقوله شجار الفتنة: الشجر خشب الهودج، ضربه مثلًا.

وقوله يدلّي بالغرور: الإدلاء؛ الإدخال في[1] الأمر، وأصله إدخال الدلو في البئر. والشنوف: المبغض. والعنوف: الشديد. والثالب: الطاعن. والضغن: العداوة.

---

(١) أ، ر، ن: من.

وقوله؛ رائد البوار: قائد الهلاك. وقوله يوحي: يشير. والناجذ: آخر الأضراس. وقوله من أفاد ضالّتك: أي ردّها.

والحوص -بالحاء غير المعجمة-: ضِيق في العين، وبالخاء المعجمة: غور فيها. والظعن: النهوض. وقوله ما يفيض: أي ما يبين ولا يفهم.

والصعداء: النفَس العالي في الغضب والهم.

والخمر: ما التفّ من الشجر، وكذا الضرّاء، يقال: يمشي فلان لفلان الضرّاء، إذا كان يخفي له العداوة حتى يجد فرصة.

قال الشاعر: يمشي الضرّاء ويتّقى، وأصله أن يستر الصيّاد عن الصيد حتى يرميه. الهدي: الطريق المستقيم.

وقوله ينغص: يضيق وينغلق. والفضاء: المتّسع من الأرض. والشنان: جمع شنّة وهي القربة البالية[1] اليابسة. والقعقعة: صوتها إذا حرّكت، فإذا حرّكت للبعير الشارد سكن، فضُرب مثلًا بمن يهدّد بما لا حقيقة له. والوعوعة: صوت الذئب. والشنآن: العداوة.

وقوله تربّب: يقول تربّا، وتشبّب: نحو منه، وأصله من شبّب[2] النار إذا أوقدها.

قوله[3] ونحن في أثناء ذلك؛ الأثناء: الأعطاف والجوانب، واحِدها ثني. والرواسي: الجبال الثابتة. والنواصي: الذوائب. والغِمار: الماء الكثير، وهو جمع غمرة يغمر من يدخل فيه. الأمراس: الحبال الذي يُستقى بها الماء.

الصاب: الصبر. وقوله نشرّج: نشدّ. والعباب: الموج. والعِياب: جمع عيبة.

وقوله تحدُج: أي تنظر. وقوله تشحذ: أي تحد. والنشب: الضياع. والسبد: الشعر[4]. والوبر يعني الإبل. واللبد: الصوف يعني الغنم، بقوله ما له لا سبد ولا لبد. والهلّة: الفرح وما يسرُّ به الرجل. والبلّة: أصلها الرطوبة والبلل، ثمّ يستعمل بمعنى الصلة. والرحب: السعة. والذلاقة: الفصاحة. والمكنونات: المستترات. الأعطان: مبارِك الإبل عند الماء. والمخبور: المجرّب. قوله: أرهص: معناه قدّم وأصّل.

---

(١) ج، ر: - البالية.

(٢) م، ي: شبّ.

(٣) م، ي: وقوله. (في هذا الموضع وما يليه في هذا الشرح)

(٤) في النسخ: والشعر.

وقوله قلّص: يقول شمّر. والأردان: الأكمام[1]. وقوله يظلَع: يعرج.

وقوله عطا هنا: تناول. والمضّ والمضض والمضاضة: الحرقة. واللجاج في الأمر يكون. والأُجاج: ضد العذب.

وقوله: ولا يحلم، يقال: حلم الأديم إذا وقع فيه السوس. والعضب: القاطع، ويقال: نبا السيف ينبو إذا ضرب به فلم يقطع.

وقوله يجاحش: يدافع. يتضاءل: يتصاغر.

وقوله يتنفّج: أي يتفرشح. والحوجاء: الحاجة. واللوجاء: اتّباع وتداخل في الأمر. والتعريض: ضد التصريح. والكناية: كذلك.

وقوله يختلج: أي يضطرب. والعصابة: الجماعة.

وقوله حدِب: مشفق. والسجراء: جمع سجير[2] وهو الصديق.

وقوله[3] أصفقتْ: اجتمعتْ. والإبالة: السياسة. والكفالة: التكفّل بالأمور.

وقوله نشرًا: النشر أن تنتشر الغنم في المرعى فتعدو عليها الذئاب. والسدى: الشيء المهمل المتفرّق. والعُدى: الأعداء. والعِدى: الغرباء. والعباهل من الإبل: التي لا حافظ لها. والطلاحي: التي تكلّ فلا تقدر على النهوض. والمباهل: الإبل التي لا تمنع أخلافها فيحلبها كلّ من أراد.

وقوله؛ بملء فيه: يعني بكلامه ودفاعه بيده. صدع: أظهر. الذائد: الدافع. والحائط: الحافظ الذي يحوط أي يحفظ وكذلك الواقي. والهادي: الذي يمشّي الأمر الأسدّ. والحادي: الذي يمشي وراء الإبل.

اليافوخ: أصل الدماغ. الصوى: علامات تجعل في الطريق يهتدى بها.

أوضحَ: بيّنَ[4]. شدخ: كسر. شرم: شقّ أنفه. الرادع: القامع. الغاوي: الضال، المفسد. الضغن: العداوة. والغلّ: البُغض[5].

---

(١) أ، ج، ر، ن: يقول شمّروا الأردان والأكمام.

(٢) رسمها في النسخ: والشجراء جمع شجير.

(٣) م، ي: ولو.

(٤) م، ي: أبين.

(٥) م، ي: - الغاوي: الضال، المفسد. والضغن: العداوة. والغلّ: البُغض.

الثمامة: شجر ضعيف. هنيهة: أي ساعة.

وقوله؛ ذرء: أي طرف. المحلمة: يحلم فيه أشياء لا حقيقة لها. والملحمة: موضع القتال. والمقحمة: دخول الإنسان فيما لا ينبغي. والتألّف: التعطّف والتسكين. والفِتر: ما بين السبّابة والإبهام.

وقوله مشوبة[1]: أي ممزوجة. وقوله معتمل: أي منصف. والرفغ: أصل الفخذ. والصالي: المتسخّن بالنار. والقرار: المكان الذي يستقرّ به الماء.

وقوله لِعَيٍّ وشَيٍّ: والشيُّ إتباع لعيٍّ كقولهم: حسن بسن، وشيطان ليطان، وجائع نائع، يقال: عييّ وعييّ سوي[2].

الرتق: ضد الفتق. الفرَق: الفزع. الرهق: فساد الشيء.

وقوله قصف: أي قصم. الخنزوانة: التكبّر. الفراش: عظام الخيال.

الشجا: ما يغصّ به من عود وعظم وشبهه. والوحرة: الحقد.

الشراسيف[3]: أطراف الضلوع. والدَّخَس: ورم يصيب الدابّة في حافرها شبيه الانتفاخ من العصب. والدأس: البحث عن الأخبار بالتجسّس. والخوَر: الضعف.

وقوله: لبست بسببه جلدة النمر، يقال: لبس فلان لفلان جلد النمر إذا تنكّر له وتهيّأ لجرحه.

الشحناء: العداوة. والسُّرى: سير الليل. وابن أنقد -بالدال غير المعجمة-: وهو القنفذ[4]. الخمرة: شدّ الخمار على الرأس. والحَصان: المرأة العفيفة. والخبرة: الاختبار. والعوان: التي كان لها زوج. والفرعاء: الكثيرة الشعر. والحالي: العنق المزيّن بالحلي. محبّس: مقيّد. معبّد: مذلّل.

وقوله: ملمّس، أي ما يُلمس. وقوله: مأيس، أي تأثير. والمزع: القطع. والأثرة: ما يؤثر به الرجل دون غيره، أي يخص.

وقوله هنا: مأمونة على الرتق والفتق، المعنى الإصلاح والإفساد.

---

(١) في النسخ: مشربة.

(٢) ر، ن: شوي.

(٣) النسخ عدا ن: الشراسف. (وهي بنفس المعني)

(٤) النسخ عدا ن: القنفد (وهو بنفس المعنى).

وقوله: مفتئتًا[1]، يعني بغير اختيارهم. والحميّة: الأنفة.

وقوله: انتكث رشاها، يقول[2]: نقض حبلها.

وقوله: انتضب ماءها، يقال: نضب الماء إذا جفّ وأنضبته أنا وانتضبته.

المتين: القوي. الأيْد: القوّة. والأسرة: الطبقة[3].

وقوله: بأيّ تذرّع من الذراع. وقوله ولهتْ: حنّتْ. وتطامن: انخفض. والحبوة: العطيّة. وقوله: سربله، أي ألبسه سربالها.

وقوله: لا يلتفت لفتها، أي جهتها[4]. والكهف: الجبل.

وقوله: وقربا[5] أَمَسّ، أي ألصق. والعرق: الأصل. والبازل: الجمل المسن. والهُبَع: الصغير من أولاد الإبل وهو الذي يولد في آخر زمن النتاج، فإن ولد في أوّله فهو رُبَع.

وقوله: تهدر به شقشقتك؛ يقال: هدر البعير إذا صاح، والشقشقة: ما يخرج من حلقه عند هديره. والصاغية: القرابة. والمناضَلة: المراماة بالسهام.

وقوله خذبتَ: أي خضعتَ. قال بعضهم: وخذبت هنا لا معنى له، والصواب أنفت. لينتجشنّ: ليثوءنّ وينخرمنّ.

وقوله الفظْ: أي اطرح. وقوله وانفث: المعنى أبعد. والسخيمة: العداوة. والنفاث: ما ينفث به. وقوله مريئًا: أي طيّبًا.

وقوله يمضّ إهابك: أي يشقّ جلدك. ويفري قادمتك: أي يقطع، والقادمة: ريش مقدّم الجناح تجمع على قوادم.

وقوله استبريتها: أي تخلّيت منها. التزمُّل: الالتفاف[6].

وقوله أتوجّأ: أتعارج. وقوله حلّت معلوطة: أي نزلت، والمعلوطة: الناقة توسم في عنقها بالنار. واسم تلك السمة: العلاط.

---

(١) أ، ج، م: مغتابا.

(٢) م، ي: - يقول.

(٣) م، ي: - الطبقة.

(٤) م، ي: - وقوله: سربله، أي ألبسه سربالها. وقوله: لا يلتفت لفتها، أي جهتها.

(٥) النسخ عدا ن: وقربي.

(٦) ج، م، ن، ي: الالتفات.

وقوله مخروطة: أي رقيقة[1] المؤخّر، وهو مكروه في الإبل. ويقال للناقة إذا زجرت: حَلْ وحَلْ، يقال: حلحلت بالإبل إذا قلت لها: حَل حَل، فإذا لم تزدجر قيل لها: حل لا حلّيت: أي لا ظفرت بما أردت. وقوله: فهيسي هيسي، فإنّه[2] يضرب مثلًا لمن وقع في داهية وأمر عظيم، يحتاج فيه إلى الانزعاج وترك الإخلاد إلى الراحة. والهيس: السير الشديد. وأصل هذا المثل أنّ طُسمًا أوقعت بجديس وأبادتها، من قصة طويلة جرت بينهما، فقالوا في ذلك، بعض الرجال، ما ذكره في الرسالة.

وقوله لعا: كلمة، يقال[3] للعاثر إذا عثر، ومعناه: انتعش وقم.

وقوله على غرّه: يقال: طوى الثوب على غرّه؛ أي على طيّه الأوّل، ويضرب مثلًا للأمر الذي لا يغيَّر عمّا كان عليه. والزميت: الساكن.

وقوله مخطى قدمي: أي حيث يخطو قدمي. ومنزع قوسي: أي حيث أرمي.

وقوله: أزمت على فاسي: فاس اللجام؛ ما يدخل منه في فم الفرس، يقال: أزم الفرس على فاس اللجام إذا عضّ عليه.

الإبالة: الحالة وانقلاب الأمور، وهي الإدالة[4]. والغرب: الحدّ هنا. واللحا: القشر. والرشا: الحبل. أورى الزند: إذا ظهر منه النار. والماتح: الذي يخرج الماء من البئر.

وقوله إن نصحنا أربينا: أصله من نصح إذا خاط، وأربينا: أصلحنا.[5]

وقوله؛ آكل -مقصور-: أي مقروح. والجوى: داء يعتري في الجوف. العصام: حبل القربة فضربه مثلًا. المؤازرة: المعاونة.

وقوله تداعت: أي دعا بعضها بعضًا. العهد هنا: القرآن.

وقوله: لطّ: أي سُتر. الإيماء: الإشارة. الهمهمة: كلام لا يصرّح به[6].

الأنشوطة: العقدة التي تجبذ بطرفها فتنحل. والليط: قشر القصبة.

الغيابة: ما أظلّ الإنسان فوق رأسه كالسحابة أو الغبرة.

---

(١) أ، ر، ن: رفيقة.

(٢) م، ي: أي.

(٣) م، ي: - يقال.

(٤) م، ي: الإزالة.

(٥) م، ي: - وقوله إن نصحنا أربينا: أصله من نصح إذا خاط، وأربينا: أصلحنا.

(٦) م، ي: - الهمهمة: كلام لا يصرّح به.

وقوله: محلقة: أي مستديرة. وقوله استأصل: أي انتزعها من أصلها. والشافة: قرحة تخرج في القدم فتكوى، فضرب مثلًا.

وجرثومةُ كلّ شيء أصلُه، والجرثومة: ما يجتمع في أصل الشجرة.

وقوله وهوّر ليلها: أصله من هور الرجل البنيان إذا هدمه، فيريد أذهب ليلها. والنكث: النقض. وقوله حِولًا: أي تحوّلًا.

وقوله احتضن: أي تأبّط، والحضن: الإبط. والشقاق: الخلاف. وهو ناقع القلب: أي يرتوي[1].

وقوله مبرود الغليل؛ الغليل: حرقة العطش. الفسيح: الواسع. واللبان: الصدر. والأزر: القوّة. والوزر: الثقل، وأراد به هنا الإثم. والإصر: الثقل. وقوله شُدِهت: أي تحيّرت. والكاهل: أعلى الكتفين.

(أبو بكر الصديق)

قاتل أبو بكر الصدّيق رضوان الله عليه أهل الردّة حتى رجعوا إلى الإسلام. وقتل مسيلمة الكذّاب، والأسود بن كعب العنسي، وأسر طليحة الكذّاب[2]، وفتح اليمامة.

(عمر بن الخطاب)

وأمّا عمر بن الخطاب رضوان الله عليه فهو الذي فتح الفتوح، ودوّن الدواوين، وأقطع الأجناد، ورتّب الناس في العطاء على منازلهم وقُربهم من رسول الله ﷺ، وجمع الناس لصلاة التراويح في شهر رمضان، وتلاوة القرآن في جميع المساجد، وجعل[3] الخلافة من بعده في ستة:

عثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، على أن يختاروا من الستة.

وأوصى عبد الرحمن بن عوف أن يعطي لمن بقي من أهل بدر[4] لكلّ رجل منهم مائة دينار، وأخذ عثمان بن عفان معهم، وهو خليفة، مائة دينار.

---

(١) مرتبكة في النسخ وهي أ، ر، ن: يؤتوي. م، ي: موتوي.

(٢) طُلَيْحَةُ بنُ خُوَيْلِد بنِ نَوْفَلِ بنِ نَضْلَةَ الأَسَديّ الفَقْعَسيّ كَانَ يُعَدّ بأَلْفِ فارِسٍ، ثمَّ تَنَبَّأَ ثمَّ أَسلَمَ وحَسُنَ إسلامُه.

(٣) ج، ر، ن: جعل.

(٤) م، ي: أن يعطي أهل الشورى.

(عثمان بن عفان)

وأمّا عثمان بن عفان رضوان الله عليه فكان ممن أنفق ماله على رسول الله ﷺ وفي مصالح[1] المؤمنين، وفي جيش العسرة، وبئر رومة، وفي أيّامه جُبي الخراج، وكان يفرّقه على الصحابة حتى استغنى الناس. وجمع القرآن في المصحف، وكان متفرّقًا، وأعانه على ذلك من حضر من أصحاب رسول الله ﷺ. وكانت في أيّامه فتوح كثيرة.

(علي بن أبي طالب)

وأمّا علي بن أبي طالب رضوان الله عليه فكان في أيّامه حروب كثيرة، منها يوم الجمل، وسار إلى قتال أهل البصرة وهو يوم الجمل في ثلاثين ألفًا. وسار إلى صفّين في خمسة وعشرين ألفًا. وسار إلى النهروان في أربعة عشر ألفًا[2]. خرج عليه بعد صفّين عبد الله بن عمرو اليشكري في أهل حروراء.

(الحسن بن علي)

وأمّا الحسن بن علي رضوان الله عليه فلمّا سار إلى معاوية، والتقيا بأرض الأنبار، نظر إلى العسكرين وأفكر[3] فيما يكون بينهما من القتل، أحبّ السلامة وطلب العافية وصلاح الأمّة وحقن دماء المسلمين. صالَح معاوية، وسلّم الأمر إليه وبايعه، ودخلا جميعًا الكوفة مع عسكريهما. ودفع معاوية إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما جميع ما أراد من المال وغيره، وردّه إلى المدينة، وولّى معاوية على الكوفة المغيرة بن شعبة الثقفي، ورجع معاوية إلى الشام بالعسكرين، وفعل الله هذا الصلح تصديقًا لقوله ﷺ، وقد نظر إلى الحسن: «إنّ ابني هذا سيّد يصلح الله ﷻ به بين فئتين عظيمتين من المسلمين».

ذكر ما روي عن العشرة الذين هم أكابر الصحابة من الحديث على ما رويناه من حديث[4] بقي بن مخلد

أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه: روي عنه مائة حديث، واثنان وثلاثون حديثًا.

---

(١) أ، ر، ن، ي: صالح. م: صالحي.

(٢) م، ي: - وسار إلى صفّين في خمسة وعشرين ألفًا. وسار إلى النهروان في أربعة عشر ألفًا.

(٣) أ، ي: وفكر. م: فكر.

(٤) م، ي: - حديث.

عمر بن الخطاب ﵁: خمسمائة حديث، وسبعة وثلاثون حديثًا.

عثمان بن عفان ﵁: مائة حديث، وستة وأربعون حديثًا.

علي بن أبي طالب ﵁: خمسمائة حديث وستة وثمانون حديثًا.

سعد بن أبي وقاص ﵁: مائتا حديث وأحد وسبعون حديثًا.

الزبير بن العوام ﵁: ثمانية وثلاثون حديثًا.

طلحة بن عبيد الله ﵁: ثمانية وثلاثون حديثًا.

أبو عبيدة بن الجرّاح ﵁: أربعة عشر حديثًا.

عبد الرحمن بن عوف ﵁: خمسة وستون حديثًا.

سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ﵁: ثمانية وأربعون حديثًا.

ما روى أهل بيته ونساؤه وخدّامه ومواليه

والسياق ليس على ترتيب، وإنّما هو على حسب ما وقع به الذكر في الوقت.

خديجة أمّ المؤمنين: حديث واحد.

بنت حمزة بن[1] عبد المطلب: حديث واحد.

عقيل بن أبي طالب: ستة أحاديث.

أنس بن مالك: ألفا حديث، ومائتا حديث، وستة وثمانون حديثًا.

عائشة أمّ المؤمنين: ألفا حديث، ومائتا حديث، وعشرة.

عبد الله بن عباس: ألف حديث، وستمائة حديث، وستون حديثًا.

أمّ سلمة أمّ المؤمنين: ثلاثمائة حديث، وثمانية وسبعون حديثًا.

أسامة بن زيد مولى رسول الله ﷺ: مائة حديث، وثمانية وعشرون حديثًا.

ثوبان مولاه ﵇: مائة حديث، وثمانية وعشرون حديثًا.

ميمونة أمّ المؤمنين: ستة وسبعون حديثًا.

أبو رافع مولى رسول الله ﷺ: ثمانية وستون حديثًا.

---

(١) م، ي: - حمزة بن.

سلمان الفارسي: ستون حديثًا.

حفصة أمّ المؤمنين: ستون حديثًا.

أمّ هاني بنت أبي طالب: ستة وأربعون حديثًا.

العباس بن عبد المطلب: خمسة وثلاثون حديثًا.

عبد الله بن جعفر بن أبي طالب: خمسة وعشرون حديثًا.

الفضل بن عباس: أربعة وعشرون حديثًا.

فاطمة بنته[1] ﷺ: ثمانية عشر حديثًا.

شعبة مولاه عليه السلام: أربعة عشر حديثًا.

الحسن بن علي رضي الله عنهما: ثلاثة عشر حديثًا.

زينب بنت جحش أمّ المؤمنين: أحد عشر حديثًا.

ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب: أحد عشر حديثًا.

صفية أمّ المؤمنين: عشرة أحاديث.

الحسين بن علي رضي الله عنهما: ثمانية أحاديث.

جويرية أمّ المؤمنين: سبعة أحاديث.

سلمى مولاه عليه السلام: سبعة أحاديث.

سودة أمّ المؤمنين: خمسة أحاديث.

زيد بن حارثة مولاه عليه السلام: أربعة أحاديث.

عبيد مولاه عليه السلام: ثلاثة أحاديث.

أحمر مولاه عليه السلام: ثلاثة أحاديث.

درّة بنت أبي لهب: ثلاثة أحاديث.

أبو سلمى، راعي رسول الله ﷺ: حديثان.

ميمونة، مولاته: حديثان.

---

(١) ج، م: بنت النبي.

مهران وكيسان وأبو أثيلة، مواليه عليه السلام: حديث واحد.[1]

* * *

روينا من حديث إسحق بن بشر القرشي، عن مقاتل بن سليمان، عن الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس قال: لمّا أراد الله أن يخلق الخلق ولا خلق، خلق نورًا، وخلق من ذلك النور ظلمة، وخلق من تلك الظلمة نورًا، وخلق من ذلك النور ياقوتة خضراء غلظها غلظ السبع السماوات[2] والسبع الأرضين وما بينهنّ، ثمّ دعا تلك الياقوتة، فلمّا سمعت كلام الله عزّ وجلّ ذابت الياقوتة فرَقًا حتى صارت ماءً، فارتعاد[3] الماء من دهش تلك المهابة والخوف، ثمّ خلق الريح، ثمّ وضع الماء على متن الريح.

ثمّ خلق العرش، فوضع العرش على الماء، وخلق للعرش ألف لسان، لكلّ لسان ألف لون من التسبيح والتحميد.

وكتب في قباله[4]: إنّي أنا[5] الله لا إله إلّا أنا وحدي لا شريك لي، ومحمد عبدي ورسولي. فمن آمن برسلي[6] وصدّق بوعدي أدخلته جنّتي.

ثمّ خلق الكرسي بعد عرشه بألفي عام من غير الجوهر الذي خلق منه العرش، والكرسي في جوف العرش كحلقة في وسط فلاة، والسماوات والأرض في جوف الكرسي كحلقة في وسط فلاة.

ثمّ خلق القلم من نور، وجعل طوله من السماء إلى الأرض، فخرّ لله ساجدًا.

ثمّ خلق اللوح المحفوظ، فخرّ أيضًا ساجدًا.[7] ثمّ قال لهما: ارفعا رءوسكما.

وخلق للقلم[8] ثلاثمائة وستين سنًّا يستمدّ كلّ سنّ من ثلاثمائة وستين بحرًا من العلوم. واللوح من زمرّدة خضراء له دفّتان من ياقوت.

---

(١) انتهى السمر.

(٢) ج، م: سماوات.

(٣) ج، م: فارتعد.

(٤) م، ي: قبالة عرشه.

(٥) ر، ن: - أنا.

(٦) م، ي: برسولي.

(٧) م، ي: - ثمّ خلق اللوح المحفوظ، فخرّ أيضًا ساجدًا.

(٨) أ، ر، ن: - للقلم.

فقال للقلم: اكتب، فقال: ماذا أكتب يا ربّي[1]؟ قال: اكتب في اللوح المحفوظ قضائي في خلقي وعلمي وقدري الذي قدّرته وكلّ ما هو كائن. فجرى القلم في اللوح[2] يكتب والحقّ يملي ما هو كائن إلى يوم القيامة.

وفي حديث مجاهد، عن ابن عباس أنّ اللوح من درّة بيضاء طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق والمغرب، حافّتاه الدرّ والياقوت، ودفّتاه ياقوتة حمراء. واللوح في حِجر ملك اسمه ماطريون. ولله فيه كلّ يوم ثلاثمائة وستون لحظة.

ومن حديث إسحق أيضًا، عن أبي بكر الهذلي، عن الحسن: ليس شيء عند ربّكم من الخلق أقرب إليه من إسرافيل، وبينه وبين ربّه سبعة حجب:

حجاب العزّة، ثمّ حجاب الجبروت، ثمّ حجاب من نار، ثمّ حجاب من غمام، ثمّ حجاب من ماء، ثمّ حجاب من دخان، ثمّ حجاب من ياقوت.

غلظ كلّ حجاب خمسمائة عام، وإسرافيل دونها، يداه[3] بين منكبيه كذا وكذا سنة، ورأسه من تحت العرش، ورجلاه في تخوم الثرى[4]، له جناح[5] بالمشرق، وجناح[6] بالمغرب، وجناح من تحته، وجناح من فوقه، وقد غشى رأسه، وغطّى وجهه، وليس شيء أقرب إلى الله ﷻ بعد إسرافيل من ثلاثة:

الرحمة، وأمّ الكتاب، والحكمة.

فالرحمة عن يمينه، وأمّ الكتاب عن اليمين الأخرى.

فإنّ كلتا يدي الله يمين مباركة طيّبة، والحكمة فيما بين ذلك، فإذا أراد الله أن يقضي قضاءً قضاه بعلمه، ولا يشهده من خلقه أحد حين يُحكمه.

خبر قُصَيْ لمّا أَسَنَّ وما صنع مع أولاده

روينا من حديث أبي الوليد، عن جدّه عن سعيد، عن عثمان، عن ابن جريج، وعن ابن إسحق، وكلٌّ يزيد على صاحبه في حديثه: فلمّا كبر قصي بن كلاب، وكان أوّل ولده عبد

---

(١) م، ي: يا رب.

(٢) ج، ر: - المحفوظ قضائي في خلقي وعلمي وقدري الذي قدّرته وكلّ ما هو كائن. فجرى القلم في اللوح.

(٣) أ، ج، ر، ن: يراه.

(٤) م، ي: الأرض.

(٥) م، ي: جناحان.

(٦) م، ي: وجناحان.

الدار، وكان ولده عبد مناف قد شرف في زمان أبيه، وذهب شرفه كلّ مذهب. وعبد الدار وعبد العزّى وعبد -بنو قصي- بها لم يبلغوا ولا أحد من قومهم من قريش ما بلغ عبد مناف من الذكر والشرف والعزّ، وكان قصي وحُبَّى بنت حليل يحبّان عبد الدار ويَرقّان عليه، لما يريان من شرف عبد مناف عليه وهو أصغر منه. فقالت له حبّى: لا والله؛ لا أرضى حتى تخصّ عبد الدار بشيء يلحقه[1] بأخيه. فقال قصي: لا والله؛ لأُلحقنّه به، ولأحبونّه بذروة الشرف حتى لا يدخل أحد من قريش ولا غيرها الكعبة إلّا بإذنه، ولا يقضون أمرًا ولا يعقدون لواءً إلّا عنده، وكان ينظر في العواقب.

فأجمع قصي على أن يقسّم أمور مكة الستة التي فيها الذكر والشرف والعزّ بين ابنيه، فأعطى عبد الدار السدانة، وهي الحجابة، ودار الندوة واللواء. وأعطى عبد مناف السقاية، والرفادة والقيادة، وكانت الرفادة خرجًا تخرجه قريش في كلّ موسم من أموالها إلى قصي بن كلاب، فيصنع به طعامًا للحاج، فيأكله من لم تكن له سعة ولا زاد، وكان قصي هو الذي فرضه على قريش. قال لهم: يا معشر قريش؛ إنّكم جيران الله وأهل بيته وأهل الحرم، وإنّ الحجاج[2] ضيف الله وزوّار بيته، وهم أحقّ ضيف الله بالكرامة، فاجعلوا لهم طعامًا وشرابًا أيّام الحج حتى يصدروا عنكم. ففعلوا، فكانوا يخرجون لذلك كلّ عام خرجا، فيدفعونه[3] إليه، فيصنعه طعامًا أيّام منى، فاستمرّ ذلك إلى اليوم.

فلمّا هلك قصي أقيم أمره في قومه بعد وفاته على ما كان عليه في حياته. وولي عبد الدار، فلم يزل على أثر أبيه حتى هلك. وجعل عبد الدار الحجابة بعده إلى ابنه عثمان بن عبد الدار. وجعل دار الندوة إلى ابنه عبد مناف بن عبد الدار. فلم يزل بنو عبد مناف بن عبد الدار يلون الندوة دون ولد عبد الدار. فكانت قريش إذا أرادت أن تشاور في أمرٍ فتحها لهم عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، أو بعض ولده، أو ولد أخيه. وكانت الجارية إذا حاضت أدخلت دار الندوة، ثمّ شقّ عليها بعض ولد عبد مناف بن عبد الدار درعها، ثمّ درّعها إيّاه، وانقلب بها أهلها فحجبوها. فكان عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار يسمّى محيضًا. ولم يزل بنو عثمان بن عبد الدار يلون الحجابة دون ولد عبد الدار.

ثمّ وليها عبد العزّى بن عثمان بن عبد الدار. ثمّ وليها ولده أبو طلحة عبد الله بن عبد

---

(١) أ، ر، ن، ي: تلحقه. م: يخلفه.

(٢) م، ي: الحاج.

(٣) م، ي: فيدفع.

العزّى بن عثمان بن عبد الدار. ثمّ وليها ولده من بعده حتى كان فتح مكة. فقبضها رسول الله ﷺ من أيديهم، وفتح الكعبة، ودخلها. ثمّ خرج رسول الله ﷺ من الكعبة مشتملًا على المفتاح، فقال له العباس بن عبد المطلب: بأبي أنت وأمي يا رسول الله؛ اعطنا الحجابة مع السقاية، فأنزل الله تعالى على نبيّه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾[1] قال عمر بن الخطاب: فما سمعتها من رسول الله ﷺ قبل تلك الساعة. فتلاها ثمّ دعا عثمان بن طلحة، فدفع إليه المفتاح، وقال: غيّبوه. ثمّ قال: خذوها يا بني أبي طلحة بأمانة الله، فاعملوا فيها بالمعروف خالدة وتالدة لا ينزعها من أيديكم إلّا ظالم. فخرج عثمان بن طلحة إلى هجرته[2] مع النبيّ ﷺ، وأقام ابن عمّه شيبة بن عثمان بن أبي طلحة، فلم يزل يحجب هو وولده وولد أخيه وهب بن عثمان حتى قدم ولد عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، وولده مسافع بن طلحة بن أبي طلحة من[3] المدينة. وكانوا بها دهرًا طويلًا، فلمّا قدموا حجَبوا مع بنّي عمّهم، فولد أبي طلحة يحجبون جميعًا.

وأمّا اللواء فكان في أيدي عبد الدار كلّهم، يليه[4] منهم ذو السنّ والشرف في الجاهلية حتى كان يوم أحد فقتل عليه من قتل منهم.

وأمّا السقاية والرفادة والقيادة، فلم تزل لعبد مناف بن قصي، يقوم بها حتى توفّي. فولي بعده هاشم بن عبد مناف السقاية والرفادة. وولي عبد شمس بن عبد مناف القيادة. فكان هاشم بن عبد مناف يطعم الناس في كلّ موسم بما يجتمع عنده من ترافد قريش، كان يشتري بما يجتمع عنده دقيقًا، ويؤخذ من كلّ ذبيحة من بدنة أو بقرة أو شاة، فيجمع ذلك كلّه، ثمّ يحرز[5] به الدقيق، ثمّ يطعمه الحاج. فلم يزل ذلك من أمره حتى أصاب الناس سَنةٌ وجدبٌ شديد، فخرج هاشم بن عبد مناف إلى الشام، فاشترى بما اجتمع عنده ومن ماله دقيقًا وكعكًا، فقدم به مكة في الموسم، فهشم ذلك الكعك ونحر الجزور[6] وطبخه وجعله ثريدًا، وأطعم الناس، وكانوا في مجاعة شديدة، حتى أشبعهم. فسمّي بذلك هاشما، وكان اسمه عمرو.

وفي ذلك يقول ابن الزبعر السهمي:

---

(١) [النساء: ٥٨]

(٢) م، ي: + وأقام.

(٣) النسخ عدا ج: في.

(٤) م، ي: - يليه.

(٥) مرتبكة في النسخ وهي في أ، ر، ن، ي: حروفها المعجمة مهملة. ج: يجزر. م: يخرز.

(٦) أ، ر، ن: الجزر.

كانت قريش بيضة فتفلّقتْ فالمخّ خالصها لعبد منافِ
الرائشين وليس يوجد رائش والقائلين هلمّ للأضيافِ
والخالطين غنيّهم بفقيرهم حتى يعود[1] فقيرهم كالكافِ
والضاربين الكبش يبرق بيضه والمانعين البيض بالأسيافِ
عَمْرو العلا هَشَم الثريد لمعشر كانوا بمكة مسنتين عجافِ[2]

يعني بعمرو العلا هاشمًا، فلم يزل هاشم على ذلك حتى توفّي. وكان عبد المطلب يفعل ذلك، فلمّا توفّي عبد المطلب قام بذلك أبو طالب. وكان عبد المطلب في السقاية يسقي لبن النوق بالعسل في حوض من أَدَمٍ، ويشتري الزبيب فينبذه بماء زمزم. وقام بأمر السقاية بعده العباس.

ومما نظم في مِنى قول عمر بن أبي ربيعة:

لبثوا ثلاثَ مِنًى بمنزل قلعة فهمُ على غرض لعمرك ما همُ
متجاورين بغير دار إقامةٍ لو قد أجدَّ رحيلهم لم يندموا
ولهنّ بالبيت العتيق لبانة والبيت يعرفهنّ لو يتكلّمُ
لو كان حيًّا قبلهنّ ظعائنًا حيّا الحطيم وجوههنّ وزمزمُ

ولنا في هذا المعنى:

يا خليليّ ألمّا بالحمى واطلبا نجدًا وذاك العَلما
وردا ماءً بخيمات اللوا واستظلّا ضالَها والسلما
وإذا ما جئتما وادي منى فالذي قلبي به قد جئتما
أبلغا عنّي تحيّات الهوى كلّ من حلّ به أو سلّما
واسمعا ماذا يجيبون به واخبرا عن دنف القلب بما
يشتكيه[3] من صبابات الهوى معلِنًا مستخبرًا مستفهما

ومن قول العرجي في منى:

عوجي عليّ فسلّمي جبر فيم الوقوف وأنتم سَفَرُ
ما نلتقي إلّا ثلاث منًى حتى يفرّق بيننا النفرُ[4]

(١) م، ي: كأنّ.
(٢) م، ي: - هذا البيت.
(٣) م، ي: يستلبه.
(٤) ج، ر: - هذان البيتان.

الشهر تمّ الحول يتبعه ما[1] الدهر إلّا الحول والشهرُ

حدّثنا يونس بن يحيى، ثنا أبو بكر بن أبي منصور، ثنا أحمد بن محمد البخاري، أنا أبو محمد الجوهري، ثنا ابن حيويه، ثنا محمد بن خلف، قال: قال أبو عمرو الشيباني: لمّا ظهر بقيس من الجنون ما ظهر، ورأى قومُه ما ابتلي به، اجتمعوا إلى أبيه وقالوا له: لو خرجتَ به إلى مكة فعاذ ببيت الله، وزار قبر رسول الله ﷺ، رجونا أن يرجع إليه عقله. فخرج به أبوه حتى أتى مكة، فجعل يطوف به، ويدعو الله له بالعافية، وقيس يقول:

دعا المحرِمون[2] الله يستغفرونه بمكة وهْنًا أن تمحَّى ذنوبُها
وناديت أي يا ربّ أوّل سؤلتي لنفسي ليلى ثمّ أنت حسيبُها
فإن أُعْطَ ليلى في حياتي لا يتبْ إلى الله خلق توبةً لا أتوبُها

حتى إذا كان بمنى نادى[3] منادٍ من بعض تلك الخيام: يا ليلى؛ فخرّ قيسٌ مغشيًّا عليه، واجتمع الناس حوله، ونضحوا على وجهه الماء، وأبوه يبكي عند رأسه. ثمّ أفاق وهو يقول:

وداعٍ دعا إذ نحن بالخِيف من منى فهيّج أطراب الفؤاد وما يدري
دعا باسم ليلى غيرها فكأنما أطار بليلى طائرًا كان في صدري

أخبرني بعض الأدباء في تلطّف محبّته ورقّة معناها، أنّه قرب يومًا من حيّ ليلى في وادٍ كثير الثلج، في زمن البرد، وهو يأخذ الجليد فيلقيه على فؤاده، فتذيبه حرارة الفؤاد. فرآه نسوة من الحيّ، فجاء بعض فتيات الحيّ إلى ليلى فأخبرنها بما رأين من أمر قيس، فخرجت مسرعة معهنّ حتى أشرفتْ عليه وهو على تلك الحالة، وهو ينادي: ليلى ليلى؛ فرمت بنفسها، وعانقته، وضمّته، وقالت: أنا بغيتك، أنا مطلوبك، أنا قرّة عينك. فنظر إليها وتأوّه، فكانت الزفرة تحرقها، وقال لها: إليك عنّي؛ فإنّ حبّك شغلني عنك. وأخذ في ولهه ينادي: ليلى ليلى.

ولنا في هذا المعنى:

شغل المحبّ عن الحبيب بحبّه هذا يعلّ وذاك ليس[4] يعلّل
لولا الخيال له وبرد وصاله أضحى بنيران الهوى يتحلّل

شعر لبعض الناس:

---

(١) م، ي: وما.
(٢) أ، ر، ن: المجرمون.
(٣) م، ي: فنادى.
(٤) م، ي: وذاك ليس (تقديم وتأخير).

إذا وجدتُ أوار الحبّ في كبدي أقبلتُ نحو سقاء القوم أبتردُ
هذا بردت ببرد الماء ظاهره فمن لحرٍّ على الأحشاء يتّقدُ[1]

ثمّ ولّتْ في أترابها تطلب الحيّ خوفًا من أهلها.

تنفّستِ الغداة وقد تولّتْ وعيسهم معارضة الطريقِ
فنادوا بالحريق ففاض دمعي فنادوا بالحريق وبالغريقِ

ومن باب كتمان الهوى قوله:

باح مجنون عامر بهواه وكتمت الهوى فمتّ بوجدي
فإذا كان في[2] القيامة نودي مَن قتيل الهوى تقدّمتُ وحدي

ومن باب النفْر من مِنى:

غدا النفر فانظر ما يكون مع النفر غدا فرقة الأحباب هل لي من صبرِ
غدا يرحل الظبي العزيز بمهجتي وتبقى قلوب العاشقين على الجمرِ
فقوم إلى بغداد شدّوا رحيلهم وقوم إلى شامٍ وقوم إلى مصرِ
فإن طلبوا بغداد كنت زميلهم وإن طلبوا مصرًا فيا حبّذا مصر
وإن طلبوا شامًا تعلّلت بالبكا لعلّهم في الحبّ أن يقبلوا عذري

ومن باب النسيب، وله وجه في الاعتبار لطيف[3] قوله:

يا ذا الذي حجّ في عهد الصبا فمضى عنّا هلالًا وأوفى نحونا قمرا
صِفِ المناسكَ لي كيف انتقلتَ بها فلم أقلّبْ لبدرٍ بعدك البصرا
أمّا الجمار فمن قلبي رميت بها كما بآخر عمري كنت معتمرا
عن بئر زمزم خبّرني فبي ظمأ وأنّ في فيك منه الريّ والخصرا[4]
وشفّع الحجّة الأولى بثانية لكي أقبّلَ ثغرًا قبّل الحجرا

ومن قول ابن المعتز:

لله درّ مِنى وما جمعتْ وبكا الأحبّة ليلة النفرِ
ثمّ اغتدوا فرقًا هنا وهنا يتلاحظون بأعين الذكرِ
ما للمضاجع لا تلائمني وكأنّ قلبي ليس في صدري

---

(١) م، ي: متقد.
(٢) م، ي: يوم.
(٣) ج، ن: - لطيف.
(٤) ر، ن: والخضرا. م، ي: والحضرا.

ومن باب النسيب في الطائفات:

قلت لها في الطواف معترضًا ... لا تستحلّي بالله سفكَ دمي
فكان من قولها وقد جعلت ... تستر ذاك الشقيق بالعَنَمِ[1]
نحن ظباءٌ ولا يحلّ لكم ... في الدين صيد الظباء في الحرَمِ

حدّثنا موسى بن محمد ﷺ قال: حج رجل أعجمي فيه خير وديانة. فبينا هو في الطواف عند الركن اليماني، وصوت خلخال من قدم بعض الحسان الطائفات قد وقع في أذنه، فأثّر في قلبه، فالتفتَ إلى الشخص فخرجتْ يد من ركن البيت فضربته على عينه التي التفتَ بها، فألقتها[2] على خدّه، وسمع عند الضربة صوتًا[3] من جدار البيت قائلًا يقول: تطوف ببيتنا وتنظر إلى غيرنا، هذه نظرة بلطمة أفقدناك فيها عينك، وإن زدت زدنا. قال: وكانت له امرأة يحبّها فتوفّيت. قال موسى: ربما لو اعتنى بتاريخ موتها لوجد في تلك الساعة التي نظر فيها؛ فعوقب ضعفين: فقد عينه وأهله.

قلت لموسى بن محمد: رأيت أنت الرجل؟ فأظنّه قال: نعم رأيته.

وقال الشريف الرضي:

أعاد لي عيدَ الضنى ... جيرانُنا على منى
كم كبدٍ معقورةٍ ... للعاقرين البُدُنا
تخفي تباريح الجوى ... وقد عنانا ما عنا
وبارق أشيمه ... كالطرف أغضى ورنا
ذكّرني الأحباب والذ ... كرى تهيج الحزنا
من بطن مرٍّ والسُّرى ... تؤمُّ عسفان بنا
وبالعراق وطوى ... يا بُعد ما لاح لنا

وأنشدنا ابن هلال:

إلى كم تعدني ليلة بعد ليلة ... بخِيفِ منى إذ نام أهل المنازلِ
قتيل بأرض الشام من غير علّة ... تواطت على خدّيه أيدي[4] الرواحلِ

(١) العَنَم: شجرةٌ حِجازيَّةٌ لها ثَمَرَةٌ حَمْراءُ، يُشَبَّهُ بها البَنانُ المَخْضوبُ، أو أطْرافُ الحَرُّوبِ الشامِيّ.
(٢) أ، ر، ن، ي: فألقته.
(٣) م، ي: - صوتا.
(٤) م، ي: أرض.

يقولون مَن هذا القتيل الذي نرى[1] وينظر شزرًا من خلال المحاملِ
ولو عاينوا ما حلّ في مضمر الحشا رأوا شخص مقتول يلوذ بقاتلِ

وقال مهيار الديلمي:

وما بنا إلّا هوى حيَّ على خيف منى
يا حسن ذاك موقفًا إن كان شيئًا حسنا
مُنى لعيني أن ترى تلك الثلاث من مِنى

ومن ريحانة العاشق:

خرس اللسان ولي دموع تنطق إنّ الهوى بحشاشتي متعلّقُ
لمّا رأيت أحبّتي يوم النوى شطّ الرحيل ببينهم فتفرّقوا
سلّطتُ طوفان الدموع عليهم وبعثتُ أنفاسي لكي لا يغرقوا
فتأوّه الحادي وقال لهم قفوا فبإثركم لا شكّ من يتعشّقُ
فأجبتهم من تحت صوت باهتٍ قامت قيامة عبدكم[2] فترفّقوا[3]
ردّوا الصباح لناظري فما أرى إلّا سيوف الموت حولي تبرقُ

ومن بستان الوامق:

يا قلب من مَواطن لم يرض منها وطنا
ويوم سلْعٍ لم يكن يومي بسلع هيّنا
وقفت أستسقي الظما فيه واستشفي الضنا
وفضحتْ سرَّ الهوى عيني فصار علنا
ويوم ذي البان تبا يعنا فحزت الغبنا
كان الغرام المشتري وكان قلبي الثمنا

وقال جميل بن معمر العذري:

الحبّ أوّل ما يكون لجاجةً تأتي[4] به وتسوقه الأقدارُ
حتى إذا اقتحم الفتى لجج الهوى جاءت أمور لا تطاق كبارُ

وقال الآخر:

---

(١) ج: ترى. م، ي: يرى.
(٢) أ، ر، ن: عندكم. م: بعدكم.
(٣) م، ي: فتفرقوا.
(٤) م، ن، ي: يأتي.

الحبّ أوّله حلو وأوسطه مرٌّ وآخره التوديع والأجلُ

ومن باب نوح الحمام:

حمام الأراك ألا خبّرينا بمن تهتفين ومَن تندبينا
لقد شقت ويحك منّا قلوبًا وأذرفتِ ويحك منّا عيونا
تعالي نُقِم مأتمًا للفراق ونندب أحبابنا الظاعنينا
وأسعد بالنوح كي تسعدينا كذاك الحزين يواتي[1] الحزينا

وروينا من حديث ابن باكويه، عن أبي زرعة الطبري، عن أبي زرعة الدمشقي، قال: خرج علي بن الفتح الحلبي يوم النحر فرأى الناس يتقرّبون إلى الله تعالى، فقال: يا ربّ؛ أرى الناس يتقرّبون إليك بألوان الذبائح، وإنّي تقرّبت إليك بحزني، ثمّ غشي عليه، فأفاق ثمّ قال: إلهي؛ إلى متى ترددني في دار الدنيا محزونًا فاقبضني إليك. فوقع من ساعته ميّتًا.

ولبعضهم في هذا المعنى:

للناس حج ولي حج إلى سكني تُهدى الأضاحي وأهدي مهجتي ودمي

ولنا فيه، غير إنّي زدت فيه معنى عرفانيًّا:

وأهدي عن القربان نفسًا مَعيبةً وهل رِيْءَ خلقٌ بالعيوبِ تقرّبا

وروينا من حديث أبي بكر أحمد بن الحسين[2] البيهقي، عن أبي سعيد الماليني، عن أبي بكر محمد بن أحمد بن يعقوب، عن محمد بن يوسف قال: سمعت أبا ثابت الخطاب يقول: سمعت إبراهيم بن موسى يقول: رأيت فتحًا الموصلي يوم عيد أضحى وقد شمّ روائح اللحوم، فدخل إلى زقاق، فسمعته يقول: تقرّب المتقرّبون إليك بقربانهم، وأنا أتقرّب إليك بطول حزني. يا محبوبي؛ كم تتركني في أزقّة الدنيا محزونًا؟ ثمّ غشي عليه، وحُمل إلى منزله، فدفنّاه بعد ثلاث. هذا هو فتح بن شخرف الموصلي من سادات القوم.

ضحّى الحبيب بقلبي يوم عيدهم والناس ضحّوا بمثل الشاءِ والغنم[3]
إنّ الحبيب الذي يرضيه سفك دمي دمي حلال له في الحلّ والحرمِ
للناس حج ولي حج إلى سكني تهدى الأضاحي وأهدي مهجتي ودمي
يطوف بالبيت قوم لا بجارحة بالحبّ طافوا فأغناهم عن الحرمِ

(١) أ، ر، ن: يواني.
(٢) في النسخ: الحسن.
(٣) هذه القصيدة للحلاج ولكن أبياتها مرتبة ترتيبا مختلفا عمّا هنا.

يا لائمي لا تلمني في هواه فلو عاينتَ منه الذي عاينتُ لم تَلُمِ[1]

ذِكر ما رثى به عمّاتُ النبيّ ﷺ أباهنّ عبد المطلب

روينا من حديث محمد بن إسحق قال: حدّثني العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس، عن بعض أهله أنّ عبد المطلب توفّي، ورسول الله ﷺ ابن ثمان سنين. قال ابن إسحق عن محمد بن سعيد بن المسيّب أنّ عبد المطلب لمّا حضرته الوفاة وعرف أنّه يموت جمع بناته، وكنّ ست نسوة: صفيّة، وبرّة، وعاتكة، وأمّ حكيم البيضاء، وأميمة، وأروى. فقال لهنّ: ابكين عليَّ حتى أسمع ما تقولنّ قبل أن أموت. قال ابن هشام: ولم أر أحدًا من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر إلّا أنّه لمّا رواه عن محمد بن سعيد بن المسيّب كتبناه.

فقالت صفيّة ابنته تبكيه:

أرِقتُ لصوت نائحةٍ[2] بليل على رجلٍ بقارعة[3] الصعيدِ
ففاضتْ عند ذلكم دموعي على خدّي كمنحدر الفريدِ
على رجل كريمِ غير وَغْلٍ له الفضل المبين على العبيدِ
على الفيّاض شيبة ذي المعالي أبيكِ الخير وارث كلّ جودِ
صدوق في المواطن غير نكس ولا شخْت[4] المقام ولا سنيدِ[5]
طويل الباع أروعُ شيظميٌّ[6] مطاع في عشيرته حميدِ
رفيع البيت أبلج ذي فضول وغيث الناس في الزمن الحرودِ[7]
كريم الجدّ[8] ليس بذي وَصومٍ[9] يروق على المسوَّد والمسودِ
عظيم الحلم من نفر كرام خضارمة ملاوثة أسودِ
فلو خلد امرؤ لقديم مجدٍ ولكن لا سبيل إلى الخلودِ
لكان مخلّدًا أخرى الليالي لفضل المجد والحسب التليدِ

---

(١) انتهى السمر.
(٢) النسخ عدا ج: ناحية.
(٣) م، ي: يقارعه.
(٤) الشخت: الدقيق الضامر من الأصل لا هزالا.
(٥) سنيد: دعي.
(٦) الشيظم: الطويل الشديد.
(٧) حرود: شديد وقليل الدر.
(٨) أ، ر، ن: الحد.
(٩) وصوم: عار وعيب.

وقالت ابنته برّة تبكيه:

عينيّ جودا بدمع درر ... على طيّب الخِيم[1] والمعتصَرْ
على ماجدِ الجدّ واري الزناد ... جميل المحيّا عظيم الخطرْ
على شيبة الحمد ذي المكرمات ... وذي المجد والعزّ والمفتخرْ
وذي الحلم[2] والفضل في النائبات ... كثير المكارم جمّ الفخرْ
له فضل مجد على قومه ... منير يلوح كضوء القمرْ
أتته المنايا فلم تشوه ... بصرف الليالي وريب القدَرْ

وقالت ابنته عاتكة تبكيه:

عينيّ جودا ولا تبخلا ... بدمعكما بعد نوم النيامْ
عينيّ واسحنفِرا[3] واسكبا ... وشوبا بكاءكما بالسدامْ[4]
عينيّ واستخرطا واسجما ... على رجل غير نكسٍ[5] كهامْ[6]
على الجحفل الغمر في النائبات ... كريم المساعي وفيّ الذمامْ
على شيبة الحمد واري الزناد ... وذي مَصْدَقٍ بعد ثبت المقامْ
وسيف لدى[7] الحرب صمصامة ... ومردي المخاصم عند الخصامْ
وسهل الخليقة طلق اليدين ... وَفٍ عُدْمُلِيّ[8] صميم لهامْ
تبنّك[9] في باذخٍ بيته ... رفيع الذؤابة صعب المرامْ

وقالت أمّ حكيم البيضاء ابنته تبكيه:

ألا يا عين جودي واستهلّي ... وابكي ذا الندى والمكرماتِ
ألا يا عين ويحك أسعديني ... بدمعٍ من دموع هاطلاتِ
وبكي خير من ركب المطايا ... أباكِ الخير تيار الفراتِ

---

(١) الخيم: السجيّة والطبيعة.
(٢) م، ي: العلم.
(٣) اسحنفرا: أكثرا الدمع.
(٤) السدام: الحزن.
(٥) م، ي: نكث.
(٦) كَهام: بطيء عن النصرة.
(٧) في النسخ: لذي.
(٨) عدملي: قديم.
(٩) تبنّك: أقام.

طويل الباع شيبة ذي المعالي كريم الخِيم محمود الهباتِ[1]
وَصولًا للقرابة هبرزيًا[2] وغيثًا في السنين الممحلاتِ
وليثًا حين تشتجر العوالي تروق له عيون الناظراتِ
عقيل بني كنانة والمرجّى إذا ما الدهر أقبل بالهناتِ
ومَفزعها[3] إذا ما هاج هيجٌ بداهية خصيم المعضلاتِ
فبكّيه ولا تسمي لحزنٍ وأبكي ما بقيت الباكياتِ

وقالت أميمة ابنته تبكيه:

ألا هلك الراعي العشيرة ذو الفقد وساقي الحجيج والمحامي عن المجدِ
ومن يؤلِف[4] الضيف الغريب بيوته إذا ما سماء الناس تبخل بالرعدِ
أبو الحارث الفيّاض خلّى مكانه فلا تبعدن فكلّ حيّ إلى بعدِ
فإنّي لَباكٍ ما بقيت وموجعٌ وكان له أهلًا لما كان من وجدِي
سقاك وليّ الناس في القبر ممطرًا وسوف أبكّيه وإن كان في اللحدِ
فقد كان زينًا للعشيرة كلّها وكان حميدًا حيث ما كان من حمدِ

وقالت أروى ابنته تبكيه:

بكت عيني وحقّ لها البكاءُ على سمح سجيّته الحياءُ
على سهل الخليقة أبطحيّ كريم الخِيم نيّته[5] العلاءُ
على الفيّاض شيبة ذي المعالي أبيكِ الخير ليس له كفاءُ
طويل الباع[6] أملس شيظميٌّ أغرّ كأنّ غرّته ضياءُ
أقبُّ الكشح أروع ذي فضولٍ له المجد المقدّمُ والسناءُ
أبيُّ الضيم أبلجُ هبرزيّ قديم المجد ليس به خفاءُ
ومعقل مالكٍ وربيع فهر وفاصلها إذا التمس القضاءُ
وكان هو الفتى كرمًا وجودًا وبأسًا حين تنسكب الدماءُ
إذا هاب الكماةُ الموتَ حتى كأنّ قلوب أكثرهم هواءُ

---

(١) أ، ج، ر، ن: الحبات.
(٢) هبرزي: ذو وصف جميل.
(٣) في النسخ: ومقرعها.
(٤) م، ي: يألف.
(٥) م، ي: بيته.
(٦) م، ي: البال.

مضى قدمًا بذي ربَدٍ[1] خشيب[2] عليه حين تبصره البهاءُ

قال: فزعم لي محمد بن سعيد بن المسيّب أنّه أشار برأسه وقد أصمت: أن هكذا فابكينني.

وقال حذيفة بن غانم أخو بني عدي بن كعب بن لؤي يبكي عبد المطلب بن هاشم، ويذكر فضله وفضل قصي على قريش، وفضل ولده من بعده عليهم، وذلك أنّه أُخِذ بغرم أربعة آلاف[3] درهم بمكة، فوقف بها، فمرّ به أبو لهب عبد العزّى بن عبد المطلب فافتكّه:

أعينيّ جودا بالدموع على الصدرِ ولا تسأما أسقيتما سبل القطرِ
وجودا بدمع واسفحا كلّ شارق بكاء امرئ لم يشوه نائب الدهرِ
وسحّا وجمّا واسجما ما بقيتما على ذي حياء من قريش وذي سترِ
على رجلٍ جلد القوى ذي حفيظة جميل المحيّا غير نكس ولا هذرِ
على الماجد البهلول ذي الباع واللهى ربيع لؤيّ في القحوط وفي العسرِ
على خير حاف من معدّ وناعل كريم المساعي طيّب الخِيم والنحرِ[4]
وخيرهم أصلًا وفرعًا ومعدنًا وأحظاهم بالمكرمات وبالذكرِ
وأولاهم بالمجد والحلم والنهى وبالفضل عند المحجفات من الغُبرِ
على شيبة الحمد الذي كان وجهه يضيء سواد الليل كالقمر البدرِ
وساقي الحجيج ثمّ للخبز هاشم وعبد مناف ذلك السيّد الفهرِ
طوى زمزمًا عند المقام فأصبحت سقايته فخرًا على كلّ ذي فخرِ
ليبك عليه كلّ عانٍ بكربةٍ وآل قصيّ من مقلّ وذي وفرِ
بنوه سراة كلّهم وشبابهم تفلّق عنهم بيضة الطائر الصقرِ
قصيّ الذي عادى كنانة كلّها ورابط بيت الله في العسر واليسرِ
فإن تك غالته المنايا وصرفها فقد عاش ميمون النقيبة والأمرِ
وأبقى رجالًا سادة غير عزّلٍ مصاليت أمثال الردينيّة السمرِ
أبو عتبة الملقي إليَّ حباءه أعزّ هجان اللون من نفرٍ غرّ
وحمزة مثل البدر يهتزّ للندى نقيّ الثياب والذمام من الغدرِ[5]

(١) ربد: أقام. أ: زبد. ج: دي. ر، ن: زيد. م، ي: زند.
(٢) خشيب: عظيم. ج: حسيب. ر، ي: حشيب.
(٣) في النسخ: ألف.
(٤) أ، ر، ن: والنجر.
(٥) م، ي: العذر.

وعبدُ منافٍ ماجدٌ ذو حفيظة ... وَصول لذي القربى رحيم بذي الصهرِ
كهولهم خير الكهول ونسلهم ... كنسل الملوك لا تبور ولا تحري
متى ما تلاقى منهم الدهر ناشئًا ... تجده بإجريًّا[1] أوائله يجري
هم ملئوا البطحاء مجدًا وعزّة ... إذا استُبِق الخيرات في سالف العصرِ
وفيهم بناة للعلا وعمارة ... وعبد منافٍ جدّهم جابر الكسرِ
بإنكاح عوفٍ بنته ليجيرنا[2] ... من اعدائنا إذ أسلمتنا بنو فهرِ
فسرنا بها غور[3] البلاد ونجدها ... بأمنه حتى خاضت العير في البحرِ
وهم حضروا والناس بادٍ فريقهم ... وليس بها إلّا شيوخ بني عمرو
بنوها ديارا جمّة وطووا بها ... بئارًا تسحّ الماء من ثبجِ بحرِ
لكي يشرب[4] الحجاج منها وغيرهم ... إذا ابتدروها صبح تابعة النحرِ
ثلاثة أيّام تظلّ ركابهم ... مخيّسة[5] بين الأخاشب والحجرِ
وقدمًا غنينا قبل ذلك حقبة ... ولا يستقي إلّا بخمٍّ أو الحفرِ[6]
هم يغفرون الذنب ينقم دونه ... ويعفون عن قول السفاهة والهجرِ[7]
فخارج إمّا أهلكنّ فلا تزل[8] ... لهم شاكرًا حتى تغيّب في القبرِ
ولا تنس ما أسدى ابن لبنى فإنّه ... قد اسدى يدًا محفوفة منك بالشكرِ
فأنت ابن لبنى من قصيّ إذا انتموا ... بحيث انتهى قصد الفؤاد من الصدرِ
فأنت تناولت العلا فجمعتها ... إلى محتدٍ للمجد ذي ثبج حسرِ
سبقتَ وفُتَّ القوم بذلًا ونائلًا ... وسُدت وليدًا كلّ ذي سؤدد غمرِ
وأمّك سرّ من خزاعة جوهر ... إذا حصّل الأحساب يومًا ذوو الخبرِ
إلى سبأ الأبطال تنمي وتنتمي ... وأكرم بها منسوبة في ذرى الزهرِ
أبو شمّر منهم وعمرو بن مالك ... وذو جدنٍ من قومها وأبو الجبرِ

---

(١) الإجريّا: الجري.
(٢) أ، ج، ر، ن: - ليجيرنا.
(٣) أ، ر، م، ن، ي: في.
(٤) م، ي: تشرب.
(٥) إبل مخيّسة: التي لم تسرّح.
(٦) أ، م، ن، ي: الجفر.
(٧) م، ي: - هذا البيت.
(٨) ر، ن: نزل.

وأسعد قاد الناس عشرين[1] حجة يؤيّد في تلك المواطن بالنصرِ

وقال مطرود بن كعب الخزاعي يبكيه:

يا أيّها الرجل المحوّلُ رَحْلَهُ هلّا سألت عن آل عبد منافِ
هَبَلتك أُمُّكَ لو حللت بدارهم ضمنوك من جرم ومن إقرافِ[2]
المنعِمين إذا النجوم تغيّرت والظاعنين لرحلة الإيلافِ
والمطعِمين إذا الرياح تناوحت حتى تغيب الشمس في الرجّافِ[3]
امّا هلكت أبا الفعال فما جرى من فوق مثلك عقد ذات نطافِ
إلّا أبيك أخي المكارم وحده والفيض مطّلب أبي الأضيافِ

كلّ ما تقدّم في هذا المجلس فهو من حديث محمد بن إسحق.

ومما سُمع من بكاء الجنّ عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه

روينا من حديث أحمد بن عبد الله، عن سليمان بن أحمد، عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة، ثنا عمّي أبو بكر، ثنا عبد الله بن إدريس، عن ليث، عن معروف بن أبي معروف قال: لمّا أصيب عمر سمعت صوتًا:

لِيَبْكِ على الإسلام من كان باكيًا فقد أوشكوا هلكى وما قدم العهد
وأدبرت الدنيا وأدبر خيرها وقد ملّها من كان يؤمن بالوعد

قال أحمد بن عبد الله، وحدّثنا أيضًا أبو حامد بن جبلة، ثنا محمد بن إسحق، ثنا الجوهري حاتم بن الليث، حدّثني سلمة بن حفص السعدي، ثنا أبو عامر الأسدي، عن المطلب بن زياد بسنده[4] قال: رثتِ الجنُّ عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه حين مات وكان فيما قالوا:

ستبكيك نساءُ الحي يبكين الشجيّات[5]
ويخمشن وجوهًا كالد نانير النقيّات
ويلبسن ثياب السو د بعد القصيبات[6]

(١) م، ي: سبعين.
(٢) إقراف: تهمة.
(٣) الرجاف: البحر.
(٤) أ، ر، ن: يسده. ي: - بسنده.
(٥) م، ن، ي: السجيات.
(٦) أ، ر، ن: القصبيات.

وقالت الجنّ تبكيه[1]:

أبعد قتيلٍ بالمدينة أصبحتْ ... له الأرض تهتزُّ العضاه[2] بأسْوُقِ
جزى الله خيرًا من أمير وباركتْ ... يد الله في ذاك الأديم الممزَّقِ
فمن يَسْعَ أو يركب جناح نعامة ... ليدرك ما سرّيت بالأمس يسبقِ
قضيت أمورًا ثمّ غادرت بعدها ... بوائق في أكمامها لم تفتّقِ
وما كنت أخشى أن تكون وفاته ... بكفّي سَبَنْتِي أزرق العين مطرِقِ
فلقّاك ربّي في الجنان تحيّة ... ومن كسوة الفردوس لا تتمزّقِ

حدّثنا بهذه الأبيات، عن أبي نعيم، عن الحسن بن علي الورّاق، عن عبد الله بن محمد البغوي، عن شجاع بن مخلد، عن محمد بن بشر، عن مِسْعَر، عن عبد الملك بن عمير، عن الصقر بن عبد الله، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: بكتِ الجنُّ على عمر بعد ثلاث، وذكرت الأبيات ما عدا البيت الأخير[3]، فإنّه من حديث أنس بن مالك. وقال: الإهاب، بدل الأديم.

وفي حديث ابن أبي مليكة "عليك السلامُ من أمير وباركت" بدل: "جزى الله خيرًا من أمير وباركت".

ومما بكت الجنُّ به عثمانَ بن عفان رضي الله عنه

وروينا أيضًا من حديث أحمد بن عبد الله، عن أبي أحمد محمد بن أحمد[4]، عن محمد بن إبراهيم الغازي، ثنا عبد الرحمن بن عمر رسته، ثنا أبو عاصم، ثنا عثمان بن مرّة، عن أمّه قالت: سمعتُ الجنّ تنوح على عثمان فوق مسجد رسول الله ﷺ ثلاث ليال[5]. قال: فكانت تنشد لنا بعض ما قالوا:

ليلة الحصبة إذ ير ... مون بالصخر الصلابِ
ثمّ جاءوا بكرة ينـ ... ـعون صقرًا كالشهابِ
زينهم في الحيّ والمجـ ... ـلس فكّاك الرقابِ

(١) م، ي: + أيضا.
(٢) ج، م، ي: العصاة. ن: العضا.
(٣) النسخ عدا ج: الآخر.
(٤) م، ي: - محمد بن أحمد.
(٥) م، ي: ثلاثة أيام.

قال أحمد بن عبد الله، وحدّثني إبراهيم بن عبد الله وابن جَبَلة، قالا: ثنا محمد بن إسحق، عن قتيبة بن سعيد، عن الليث بن سعد، عن عقيل[1]، عن الزهري أنّ رجلًا رأى في زمن عثمان كأنّ آتٍ أتاه في منامه، فقال له: عِ عنّي ما أقول لك:

لعمر أبيك وآبائه لقد ذهب الخير إلّا قليلا
لقد سفه الناس في دينهم وخلّى ابن عفان شرًّا طويلا

قال: فأتاه مخليًا به، فقال: واللهِ؛ ما أنا بشاعر، ولا راوية للشعر، وقد أُتيت الليلة فألقي عليّ هذان البيتان. فقال له عثمان: اسكت عن هذا. فلمّا كان العام المقبل أتاه ذلك الرجل أيضًا فقال: واللهِ؛ ما أنا بشاعر[2]، ولا أروي الشعر، وقد ألقي عليّ بيتان:

لعمري لقد نغّصتمونا معيشة تقرّ بها عينُ التقيِّ المهاجرُ
فيا ليت هذا اشترى العين قبله وليت فلانًا غيّبته المقابرُ

فقال له عثمان: اسكت مِن[3] ذكرها، فلم يلبث إلّا قليلًا حتى قُتل عثمان رضي الله عنه.

وقال جدّي عدي بن حاتم، وكان يقال له مقبّل الظعن لطوله: سمعت صوتًا يوم قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه:

ألا أبشر يا ابن عفّان، بروح ثمّ ريحان، وربّ غير غضبان.

ألا أبشر يا ابن عفّان، بغفران ورضوان.

رويناه من حديث أبي نعيم، عن محمد بن أحمد بن الحسن، عن الحسن بن علي بن الوليد، عن أحمد بن عمران الأخنسي، عن خالد بن عيسى، عن الأعمش، عن خيثمة، عن عدي بن حاتم.

ما ناحت به الجنّ على الحسين رضي الله عنه

مسح النبيّ جبينه فله بريقٌ في الخدودِ
أبواه في عليا قريشٍ وجِدُّه خير الجدودِ

---

(١) ج، ر: - عن عقيل.

(٢) م، ي: - ولا راوية للشعر، وقد أُتيت الليلة فألقي عليّ هذان البيتان. فقال له عثمان: اسكت عن هذا. فلمّا كان العام المقبل أتاه ذلك الرجل أيضًا فقال: واللهِ؛ ما أنا بشاعر.

(٣) م، ي: اسكت له عن.

وروياه[1] من حديث أحمد بن عبد الله، عن أبي حامد بن جبَلة، عن محمد بن الحسين، عن أبي بكر بن خلف، عن محمد بن الحجاج، عن معرِّف[2] بن واصل، عن حبيب بن أبي ثابت، قال: سمعت الجنّ تنوح على الحسين ﷺ، وذكر البيتين.

ومن حديثه أيضًا، عن سليمان بن أحمد، عن القاسم بن عباد، عن سويد بن سعيد، عن عمرو بن ثابت، عن حبيب بن أبي ثابت، قال: قالت أمّ سلمة رضي الله عنها: ما سمعت نَوح الجنّ منذ قُبض النبيّ ﷺ إلّا ليلة، وما أرى الحسين إلّا[3] قتل، فأخرجت جاريتها تسأل، فأُخبرت بقتل الحسين، قالت: فإذا جنّية تنوح:

ألا يا عين فاحتفلي بِجُهد ومن يبكي على الشهداء بعدي
على رهط تقودهم المنايا إلى متجبّر في ملك عبدِ

ومن حديثه أيضا عن سليمان بن أحمد، عن زكريا بن يحيى الساجي، عن محمد بن يحيى بن صالح الأزدي، عن السري بن منصور بن عباد، عن أبيه، عن أبي لهيعة، عن أبي قبيل، قال: لمّا قتل الحسين ﷺ احتزّوا رأسه، وقعدوا في أوّل مرحلة يشربون النبيذ، ويتحيّون بالرأس. فخرج عليهم قلم من حديد من حائط فكتب سطرًا بدم:

أترجو أمّةٌ قتلت حسينًا شفاعة جدّه يوم الحساب؟

قال: فهربوا وتركوا الرأس ثمّ رجعوا.

وقال جابر الحضرمي، عن أمّه، قالت[4]: سمعت الجنّ تنوح على الحسين وهي تقول:

أنعي حسينًا هبلا كان حسينٌ جبلا

لسان كريم

روينا من حديث المالكي، عن عبد الله بن عمرو الورّاق، ثنا أبي، عن يحيى بن خليفة المجاشعي، ثنا إدريس، عن مروان بن أبي حفصة يعني عن أبيه، قال: أنشدت معن بن زائدة أربعة أبيات فأعطاني أربعة آلاف[5] دينار، فبلغتْ أبا جعفر فقال: ويلي على الأعرابي الجلف. فاعتذر إليه وقال: يا أمير المؤمنين؛ إنما أعطيته على جودك، فسوّغه إيّاها. فلمّا مات معن

(١) النسخ عدا ج: رويناه.
(٢) ج، م، ي: معروف.
(٣) النسخ عدا ج: - إلا.
(٤) ج، ن: قال.
(٥) النسخ عدا م: ألف.

بن زائدة رثاه مروان فقال:

أَلِمّا على معن فقولا لقبره ... سقيت الغوادي مربعًا ثمّ مربعا
فيا قبر معنٍ كنت أوّل حفرة ... من الأرض خُطّت[1] للمكارم مضجعا
ويا قبر معنٍ كيف واريت جوده ... وقد كان منه البَرُّ والبحر مُترعا[2]
ولكن ضممت الجود والجود ميّت ... ولو كان حيًّا ضقتَ حتى تصدّعا
ولمّا مضى معنٌ مضى الجود والندى ... وأصبح عرنين المكارم أجدعا
وما كان إلّا الجود صورة خلقه ... فعاش زمانًا ثمّ مات فودّعا
فتى عِيش من معروفه بعد موته ... كما كان بعد السيل مجراه مرتعا
تعزَّ أبا العباس عنه ولا تكن ... ثوابك من معن بأن يتضعضعا[3]
تمنّى رجالٌ شأوَه من ضَلالهم ... فأضحوا على الأذقان صرعى وظُلّعا

وحدّثني المهذّب عبد الكريم بن يوسف بالموصل، عن الحسن بن عمّار قال: قدم علينا نور الهدى الواعظ الاسكندراني الموصلَ[4]، وكانت بينه وبين أخي صحبة جميلة، وكان أخي قد توفّي فسألني أن أزور معه قبره، فزرنا قبره[5] وترحّمنا عليه ساعة، وذكر ما كان بينهما من جميل العشرة وخلوص الولاء وإيثار الصحبة. ثمّ عدنا إلى المنزل قال: فرأيت أخي في النوم، فذكرت له ما كان من نور الهدى ومنّي في زيارة قبره، من ذكر ليال سلفت بينهما في الله ولله. فقال الميّت: رأيته عندما زارني، وأنِستُ بجميل طلعته، وتذكار[6] عهده، وسررت بترحّمه ودعائه، واستقللت زمان وقوفه، فما اشتفيت من سماع لفظه الشهي، وبديع منطقه البهي، وقد قلت في ذلك شعرًا.

قال ابن عمّار؛ فأنشدني:

أهلًا بزائرنا الذي ... أهدى تحيّته إلينا
فشفتْ[7] أوام[8] الاشتياق ... وجدّدتْ روحًا علينا

(١) النسخ عدا م: حطّت.
(٢) النسخ عدا إحدى روايات أ: ممرعا.
(٣) ج، ي: تتضعضعا.
(٤) ج: الموصلي. م، ي: - الموصل.
(٥) م، ي: - فزرنا قبره.
(٦) م، ي: وتذكّر.
(٧) م، ي: فسقت.
(٨) الأوام: حرارة العطش.

لمّا التقتْ أرواحنا عجل الفراق وما اشتفينا

قال: فاستيقظت وقد حفظتها[1] مِن قِيله[2]. فذكرتها لنور الهدى، فأوردها على المنبر في مجلسه؛ فلم أر أحسن من مجلس ذلك اليوم، ولا أكثر باكيًا منه[3].

وقال مهيار الديلمي في الاشتياق:

ألا فتى يسأل قلبي ما لهُ ينزو إذا بَرْقُ الحمى بدا لهُ
فهبّ يرجو خبرًا من الغضا يُسنده عنه فما روى لهُ
أراد نجدًا معه ببابلٍ إرادةً هاجت له بلبالهُ
وانتسم الريح الصبا ومَن له بنفحة من الصبا طوبى لهُ
ويوم ذي البان وما أشار مَن ذي البان إلّا أن أقول ما لهُ

المعرفة أشرف صفة

قال أبو عبد الله البراثي: بالمعرفة هانت على العاملين العبادة، والرضى عن الله ﷻ في تدبيره. زهدوا في الدنيا ورضوا منها لأنفسهم بتقديره.

رويناه من حديث ابن مروان، عن إسحق بن إبراهيم، عن حكيم بن جعفر، عن البراثي[4].

ومن حديثه أيضًا، عن محمد بن عيسى البغدادي قال: كان يقال[5]: ما لك من عمرك إلّا ما أطعت الله ﷻ فيه، فأمّا[6] ما عصيت الله ﷻ فيه فلا تعدّه عمرًا.

ومن الشعر الذي هو برسول الله ﷺ أولى، إذ ذلك النعت له حقيقة، قول أبي نوّاس:

أوجده الله فما مثله لطالبٍ ذاك ولا ناشدِ
وما على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحدِ

---

(١) م، ي: - وقد حفظتها.
(٢) ج، م، ي: من قبله.
(٣) م، ي: - منه.
(٤) م، ي: + أيضا.
(٥) م، ي: - يقال.
(٦) م، ي: وأما.

ومن باب[1] مطارحة العشاق[2]

دعوني ونعمان الأراك أرودهُ ... يجاوب صوتي طيرَه المتناوحا
عسى سانحٌ من دار ميّة يامِنٌ ... يقيَّض لي عن شائم طار بارحا

ومن باب[3] حنين الإبل وسيرها

يقودها الحادي إلى مراده ... وهمّها أخرى[4] إليها لم تُقَدْ
وإنّما تيّمها بحاجرٍ ... أيّامها بحاجر لو تُستردْ
لو كان لي على الزمان إمرةٌ ... مطاعةٌ قلت أعِدْها لي أَعِدْ
فكم على وادي الغضا من كبِدٍ ... يحكم فيها بسوى العدل الكَمَدْ[5]

ومن هذا الباب:

متى رفعتْ لها بالغور نار ... وقرَّ بذي الأراك لها قرارُ
فكلّ دمٍ أراق السير منها ... بحكم الشوق مطلول[6] جبارُ

ومن هذا الباب:

أثرها على حبّ الوفاء وحسنه ... تُصَعَّبُ في أشطانها وتلينُ
جوافل من طرد الرماح قريبة ... عليها فجاج الأرض وهي شطونُ
لها وهي خُرْسٌ تحت عضِّ رحالها ... تَشَكٍّ إذا جدّ السرى وأنينُ[7]

حدّثنا يونس بن يحيى، ثنا ابن أبي منصور، أنا هبة الله بن أحمد الموصلي، أنا عبد الملك بن أحمد بن بشران، ثنا أبو سهل أحمد بن محمد القطّان، أنا محمد بن يونس الشامي، ثنا محمد بن عبيد الله العتبي قال: حدّثني أبي، عن المسيّب بن شريك، عن عبد الوهاب بن عبيد الله بن أبي بكرة قال: وقف أعرابي على عمر بن الخطاب ﷺ فقال:

يا عمر الخير جُزيت الجنّهْ
اكْسُ بنيّاتي وأُمَّهُنَّهْ

---

(١) م، ن، ي: - باب.
(٢) هذا النص والنصوص الثلاثة التالية للشاعر مهيار الديلمي.
(٣) أ، ر، ن: - باب.
(٤) أ، ر: أحرى.
(٥) أ، ج، ر، ن: الكبد.
(٦) م، ي: مطلوب.
(٧) انتهى السمر.

أقسم بالله لتفعلنّهْ

قال عمر فإن لم أفعل يكون ماذا؟ قال:

إذن أبا حفص لأَمضِيَنَّهْ

قال: فإن مضيت يكون ماذا؟

تكون عن حالي لتُسئلنّهْ يوم تكون الأعطيات ثمّهْ

والواقف المسئول بينهنّهْ إمّا إلى نارٍ وإمّا جنّهْ

فبكى عمر حتى اخضلّت لحيته. وقال لغلامه: يا غلام؛ اعطه قميصي هذا لذلك اليوم لا لِشِعْرِه. قال: أما والله لا أملك غيره. فكان عمر يدني يده من النار، ثمّ يقول: يا ابن الخطاب؛ هل لك على هذا صبر؟ وبكى حتى كان في وجهه خطّان أسودان من البكاء. وكان يقول: ألا من يأخذها بما فيها[1]، يعني الخلافة، ليتني لم أُخلق. ليت أمّي لم تلدني، ليتني لم أكن شيئًا، ليتني كنت نسيًا منسيًّا.

وروينا من حديث ابن أبي الدنيا، عن أبي الحسن، عن ابن جعدويه، عن إسماعيل بن أبي حكيم، عن سعيد بن المسيّب قال: حج عمر فلمّا كان بضجنان[2] قال: لا إله إلّا الله العظيم، المعطي ما شاء لمن شاء. كنت أرعى إبل الخطّاب بهذا الوادي في مدرعة صوف، وكان فظًّا يتعبني إذا عملت، ويضربني إذا قصّرت، وقد أمسيت ليس بيني وبين الله أحد، ثمّ تمثّل:

لا شيء فيما ترى تبقى بشاشته يبقى الإله ويودى المالُ والولدُ

لم تغنِ عن هرمز يومًا خزائنه والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

ولا سليمان إذ تجري الرياح له والإنس والجنّ فيما بينها تردُ

أين الملوك التي كانت نوافلها من كلّ أوب إليها راكب يفِدُ

حوضا هنالك موروداً بلا كذبٍ لا بدّ من ورده يومًا كما وردوا

هذا كان لباسه وهو يرعى الغنم، وخطب الناس وهو خليفة وعليه إزار فيه اثنتي عشرة رقعة رضي الله عنه.

---

(١) م، ي: منّي (بدلا من: بما فيها).

(٢) ضجنان: موضع بين مكة والمدينة.

خطبة سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين

روينا من حديث ابن أبي الدنيا قال: حدّثنا محمد بن إسماعيل، عن جابر بن عوف[1] قال: أوّل كلام تكلّم به سليمان بن عبد الملك أن قال، يعني في خلافته: الحمد لله الذي ما شاء صنع، وما شاء رفع، وما شاء وضع، وما شاء أعطى، وما شاء منع، إنّ الدنيا دار غرور، ومنزل باطل وزينة[2]، تضحك باكيًا وتبكي ضاحكًا، وتخيف آمنًا وتؤمن خائفًا، وتفقر مثريها وتثري فقيرها، ميّالة لاعبة بأهلها.

يا عباد الله: اتّخذوا كتاب الله إمامًا، وارضوا به حَكمًا، واجعلوه لكم قائدًا؛ فإنّه ناسخ لما كان قبله، ولن[3] ينسخه كتاب بعده. فاعلموا[4]، عباد الله، أنّ القرآن يجلو كيد الشيطان كما يجلو ضوء الصبح إذا تنفّس أدبار الليل إذا عسعس.

خبر خولة بنت حكيم مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه

روينا عن قتادة قال: خرج عمر بن الخطاب من المسجد، والجارود العبدي معه، فبينما هما خارجان إذا بامرأة على ظهر الطريق، فسلّم عليها عمر فردّت عليه السلام، ثمّ قالت: رويدك يا عمر حتى أكلّمك بكلمات قليلة. قال لها: قولي، قالت: يا عمر؛ عهدي بك وأنت تسمّى عميرًا في سوق عكاظ تصارع الصبيان، فلم تذهب الأيّام حتى سمّيت عمر، ثمّ لم تذهب الأيّام حتى سمّيت أمير المؤمنين. فاتّق الله في الرعيّة، واعلم أنّه من خاف الموت خشي الفوت. فبكى عمر. فقال الجارود: هيه، قد اجترأتِ على أمير المؤمنين وأبكيتِه. فقال عمر: دعها، أما تعرف هذه يا جارود! هذه خولة بنت حكيم التي سمع الله قولها من فوق سمائه. فعُمر واللهِ أحرى أن يسمع كلامها. أراد بذلك. قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾[5].

ومن خُطب الحجاج

ما رويناه من حديث ابن أبي الدنيا قال: حدّثني محمد بن الحسين قال: حدّثنا خلف بن

---

(١) النسخ عدا م: عون.

(٢) م، ي: - وزينة.

(٣) ج، ر: ولا.

(٤) م، ي: واعلموا.

(٥) [المجادلة: ١]

تميم، ثنا أبو رجاء الهروي، عن أبي بكر الهذلي قال: رأيت الحجاج يخطب على المنبر، فسمعته يقول:

أيّها الناس؛ إنّكم غدًا موقوفون بين يدي الله، ومسئولون. فليتّق الله امرؤ، ولينظر ما يعِدّ لذلك الموقف، فإنّه موقف يخسر فيه المبطِلون، وتذهل فيه العقول، ويرجع الأمر فيه إلى الله ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[1].

بادروا آجالكم بأعمالكم قبل أن تخترموا دون آمالكم[2]. قال: ثمّ بكى وانتحب وهو على المنبر، فرأيت[3] دموعَه تنحدر على لحيته.

حديث أبي ذر مع عبد الله بن عامر

حدّثنا محمد بن محمد بن محمد، ثنا أبو القاسم الحريري، أنا أبو طالب العشاري، أنا أبو بكر البَرْقاني، ثنا إبراهيم بن محمد المزكي، أنا محمد بن إسحق الثقفي، ثنا هارون بن عبد الله، ثنا سيّار، ثنا جعفر، ثنا أبو عمران الجوني، عن نافع الطاحي، قال: مررت بأبي ذر فقال لي: ممن أنت؟ قلت: من أهل العراق. قال: أتعرف عبد الله بن عامر؟ قلت: نعم. قال: فإنّه كان يتقرّأ[4] معي ويلزمني، ثمّ طلب الإمارة، فإذا قدمتَ البصرة فترايا له، فإنّه[5] سيقول: لك حاجة؟ فقل: اخلني. فقل له[6]: أنا رسول أبي ذر إليك، وهو يقرئك السلام، ويقول لك: إنّا نأكل من التمر، ونشرب من الماء، ونعيش كما تعيش. فلمّا[7] قدمت تراءيت له فقال: لك[8] حاجة؟ فقلت: أخلني أصلحك الله. فقلت: أنا رسول أبي ذر إليك. فلمّا قلتها خشع لها[9] قلبه، وهو يقرأ عليك السلام ويقول: إنّا نأكل من التمر، ونروى من الماء، ونعيش كما تعيش. قال: فحلّ إزاره، ثمّ أدخل رأسه في جيبه، ثمّ بكى[10] حتى ملأ جيبه بالبكاء.

---

(١) [إبراهيم: ٥١]

(٢) م، ي: أموالكم.

(٣) م، ي: ورأيت.

(٤) يتقرّأ: يتعبّد.

(٥) م، ي: - فإنه.

(٦) م، ي: - له.

(٧) م، ي: قال: فلما.

(٨) م، ي: ألك.

(٩) م، ي: له.

(١٠) م، ي: - ثم بكى.

روينا من حديث أحمد بن حنبل قال: حدّثنا عبد الله، ثنا سعيد بن أبي أيوب، عن عبد الله بن الوليد وقال[1]: سمعت عبد الرحمن بن حجيرة يحدّث عن أبيه، عن ابن مسعود أنّه كان يقول:

أمّا بعد؛ إنّكم في ممرّ الليل والنهار في آجال منقوصة، وأعمال محفوظة، والموت يأتي بغتة. فمن زرع خيرًا يوشك أن يحصد رغبة، ومن زرع شرًّا يوشك أن يحصد ندامة، ولكلّ زارع ما زرع، لا يسبق بطيء بحظّه[2]، ولا يدرك حريص ما لا يقدّر له.

حديث ملك متقدّم

حدّثنا يونس، عن[3] محمد بن ناصر، أنا محفوظ بن أحمد، أنا محمد بن الحسين، ثنا المعافى، ثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، ثنا أبو بكر بن أبي الدنيا، عن القاسم بن هاشم، ثنا الحكم بن نافع، عن صفوان بن عمر بن عبد الرحمن بن عبد الله الخزاعي، أنّ ذا القرنين أتى على أمّة من الأمم ليس في أيديهم شيء مما يستمتع به الناس من دنياهم، قد احتفروا قبورا، فإذا أصبحوا تعاهدوا تلك القبور، فكنسوها، فصلّوا عندها، ورعوا البقل كما ترعى البهائم. وقد قُيّض لهم من ذلك معاشٌ من نبات الأرض.

فأرسل ذو القرنين إلى ملكهم، فقال الرسول: أجب الملك ذا القرنين. فقال: ما لي إليه حاجة. فأقبل إليه ذو القرنين فقال: إنّي أرسلت إليك لتأتيني فأبيتَ، فها أنا ذا قد جئتك. فقال: لو كانت لي إليك حاجة لأتيتك. فقال له ذو القرنين: ما لي أراكم على الحالة التي رأيت؛ لم أر أحدًا من الأمم عليها؟ قالوا: وما ذاك؟ قال: ليس لكم دنيا ولا شيء، أفلا اتّخذتم الذهب والفضّة فاستمتعم بها؟ قالوا: إنما كرهناها، لأنّ أحدًا[4] لم يُعط منها شيئًا إلّا تاقت نفسه إلى أفضل منه. فقال: ما بالكم قد احتفرتم قبورًا فإذا أصبحتم تعهّدتموها وكنستموها وصلّيتم عندها؟ قالوا: أردنا إذا نظرنا إليها وأَمَلُنا الدنيا، منعتنا قبورنا من الأمل. قال: وأراكم لا طعام لكم إلّا البقل من الأرض، أفلا اتّخذتم البهائم من الأنعام فاحتلبتموها وذبحتموها واستمتعتم بها؟ فقالوا[5]: رأينا أنّ في نبات الأرض بلاغًا.

---

(١) م، ي: قال.

(٢) أ، ر: بحطه. ج: بخطه. م: لحظه. ي: لحطه.

(٣) م، ي: بن.

(٤) م، ي: أحدكم.

(٥) م، ي: فقالوا: إنما كرهناها.

ثمّ بسط ملِك تلك الأرض يده خلف ذي القرنين، فتناول جمجمة، فقال: يا ذا القرنين؛ أتدري من هذا؟ قال: لا، من هو؟ قال: ملِك من ملوك الأرض، أعطاه الله سلطانًا على أهل الأرض، فغشم وظلم وعتا. فلمّا رأى ذلك منه حسَمه بالموت فصار كالحجر الملقى، قد أحصى الله عمله عليه، حتى يجزيه في آخرته. ثمّ تناول جمجمة أخرى بالية، فقال: يا ذا القرنين؛ هل تدري من هذا؟ قال: ومن هذا؟ قال: هذا ملِك ملّكه الله بعده، قد كان يرى ما يصنع الذي قبله بالناس من الظلم والغشم والتجبّر، فتواضع وخشع لله ﷻ، وعمل بالعدل في أهل مملكته، فصار كما ترى، قد أحصى الله عليه[1] عمله حتى يجزيه في آخرته.

ثمّ أهوى إلى جمجمة ذي القرنين فقال[2]: وهذه الجمجمة كان قد كانت كهاتين، فانظر يا ذا القرنين ما أنت صانع. فقال له ذو القرنين: هل لك في صحبتي فأتّخذك وزيرًا وشريكًا فيما آتاني من هذا المال؟ فقال: ما أصلح أنا وأنت في مكان، قال: ولم؟ قال: من أجل[3] أنّ الناس كلّهم لك عدوّ، ولي صديق. قال: ولم ذاك؟ قال: يعادونك لما في يديك من الملك والمال، ولا أجد أحدا يعاديني لرفضي ذاك. فانصرف عنه ذو القرنين.

هذا ذو القرنين، هو ذو القرنين الأكبر، وقيل هو المذكور في القرآن.

قال بعض المؤرّخين: هو أوّل القياصرة، وهو ابن سام بن نوح. يقال أنّه لقي إبراهيم الخليل عليه السلام، وطاف البلاد، وسدّ على[4] يأجوج ومأجوج. واختلف في تسميته ذو القرنين، لأنّه لقب له، واسمه عبد الله بن الضحاك، روي ذلك عن ابن عباس. وقال بعضهم: كان بعد نمرود بن كنعان، وهو الذي بنى الاسكندرية. وقد ذكرنا في هذا الكتاب من أخباره بعض ما وصل إلينا. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كان عبدًا صالحًا ولم يكن نبيًّا، بعثه الله في قومه، فضربوه على قرنه فقتلوه، ثمّ بعثه الله أخرى، فضربوه على قرنه فمات.

قال غيره: كان له شبه القرنين نابِتين في رأسه، وقيل: لبلوغه قطري الأرض، ومات بأرض بابل.

وأمّا ذو القرنين الأصغر فهو الاسكندر بن فيلسوف اليوناني، قتل دارا بن دارا، وسلبه

---

(١) م، ي: - عليه.

(٢) م، ي: قال.

(٣) م، ي: قال: لأجل.

(٤) م، ي: - على.

ملكه، وتزوّج ابنته، وكانت[1] من أجمل الناس. فلمّا اجتمع له ملك الروم وملك فارس سمّي هذا ذو القرنين لهما. وقيل: رأى في منامه كأنّه آخذ بقرني الشمس، فسمّي بذلك. ثمّ رجع إلى العراق بعد طلبه عين الخلد، ومات بشهرزور، وقيل بميافارقين. وحمل إلى أمّه في تابوت من ذهب إلى الاسكندرية، وكان عمره ستّا[2] وثلاثين سنة، ومدّة ملكه أربع عشرة سنة. وكان قبل المسيح بثلاثمائة وثلاث سنين. وقيل: وتسع عشرة سنة. وقد روي أنّه الذي سدّ على يأجوج.

(قصة عمر بن الخطاب مع أصحاب الضوء)

روي من حديث أسلم، أنّه قال: خرجنا مع عمر بن الخطاب ﷺ ليلًا، حتى إذا كنّا بموضع إذا نارٌ، فقال: يا أسلم؛ إنّي لأرى ها هنا رَكبًا قصر بهم الليل والبرد، فانطلِق بنا. فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم، فإذا بامرأة معها صبيان صغار، وإذا بقِدر منصوبة على نار، وصبيانها يتضاغون[3]، فقال عمر[4]: السلام عليكم يا أصحاب الضوء، وكره أن يقول: يا أهل النار. فقالت: وعليك السلام. فقال: أدنو؟ فقالت: أدن بخير، أو دع. قال: فدنا، فقال: ما بالكم؟ قالت: قصر بنا الليل والبرد. فقال: وما بال هؤلاء الصبية يتضاغون؟ قالت: الجوع، قال: فأيّ شيء في هذا القِدر؟ قالت: ماء، أُسكتهم به[5] حتى يناموا، واللهُ بيننا وبين عمر. قال: أي رحمك الله، وما يُدري عمر بكم؟ قالت: يتولّى أمرنا، ثمّ يغفل عنّا!

قال: فأقبل عليَّ فقال: انطلق[6] بنا، فخرجنا حتى أتينا دار الدقيق، فأخرجنا عدلًا من دقيق، وكبّة شحم، فقال: أحمله عليّ، فقلت: أنا أحمله عنك، فقال[7]: أنت تحمل وزري؟ لا أمّ لك! فحملته عليه. فانطلق، وانطلقتُ معه إليها أهرول، فألقى ذلك عندها، وأخرج من الدقيق شيئًا، وجعل يقول لها: درّي عليّ، وأنا أحرّك لك. وجعل ينفخ تحت القِدر، ثمّ أفرغها في صحفة، وقال: أطعميهم[8]، ولم يزل حتى شبعوا، وترك عندها فضل ذلك. فجعلت تقول:

---

(١) م، ي: وكان.

(٢) أ: ست. ج، ر، م، ن، ي: ستة.

(٣) يتضاغون: يتصايحون (بسبب الجوع).

(٤) م، ي: - عمر.

(٥) م، ي: - به.

(٦) م، ي: قال: فانطلق.

(٧) م، ي: قال.

(٨) النسخ عدا ج: أطعميه.

جزاك الله خيرًا، كنتَ أولى بهذا الأمر من أمير المؤمنين. فيقول: قولي خيرًا إذا جئت أمير المؤمنين وجدتني هناك. ثمّ تنحّى ناحية فربض كالأسد. فقلت: لك شأن غير هذا؟ فلم يكلّمني حتى رأيت الصبية يصطرعون، ثمّ ناموا وهدءوا. فقال: يا أسلم؛ إنّ الجوع أسهرهم وأبكاهم، فأحببت أن لا أنصرف حتى أرى ما رأيت.

سؤال معاوية ﷺ لضرار أن يصف عليًّا ﷺ

روينا من حديث ابن بأكويه قال: ثنا عبد الله بن فهد بن إبراهيم الساجي قال: ثنا محمد بن زكريا بن دينار، ثنا العباس بن بكار، ثنا عبد الواحد بن أبي عمرو الأسدي، عن الكلبي، عن أبي صالح قال: قال معاوية بن أبي سفيان لضرار بن ضمرة: صف لي عليًّا؟ فقال[1]: أو تعفيني؟ قال: بل تصفه. قال: أو تعفيني؟ قال: لا أعفيك.

قال: أما إذ لا بد؛ إنّه والله كان بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلًا ويحكم عدلًا، يتفجّر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، ويستوحش من[2] الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته. كان[3] واللهِ غزير الدمعة، طويل الفكرة، يقلّب كفّه ويخاطب نفسه. يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما خشب. كان واللهِ كأحدنا؛ يجيبنا إذا سألناه، ويبتدينا إذا أتيناه، ويأتينا إذا دعوناه، ونحن واللهِ مع تقريبه لنا، وقربه منّا، لا نكلّمه هيبة، ولا نبتديه لِعظمه عندنا. إن تبسّم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم. يعظّم أهل الدين، ويحبّ المساكين. لا يطمَع القويُّ في باطله، ولا ييأس الضعيفُ من عدله. فأشهد بالله لرأيتُه في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سجوفه، وغارت نجومُه، وقد مثل في محرابه قابضًا لحيته، يتململ تململ السليم[4]، ويبكي بكاء الحزين. فكأنّي أسمعه وهو يقول:

يا دنيا يا دنيا؛ إليّ تعرّضتِ، أم إليّ تشوّفتِ؟ هيهات هيهات، غُرّي غيري، قد بتتُّك[5] ثلاثًا، لا رجعة لي فيك، فعمرك قصير، وعيشك حقير، وخطرك كثير. آهٍ من[6] قلّة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق.

---

(١) م، ي: قال.

(٢) م، ي: - من.

(٣) م، ي: وكان.

(٤) السليم: الملدوغ.

(٥) بتتك: طلقتك. ج: طلقتك. م، ي: أبنتك.

(٦) م، ي: على.

قال: فذرفتْ دموع معاوية، فما ملكها وهو ينشّفها بكمّه، وقد اختنق القومُ بالبكاء. ثمّ قال معاوية: رحم الله أبا الحسن، كان واللهِ كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حُزن من ذُبح ولدها في حجرها، فلا ترقأ عبرتها، ولا يسكن حزنها.

روي أنّ عليًّا ﷺ رأى رجلًا من قريش يمشي ويخطر بيده تكبّرًا، فقال:

يا مؤثر الدنيا على دينه ... والتائه الحيران في قصدهِ
أصبحت ترجو الخلد فيها وقد ... أبرز ناب الموت عن[1] حدّهِ
هيهات إنّ الموت ذو أسهم ... من يَرمه يومًا بها يُردهِ
لا يشرح الواعظ صدر امرئ ... لم يعزم الله على رشدهِ

وروينا من حديث ابن حنبل قال: ثنا وهب بن إسماعيل، قال: ثنا محمد بن قيس، عن علي بن ربيعة[2]، عن علي بن أبي طالب، قال: جاءه ابن التيّاح فقال: يا أمير المؤمنين؛ امتلأ بيت المال من صفراء وبيضاء، قال: الله أكبر، فقام متوكّئا على ابن التياح حتى قام على بيت المال فقال:

هذا جناي وخياره فيه ... وكلّ جانٍ يده إلى فيه

قال: ثمّ نادى في الناس، فأعطى جميع ما في بيت المال للمسلمين وهو يقول: يا صفراء يا بيضاء، غرّي غيري. ها وها حتى ما بقي فيه دينار ولا درهم. ثمّ أمر بنضحه، وصلّى فيه ركعتين. حدّثنا يونس بن يحيى بمكة، عن محمد بن ناصر، عن جعفر بن أحمد، عن أبي علي التميمي، عن أبي بكر بن جعفر[3]، عن عبد الله بن أحمد[4]، عن أبيه أحمد بن حنبل، بالإسناد.

ومن كلام عمر بن عبد العزيز ﷺ

ما حدّثنا يوسف بن علي، ويونس بن يحيى، قال يونس: أنا عبد الوهاب، أنا عبد الله بن أحمد السكري[5]، قال: أنا أحمد بن محمد بن الصلت، قال: ثنا حمزة بن القاسم الهاشمي

---

(١) م، ي: على.
(٢) م، ي: بن أبي ربيعة.
(٣) م، ن، ي: - عن أبي علي التميمي، عن أبي بكر بن جعفر.
(٤) م، ي: - عن عبد الله بن أحمد.
(٥) م، ي: أحمد بن عبد الله السكري.

قال: ثنا حنبل بن إسحق قال: ثنا داود بن شبيب[1]، ثنا حمّاد بن سلمة، عن محمد بن عمرو أنّ عمر بن عبد العزيز قال لعنبسة بن سعيد: يا عنبسة؛ أكثر ذكر الموت، فإنّك لا تكون في ضيق من أمر معيشتك، فتذكر الموت، إلّا وسّع ذلك عليك.

كلام أبي بكرة لمعاوية رضي الله عنه

حدّثنا يونس، أنا عبد الوهاب، أنا المبارك بن عبد الجبار، أنا أحمد بن علي التوزي، أنا عمر بن ثابت، أنا علي بن قيس، أنا أبو بكر القرشي، أنا العباس بن هشام بن محمد، عن أبيه، عن شيخ من الأزد، أنّ أبا بكرة دخل على معاوية فقال: اتّق الله يا معاوية، واعلم أنّك في كلّ يوم يخرج عنك وفي كلّ ليلة تأتي عليك، لا تزداد من الدنيا إلّا بُعدًا ومن الآخرة إلّا قربًا، وإنّ على أثرك طالبًا[2] لا تفوته، وقد نصب لك عَلَمًا لا تجوزه، فما أسرع ما تبلغ العلَم، وما أوشك أن يلحقك الطالب. وإنّا وما نحن فيه وأنت زائل، والذي نحن إليه صائرون باق؛ إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر.

ما كلّم به أبو مسلم الخولاني معاوية

وبالإسناد إلى أبي بكر القرشي قال: ثنا شجاع بن الأشرس، عن إسماعيل بن عياش، عن أبي بكر بن عبد الله، عن عطيّة بن قيس أنّ أبا مسلم أتى معاوية فقام بين السِّماطين، فقال: السلام عليك أيّها الأجير! فقال مَن عنده: السلام عليك أيّها الأمير. فقال أبو مسلم: السلام عليك أيّها الأجير. فقال معاوية: دعُوا أبا مسلم، فإنّه أعلم بما يريد. فقال: اعلم أنّه ليس من أحد استرعى رعيّة إلّا رَبُّ أجره سائله عنها؛ فإن كان داوى مرضاها، وجبر كسراها، وهَنَأ جرباها[3]، وردّ أُولاها على أخراها ووضعها في أنف من الكلأ وصفو من الماء؛ وفّاه أجره، وإن كان لم يداو مرضاها، ولم يهنأ جرباها، ولم يجبر كسراها، ولم يرد أولاها على أخراها، ولم يضعها في أنف من الكلأ وصفو من الماء[4]، لم يؤته أجرها. فانظر أين أنت يا معاوية من ذلك؟ فقال معاوية: رحمك الله يا أبا مسلم.

---

(١) أ، ر، ي: سبيب.

(٢) ج، م، ي: طالب.

(٣) هنأ جرباها: عالج جرب إبله بالقطران.

(٤) م، ي: - وفّاه أجره، وإن كان لم يداو مرضاها، ولم يهنا جرباها، ولم يجبر كسراها، ولم يرد أولاها على أخراها، ولم يضعها في أنف من الكلأ وصفو من الماء.

ودخل عليه مرّة فقال له[1]: ما اسمك؟ قال: اسمي معاوية. قال: لا، بل اسمك أحدوثة؛ فإن جئت بشيء فلك شيء، وإن لم تأت بشيء فلا شيء لك. يا معاوية؛ إنّك لو عدلت بين جميع قبائل العرب، ثمّ مِلت على أقلّها قبيلة، مال جورك بِعدلك. يا معاوية؛ إنّا لا نبالي بكدر الأنهار إذا صفى لنا رأسُ العين.

حدّثنا بهذا محمد بن إسماعيل، عن عبد الرحمن بن علي، عن إسماعيل بن أحمد[2]، عن عمر بن عبيد الله، عن أبي الحسين بن بشران، عن عثمان بن أحمد، عن حنبل، عن جعفر بن ميمون، عن أبيه، عن عبد الله بن يوسف، عن خالد بن يزيد، عن ابن أبي عبلة أنّ أبا مسلم الخولاني دخل على معاوية، فذكره.[3]

آية بيّنة لقوم يعقلون

روينا من حديث ابن قتيبة قال: ثنا إسحق بن إبراهيم بن حبيب قال: ثنا قريش بن أنس، عن كليب بن وائل أنّ رجلًا من الصالحين قال: ببلاد الهند شجر له ورد أحمر مكتوب[4] فيه بياض[5]: محمد رسول الله ﷺ.

وأنشد عبد الله بن مسلم بن قتيبة[6] لبعض الشعراء في النبيّ ﷺ:

لو لم تكن فيه آيات مبيّنة كانت بديهته تنبيك بالخبر[7]

بلاغةٌ أبانت عن حقيقة

روينا من حديث محمد بن يونس قال: ثنا الأصمعي قال: مررتُ بأعرابيّة وبين يديها شاب في السياق[8]، ثمّ رجعتُ وبين يديها قدح من سَويق[9] تشربه، فقلت لها: ما فعل الشاب؟ فقالت: وارياه، فقلت: ما هذا السويق، فقالت:

---

(١) م، ي: - له.

(٢) م، ي: محمد.

(٣) انتهى السمر.

(٤) النسخ عدا ج: - مكتوب.

(٥) النسخ عدا ج: بياض.

(٦) م، ي: وأنشد قتيبة بن مسلم. والعبارة غير موجودة في ج.

(٧) م، ي: عن خبر.

(٨) السياق: الاحتضار.

(٩) السويق: دقيق القمح أو الشعير أو الذرة المقلو. والسويق: الخمر.

على كلّ حال يأكل القوم زادهم على البؤس والنعماء وفي الحدثان

ومن روايتنا، قال عبد الرحمن بن محمد الحنفي: أنشدنا أبي لغيره:

اصبر لكلّ مصيبة وتجلّد واعلم بأنّ المرء غير مخلّدِ
وإذا ذكرت مصيبةً تشجى بها فاذكر مصابك بالنبيّ محمدِ

«مِن حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»

روينا من حديث يعقوب بن يوسف المطوعي، ثنا أبو الربيع الزهراني، عن حمّاد بن زيد[١]، قال: قال رجل للأحنف بن قيس: بم سُدت قومك؟ وأراد عيبه. فقال الأحنف: بتركي من أمرك ما لا يعنيني، كما عناك من أمري ما لا يعنيك.

تأديب حكيم وتعليم عاقل عليم

وروينا[٢] منه بحديث محمد بن يونس، ثنا الأصمعي، عن أبي عمرو بن العلاء، وعن أبيه قالا: قال الأحنف بن قيس: ما دخلت بين اثنين قط حتى يكونا هما يُدخلاني في أمرهما، ولا أُقمت من مجلس قط، ولا حُجبت عن باب[٣] قط، ولا رُددت عن حاجة قط. قيل له: ولم؟ قال: لأنّي لا أطلب المحال.

قال ابن مروان؛ يقول: لا أجلس إلّا مجلسا أعلم أنّي لا أقام عن مثله، ولا أقف على باب أخاف أن أُحجب عنه[٤].

استمالة حكيم عفوَ[٥] سلطان حليم

وروينا من حديث عبد الله بن مسلم بن قتيبة قال: ثنا الرياشي قال: أخذ[٦] بعض الأمراء رجلًا فقال له[٧]: إن عاقبت جازيت، وإن عفوت أحسنت، والعفو أقرب للتقوى.

---

(١) م، ي: يزيد.
(٢) م، ي: روينا.
(٣) م، ي: - عن باب.
(٤) م، ي: - يقول: لا أجلس إلّا مجلسا أعلم أنّي لا أقام عن مثله، ولا أقف على باب أخاف أن أُحجب عنه.
(٥) م، ي: وعفو.
(٦) م، ي: - أخذ.
(٧) م، ي: - له.

وصيّة محكمة وموعظة منظمة

وروينا من حديث إبراهيم الشيعي[1] قال: أنشدني الرياشي لأبي العتاهية:

ألا إنّ خيرَ الذخر خيرٌ تُنيلُه ... وشرّ كلام القائلين فضولُهُ
ألم تر أنّ المرء في دار بلغة ... إلى غيرها والموت فيها سبيلهُ
وأيّ بلاغ يُكتفَى بكثيره ... إذا كان لا يكفيك منه قليلهُ
مضاجع سكّان القبور مضاجع ... يفارق فيهنّ الخليلَ خليلُهُ
تزوّد من الدنيا بزاد من التقى ... فكلٌّ بها ضيفٌ وشيكٌ رحيلُهُ
وخذ للمنايا لا أبا لك عُدّةً ... فإنّ المنايا من أتت لا تقيلُهُ
وما حادثات الدهر إلّا لعزّة ... تبتُّ قواها أو لملكٍ تزيلهُ

ومن ذلك بالإسناد لأبي العتاهية:

عيبُ ابنَ آدم ما علمتُ كثيرُ ... ومجيئه وذهابه تغريرُ
غرّتك نفسُك للحياة محبّة ... والموت حقّ والبقاء يسيرُ
لا تغبط الدنيا فإنّ جميع ما ... فيها يسير لو علمت حقيرُ
يا ساكن الدنيا ألم تر زهرةَ ... الدنيا على الأيّام كيف تصيرُ
نل ما بدا لك أن تنال من الغنى ... إن أنت لم تقنع فأنت فقيرُ
يا جامع المال الكثير لغيره ... إنّ الصغير من الذنوب كبيرُ
هل في يديك من الحوادث قوّة ... أم هل عليك من المَنون خفيرُ[2]
ماذا تقول إذا رحلت إلى البلى ... وإذا خلا بك منكرٌ ونكيرُ

خلق كريم مع ذي ذمّة ذميم[3]

روينا من حديث أبي حصين، قال: نزل يهوديّ بأعرابيّ فمات عنده، فقام الأعرابيّ، فصلّى عليه، وقال: اللهمّ ضيف، وحقّ الضيف قد علمت، فأمهِلنا إلى أن تقضى ذمامه، ثمّ شأنك به.

---

(١) م، ن، ي: الشعبي.
(٢) خفير: مجير. أ، ر، م، ن، ي: حقير.
(٣) م، ي: ذميمة.

نفس أبيّة وهمّة عليّة

وروينا من حديث إسماعيل بن يونس، قال: أنشدنا الرياشي للخليل بن أحمد الفراهيدي:

أبلِغ سليمان أنّي عنه في سعةٍ ... ولي غنى غير أنّي لست ذا مالِ
أسخو بنفسي لأنّي لا أرى أحدًا ... يموت هزلًا ولا يبقى على حالِ
الرزق عن قدر لا الضعف يمنعه ... ولا يزيدك فيه حول محتالِ

ومن ذلك وصيّة سنيّة[1]

وروينا من حديث محمد بن موسى القطّان عن المازني لأعرابي:

أيّها الدائب الحريص المعنّى ... لك رزق فسوف تستوفيهِ
قبّح الله نائلًا ترتجيه ... من يدي من يريد أن تقتضيهِ
إنما الجود والسماح لمن يعـ ... ـطيك عفوًا وماء وجهك فيهِ
لا ينال الحريص شيئًا فيكفيـ ... ـه وإن كان فوق ما يكفيهِ
فاسأل الله وحده ودع النا ... س واسخطهم بما يرضيهِ

حكمة

قال: وأنشدنا محمد بن صالح الأنماطي لبعضهم:

يخيبُ الفتى من حيث يُرزق غيره ... ويُعطى الفتى من حيث يُحرم صاحبهْ

وأنشدنا[2] أيضا لبعض الشعراء:

لا تضرعنّ لمخلوق على طمعٍ ... فإنّ ذاك مضرّ منك بالدينِ
واسترزق الله رزقًا من خزائنه ... فإنما هي بين الكاف والنونِ

صفة حميدة وحالة سعيدة

روينا من حديث عبد الله بن مسلم بن قتيبة، قال: ثنا محمد بن عبيد، قال: ثنا ابن عيينة، قال؛ قال بعض الخلفاء لأبي حازم، يعني الأعرج: ما مالك؟ فقال: الرضى عن الله، والغنى عن الناس.

---

(١) م، ي: مبينة.

(٢) ر، ن: وأنشد.

ثمّ أنشد ابن قتيبة لبعض الشعراء في معناه:

للناس مال ولي مالان ما لهما إذا تحارس أهل المال حرّاسُ
مالي الرضى بالذي أصبحت أملكه ومالي اليأس فيما يملك[1] الناسُ

وهذا أبو حازم هو الذي قال له خال هشام، لمّا ولي البحرين واجتمع به: ما طعامك؟ قال: الخبز والزيت. فقال له[2]: أفلا تسأمهما؟ قال أبو حازم: إذا سئمتهما تركتهما حتى اشتهيهما.

قول الله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾[3]

روينا من حديث محمد بن سلام أبياتًا لأعرابي وهي:

وما هذه الأيّام إلّا مُعارةٌ فما اسطعتَ من معروفها فتزوّدِ
فإنّك لا تدري بأيّة بلدة تموت ولا ما يحدث الله في غدِ
يقولون لا تبعد ومن يك بُعده ذراعين من قرب الأحبّة يبعدِ

عبرة[4] بنفوذ قضاء على يد كاره له

وروينا من حديث ابن أبي الدنيا، عن أبي زيد، قال: ثنا الأصمعي، قال: أتى يزيدَ بن مسلم رجلٌ برقعة وسأله أن يرفعها إلى الحجاج، فنظر فيها يزيد، فقال: ليس هذه من الحوائج التي ترفع للأمير. فقال له الرجل: فإنّي أسألك أن ترفعها فلعلّها أن توافق قدَرًا فيقضيها وهو كاره. فأدخَلها، وأخبره بمقالة الرجل. فنظر الحجاج في الرقعة، فقال ليزيد: قل للرجل إنّها قد وافقت قدَرًا، وقد قضيناها ونحن كارهون.

حكمة من امرأة

وروينا من حديث أحمد بن مروان قال: أنشدنا الحسن بن علي لامرأة من ولد حسان بن ثابت:

سل الخير أهل الخير قدمًا ولا تسل فتى ذاق طعم العيش منذ قريبِ

---

(١) م، ي: تملك.
(٢) م، ي: قال (- له).
(٣) [لقمان: ٣٤]
(٤) ج، ي: غيره.

خبر الخضر في مسجد النبيّ عليه السلام

حدّثنا عبد الله بن عبد الرحمن قال: ثنا المبارك بن علي بن الحسين، ثنا عبيد الله بن محمد، ثنا أحمد بن الحسين، ثنا أبو سعيد[١] الماليني، ثنا أبو أحمد بن عدي الحافظ، ثنا محمد بن يوسف بن عاصم، ثنا أحمد بن إسماعيل القرشي، ثنا عبد الله بن نافع، عن كثير بن عبد الله، عن أبيه، عن جدّه[٢] أنّ رسول الله ﷺ كان في المسجد، فسمع كلامًا من زاوية فإذا هو بقائل يقول: اللهمّ أعني على ما ينجيني مما خوّفتني. فقال رسول الله ﷺ حين سمع ذاك[٣]: ألا تضمّ إليها أختها؟ فقال الرجل: اللهمّ ارزقني شوق الصادقين إلى ما شوّقتهم إليه. قال رسول الله ﷺ لأنس بن مالك وكان معه: اذهب يا أنس إليه، فقل له: يقول لك رسول الله: استغفر لي. فجاءه أنس فبلّغه. فقال الرجل: يا أنس؛ أنت رسولُ رسولِ[٤] الله إليّ؟ فقال: كما أنت. فرجع، واستثبته، فقال رسول الله ﷺ: قل له نعم. فقال: نعم. فقال له: اذهب فقل لرسول الله ﷺ فضلك على الأنبياء بمثل[٥] ما فضل به رمضان على الشهور. وفضل أمّتك على الأمم بمثل ما فضل يوم الجمعة على سائر الأيّام. فذهبوا ينظرون فإذا هو الخضر عليه السلام.

موعظة منظومة

روينا من حديث أحمد بن محرز الهروي قال: وُجد على ميل في طريق مكة مكتوب:

ألا يا طالب الدنيا دع الدنيا لشانيكا
إلى كم تطلب الدنيا وظلّ الميل يكفيكا

هذه[٦] الأبيات لبهلول المجنون[٧]، وعظ بها أميرَ المؤمنين هارون الرشيد، في طريق مكة، لمّا حج راجلًا من أجل يمينه، فقعد يستريح في ظلّ ميل، فرآه بهلول، فأنشده الأبيات، وفيها من الزيادة في غير هذه الرواية:

هب الدنيا تواتيكا أليس الموت يأتيكا

---

(١) ر، ن: أبو سعد.
(٢) أ، ر، م، ن، ي: جدته. ج: جدّيه.
(٣) م، ي: - حين سمع ذاك.
(٤) ج، ر: - رسول.
(٥) م، ي: كمثل.
(٦) م، ي: وهذه.
(٧) م، ي: - لبهلول المجنون.

ما ينبغي أن يكون عليه الخليل

روينا من حديث إبراهيم الحربي قال: ثنا أبو نصر، عن الأصمعي قال: قيل لخالد بن صفوان: أيّ الإخوان أحبّ إليك؟ قال: الذي يغفر زللي، ويسدّ خللي، ويقبل عللي.

مكاتبة استلطاف[1]

وروينا من حديث ابن قتيبة قال: كتب رجل إلى صديق له: وجدت المودّةَ منقطعةً ما كانت الحشمة منبسطة، وليس يزيل سلطانَ الحشمة إلّا المؤانسة[2]، ولا تقع المؤانسة إلّا بالبرّ والملاطفة.

إيقاظ وعِبرة واتّعاظ

وروينا من حديث الحسن بن علي قال: أنشدنا محمد بن سلام لبعضهم[3]:

نعى نفسي إليّ من الليالي ... تَصَرُّفُهُنَّ حالًا بعد حالِ
فما لي لست مشغولًا بنفسي ... وما لي لا أبالي الموت ما لي
لقد أيقنتُ أنّي غير باق ... ولكنّي أراني ما أبالي
أما لي عبرة في ذِكر قومي ... تفانوا ربما خطروا ببالي
كأنّ ممرّضي قد قام يسعى ... بنعشي بين أربعة عجالِ
ولو أنّي قنعتُ بقيتُ حرًّا ... ولم أطلب مكاثرةً بمالِ
هب الدنيا تُساق إليك عفوًا ... أليس مصيرُ ذاك إلى زوالِ
فما ترجو بشيء ليس يبقى ... وشيكًا ما تغيّره الليالي

ومن هذا الباب ما روينا من حديث أحمد بن عبّاد قال: أنشدنا الرياشي:

حصّنتَ بيتَك جاهدًا وعمرتَه ... ولعلّ غيرك صاحب البيتِ

وروينا من حديث محمد[4] بن يونس، عن الأصمعي قال: قيل للأحنف: إنّك تطيل الصيام، قال: إنّي أعدّه لسفر طويل.

---

(١) م، ي: استطلاق.
(٢) م، ي: بالمؤانسة.
(٣) الشعر لأبي العتاهية.
(٤) م، ي: أحمد.

تحريض على الدعاء وتحضيض

ومن روايتنا ما أنشده ابن قتيبة لبعضهم:

وإنّي لأدعو الله والأمر ضيّقٌ عليّ فما[1] ينفكّ أن يتفرّجا
وربَّ فتى سدّتْ عليه وجوهه أصاب له في دعوة الله مخرجا

شروط الإيمان أخلاق حسان

حدّثنا محمد بن قاسم، ثنا هبة الله بن علي، ثنا محمد بن بركات، ثنا محمد بن سلامة، أنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر الصفّار قال: أنا أحمد بن إبراهيم بن جامع، ثنا علي بن عبد العزيز، ثنا حجاج، ثنا حمّاد بن سلمة، عن عاصم بن بهدلة، عن أبي صالح، عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال:

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره[2]، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت».

إفصاح لسان الزمان بما هو عليه الإنسان

وروينا من حديث ابن مروان أحمد المالكي قال: أنشدنا أبو صالح الهمداني لبعض الشعراء[3]:

خذ من الدهر ما كفى ومن العيش ما صفا
لا تُلِحَّنَّ بالبكا ء على منزل عفا
خلّ عنك العتاب إذ خان ذو الودّ أو هفا
عين من لا يحبّ وصـ ـلك تبدي لك الجفا

تصاريف الزمان وتقلّب الحدَثان

روينا من حديث الحارث الرياشي، عن الأصمعي قال: قال خال الفرزدق:

إذا ما الدهر جرّ على أناسٍ حوادثه أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

---

(١) م، ي: بما.

(٢) م، ي: - ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره.

(٣) الشاعر هو ابن أبي خازم.

إيمان وحسن عشرة إخوان

روينا من حديث عبيد بن مرداس، ثنا سليمان بن حرب، ثنا حمّاد بن زيد قال: دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم فقال له: أتيتك في حاجة رفعتها إلى الله قبلك؛ فإن قضيتَها حمدنا الله وشكرناك، وإن لم تقضها حمدنا الله وعذرناك[1]. قال: فأمَر له بحاجته.

استعطاف كريم واستمالة لئيم

روينا من حديث إبراهيم الحربي قال: ثنا أبو نصر، عن الأصمعي، عن أبي الأشهب قال: لزم بعض الحكماء باب كسرى في حاجة له دهرًا، فلم يصل إليه، فتلطّف بالحاجب في إيصال رقعة له، ففعل، وكان فيها أربعة أسطر:

السطر الأوّل: الضرورة والأمل أقدماني عليك.

والسطر الثاني: العدم لا يكون معه صبر على المطالبة[2].

والسطر الثالث: الانصراف بلا فائدة شماتة الأعداء.

والسطر الرابع: فإمّا "نَعم" مثمرة، وإمّا "لا" مريحة.

فلمّا قرأه وقّع في كلّ سطر بأربعة آلاف. فأعطي ستة عشر ألفًا من المثاقيل.

إفصاح بغالب الأحوال ممن يعدّ من الأبدال

روينا من حديث إبراهيم بن أبي اليسع الشيعي، عن أحمد بن الحارث الخرّاز، عن المدائني قال: قال الحسن، يعني[3] البصري: ما أعطي رجل شيئًا من الدنيا إلّا قيل له خذه ومثله من الحرص.

ومن ذلك ما رويناه من حديث أحمد بن علي المقري قال: ثنا الأصمعي قال: العيال أرَضة المال.

وبالإسناد الأوّل وهو من باب التذكير، قال الحسن: أشدّ الناس صُراخًا يوم القيامة رجل سنّ ضلالًا[4] فاتّبع عليه، ورجل سيّء الملكة، ورجل فارغ استعان بنعم الله على

---

(١) ر، ن: وعزرناك.

(٢) م، ي: - على المطالبة.

(٣) م، ي: - يعني.

(٤) م، ي: ضلالة.

معاصيه.

حكمة بالغة

روينا من حديث إبراهيم بن حبيب، ثنا نعيم بن حمّاد، ثنا ابن المبارك، ثنا حبيب بن حجر قال؛ كان يقال: ما أحسن الإيمان يزيّنه العلم وأحسن العلم يزيّنه العمل، وأحسن العمل يزيّنه الرفق[1]، وما أضيف شيء إلى شيء أزين من حلم إلى علم.

تذكرة الحليم[2]

روينا من حديث يوسف بن عبد الله، عن سهل بن محمد، عن الأصمعي، عن عبد الله بن دينار، عن عبد الله بن بكر المزني، قال: جاء رجل فشتم الأحنف بن قيس، فسكت عنه، فأعاد عليه وألحّ، والأحنف ساكت. فقال: والهفاه؛ ما يمنعه من جوابي إلّا هواني عليه.

ملاطفة وحلم

روينا من حديث محمد بن يونس، ثنا الأصمعي قال: أسمعَ رجلٌ الشعبي كلامًا فقال له الشعبي: إن كنتَ صادقًا فغفر الله لي، وإن كنت كاذبًا فغفر الله لك.

ثمّ أنشأ يقول:

هنيئًا مريئًا غير داءٍ مخامرٍ لِعَزّةَ مِن أعراضنا ما استحلّتِ

نفس أبيّة

روينا من حديث محمد بن موسى البصري، عن أبي زيد، عن الأصمعي، عن أبي سفيان بن العلاء قال: إنّي لأرفع نفسي أن يكون ذنبٌ أوزنَ من حِلمي، وإذا قال مثل[3] هذا خلق حقير، فعفو الله أسمح، وحلمه أرجح.

ومن هذا الباب ما روينا من حديث محمد بن عبد العزيز، عن ابن عائشة قال: ذكر أعرابيّ رجلًا، فقال: كان أحلم من فرخ طائر. ثمّ أنشد لبعض الشعراء:

إنّي لأُعْرِض عن أشياءَ أسمعها حتى يظنّ[4] رجال أنّ بي حمقا

---

(١) ج، م، ي: ما أحسن الإيمان بزينة العلم وأحسن العلم بزينة العمل، وأحسن العمل بزينة الرفق.

(٢) ج: حكيم. م: الحكيم.

(٣) ج، ر: - مثل.

(٤) ج، م، ي: تظن.

أخشى جوابَ سفيه لا حياء له فَسْلٌ يظنّ أُناسٌ أنّه صدقا

ومن هذا الباب ما روينا من حديث ابن مروان قال: ثنا أحمد بن داءود، عن الرياشي، عن الأصمعي قال: بلغني أنّ رجلًا قال لآخر: واللهِ لئن قلت لي واحدة لتسمعنّ عشرًا. قال: لكنّك لو قلت عشرًا لم تسمع واحدة.

وأنشدني أبو بكر بن خلف في هذا الباب:

إذا نطق السفيه فلا تجبه فخير من إجابته السكوتُ
سكتُّ عن السفيه فظنّ أنّي عييتُ عن الجواب وما عييتُ
ولكنّي اكتسيت بثوبِ حلم وجُنّبتُ السفاهة ما بقيتُ

ومن هذا الباب أيضا روينا من حديث أحمد بن داءود قال: ثنا الرياشي قال: ثنا الأصمعي قال: كان الأحنف بن قيس يقول:

من لم يصبر على كلمة سمع كلمات، ورُبّ غيظ قد تجرّعته مخافة ما هو أشدُّ منه.

وأنشد لبعض الشعراء:

وإنّ اللهَ ذو حلم ولكن بقدر الحلم ينتقمُ الحليمُ
لقد ولّتْ بدولتك الليالي وأنت مُلعَّنٌ فيها ذميمُ
وزالت لم يعش فيها كريم ولا استغنى بثروتها عديمُ
فبُعدًا لا انقضاءَ له وسحقًا فغير[1] مصابك الحدث العظيمُ

وروينا من حديث جعفر[2] بن شاكر، عن معاوية بن عمرو، عن أبي إسحق، عن الأوزاعي، أنّ عمر بن عبد العزيز كان إذا أراد أن يعاقب رجلًا حبسه ثلاثة أيّام ثمّ عاقبه، كراهة أن يعجل في أوّل غضبه. أرى ذلك، والله أعلم، في إقامة الحدود التي ليس له أن يعفو عنها، والتعزير الذي[3] فيه المصلحة للناس. وأمّا فيما كان يرجع إليه فالعفو كان شيمته.

وأسمعه رجلٌ كلامًا فقال: أردتَ أن يستفزّني الشيطان فأنال منك بما تناله أنت منّي في يوم القيامة، انصرف عنّي عافاك الله.[4]

---

(١) م، ي: بغير.

(٢) م، ي: محمد. (والمشهور هو جعفر بن محمد بن شاكر).

(٣) النسخ عدا أ: التي.

(٤) انتهى السمر.

خبر الشجرة التي سلّمت على رسول الله ﷺ وإتيانها إليه

روينا من حديث أحمد بن عبد الله، عن سليمان بن أحمد، ثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، ثنا عبادة بن زياد الأسدي، قالوا: ثنا حبّان بن علي، عن صالح بن حيّان، عن ابن بريدة[١]، عن أبيه، قال: جاء أعرابيّ إلى النبيّ ﷺ فقال[٢]: يا رسول الله؛ قد أسلمتُ، فأرني شيئًا أزدد به يقينًا. فقال: ما الذي تريد؟ قال: ادع تلك الشجرة فلتأتك. قال: اذهب فادعها. فأتاها الأعرابي فقال[٣]: فأجيبي رسول الله ﷺ. قال: فمالت على جانب من جوانبها فقطّعت عروقها، ثمّ مالت على الجانب الآخر فقطّعت عروقها، حتى أتت النبيّ ﷺ فقالت: السلام عليك يا رسول الله! فقال الأعرابيّ: حسبي حسبي! فقال لها النبيّ ﷺ: ارجعي، فرجعتْ، فجلستْ على عروقها وفروجها. فقال الأعرابي: ائذن لي يا رسول لله أن أقبّل رأسك ورجليك، ففعل. ثمّ قال: ائذن لي أن أسجد لك. فقال: لا يسجدُ أحدٌ لأحدٍ، ولو أمرتُ أحدًا أن يسجد لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظيم حقّه عليها.

مرافقة المتّقين الأخيار في الأسفار

حدّثنا عبد الرحمن بن علي، ثنا عبد الوهاب الحافظ، أنا المبارك بن عبد الجبار، ثنا علي بن أحمد الملطي، ثنا ابن دوست، ثنا ابن صفوان، ثنا القرشي، ثنا محمد بن الحسين، حدّثني بعض أصحابي، قال: جاءني بهيم العِجلي فقال[٤]: تعلم لي رجلًا من جيرانك أو إخوانك يريد الحج ترضاه لمرافقتي؟ قلت: نعم. فذهبت به إلى رجل فيه صلاح ودين، فجمعت بينهما، وتواطآ[٥] على المرافقة، ثمّ انطلق بهيم إلى أهله. فلمّا كان بعدُ أتاني الرجل فقال لي[٦]: أريد أن تزوي عنّي صاحبك، ويطلب رفيقًا غيري. فقلت: ولِمَ؟ فواللهِ ما أعلم بالكوفة له نظيرًا في حسن الأخلاق والاحتمال. قال: حُدّثت أنّه طويل البكاء لا يكاد يفتر، فهذا ينغصّ علينا العيش. فقلت له: إنما يكون البكاء أحيانًا[٧] عند التذكرة، أوَما تبكي أنت؟ قال: بلى، ولكنّه

---

(١) ج، م، ي: أبي بريدة.
(٢) م، ي: قال.
(٣) ج، م، ي: قال.
(٤) م، ي: قال.
(٥) م، ي: فتواطيا.
(٦) م، ي: - لي.
(٧) م، ي: - أحيانا.

قد بلغني أنّه أمر عظيم من كثرة بكائه. قلت: اصحبه؛ فلعلّك أن تنتفع به. قال: أستخير الله.

فلمّا كان اليوم الذي أرادا أن يخرجا فيه جيء بالإبل، فوطئ لهما، فجلس بهيم في ظلّ حائط، فوضع يده تحت لحيته، وجعلت دموعه تسيل على خدّيه، ثمّ على لحيته، ثمّ على صدره، حتى واللهِ رأيت دموعه على الأرض. فقال لي صاحبي: يا مخوِّل؛ قد ابتدأ صاحبك، ليس هذا لي برفيق. فقلت له: ارفق لعلّه ذكر عياله، ومفارقته إيّاهم. فسمعها بهيم فقال: يا أخي؛ واللهِ ما هو ذاك، وما[1] هو إلّا أنّي ذكرت بها الرحلة إلى الآخرة، وعلا صوته بالنحيب. فقال لي صاحبي: ما هذا بأوّل عداوتك لي، ما لي ولبهيم؟ إنما كان ينبغي أن ترافق بين بهيم وبين داود الطائي، وسلام أبي الأحوص، حتى يبكي بعضهم إلى بعض، فيشتفون أو يموتون. فلم[2] أزل أرفق به، وأقول له: لعلّها خير سفرة سافرتها، وكلّ ذلك لا يعلم به بهيم، ولو علم ما صاحَبه.

فخرجا وحجّا، ورجعا. فلمّا جئت أسلّم على جاري قال لي: جزاك الله يا أخي عنّي خيرًا، ما ظننتُ أنّ في هذا الخلق مثل أبي بكر، كان والله يتفضّل عليّ في النفقة وهو معدم وأنا موسر، وفي الخدمة وأنا شاب وهو شيخ، ويطبخ لي وأنا مفطِر وهو صائم. قلت: فكيف كان أمرك معه في الذي تكرهه من طول بكائه؟ قال: أَلِفتُ واللهِ ذلك البكاء، وسُرّ قلبي حتى كنت أساعده عليه حتى تأذّى بنا الرفقة، ثمّ أَلِفوا ذلك، فجعلوا إذا سمعونا نبكي يبكون، وجعل بعضهم يقول لبعض: ما الذي جعلهم أولى بالبكاء منّا، والمصير واحد؟ فيبكون ونبكي.

ثمّ خرجت من عنده وأتيت بهيمًا، وقلت: كيف رأيت صاحبك؟ قال: لخير صاحب، كثير الذكر لله ﷻ، طويل التلاوة، سريع الدمعة، جزاك الله عنّي خيرًا.

شوق وانزعاج عند وداع الحاج

حدّثنا أبو الثناء محمود[3] بن المظفر اللبّان، عن محمد بن نصر، ثنا الحميدي، ثنا أبو بكر، عن السلمي، قال بعضهم: خرجت أمّ أيمن بنت علي امرأة أبي علي الروذباري من مصر، لمّا برز الحاج إلى الصحراء، فكانت الجمال تمرّ بها وهي تبكي وتقول: واضعفاه، وتنشد على إثر قولها:

---

(١) م، ي: ما.

(٢) م، ي: قال فلم.

(٣) م، ي: محمد.

فقلت دعوني واتّباعي ركابكم ... لكن طوع أيديكم كما يفعل العبدُ
وما بال عنّي لا يهون عليهم ... وقد علموا أن ليس لي منهم بدُّ

وتقول: هذه حسرة من انقطع عن الوصول إلى البيت، فكيف تكون حسرة من انقطع عن ربّ البيت؟

ولمهيار الديلمي في الاشتياق

وما أتبعتُ ظعنَ الحيِّ طَرْفي ... لأغنم نظرةً فتكون زادي
ولكنّي بَعثتُ بلحظِ عيني ... وراء الركب يسأل عن فؤادي

وله أيضًا في ذلك:

سل أبرق الحنّان وأحسِن به ... أين ليالينا على الأبرقِ
وكيف بانات بسقط اللوى ... ما لم يَجُدْها الدمع لم تورِقِ
هل حملتْ لا حملتْ بعدَنا ... عنك الصبا عَرْفًا لمستنشقِ
أغناك صوبُ الدمع عن مِنّةٍ ... أحملُها للمرعِد المبرقِ
دمع على الخَيف جنى ما جنى ... بكاءَ حسّانٍ[1] على جِلّقِ
لله رهن لك يوم النقا ... لولا وفاء الحبّ لم يغلَقِ
يا سائق الأظعان رفقًا وإن ... لم يُغن قولي للعسوفِ ارفُقِ
لولا زفيري خلف أجمالهم ... وحرُّ[2] أنفاسي لم تنسقِ
لا تُبرِدوا بالعذل قلبي فما ... أستنجد الدمع على محرِقي
سمّيتَ لي نجدًا على بُعدها ... يا ولَهَ المُشْئِمِ بالمُعْرِقِ
داوِ بها حبّي فما مهجتي ... أوّل مجنون بنجد رُقِي

وفي المعنى لبعضهم:

يا سائق العيس ترفّق واستمع ... منّي وبَلِّغ إن وصلتَ عنّي
وقف بأكناف الحجاز ناشدًا ... قلبي فقد ضاع الغداةَ منّي
وقل إذا وصلت نحو أرضهم ... ذاك الأسير موثّقٌ بالحزنِ
عرِّض بذِكري عندهم عساهم ... إن سمعوك سائلوك عنّي
قل ذلك المحبوس عن قصدكم ... معذّب القلب بكلّ فنِّ

---

(١) يقصد الصحابي حسان بن ثابت.

(٢) ج، م، ي: وجرّ.

يقول أمّلت بأن أزوركم في جملة الوفد فخاب ظنّي
أقعد في[1] الخذلان عن قصدكم ورمتُ أن أسعى فلم يدَعني

ومن وقائع بعض الفقراء

ما حدّثنا به عبد الله بن الأستاذ المورووري، قال: رأى بعض المريدين في الواقعة شيخنا أبا مدين، وجملة من الصوفية قد أحدقوا به، فقال أحدهم لأبي مدين: ما معنى سرّ السرّ وحقيقة الحقيقة؟ فقال لهم: هو محلّ الأسرار، وعند حقيقته عجزت الأوهام والأفكار، وطاشت عقول ذوي الأبصار، إذ العقول لا تعدو طورها، ولا تعرف[2] حدّها، جهِل ذلك من جهله وعلِمه من علمه، فلا يدرَك الحقّ إلّا بالحقّ، ولا يعرِف الحقّ إلّا الحقّ. فهذه خلقي وخليقتي، وعلى هذا انطوت حقيقتي. فالتشوّق[3] إلى هذا مما لا يدرك، والخوض فيه واجب أن يترك.

فقال له السائل: أسألك عن التوحيد ما هو؟ فقال لهم: التوحيد همّتي، وهو شريعتي وسنّتي. التوحيد هو الغاية القصوى، والملجأ والمأوى. هو الأساس الذي هو قام به الوجود، وعليه فطرة كلّ مولود. لكن الناس فيه على مراتب؛ فمنهم القريب ومنهم الصاحب. فالرتبة العليا هي الرقيّ من الأسماء والصفات إلى توحيد الذات؛ هناك أفنيتُ عمري، وأتعبتُ خاطري وفكري، إلى أن نلت منه المنى، ولاحظت ذاك[4] الجمال الأسنى. وذلك بمنّ الله سبحانه ابتداء وانتهاء ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾[5].

ثمّ قال: عمرتُ سرّي بك فأحييتني، ومما سواك أبعدتني، وبك عن الكونين أثنيتني، وبالفضل منك ألهمتني؛ فأنا الفقير وأنت الغني.

ثمّ قال للسائل: اسمع مخلوقاته بعزّ كبريائه مذلولة[6]، والأشياء كلّها من العرش إلى الثرى[7] معلولة؛ إذ هو سبحانه مذلّها بالقهر، وقاهرها بالأمر، ومصرّفها بقدرته فيما نفع وضر. قدرته في الثرى كقدرته في العرش والسماء. ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾[8] ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ

(١) م، ي: أقعدني.
(٢) م، ي: يعرف.
(٣) أ، ر: فالتشوف.
(٤) م، ي: ذلك.
(٥) [فاطر: ٢]
(٦) ج، م، ي: مدلولة.
(٧) م، ي: - إلى الثرى.
(٨) [الحديد: ٤]

عِلْمًا﴾[1]، ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾[2] ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[3] ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[4]، وهو خالق العرش والثرى وما بينهما. فالكلّ قائم به، وممسوك بقدرته ولطفه، وما من ذرّة فما فوقها إلّا وهو معها، معيّة ليست بحلول وانتقال، ولا تغيّر ولا زوال، فالمخلوقات بأسرها ظلّ، وهو ﷻ حقيقة الكلّ.

ومن باب محاسن الكلام

ما قال الفضل بن سهل للمأمون، وقد سأله حاجة لبعض بيوتات أهل سمرقند، وكان وعَدَه تعجيل نفاذها، فتأخّر عن ذلك، فقال له: يا أمير المؤمنين؛ هب لوعدك مذكِّرًا من نفسك، وهنٍ[5] سائلك حلاوة نعمتك، واجعل ميلك إلى ذلك في الكرم، وحاثًّا على اصطفاء شكر الطالبين؛ تشهد لك القلوب بحقائق الكرم، والألسن بنهاية الجود.

فقال المأمون: قد جعلت إليك إجابة سؤالي عنّي بما ترى فيهم، وآخذك بالتقصير فيما يلزم لهم، من غير استئمار ولا معاودة.

وقال الفضل بن سهل للمأمون: يا أمير المؤمنين؛ اجعل نعمتك مَأْيُنة[6] لوجوه خدمك[7] عن إراقة مائها في غضاضة السؤال.

فقال المأمون: واللهِ لا كان ذلك إلّا كذلك.

وصيّة بخلق كريم

روينا من حديث ابن مروان قال: أنشدنا المبرّد:

إذا اعتذر الصديق إليك يومًا ... من التقصير عُذر أخ مقرِّ
فصنه عن عتابك واعف عنه ... فإنّ العفو شيمةُ كلِّ حرِّ

حدّثنا يونس بن يحيى، ثنا محمد بن ناصر، عن الحسن بن أحمد، عن محمد بن أحمد، عن

---

(١) [الطلاق: ١٢]
(٢) [الجن: ٢٨]
(٣) [الحديد: ٣]
(٤) [طه: ٥]
(٥) أ، ر، ن: وهني. ج: وهب.
(٦) مأينة: من المئونة.
(٧) م، ي: خدمتك.

محمد الورّاق، عن خالد بن محمد، عن محمد[1] بن علي، عن بشر بن الحارث قال: رأيت على جبل عرفة رجلًا قد حَكم عليه الوله وهو يقول:

سبحان من لو سجدنا بالعيون له ... على شبا الشوك والمحمى من الإبَرِ
لم نبلغ العُشر من معشار نعمته ... ولا العشير ولا عُشرا من العشرِ
هو الرفيع فلا الأبصار تدركه ... سبحانه من مليك نافذ القدَرِ
سبحان من هو أنسي إذ خلوت به ... في جوف ليلي وفي الظلما وفي السحرِ[2]
أنت الحبيب وأنت الحبُّ يا أملي ... من لي سِواك ومن أرجوه يا ذخري

ومن باب من عمل من حيث العبودة[3]

حدّثنا عبد الواحد بن إسماعيل، ثنا عمر بن عبد المجيد قال؛ قال: أبو الحسن بن شمعون الواعظ قال: وُصِف لي رجل من العبّاد فسرتُ إليه، فرأيت من فضله ما ملأ عيني وسمعي وقلبي. فبتُّ متعجّبًا من أمره، فرأيتُ في النوم كأنّ القيامة قد قامت، وكأنّ الناس يحاسَبون، فيؤمَر بقوم إلى الجنّة ويؤمَر بقوم إلى النار، فنودي بالشيخ فأُمِر به إلى النار. فرأيت ذلك ثلاث ليال متوالية. فعرّفتُ الشيخ بذلك، وقلت له: خفّف من تعبك، واقصر من تعبّدك! فنظر إليّ وقال لي[4]: يا ابن شمعون؛ هذا وأنت واعظ العارفين، تأمرني أن أخفّف من خدمة مولاي لمّا رأيت أنّي من أهل النار، إنما أنا عبد من جملة عبيده؛ إن شاء نعّمني، وإن شاء عذّبني؛ أمرني فامتثلت، ونهاني فانتهيت، فأمري بعد ذلك مصروف إليه.

فانصرفت من عنده، وقد عظُم تعجّبي من أمره. فلمّا كان الليل رأيت المنام بعينه، فنودي بالشيخ وبين عينيه مكتوب بالنور: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[5] ثمّ أُمِر به إلى الجنّة. فبكّرت إلى الشيخ مبشّرًا له، فقال: يا ابن شمعون؛ إنما أُدّبت بما رأيت لتعلم أنّ لله عبيدًا لا يقطعهم عن خدمته عذاب ولا نعيم.

سبحان مَن ذِكره عزّ لذاكرِهِ ... وإن تحفَّل[6] في الأقوال واجتهدا

---

(١) ج، م، ي: - عن محمد.
(٢) م، ي: وفي الظلماء والسحر.
(٣) ج، م، ي: العبودية.
(٤) م، ي: - لي.
(٥) [الرعد: ٣٩]
(٦) تحفّل: تزيّن.

لم يتّخذ سكنًا في قدس عزّته ولم يلده أب حقًّا ولا ولدا
ولا استعان بشيء في خليقته ولم يزل بعظيم العزّ منفردا
لا يبلغ الخلقُ من تعظيمه طرفًا ولو أقاموا على تعظيمه أبدًا
سبحانه وتعالى في جلالته هو المهيمن لا أشرك به أحدا

حكمة

روينا من حديث ابن مروان، عن الحربي، عن مسلم بن إبراهيم، عن الحسن بن أبي جعفر قال: قال أكثم بن صيفي: الإفراط في الأنس يكسب قرناء السوء.

ومن حديثه، عن يوسف[1] بن عبد الله الحلواني، عن عثمان بن الهيثم، عن أبيه قال: قال بزرجمهر الحكيم: احذروا سطوة[2] الكريم إذا شبع، وصولة اللئيم إذا جاع. وبه قال أيضًا: ارهب تحذر، وانعِم تُشكر، ولا تمزح فتحقر.

خبر مناة

روينا من حديث أبي الوليد، عن جدّه أحمد بن محمد، عن سعيد بن سالم القداح، عن عثمان بن ساج، عن محمد بن إسحق أنّ عمرو بن لحي نصب مناة على ساحل البحر مما يلي قُديد، وهي التي كانت الأزد وغسّان يحجّونها ويعظّمونها، فإذا طافوا بالبيت، وأفاضوا من عرفات، وفرغوا من منى لم يحلّوا إلّا عند مناة، وكانوا يهلّون لها، ومَن أهلّ لها لم يطف بين الصفاة والمروة لمكان الصنمين اللذين عليهما نهيك؛ مجاود الريح ومُطعم الطير. وكان هذا الحيّ من الأنصار يهلّون لمناة وكانوا إذا أهلّوا بحجّ أو عمرة لم يُظلّ أحدهم سقف بيت حتى يفرغ من حجّه أو عمرته. وكان الرجل إذا أحرم لم يدخل بيته وإن كانت له فيه حاجة، تسوّر من ظهر بيته لأن لا يجنّ[3] رتاج الباب رأسَه، فلمّا جاء الله بالإسلام وهدم أمر الجاهلية أنزل الله ﷻ في ذلك[4]: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ الآية[5].

قال: وكانت مناة للأوس والخزرج، وغسّان من الأزد ومن دان بدينهم من أهل يثرب وأهل الشام، ومناة صخرة لهذيل.

---

(١) م، ي: يونس.
(٢) م، ي: سطوات.
(٣) يجنّ: يستر.
(٤) م، ي: - في ذلك.
(٥) ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩]

موعظة

حدّثنا محمد بن محمد بن محمد[1]، ثنا الحريري، ثنا أبو بكر الخياط، ثنا ابن دوست، ثنا ابن صفوان، عن أبي بكر بن أبي الدنيا، عن أبي جعفر مولى بني هاشم، عن عمرو بن الحصين، عن يحيى بن العلاء، عن زيد العمي قال: شهدتُ جنازة هشام بن عبد الملك فسمعت كاتبه يقول:

وما سالم عمّا قليل بسالم ... ولو كثرتْ أحراسه وكتائبُهْ
ومن يك ذا باب شديد وحجّب ... فعمّا قليل يهجر الباب حاجبهْ
وتصبح[2] بعد الحجب للناس عبرة ... رهينة بيت لم تستّر[3] جوانبهْ
فما كان إلّا الدفن حتى تحوّلت ... إلى غيره أجناده ومواكبهْ
وأصبح مسرورًا به كلّ كاشح ... وأسلمه جيرانه وأقاربهْ

ووقف الفضل الرقاشي على المقبرة فقال

يا أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة التي نطق بالخراب فناؤها، وشيّد بالتراب بناؤها، فمحلّها مقترب، وساكنها مغترب، لا يتواصلون تواصُل الإخوان، ولا يتزاورون تزاور الجيران، قد طحنهم بكلكله البلاء، وأكلهم الجندل والثرى، عليكم منّا السلام.

سلام على أهل القبور الدوارسِ ... كأنّكم لم تجلسوا في المجالسِ[4]
ولم تشربوا من بارد الماء شربةً ... ولم تأكلوا من بين رطبٍ ويابسِ
ألا خبّروني[5] أين قبر ذليلكم ... وقبر العزيز الباذخ المتشاوسِ[6]

ورأيت على قبر باذخ لسيّده[7] مكتوبًا

أرى أهل القصور إذا توفّوا[8] ... بنوا تلك المقابر بالصخورِ

---

(١) ج، ر: - بن محمد.
(٢) م، ي: ويصبح.
(٣) ر، ن: تسير. م، ي: يستر.
(٤) هذا الشعر للإمام علي بن أبي طالب.
(٥) م، ي: خبرونا.
(٦) المتشاوس: المتظاهر بالتيه.
(٧) أ، ر: لسيدة.
(٨) ج، ي: توافوا.

أبَوا إلّا مباهاة وفخرًا على الفقراء حتى في القبورِ
لعمر أبيهم لو أبرزوهم لما علموا الغنيّ من الفقيرِ
ولا عرفوا العبيد من الموالي ولا عرفوا الإناث من الذكورِ
ولا البَدن الملبّس ثوب صوف ولا البَدن المنعّم في الحريرِ[1]
إذا ما مات هذا ثمّ هذا فما فضل الغنيّ على الفقيرِ

وقام الحسن على قبر فقال: إنّ امرءا هذا آخره لحقيق أن يزهد في أوّله، وإنّ امرءا هذا أوّله لحقيق أن يخاف آخره.

تناجيك[2] أجداث وهنّ صموتُ وأجسامهم تحت التراب خفوتُ
أيا جامع الدنيا لغير بلاغة لمن تجمع الدنيا وأنت تموتُ

ما يقول القبر في كلّ يوم

حدّثنا المكين بن رستم إمام مقام إبراهيم عليه السلام، عن الكروخي، عن الغورجي، عن الجراحي[3]، عن المحبوبي، عن أبي عيسى الترمذي، ثنا محمد بن أحمد، وهو ابن مدويه، ثنا القاسم بن الحكم العرني، ثنا عبيد الله بن الوليد الوصافي، عن عطيّة، عن أبي سعيد، قال: دخل رسول الله ﷺ مصلّاه، فرأى ناسًا كأنّهم[4] يكتشرون[5] فقال: أما[6] أنّكم لو أكثرتم ذكر هادم اللذات لشغلكم عمّا أرى[7]، فأكثروا ذِكر هادم اللذات، الموت، فإنّه لم يأت على القبر يوم إلّا تكلّم فيقول: أنا بيت الغربة، أنا بيت الوحدة، أنا بيت التراب، أنا بيت الدود. فإذا دُفن العبدُ المؤمن قال له القبر: مرحبًا وأهلًا، إن كنتَ لأحبّ من يمشي على ظهري إليّ، فإذ وُلّيتُك اليوم، وصرتَ إليّ، فسترى صنيعي بك؛ فيتّسع مدّ بصره، ويفتح له باب إلى الجنّة. وإذا دُفن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر: لا مرحبًا ولا أهلًا، أما إن كنتَ لأبغض من يمشي على ظهري إليّ، فإذ وُلّيتُك اليوم، وصرتَ إليّ فسترى صنيعي بك. قال:

---

(١) م، ي: بالحرير.
(٢) م، ي: يناديك.
(٣) ج، ر، م: - عن الجراحي.
(٤) م، ي: فكأنهم.
(٥) الكشر: بدوّ الأسنان عند التبسم.
(٦) في النسخ: أما لو.
(٧) م، ي: أراه.

فيلتئم عليه حتى يلتقي[1] وتختلف أضلاعه.

وقال رسول الله ﷺ بأصابعه، فأدخل بعضها في جوف بعض، قال: ويقيّض له تسعون تنّينًا، لو أنّ واحدًا منها نفخ في الأرض ما أنبتتْ شيئًا ما بقيتِ الدنيا، فتنهشه وتخدشه حتى يقضى به إلى الحساب.

وقال رسول الله ﷺ: «إنما القبر روضة من رياض الجنّة، أو حفرة من حفر النار».

وأنشد بعضهم[2]:

كأنّي بأصحابي على حافتي قبري ... يهيلون من فوقي وأعينهم[3] تجري
ستنسون أيّامي إذا ما رجعتم ... وغادرتموني رهن دويّة[4] فقري
ألا أيّها المذري عليّ دموعَه ... ستقصر في يومين عنّي وعن ذِكري
عفا الله عنّي يوم أصبح ثاويًا ... أُزار فلا أدري وأُجفى[5] فلا أدري

وقال عُبيد بن عمير: ليس من ميّت يموت إلّا نادته[6] حفرته التي يدفن فيها: أنا بيت الظلمة والوحدة، فإن كنتَ في حياتك لله مطيعًا كنتُ اليوم عليك رحمة، وإن كنتَ لربّك في حياتك عاصيًا فأنا اليوم عليك نقمة، أنا بيت[7] الذي من دخلني مطيعًا خرج منّي مسرورًا، ومن دخلني عاصيًا خرج منّي مثبورًا.

وخرج عطاء السلمي إلى المقبرة ذات ليلة، فلمّا توسّطها نادى بأعلى صوته:

أهل المقابر قد تساوى بينكم ... أين الوضيع من الكريم السيّدِ
أين الملوك بنو[8] الملوك وأين مَن ... قد كان في الدنيا قليل المحفدِ
أين الحسان ذوو النضارة والنهى ... أين المليح من القبيح الأسودِ
أين الذين تجبّروا وتعظّموا ... وعتوا عتوًّا لم يكن بالمرشدِ

فأجابه من قبرٍ مجيبٌ:

---

(١) م، ي: - حتى يلتقي.
(٢) الشعر لأبي العتاهية.
(٣) م، ي: وأدمعهم.
(٤) دويّة: غير موافقة. ج، م، ي: دونه.
(٥) ج، ي: وأخفى.
(٦) م، ي: ونادته.
(٧) م، ي: فأنا البيت.
(٨) ج، م، ي: بني.

إنّ المنيّة غافصتهم[1] بغتة فهم خمودٌ[2] جوفَ قبرٍ ملحدِ
قد دبّتِ الديدان في أجسامهم وسعتْ هوامُ الأرض في الوجه الندي
كم من وجوه قد تناثر لحمها ومفاصل بانت وبان من اليدِ

بات بعض الصالحين المنقطعين من أهل الخلوات في المقابر ليلة، فبينا هو يفكّر[3] في شأنها إذ هتف به هاتف:

وقِفْ بالقصور على دُخلةٍ حزينًا وقل أين أربابها
وأين الملوك ولاة العهود رقاة المنابر غلّابها
تجيبك آثارهم عنهم إليك فقد مات أصحابها

الدُّخلة -بالضمِّ-: باطن الأمر. يقال: هو عالم بدخلته، أي بباطن أمره.[4]

رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك

كتب بها بعض أدباء المغرب إلى بعض إخوانه بمكة:

أخي[5] الأعزّ الأكرم الأفضل، الأبرّ الأوفى الأوصل، الذي أستوحش لفراقه، وأذوب أسى وكمدًا إن لم اجتمع به في تلك المشاهد الكريمة وأُلاقِه، بلّغك الله المنى، وأحلّك عن قريب بعرفات ومِنى. رسمته إليك من فاس والأشواق بعدك تصعد الأنفاس، فإلى الله أشكو بينك، وإليه سبحانه أتوسّل[6] وله أسأل[7] أن يجمع بحرمه الكريم آخرًا كما جمع أوّلًا بيني وبينك، فلقد فارقت وودّعت، وأودعت الجوانح من تباريح الشوق ما أودعت، وفطرت الأفئدة بحسب مقصدك المبارك المحرّك وصدعت، فيسّر الله إلى تلك المثابة الآمنة عودة وصولك، وبلّغك من لقائها[8] غاية سؤلك، وسنى[9] في ذلك الحرم الشريف المنيف بغية حصولك[10]، وأجرى فلكك بريح السلامة حتى تنتهي إن شاء الله عن كلّ وليّ من أولئك إلى تلك

(١) غافصتهم: أخذتهم على غرّة.
(٢) ج، م، ي: جمود.
(٣) ج: يدكر. م، ي: يتفكر.
(٤) انتهى السمر.
(٥) م، ي: يا أخي.
(٦) ر، ن: توسل.
(٧) أ، ر، ن: وله وأسأل. ج: وبه وأسأل.
(٨) م، ي: وبلغها من لقائك.
(٩) م، ي: وبنى.
(١٠) أ: وصولك. م، ي: أصولك.

المشاهد المعظّمة والمعاهد المكرّمة، تحيّته العاطرة[1] وسلامه، وتذكره عند مباشرتك تقبيل الحجر الأسود واستلامه، بحول الله ﷻ.

فإذا بدأت على بركة الله تعالى بأوّل المناسك، فاشعر نفسك[2] لبوس المخبت الناسك، ومن أيّ مواقيت الحج أحرمت، وقد أشعلت[3] بعد الاغتسال نار سَوق[4] الوفادة في قلبك وأضرمت[5]. فاغتبط أيّها الوافد على حرم الله تعالى فقد استكرمت، فارفع صوتك بالإهلال، ملبّيًا دعوة ذي الجلال، حتى إذا[6] شارفت مكة الغرّاء، وأن تجتلي في منصّتها العروس الزهراء، فادخل على اسم الله وسنّة رسوله من باب بني شيبة، وقل: اللهمّ صن مِن لفح نارك هذه الشيبة.

فإذا اكتحلتْ عينُك[7] بسنى الكعبة البيت الحرام وذهلت، فهنالك استهونتَ[8] كلّ مشقّة لقيتها في طريقك واستسهلت، ودنوت حتى وقفت خلف الحجر الأسود، وجعلته على يسارك وكبّرت، وقبّلت حيث قبّل المصطفى ﷺ واستعبرت، وأخذت في الأشواط الثلاثة بالرمَل، وقد أيقنتَ ببلوغ أقصى الأمل، ثمّ أكملت بالسعي بقيّة أسبوعك، فحينئذ تجد برد السلوة عن أوطانك وربوعك، ثمّ اركع ركعتي الطواف خلف المقام، وادعُ لمن بَعُدَ بعدَك بالمقام، وتعلّقْ بالأستار داعيًا عند الملتزم، وتضلّع عند شربك من ماء زمزم، وانوِ فيه نيّة من أخلص لله عمله، فـ «ماء زمزم لما شرب له».

ثمّ اجعل خروجك على باب الصفا والمروة، وقِف على درجاتها، وادعُ بخلاص نفسك ونجاتها، ثمّ انحدِر في وادي إبراهيم عليه السلام، فإذا بلغت الميل الأخضر، فخذ في الرمَل أخذ المجدّ إذا أحضر، فإذا أتممتَ السعي فبادر بالحِلاق وتجنّب التقصير، فللمحلّقين وجبت الدعوة النبويّة وجوب استحقاق.

---

(١) م، ي: تحية عاطرة.
(٢) م، ي: بنفسك.
(٣) م، ي: أشعرت.
(٤) ج، م: الشوق. ي: السوق
(٥) م، ي: وأضمرت.
(٦) م، ي: - إذا.
(٧) ج، ر: عينيك.
(٨) أ، ر، ن: استهويت.

فإن لم تكن معرِّفًا[1] فاخرج متى شئت للتنعيم، وأحرم من مسجد عائشة رضي الله عنها بعمرة، وقل: طوبى لمن أفنى في هذه الأحوال السنيّة والمساعي المرضيّة عمره، ولازم الحِجر الكريم، وقف داعيًا تحت ميزابه، وتذكّر إخوانك بالدعاء، وكلّما أسلفتَ من خير تجزى به، وصلّ على الرخامتين الخضراوين فهما علامتا قبري إسماعيل وأمّه هاجر، وقل: الحمد لله الذي جعلني ممن انقطع إلى حرمه المعظّم وهاجَر[2].

وإذا فتح باب الكعبة المعظّمة المكرّمة[3]، فكن فيها أوّل داخل وآخر خارج، وهنّئ قدميك تربتها في تلك المدارج، وتوخّ مصلّى النبيّ ﷺ متوسّلًا به إلى الله ذي المعارج، واستدعِ معاينة المقام الكريم عند باب الرحمة وقبّل فيه، واشرب ماء زمزم في أثر القدمين المباركين، فطوبى لمن باشرهما بِفيه. وفي أثناء مقامك تعهّد المعاهد[4] الشريفة والآثار، وحرِّك فيها شوقك المثار، وزُر المولد المقدّس المبارك، وأجِلْ فيه نظرك واعتبارك، والمم بدار الخيزران، وسائر تلك المنازل الشريفة والمواطن.

وصِل بما أمكنك من الصدقة كلّ ثاو فيها[5] وقاطن. وزُر القبور الطاهرة بالمعلى، واعلُ على جبل أبي قبيس وقعيقعان[6]، فحقّ أن يُشرف عليهما ويُعلى. واقصد جبل حراء واصعد في ذروته، ففيه رأى النبيّ ﷺ أوّل علامات نبوّته. وارقَ جبل ثور ولج الغار، وتذكّر ثاني اثنين إذ هما فيه، فنفس كلّ جبل عليه وغار.

حتى إذا أظلّ شهر ذي الحجة، وأحرم وفود الله لهلاله، وبدا كلّ أحد لإهلاله، وارتفعت بالتلبية الأصوات في أعقاب الصلوات، وأقاموا على التلبية متأهّبين ليوم التروية، فيا لك من يوم تسابق فيه إلى منى بالصعود، واستبشروا بمطالع السعود. فتعدّوا[7] منى إلى عرفات، موقنين برحمة الله ﷻ ومنازل الأمن في الغرفات، مرتفعين عن بطن عرنة، علمًا بأنّ من وقف فيه[8] فقد ذهب حجّة عامه ذلك وفات. ثمّ أصبحوا يوم عرفة وقد جلّلت الأرض فساطيط

---

(١) معرِّف: ذاهبا إلى عرفة أي حاجّا.

(٢) م، ي: - وهاجر.

(٣) م، ي: - المكرمة.

(٤) م، ي: الأماكن.

(٥) م، ي: فيه.

(٦) جبل قعيقعان يقع غرب مكة مقابل جبل أبي قبيس.

(٧) م، ي: فتقدّموا.

(٨) أ: به. م، ي: عليه.

أهل العراق وسائر الآفاق، كأنّها قطع أزهار ذات ألوان، صنوان وغير صنوان، تخال البسيطة منها في بستان. فارتقَوا جبل الرحمة، ثمّ نزلوا إلى دار آدم يسألون ربّهم المغفرة والرحمة. وفي أثناء ذلك ابتاعوا قرابينهم المتقبّلة، ليأكلوا منها ويجعلوا بقاياها على البائس الفقير مُسبَلة. فإذا اغتسلوا وتطهّروا للجمع بين الظهر والعصر في مسجد إبراهيم. فَهِمْ أيّها الأخ الأكرم في تلك المسالك المباركة وجدًا وشوقًا فحقّ أن تهيم. وهنالك لا تنسى أخاك وحاشاك أن تنساه، وواسِه بدعوة فمثلك من واساه.

ثمّ اجتمعوا مع العشي بإزاء موقف النبيّ ﷺ عند الصخرات، وقد ارتفعتْ بالتهليل والتكبير والتلبية الأصوات، وأسبلت العبرات، وصعدت الزفرات، وأثيرت بازدحام الركائب الغبرات، وقد واجهوا الكعبة المقدسة واستقبلوها، ورجوا الرحمة من الله ﷻ وأمّلوها، واقفين شعثا غبرًا، لا ترى منهم إلّا ذا مقلة عبرا، يتذكّرون بذلك الموقف العظيم موقف الحشر فما يستطيعون صبرًا، باسطوا أيديهم لمولاهم الكفيل بارتقابهم، يتضرّعون إليه في فكاك رقابهم وحطّ أوزارهم التي حملوها باحتقابهم، يباهي بهم الله ﷻ ملائكة السماء، ويقول: اشهدوا بأنّي قد رحمتهم فأنا أرحم الرحماء.

وقد غصّتْ بذلك الجمع الأرض الأريضة، والشمس تجنح للغروب مريضة، حتى إذا وجبتْ، حلّت الإفاضة ووجبتْ، فوصلوا مع الليل جمعًا[1]، وقرنوا به بين المغرب والعشاء جمعًا، ومسجده المبارك قد استنار مشاعل وشمعا، ولكثرة الضجيج والعجيج لا يستطيع أحد سمعًا، ولا تملك العيون دمعًا، وباتوا يلتقطون ويكسرون حصى الجمار، وكلٌّ مسرور بسمرة تلك الليلة، فيا شرف تلك الأسمار.

وعند الإسفار وقفوا داعِين، ثمّ أفاضوا إلى منى مسرعين، وأجازوا وادي محسّر بالنّص والرمَل، فائزين من الله ﷻ بالصنع الأجمل، مقتدين بما ورد في ذلك عن رسول الله ﷺ من العمل، فرموا جمرة العقبة المحلِّلة، ونفوسهم مبتهجة متهلّلة. ثمّ انقلبوا للحِلاق، والتقرّب بالدم المهراق، إلى المهيمن الخلّاق.

وبعد ذلك ساروا لطواف الإفاضة، لابسين من التقوى خير مفاضة، ثمّ عادوا محلّين قد أتمّوا الحج، وقضوا التجّ والعجّ، فأقاموا متنعِّمين أيّام منى بالأكل والشرب، وكلّ منهم قد أصبح آمن السرب، يرمون كلّ يوم في محصّب الجمار الثلاث إحدى وعشرين جمرة، والشوق

(١) يقصد بجمع هنا مزدلفة.

يُلهب في أحشائهم جمره، وأكثر الناس مع ذلك من بيعهم وشرائهم في غمرة. وأهل الانقطاع إلى الله، وتجّار الآخرة في مسجد الخيف مقيلهم، وذكر الله قيلهم، يسألون ربّهم الإقالة، والربّ بكرمه يقيلهم، مثابرين على التهليل والتسبيح، ظافرين بالمتجر الربيح، ملمّين بزيارة موضع فداء الذبيح. ثمّ تعجّلوا في يومين بالنفر، فهنيئًا[1] لك أيّها الأخ الأكرم كونك في أولئك السفر.

فإذا تأهّبتَ للزيارة الطيبيّة، وطفتَ طواف الوداع، فاستودع الله دينك وأمانتك، فهو أهل الإيداع، وسر على بركة الله[2].

فإذا اجتزت بقبر أمّ المؤمنين ميمونة بِسَرِفْ، فامسك عنانك وقِف، واسكب دمعك فيه رحمة واذرِف، ففي ذلك الموضع كان ابتناء رسول الله ﷺ بها، وفيه قضيت وفاتها، ومنه تحيا رمّتها الطاهرة ورفاتها.

ثمّ عج في طريقك على خيمة أمّ معبد، فقد حازت بحلول الرفيقين الكريمين فيها[3] شرف الذكر آخر الأبد.

وإذا جئت بدرًا فحيّ شهداءه بالسلام، فهو أوّل مشهد نصر الله فيه الإسلام[4].

حتى إذا بدَتْ لك أعلام المدينة، فابشر باحتلالك البلد الذي أظهر الله فيه دينه، فإذا مررتَ بمسجد ذي الحليفة فعرّج عليه ولا تعرّج عنه، وحيّه بركعتين، فهو المسجد المبارك، الذي أحرم رسول الله ﷺ منه، حتى إذا جزت وادي العقيق فمن هنالك، وانزل وامش كرامة لمن حلّ في ذلك المنزل، وادخل على اسم الله وعليك الوقار والسكينة، واكس الخضوع والخشوع نفسك المسكينة.

فإذا دخلت مسجد الشفيع الرفيع فاقصد بعد ركعتي التحيّة روضةَ سيّد دار السلام بالسلام، وامثل قبالة وجهه الكريم، وحيّه ﷺ بأفضل التسليم، والزم هنالك أدب التوقير والتعظيم، وقف ثمْ، وإيّاك أن تلمس الجدار وتلثم، فقد نهي عن ذلك ولعلّ فاعله أن يأثم. وسلّم على الصدّيق والفاروق، وزيريه وصاحبيه، وقم مقام الخانع[5] المستكين بين الكريمتين

---

(١) أ، ر، ن: فهيّا. ج، م: فهنا.

(٢) م، ي: + تعالى.

(٣) م، ي: - فيها.

(٤) م، ي: الإيمان.

(٥) ج: الخاضع. م، ي: الخاشع.

يديه، فغدًا ترجو الشفاعة لديه، وإنّه سلام أوليائك إليه، صلّى الله عليه. وحافظ على الصلاة بين قبره ومنبره عليه السلام، فبينهما روضة من رياض الجنّة، والمس الدرجة المباركة الباقية من المنبر الكريم موقف القدمين المقدّستين، واتّخذ التبرّك بلمسها جُنّة.

وطُفْ على تلك المنازل الكريمة والديار، واستقرِ مواطن البررة الأخيار، وزُر قبور أمهات المؤمنين وروضة العباس والحسن -رضوان الله عليهم أجمعين- ببقيع الغرقد، وإن أضرمَ الوجد عليهم نار الحزن بين جوانحك وأوقَد، وحدِّثْ نفسك باللحاق السريع بهم فكأن قد. وعرّج في آخر البقيع على روضة ذي النورين عثمان، ومِل إلى روضة فاطمة بنت أسد أمّ علي السابق إلى الإيمان، ولا تنس عن يسارك إذا خرجت على باب البقيع قبر العمّة الطاهرة صفيّة، أمّ الزبير الذي كان حواري الرسول[1] ﷺ وصفيّه، وامش إلى قباء مُظهِرًا الأسوة برسول الله ﷺ والاقتداء، وزُر بأُحُدٍ حمزة عمَّ المصطفى والشهداء.

فإذا أذن[2] بالارتحال، فأمل أن تجمع في الزيارة بين المساجد الثلاثة التي لا تشدّ إلّا إليها الرحال، مؤثرًا سلوك المحجّة البيضاء من السنّة، ملتمسًا بركة[3] الحديث المأثور: «من زارني وزار أبي إبراهيم في عام واحد ضمنتُ له على الله الجنّة» والضامن مَلِي، وهو ﷺ بالمؤمنين ولي، فاعمِل ركابك إلى المسجد الأقصى، واستقصِ الطواف بجميع آثاره المقدّسة، فمثلك من استقصى، وإن استطعت الإحرام منه أوّلًا، فهو أفضل عمل صالح يدّخر، وقد ورد فيه حديث بمغفرة ما تقدّم من الذنب وما تأخّر، حيث اختصّ المصطفى ﷺ بالإسراء، وعرج به إلى السماء، بعد أن صلّى فيه بجميع الأنبياء. وتبرّك بالصخرة المقدّسة، فمنها كان معراج سيّد البشر، وصلِّ خلفها، فهي المكان القريب الذي ينادي المنادي منه للمنشر والمحشر، وادخل قبّة السلسلة واركع فيها، وادع[4] لنفسك ونفوس إخوانك بتداركها بالتوبة وتلافيها.

وصلّ في محراب زكريا، وإيّاك والرّيا، وفي محراب مريم حيث دخل عليها، فوجد الرزق من الله لديها، وارقَ في محراب داود حيث كان تسوّر الخصم، وصلّ فيه متوسّلًا إلى الله بشرف ذلك الرسم، وواصل بالزيارة مبدئًا لها ومعيدًا، موضع نزول المائدة التي كانت لبني

---

(١) م، ي: رسول الله.

(٢) م، ي: - فإذا أذن.

(٣) م، ي: ببركة.

(٤) أ، ر، ن: وادفع. ج: وارفع.

إسرائيل آية وعيدًا، وأُسمعوا على الكفر بعد نزولها وعيدًا، ولا تمش في جميع تلك الأرض المقدّسة إلّا بالانكسار والاستحياء، فإنّك لا تخطو فيها خطوة إلّا على مواطئ أقدام الأنبياء، ولا تنس أن تتطهّر في عين سلوان، واذكر فيه من لم يحدّث نفسه عنك بسلوان.

ثمّ أخذت للخليل في الرحيل، فابدأ في أوّل طريقك بقبر راحيل[١]، ثمّ بمولد المسيح وموضع مهدِه، وسل من الله قبول مساعيك، واستعِنه واستهدِه[٢]، واعطف على موضع جذع النخلة الذي هزّت به مريم فاسّاقط[٣] عليها رُطبًا جنيًّا ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾[٤]. ثمّ ألمم في طريقك، وحقّ لك الإلمام، بقبر يونس ولوط[٥] عليها السلام، فإذا انتهيتَ إلى قبر الخليل وقبر إسحق ويعقوب، وقد حننتَ إليهم حنين الرقوب، فهنالك يقبل مزارك، وتحطّ[٦] إن شاء الله عنك أوزارك، وخارج ذلك الحرم الخليلي على ما يذكر قبر يوسف الصدّيق، والله أعلم بالتحقيق.

فإذا قضيت بحول الله ﷻ من زيارة جميع[٧] تلك الآثار المقدّسة[٨] إرَبَكْ، فلا تذكر بعدها مغربك، فقد منّ الله عليك بتجديد عهد الوفادة عليها والنظر إليها، وما ذكرتها لك على هذا النسق إلّا تبرّكًا بذكراها، وتشوّقًا للعودة الثالثة عسى نجدّد[٩] العهد الكريم بها وأراها، واستطابة للحديث معك فيها لأنّك تعرف بالمعاينة معناها، وليس مَن درى حقيقة الشيء كمن لا يدريه، وأين شوق آدم للجنّة من شوق بنيه؟

فعُد إلى حرم الله العظيم[١٠]، والق فيه عصا تسيارك، وقرّ عينًا بمنال[١١] اختيارك، وأقم بقيّة عمرك فيه مستوطنًا، وللنيّة الصادقة الخالصة لله ﷻ مستبطنًا، وقل: يا ربّ؛ تركت من إخواني عبيدًا مشتاقين للعودة إلى حرمك، متوسّلين إليك في ذلك بفضلك وكرمك،

---

(١) م، ي: + ثم قبر يوسف عليه السلام.
(٢) النسخ عدا أ: واستهديه.
(٣) م، ي: فتساقط.
(٤) [مريم: ٢٤]
(٥) م، ي: وهود.
(٦) م، ن، ي: ويحط.
(٧) م، ي: - جميع.
(٨) م، ي: القدسية.
(٩) ج: يتجدد. م، ن، ي: تجدد.
(١٠) م، ي: الكريم.
(١١) ج، ي: بمناك.

فسهِّل بعزّتك وقدرتك مرامهم، وسكّن بالوصول إلى كعبتك المقدّسة المشرّفة غرامهم، وعرّفهم معاهدهم الكريمة بعرفات والمشعر الحرام، وشرّفهم بالمثول فيها قبل أن تقضي على مدّتهم بالانصرام، وتفجأ أعمارهم قواطع الاختزام، إنّك سبحانك مولى المنن الجسام، ومقدّر الحظوظ السنيّة لعباده والأقسام.

واقرأ عليك أيّها الأخ الأسنى، المختوم له إن شاء الله بالحسنى، سلامًا أعطر من الزهر عند الابتسام، يتلقّاه مسك دارين بالتنشّق والانتسام، ورحمة الله وبركاته.

وصيّة نبويّة

روينا من حديث الهاشمي فيما يرويه من حديث أبي ذر عن رسول الله ﷺ أنّه قال لرجل يوصيه:

أقلِل من الشهوات يسهل عليك الفقر، وأقلِل من الذنوب يسهل عليك الموت، وقدِّم مالَك أمامَك يسرّك اللحاق به، واقنع بما أوتيتَه يخفّ[1] عليك الحساب، ولا تتشاغل عمّا فُرض عليك بما قد ضمن لك، إنّه ليس بفائتك ما قسم لك، ولست[2] بلاحق ما زُوِي عنك، فلا[3] تك جاهدًا فيما يصبح نافدًا، واسْعَ لملك لا زوال له في منزل لا انتقال عنه.

ومن حديثه أيضًا عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ:

ما سكن حبّ الدنيا قلب عبد إلّا التاط منها بثلاث: شغل لا ينفكّ عناه، وفقر لا يدرك غناه، وأمل لا ينال منتهاه. إنّ الدنيا والآخرة طالبتان ومطلوبتان؛ فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل رزقه، وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يأخذ الموت بعنقه. ألا وإنّ السعيد من اختار باقية يدوم نعيمها على فانية لا ينفد عذابها، وقدَّم لما يقدم عليه فيما[4] هو الآن في يديه، قبل أن يُخلِفه لمن يسعد بإنفاقه، وقد شقي هو بجمعه واحتكاره.

وروينا من حديث محمد بن حمّاد قال: كنّا يومًا عند إسحق بن نجيح، وعنده جارية يقال لها شادن، موصوفة بجودة ضرب العود وشجو صوت، وحسن خلق، وظرف مجلس، وحلاوة وجه.

---

(١) م، ي: يخفف.

(٢) م، ي: وليس.

(٣) م، ي: ولا.

(٤) م، ي: مما.

فأخذت العود وغنّت:

ظبيٌ تكاملَ في نهاية حسنهِ فزها بهجته وتاه بصدّهِ
والشمس تطلع من فرند جبينه والبدر يغرب في شقائق خدّهِ
ملك الجمال بأسره فكأنما حسن البريّة كلّها من عندهِ
يا ربّ هب لي وصله وبقاءه أبدًا فلستُ بعائش من بعدهِ

فطارت عقولنا وذهلت ألبابنا من حسن غنائها وظرفها فقلت: يا سيّدتي؛ من هذا الذي تكامل في الحسن والبهاء سواك؟ فقالت:

فإن بحثُ نالتني عيونٌ كثيرةٌ وأضعفُ عن كتمانه حين أكتمُ

يحكى عن الخنساء أنّها دخلت على عائشة وعليها صِدار[١] من شعر، فقالت لها عائشة رضي الله عنها: أتتّخذين الصِّدار وقد نهى عنه رسول الله ﷺ؟ فقالت: يا أمّ المؤمنين؛ إنّ زوجي كان متلافًا منفِقًا، فقال لي: لو أتيتِ معاوية فاستعنتيه. فخرجتُ، فلقيني صخر[٢]، فأخبرتُه، فشاطرني ماله ثلاث مرات، فقالت امرأته: لو أعطيتها من شرارها، يعني الإبل، فقال:

والله لا أمنحها شِرارها وهي حَصَان قد كفتني عارها
وإن هلكتُ مزّقتْ خِمارها واتّخذتْ من شَعَرٍ[٣] صِدارها

فلمّا هلك صخر اتّخذتُ هذا الصِّدار ونذرتُ أن لا أضعه حتى أموت.

حدّثنا بعض مشائخنا من أهل الأدب قال عمرو؛ قال بعضهم: رأيت أعرابيّة بالنِّباج[٤]، فقلت لها: أنشديني، قالت: نعم، وربّ الكعبة، قلت: فأنشديني، فأنشأت تقول:

لا بارك الله فيمن كان يخبرني أنّ المحبّ إذا ما شاء ينصرفُ
وجد[٥] المحبّ إذا ما بان صاحبه وجد[٦] الصبيّ بثديَيْ أمّهِ الكلفُ

فقلت: فأنشديني من قولك، فقالت:

---

(١) الصدار: كل ما يلي الصدر من الدرع.
(٢) معاوية وصخر ابنا عمرو بن الحارث الشريدي هما أخوا الخنساء.
(٣) م، ي: شعرها.
(٤) النباج: موضع في بادية البصرة تتوسط المسافة بين البصرة ومكة المكرمة.
(٥) م، ي: وجه.
(٦) م، ي: وجه.

بنفسي من هواه على التنائي وطول[1] الدهر مؤتلف جديدُ
ومن هو في الصلاة حديث نفسي وعدل الروح عندي بل يزيدُ

فقلت لها: إنّ هذا كلام من قد[2] عشق، فقالت: وهل[3] يعرى من ذلك من له سمع أو قلب! ثمّ أنشدتني:

ألا بأبي واللهِ من ليس شافعي بشيءٍ ومن قلبي على النأي ذاكرهْ
ومن كبدي تهفو[4] إذا ذكر اسمه كما ارتقص الغصن الذي طار طائره[5]
له خفقان يرفع الجيب[6] كالشجى ويقطع أزرار الجربان[7] ثائرهْ

وروينا من حديث عمر بن يزيد الأسدي قال: مررتُ بخرقاء صاحبة ذي الرُّمَّة، فقلت لها: هل حججتِ قط؟ فقالت: أما علمتَ أنّي منسك من مناسك الحج! ما منعك أن تسلّم علي؟ أما سمعت قول عمّك ذي الرمّة وهو ينشد:

تمام الحج أن تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثامِ

فقلت لها: قد أثّر فيك الدهر، قالت: أما سمعت قول عمّك العجيف العقيلي:

وخرقاء لا تزداد إلّا ملاحة ولو عمرتْ تعمير نوحٍ وحلّتِ

قال: ورأيتها وإنّ فيها المباشرة، وإنّ ديباجة وجهها لطريّة، كأنّها فتاة، وإنّها لتزيد يومئذ على المائة، وشبّبَ بها ذو الرمّة وهي ابنة ثمانين سنة.

حدّثني أبو ذر بأشبيلية أنّ سبب أن سمّيت الخرقاء وهي مي، وسمّي ذو الرمّة وهو غيلان، أنّه رآها يومًا فتعرّض إليها، وبيده حبل بالٍ لتعمل له نعله، وكان قد انتقض، وأراد بذلك[8] الكلام معها، فقالت له: إنّي خرقاء يا ذا الرمّة، أي لا أحسن العمل، والخرقاء التي لا تحسن العمل والصَّنَاع ضدّها. والرمّة: الحبل البالي؛ فجرى عليها هذان الاسمان إلى

(١) م، ي: فطول.
(٢) ج، م، ي: - قد.
(٣) م، ي: ومن.
(٤) ج: يهفو. م، ي: يهوي.
(٥) هذا الشطر من البيت من ج فقط.
(٦) أ، ر، ن: الجنب. ج: القلب. م: الحب.
(٧) الجربان: جيب القميص.
(٨) م، ي: - بذلك.

اليوم.[1]

* * *

روينا من حديث الهاشمي يبلغ به النبيّ ﷺ أنّه قال:

«كن في الدنيا كأنّك غريب أو عابر سبيل، واعدد نفسك في الموتى. وإذا أصبحتْ نفسُك فلا تحدّثها بالمساء، وإذا أمسَت[2] فلا تحدّثها بالصباح. وخذ من صحّتك لسقمك، ومن شبابك لهرمك، ومن فراغك لشغلك، ومن حياتك لوفاتك، فإنّك لا تدري ما اسمك غدًا».

قال بعض الأعراب: إنّ الموت يقتحم على بني آدم كاقتحام الشيب على الشباب، ومن عرف الدنيا لم يفرح بها ولا بزخارفها، ولم يحزن فيها على بلوى، ولا طالب أغشم من الموت، ومن عطف عليه الليل والنهار أردياه، ومن وكّل به الموت أفناه.

أصيب الحجاج بمصيبة وعنده رسول لعبد الملك بن مروان فقال: ليت أنّي وجدت إنسانًا يخفّف مصيبتي، فقال الرسول: أقول؟ قال: قل، قال: كلّ إنسان مفارق صاحبه بموت أو بصلب أو بنار تقع عليه من فوق البيت، أو يقع البيت عليه، أو يسقط في بئر، أو يغشى عليه، أو يكون شيء لا يعرفه[3]. فضحك الحجاج وقال: مصيبتي في أمير المؤمنين أعظم حين وجّه مثلك رسولًا.

قال عبد الله بن المعتز: أهل الدنيا كصور في صحيفة كلّما نشر بعضها طوي بعضها، وقال أيضًا: أهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام، ينظر هذا إلى قول الآخر:

فسيرك يا هذا كسير سفينة بقوم جلوسٍ والقلاع تطيرُ

وقال الآخر: طلاق الدنيا مهر الجنّة.

وسئل أعرابي عن حال الدنيا فقال: هي جمّة المصائب، رنقة[4] المشارب، لا تمتّع صاحبًا بصاحب.

قال أبو الدرداء: ما أنصف أحدٌ الدنيا، ذُمّت بإساءة المسيء فيها، ولم تحمد بإحسان المحسن فيها. غير أنّه قال يومًا: من هوان الدنيا على الله أنّه لا[5] يعصى إلّا فيها، ولا ينال ما

---

(١) انتهى السمر.

(٢) النسخ عدا أ: أمسيت.

(٣) أ، ر، ن: لا نعرفه.

(٤) رنقة: كدرة.

(٥) م، ي: لم.

عنده إلّا بتركها، وهو الذي يقول أيضًا فيها[1]: إذا أقبلتِ الدنيا على امرئ أعارته محاسنَ غيره، وإذا أدبرتْ عنه سلبته محاسنَ نفسه.

روينا من حديث الطفيل بن عامر العامري[2] قال: خرجت يومًا أريد الغارة، وكنت رجلًا أحبّ الوحدة، فبينا أنا أسير إذ ضللت الطريق الذي أردت، فسرت أيّامًا لا أدري أين التوجّه حتى نفد زادي، فجعلت آكل الحشيش وورق الشجر، حتى أشرفت على الهلاك، ويئست من الحياة.

فبينا أنا أسير، إذ بصرت بقطيع[3] غنم في ناحية من الطريق، فملتُ إليها، فإذا أنا[4] بشاب حسن الوجه فقال: يا ابن عم؛ أين تريد؟ فقلت: أردت حاجة لي في بعض المدن، وما أحسست بنفسي إلّا وقد ضللت عن الطريق. قال: أجل[5]، إنّ بينك وبين الطريق مسيرة أيّام، فانزل حتى تستريح وتطمئن، وتريح فرسك. فنزلت، فرمى لدابتي حشيشًا، وجاءني بثريد كثير ولبن، ثمّ قام إلى كبش فذبحه وأجّج نارًا، وجعل يكبّب لي ويطعمني حتى اكتفيت.

فلمّا جنّنا[6] الليل قام وفرش لي، وقال: قم فأرح نفسك، فإنّ النوم أذهب لتعبك، وأرجع لنفسك. فقمت ووضعت برأسي. فبينا أنا نائم إذ أقبلتْ جاريةٌ لم تر عيناي مثلها قطّ حسنًا وجمالًا، فقعدتْ إلى الفتى، وجعل كلّ واحد منهما يشكو إلى صاحبه ما يلقى من الوجد به، فامتنع عليّ النوم بحسن حديثهما، فلمّا كان في وقت السحر قامت[7] ورجعت إلى منزلها.

فلمّا أصبحتُ دنوتُ منه، فقلت له: مَن الرجل؟ قال[8]: أنا فلان بن فلان؛ فانتسب[9] لي فعرفته، فقلت له: ويحك؛ إنّ أباك لسيّد قومك، وما حملك على وضعك لنفسك في هذا المكان؟

---

(١) م، ي: وهو الذي يقال فيها.
(٢) م، ي: العمري.
(٣) أ، ر، م، ن: بقطع. ي: يقطع.
(٤) م، ي: - أنا.
(٥) م، ي: - أجل.
(٦) ج، م، ي: جاء.
(٧) م، ي: - قامت.
(٨) م، ي: فقال.
(٩) م، ي: انتسب.

فقال: أنا واللهِ أخبرك. كنت عاشقًا لابنة عمي هذه التي رأيتها، وكانت هي أيضًا لي وامقة، فشاع خبرنا في الناس، فأتيت عمي فسألت أن يزوّجنيها، فقال: يا بنيّ؛ والله ما سألتَ شططًا، وما هي بآثر عندي منك، ولكنّ الناس قد تحدّثوا بشيء، وعمّك يكره المقالة القبيحة، ولكن انظر غيرها في قومك حتى يقوم عمّك بالواجب لك. فقلت: لا حاجة لي فيما ذكرت. وتحمّلت عليه بجماعة من قومي فردّهم، وزوّجها رجلًا من ثقيف له رياسة وقدر، فحملها إلى ههنا، وأشار بيده إلى خيم كثيرة بالقرب منّا[1].

فضاقت عليّ الأرض برحبها، وخرجتُ في إثرها، فلمّا رأتني فرحتْ فرحًا شديدًا، فقلت لها: لا تخبري أحدًا أنّي منك بسبيل. ثمّ أتيت زوجها، فقلت: أنا رجل من الأزد، أصبتُ دمًا، وأنا خائف، وقد قصدتك لما يعرف من رغبتك في اصطناع المعروف، ولي بصر بالغنم، فإن رأيت أن تعطيني من غنمك شيئا فأكون في جوارك وكنفك فافعل. قال: نعم وكرامة. فأعطاني مائة شاة، وقال لي: لا تبعد بها من الحيّ. وكانت ابنة عمّي تخرج في كلّ ليلة في الوقت الذي رأيت، وتنصرف. فلمّا رأى حُسن حال الغنم أعطاني هذه، فرضيتُ من الدنيا بما ترى.

قال: فأقمت عنده أيّامًا، فبينا أنا نائم إذ نبّهني وقال: يا أخا بني عامر، قلت له: ما شأنك؟ قال: إنّ ابنة عمي قد أبطأت ولم تكن هذه عادتها، وما أظنّ ذلك إلّا لأمر حادث، فحدّثني وجعلت أحدّثه، وأنشأ يقول:

ما بال ميّة لا تأتي لعادتها ... هل هاجها طربٌ أو صدّها شغلُ
لكنّ قلبي لا يغنيه غيركم ... حتى الممات ولا لي غيركم أملُ
لو تعلمين الذي بي من فراقكم ... لما اعتذرتِ ولا طالت بك العللُ
نفسي فداؤك قد أحللتِ بي حُرَقًا ... تكاد من حرّها الأحشاء تنفصلُ
لو كان غادية[2] منه على جبلٍ ... لزلّ[3] وانهدّ من أركانه الجبلُ

قال الطفيل: فوالله ما اكتحل بغمض حتى انفجر عمود الصبح، وقام ومرّ[4] نحو الحيّ، فأبطأ عنّي ساعة، ثمّ أقبل ومعه شيء يحمله، وجعل يبكي عليه، فقلت له: ما هذا؟ قال: هذه ابنة عمي افترسها السبُع، فأكل بعضها ووضعها بالقرب منّي. فأوجع واللهِ قلبي. ثمّ تناول

(١) م، ي: - منا.
(٢) ج، ن: عادية.
(٣) م، ي: لزال.
(٤) م، ي: فمر.

سيفه، ومرّ نحو الحيّ فأبطأ هنيهة، ثمّ أقبل إليّ وعلى عاتقه ليث كأنّه حمار، فقلت: ما هذا؟ قال: صاحبي. قلت: وكيف علمت به[1]؟ قال: إنّي قصدت الموضع الذي أصابها فيه، وعلمت أنّه سيعود إلى ما فضل منها، فجاء قاصدًا إلى ذلك الموضع[2]، فعلمتُ أنّه هو فحملتُ عليه، فقتلته. ثمّ قام فحفر في الأرض، فأمعن وأخرج ثوبًا جديدًا، وقال: يا أخا بني عامر؛ إذا أنا متّ[3] فأدرجني معها في هذا الثوب. ثمّ ضعنا في هذه الحفيرة[4]، وهِلّ التراب علينا، واكتب هذين البيتين على قبرنا:

كنّا على ظهرها والعيش في مهلٍ ... والدهر يجمعنا والدار والوطنُ
فخاننا الدهر في تفريق أُلفتنا ... فاليوم يجمعنا في بطنها الكفنُ

ثمّ التفت إلى الأسد فقال:

ألا أيّها الليث المدلّ بنفسه ... هبلتَ لقد جرّت يداك[5] لنا حزنا
وغادرتني فردًا وقد كنت آلفًا ... وصيّرتَ آفاق البلاد لنا سجنا
أأصحب[6] دهرًا خانني بفراقها ... معاذ إلهي أن أكون له خدنا

وقال: يا أخا بني عامر؛ إذا فرغتَ من شأننا، فصِح في إدبار هذه الغنم، فردّها إلى صاحبها. ثمّ قام إلى شجرة فاختنق حتى مات. فقمت، فأدرجتهما في ذلك الثوب، ووضعتهما في تلك الحفرة، وكتبتُ البيتين على قبرهما، ورددتُ الغنم إلى صاحبها. وسألني القوم عن الرجل، فأخبرتهم الخبر، فخرج جماعة منهم فقالوا: واللهِ لننحرنّ عليه تعظيمًا له. فخرجوا، وأخرجنا مائة ناقة، وتسامع بنا الناس، فاجتمعوا إلينا فنحرنا ثلاثمائة ناقة، ثمّ انصرفنا.

كتب جعفر بن محمد بن الأشعث إلى يحيى بن خالد[7] يستعفيه من العمل: شكري لك على ما أريد الخروج منه شكر من سأل الدخول فيه.

وحدّثنا بعض الأدباء، قال: كتب علي بن هشام إلى إسحق بن إبراهيم الموصلي: ما أدري كيف أصنع؟ أغيب فأشتاق، وألقى فلا أشتفي، ثمّ يحدث لي اللقاء الذي طلبت منه الشفاء

---

(١) م، ي: - به.
(٢) م، ي: - الموضع.
(٣) م، ي: - إذا أنا مت.
(٤) م، ي: الحفرة.
(٥) ج: بداك. بقية النسخ: بذاك.
(٦) ج: أأصحبت. بقية النسخ: أأصبحت.
(٧) م، ي: - إلى يحيى بن خالد.

نوعًا من الحرقة للوعة الفرقة.

أخبرني محمد بن سعيد؛ قال رجل من قريش لخالد بن صفوان: ما اسمك؟ قال: خالد بن صفوان[1] بن الأهتم، قال: إن اسمك لكذب، ما أنت بخالد، وإنّ أباك لصفوان، وهو حجر، وإنّ جدّك الأهتم، والصحيح خير من الأهتم. قال له خالد: من أيّ قريش أنت؟ قال: من عبد الدار بن قصي بن كلاب، قال: لقد هشمتك هاشم، وأمتك أميّة، وجمحت بك جمح، وخزمتك مخزوم، وأقصتك قصي، فجعلتك عبد دارها؛ تفتح إذا دخلوا، وتغلق إذا خرجوا.

وحكي عن شهرام المروزي فإنّه جرى بينه وبين أبي مسلم صاحب الدولة كلام، فما زال أبو مسلم يحاوره إلى أن قال شهرام: يا لُقَطَة. فصمتَ أبو مسلم، وندم شهرام على ما سبق به لسانه، وأقبل معتذرًا وخاضعًا ومتنصّلًا. فلمّا رأى ذلك أبو مسلم قال: لسانٌ سبق، ووهمٌ أخطأ، وإنما الغضب شيطان، والذنب لي لأنّي جرّأتك على نفسي بطول احتمالي منك، فإن كنت معتمدًا للذنب فقد شرّكتك فيه، وإن كنت مغلوبًا فالعذر يسعك، وقد غفرنا لك على كلّ حال.

قال شهرام: أيّها الملك؛ عفو مثلك لا يكون غرورًا. قال: أجل. قال: وإنّ عظيم ذنبي أن تدع قلبي يسكن. ولجّ[2] في الاعتذار. فقال أبو مسلم: فيا عجبًا كنت تسيء وأنا أحسن، فإذا أحسنت أسأت.

وروينا عن بعض إخواننا من أهل الأدب أنّ سليمان بن عبد الملك كان سبب موته أنّه استدعى يومًا الجارية التي على خزانة ملابسه فقال لها: ائتيني اليوم بثياب صفر. فأتته بحلّة صفراء، وعمامة صفراء، وطيلسان أصفر، من أحسن ما يكون. فتنظّف ولبس وتطيّب[3]، واستدعى صاحبة الوجه، فجاءته بالمرآة، فرأى وجهه وما عليه من البزّة الفاخرة ونضارة الملك، فأعجبته نفسُه، وقال[4]: واللهِ لأخرجن اليوم على الناس، وأصعد المنبر، وأتكلّم من أحسن[5] الكلام، ما يليق بهذه الحالة.

وخرج يتبختر في مشيته زهوًا وعجبًا بنفسه، فتعرّضت له جارية يعرفها من جواريه،

---

(١) م، ي: - ما اسمك؟ قال: خالد بن صفوان.

(٢) م، ي: ولح.

(٣) م، ي: - وتطيّب.

(٤) م، ي: قال.

(٥) أ، ر، ن: حسن.

فخدمتْ وسلّمتْ، وقالت: ما أحسن هذه الحالة التي أنت فيها لو[1]، ثمّ أنشدت:

ليس فيما بدا لنا منك عيب عابه الناس غير أنّك فانِ
أنت نعم المتاع لو كنت تبقى غير أن لا بقاء للإنسانِ

فقال لها سليمان: يا فلانة؛ ما حملك على هذا في هذا الوقت؟ وتغيّر عليه الحال.

ثمّ إنّه أكذب نفسه، وتحامل على عقله بهواه، ومضى لوجهه، حتى خرج على قومه في زينته، فأُعجب الناس به[2]. وصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه بصوت يستوي في سماعه أقصى من في المجلس وأدناه، وأبلغ وأسهب فأعجب، وأوجز فأعجز. فبينا هو في أطيب ما يكون من الكلام أخذته الحمّى، فتحامل عليها، فما زالت تخفض من صوته إلى أن سقط مغشيًّا عليه. ثمّ أفاق، فحمل إلى منزله ورجلاه تخطّ الأرض[3] ضُعفًا وقوّةَ مرض.

فلمّا دخل منزله استدعى الجارية التي تعرّضت له عند خروجه بالبيتين في صحن الدار، فحضرت بين يديه، وقال لها: يا فلانة؛ أعيدي عليّ ما قلتِ عند خروجي. فقالت له: يا سيّدي؛ ما أعرف ما تقول، والله ما تعرضتُ إليك، وكيف أجرؤ على التعرّض إليك في صحن الدار وليست مرتبتي؟ فعلم سليمان بن عبد الملك أنّ نفسه نعيتْ له، فأوصى، ولبث أيّامًا ومات رحمه الله.

مثل سائر

"أوفى من أمّ جميل" وهي دوسيّة من قبيلة أبي هريرة ﷺ، فذكر أهل الأدب من وفائها أنّ هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي قتل رجلًا من الأزد، فبلغ ذلك[4] قومه بالسراة، فوثبوا على ضرار بن الخطاب الفهري ليقتلوه، فعدا حتى دخل بيت أمّ جميل وعاذ بها. فقامت في وجوههم، ودعت قومها فمنعوه لها. فلمّا ولي عمر بن الخطاب ظنّت أم جميل أنّه أخو ضرار بن الخطاب، فأتته بالمدينة. فلمّا انتسبت[5] عرف القصّة، فقال لها: يا أمّ جميل؛ إنّي لست بأخيه إلّا في الإسلام، وقد عرفنا منّتك عليه. فأعطاها على أنّها ابنة سبيل.

وأمّا وفاء السموأل بن عاديا، فذكر أهل الأدب من وفائه أنّ امرأ القيس بن حجر لمّا أراد

---

(١) م، ي: - لو.
(٢) م، ي: - به.
(٣) م، ي: في الأرض.
(٤) م، ي: - ذلك.
(٥) أ، ر، م، ن: انتسب.

الخروج إلى قيصر، استودع السموأل دروعًا له. فلمّا مات امرؤ القيس بأنقرة، غزا السموألَ ملكٌ من ملوك الشام، فتحرّز منه السموأل، فأخذ الملك ابنًا له وصاح به: يا سموأل؛ هذا ابنك في يدي، وقد علمتَ أنّ امرأ القيس ابن عمي، وأنا أحقّ بميراثه، فإن دفعت إليّ الدروع، وإلّا ذبحت ابنك. قال: أجّلني، فأجّله. فجمع أهل بيته، فشاورهم، فكلّهم أشار بدفع الدروع، وأن يستنقذ ابنه. فلمّا أصبح أشرف فقال: ليس إلى دفع الدروع سبيل، فاصنع ما أنت صانع. فذبح الملكُ ابنَه وهو ينظر إليه، وكان يهوديًّا. وانصرف الملك، ووافى السموأل بالدروع الموسم، فدفعها إلى ورثة امرئ القيس. وقال في ذلك:

وفيت بأدرع الكندي إنّي ... إذا ما خان أقوام وفيتُ
وقالوا عنده كنز رغيبٌ ... ولا وأبيك أغدِرُ ما مشيتُ
بنى لي عاديًا حصنًا حصينًا ... وبئرًا كلّما شئتُ استقيتُ

وفي ذلك يقول الأعشى:

كن كالسموأل إذ طاف الهمام[1] به ... في عسكر كسواد الليل جرّارِ
خيّره[2] خطّتي خسفٍ فقال له ... اختر وما فيهما حظّ لمختارِ
فشكّ غير بعيد ثمّ قال له ... اذبح أسيرك إنّي مانع جاري

روينا من حديث الشعبي، قال: قالت أمّ البنين ابنة عبد العزيز، وهي أخت أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وكانت تحت الوليد بن عبد الملك: لو كان البخل قميصًا ما لبسته، أو طريقًا ما سلكته. وكانت تعتق كلّ يوم رقبة، وتحمل على فرس في سبيل الله، وكانت تقول: البخل[3] كلّ البخل من بخل[4] على نفسه بالجنّة.

أخبرني أبو القاسم البجائي[5]، قال: أخبرني أبو عبد الله الغزّال بالمريّة، قال: سمعت أبا العباس بن العرّيف الصنهاجي عارف وقته يقول: ليس السخيّ من تسخّى بماله، إنما السخيّ من تسخّى بنفسه على العلم.

---

(١) م، ي: الهجام.
(٢) أ، ج، ر، ن: خبره.
(٣) م، ي: - البخل.
(٤) ج، ر: - من بخل.
(٥) ج، ر، ن: البخاري. م: البحاسي.

في الحكمة

ثواب الجود: خلف ومحبّة ومكافأة. وثواب البخل: حرمان وإتلاف ومذمّة[١].

سئل الاسكندر: ما أكبر ما شيّدت به مُلكك؟ قال: ابتداري إلى اصطناع الرجال، والإحسان[٢] إليهم.

وكتب إليه أرسطاطاليس: يا إسكندر؛ اعلم أنّ الأيّام تأتي على كلّ شيء[٣] فتخلقه، وتخلق آثاره، وتميت الأفعال، إلّا ما رسخ في قلوب الناس. فأودِع قلوبهم محبّة أبديّة يبقى بها حسن ذكرك، وكريم فعالك، وشرف آثارك.

جاء الشاعر السبيتي من قرطبة إلينا إلى أشبيلية، وكان صاحب الديوان بها أبا عبد الله بن تاكفَت[٤] رحمه الله فلم يجد من ينزله، فكتب إلى صاحب الديوان أبياتًا:

أتحفلُ بالفرزدق والكميت ... وفي قيد الحيا شعر السبيتي
يروّعني بشعرهما أناسٌ ... وجهلًا روّعوا حيًّا بميتِ
لئن أسكنتني بيتًا رفيعًا ... لتسكن من ثنائي ألف بيتِ

فأمر له صاحب الديوان بمنزل ونُزل وأخصب عليه. فلقيته فسألته، فشكر حاله.

حكمة

قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾[٥] قال: الثناء الحسن.

لمّا قدِّم بزرجمهر إلى القتل قيل له: إنّك في آخر وقت من أوقات الدنيا، وأوّل وقت من أوقات الآخرة، فتكلّم بكلام تُذكر به. فقال: أيّ شيء أقول؟ الكلام كثير، ولكن إن أمكنك أن تكون حديثًا حسنًا فافعل.

وأنشدنا بعض إخواننا قال: أنشدنا أبو القاسم بن فِيْرُّهْ الشاطبي قال: أنشدنا أبو العباس أحمد بن مسعود القيسي قال: أنشدنا أبو عامر بن حبيب، عن أبي الحسن بن مُفَوَّز، عن أبي عمر بن عبد البر، عن عبيد الله بن عبد الرحمن بن الفرضي لنفسه:

---

(١) م، ي: ثوب الجود: خلف ومحبّة ومكافأة. وثوب البخل: حرمان وإتلاف ومذلّة.
(٢) م، ي: بالإحسان.
(٣) م، ي: على الأشياء.
(٤) اسمه زكريا بن سنان، وذكر القصة في الفتوحات المكية.
(٥) [الشعراء: ٨٤]

ما يشتهي قرب السلاطين غير ضعيف العقل مغبونِ
لا تكذبن عنهم فما صحبهم منهم على دنيا ولا دينِ
دنياهم بالخزي موصولة فلا تسل عن دين مفتونِ
لا رأي لي في نيل دنياهم حسبي بأن يسلم لي ديني

أخبرني بعض الحكماء قال: شكا رجل إلى إياس بن معاوية كثرة ما يهب ويصل به الناس وينفق. فقال: إنّ النفقة داعية الرزق. وكان جالسًا على باب فقال للرجل: أغلق هذا الباب، فأغلقه، فقال: هل يدخل[1] فيه الريح؟ قال: لا. قال: فافتحه، ففتحه، فجعلت الرياح تخترق في البيت. فقال: هكذا الرزق؛ أغلقتَ فلم تدخل الريح[2]، فكذلك إذا أمسكتَ لم يأتك الرزق[3].

حدّثنا بعض شيوخنا قال: تنازع في الضيافة رجل عربيّ[4] وآخر فارسي، فقال الأعرابيّ: نحن أقرى للضيف. قال: وكيف ذلك؟ قال: لأنّ أحدنا لا يملك إلّا بعيرًا[5]، فإذا حلّ[6] به ضيف نحره له. فقال الفارسي: فنحن أحسن مذهبًا في القِرى منكم. قال: وما ذاك؟ قال: نحن نسمّي الضيف مهمان، ومعناه أنّه أكبر من في المنزل وأملكنا به.

أخبرنا عبد الرحمن بن ميمون، أنا أبو القاسم الرعيني قال: كان شيخنا أبو محمد عليم بن هاني العمري من أشدّ الناس انقباضًا عن أهل الدنيا، وكان كثيرًا ما ينشد الأبيات المنسوبة إلى الفقيه الإمام يونس بن مغيث:

أفرّ إليك من ظلمي لنفسي وأسلِمني العبيد وأنت أنسي
لقاك مؤمّلي وبك افتخاري وذكرك في الدجى قمري وشمسي
قصدتُ إليك منقطعًا غريبًا لتؤنس وحدتي في قعر رمسي
وللعظمى من الحاجات عندي قصدت وأنت تعلم سرّ نفسي

قال الشاطبي: ودخلت عليه ﷺ عقيب عيد فطر فقال لي: مَرَّ عليّ أمس بعض الأمراء

(١) م، ي: فقال أيدخل.
(٢) م، ي: - فافتحه، ففتحه، فجعلت الرياح تخترق في البيت. فقال: هكذا الرزق، أغلقتَ فلم تدخل الريح.
(٣) م، ي: رزق.
(٤) م، ي: أعرابي.
(٥) م، ن، ي: بعير.
(٦) م، ي: دخل.

في مركب[1] فاخر وملبس باهر والناس يغبطونه بذلك. فقلت أبياتًا وهي[2]:

محالات تجرّ إلى محال ... وأحوال تحوّل كلّ حالِ
ملابيس تُبدّل ثمّ تبلى ... وأجسام تئول إلى اضمحالِ
فناء عاجل لو بعض موت ... وكلّ إقامة فإلى ارتحالِ
فما المغبوط مَن ركب المطايا ... بعزٍّ أو تسربل في الجمالِ
ولكنّ المغبّط من تردّى ... بثوب الذلّ رهبة ذي الجلالِ
فإن شئت البقاء بلا نفاد ... وعزٍّ لا يكدَّر بالزوالِ
فمت حيًّا تعش حيًّا وميتًا ... وتنعم بالكواعب[3] في الظلال
وقم في الليل ويحك مستكنًّا ... وقل يا سيّدي اسمع مقالي
حياتي في الذي تدري، وموتي ... وجود الهجر من بعد الوصالِ
فنائي في بقائك لي بقاء[4] ... وإن يفنى فناء فلا أبالي
أجرني أن أرى نفسي أعذني ... حبيبي أن يخيّل لي خيالي
وخذ بالجدّ ويحك في جهاد ... وسع ما شئت منحوسًا بغالي

قال الشاطبي: كان سبب وفاة هذا السيّد أنّه اضطرّ إلى الاجتماع بالسلطان في نازلة نزلت به، فسار إليه، فلمّا جاء البلد الذي السلطان فيه، خلا بنفسه في ليلة جمعة، فصلّى بسورة فيها سجدة، فلمّا سجد سأل ربّه الموت ولا يجتمع بالسلطان. فانقطع كلامه وهو ساجد، فرفع وهو كذلك، فلبث يومين لا يتكلّم، ومات. وكان هذا الشيخ قد نُهبت داره، فجعل يبكي، فاجتمع إليه الفقهاء والأدباء يصبّرونه ويهوّنون عليه ما جرى. فقال لهم: واللهِ ما أبكي لما جرى عليّ من ذهاب الدنيا، لكن فيما رويت عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «ما استخفّ قوم بعالمهم وانتهكوا حرمته إلّا سلّط عليهم العدو» وتوفّي الشيخ من عامه كما ذكرنا، وسلّط العدو على البلد في العام الذي بعده، فأخذهم شرّ أخذة، وبقوا حديثًا شنيعًا على وجه الدهور، على أنّه كان لهم عدد عظيم، ومدد جسيم، فلم[5] يغن عنهم ذلك شيئًا، وظهر فيهم ما ذكره الشيخ

(١) م، ي: موكب.
(٢) م، ي: + هذه.
(٣) م، ي: بالكواكب.
(٤) م، ي: بقائي.
(٥) ن، ي: فلن.

رضي الله عنه.[1]

ما جاء في صورة جبريل التي خُلق عليها

قالت عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾[2] قالت: رأى جبريل في الصورة التي خلقه الله تعالى عليها له ستمائة جناح.

روينا من حديث إسحق بن بشر القرشي، عن ابن جريج، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل عليه السلام:

«إنّي أحبّ أن أراك في صورتك التي تكون فيها في السماء[3]. قال: لن تقوى على ذلك. قال: بلى. قال: فأين تشاء أن أتمثّل لك؟ قال: بالأبطح. قال: لا يسعني. قال: بمنى. قال: لا يسعني. قال: بعرفات، فواعده، فخرج النبيّ ﷺ للوقت، فإذا هو بجبريل عليه السلام قد أقبل من جبال عرفات بخشخشة وكلكلة قد ملأ ما[4] بين المشرق والمغرب، ورأسه في السماء، ورِجلاه في الأرض. فلمّا رآه النبيّ ﷺ خرّ مغشيًّا عليه. قال: فتحوّل جبريل عليه السلام في صورته التي عهده عليها، فضمّه إلى صدره وقال له[5]: يا محمد؛ لا تخف أنا أخوك جبريل. فلمّا أفاق قال: يا جبريل؛ ما ظننتُ أنّ لله في السماء خلقًا يشبهك. فقال: يا محمد؛ فكيف لو رأيتَ إسرافيل ورأسه من تحت العرش، ورجلاه في التخوم[6] السابعة، وإنّ العرش لعَلى كاهله، وإنّه ليتضاءل أحيانًا من مخافة الله حتى يصير مثل الوَصَع، حتى لا يحمل عرش ربّك إلّا عظمته تبارك وتعالى».

الوصع: الطير الصغير الذي يصيح في القائلة، وتسمّيه العامة الاعزال[7]، والجقالة؟

انتشار ولد إسماعيل وعبادتهم الحجارة

روينا من حديث أبي الوليد عن جدّه، عن ابن سالم، عن ابن إسحق، أنّ بني إسماعيل وجُرهم من ساكني مكة ضاقت عليهم مكة، فتفسّحوا في البلاد، والتمسوا المعاش، فيزعمون

---

(١) انتهى السمر.
(٢) [النجم: ١٣]
(٣) م، ي: - في السماء.
(٤) ج، ر: - ما.
(٥) م، ي: - له.
(٦) م، ي: تخوم الأرض.
(٧) أ، ر، ي: الاغزال.

أنّ أوّل ما كانت عبادة الحجارة في بني إسماعيل، أنّه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم إلّا احتملوا معهم من حجارة الحرم تعظيمًا للحرم، وصيانة بمكة وبالكعبة[1]، حيثما حلّوا وضعوه، وطافوا[2] به كالطواف بالكعبة[3]، حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة، وأعجبهم من حجارة الحرم خاصة، حتى خلفت الخلوف بعد الخلوف، ونسوا ما كانوا عليه، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام غيره؛ فعبدوا الأوثان، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قبلهم من الضلالات، وانتحوا ما كان يعبد قوم نوح منها، على إرث ما كان بقي فيهم من ذكرها، وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم وإسماعيل، يتمسّكون بها من تعظيم البيت والطواف به[4] والحجّ والعمرة والوقوف على عرفة والمزدلفة وهدي البُدن والإهلال بالحجّ والعمرة، مع إدخالهم فيه ما ليس منه.

ومن منظومات الشبلي في يوم العيد

ما رويناه من حديث ابن باكويه قال: أنشدني أبو عمرة الحسن الحنظلي قال: سمعت الشبلي ينشد يوم العيد:

ليس عيد المحبّ قصد المصلّى ... وانتظار الجيوش والسلطانِ
إنما العيد أن تكون لذي الحـ ... ـبّ كريمًا مقرّبًا في أمانِ

ومن إنشاده في ذلك:

عيدي مقيم وعيد الناس منصرف ... والقلب منّي عن اللذّات منحرفُ
ولي قرينان ما لي منهما خلف ... طول الحميم وعين دمعها تكِفُ

وأنشد أيضا في ذلك:

إذا ما كنت لي عيدًا ... فما أصنع بالعيدِ
جرى حبّك في قلبي ... كجري الماء في العودِ

وحدّثنا يونس بن يحيى قال: أنا ابن أبي منصور، عن الحميدي، عن أبي بكر الأردستاني، عن السلمي قال: سمعت عبد الله بن محمد الدمشقي يقول: سمعت الشبلي ينشد يوم عيد، ولا أدري لنفسه أم لغيره:

---

(١) م، ي: والكعبة.
(٢) أ، ر، ن: فطافوا.
(٣) النسخ عدا أ: - بالكعبة.
(٤) م، ي: - به.

الناس بالعيد قد سرّوا وقد فرحوا وما سررت به والواحدِ الصمدِ
لمّا تيقّنتُ أنّي لا أعاينكم غمّضتُ طرفي فلم أنظر إلى أحدِ

وحدّثنا عبد الرحمن، ثنا محمد بن عبد الباقي، ثنا هنّا قال: سمعت محمد بن القاسم يقول: كان الشبلي يوم العيد ينوح ويصيح، وعليه ثياب سود وزرق، فاجتمع الناس إليه، فسألوه عن حاله فقال:

تزيّن الناس يوم العيد للعيدِ وقد لبست ثياب الزرقِ والسودِ
وأصبح الكلّ مسرورًا بعيدهم ورحت فيكم على نوحٍ وتعديدِ
والناس في فرح والقلب في ترح شتّان بيني وبين الناس في العيدِ

وحدّثنا يونس بن يحيى قال: أنا ابن ناصر، وحدّثنا أبو الثناء محمد[1] بن أبي المظفر قال: حدّثنا ابن خميس قالا: أنا الحميدي قال: أنا أبو بكر الأردستاني قال: أنا السلمي قال: سمعت عبد الله بن إبراهيم بن العلاء يقول: قال رجل لأبي علي الروذباري: غدًا العيد، فغيّر من زينتك، فأنشأ يقول:

قالوا غدا العيد ماذا أنت لابسه فقلت خلعة ساق حبّه جرعا
فقر وضرّ هما[2] ثوبان تحتهما قلب يرى إلفه[3] الأعياد والجمعا
أحرى الملابس أن تلقى الحبيب بها يوم التزاور في الثوب الذي خلعا
الدهر لي مأتم إن غبتَ يا أملي والعيد ما كنتَ لي مرأى ومستمعا

خبر هبل الصنم الذي كان بالكعبة[4]

روينا من حديث هشام، وابن إسحق، أنّ عمرو بن لحي خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره، فلمّا قدم مآب من أرض البلقاء، وبها يومئذ العماليق، رآهم يعبدون الأصنام. فقال لهم: ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون[5]؟ قالوا: هذه أصنام نعبدها؛ فنستمطرها[6] فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا. فقال لهم: أفلا تعطوني منها صنمًا فأسير به إلى أرض العرب

(١) أ، ج، ر، ن: محمود.
(٢) ج: وهم. ر، م، ن، ي: - هما.
(٣) م، ي: عنده.
(٤) م، ي: في الكعبة.
(٥) م، ي: تعبدونها.
(٦) م، ي: ونستمطرها.

فيعبدونه؟ فأعطوه صنمًا يقال له: هَبل، بفتح الهاء، فقدم به مكة انتهى حديث ابن هشام.

قال ابن إسحق: فقدم بصنم يقال له هُبل، بضم الهاء، من هيت من أرض الجزيرة لم يكن من أرض البلقاء، وهو أصح. وكان هُبل من أعظم أصنام قريش عندها. فنصبه على البئر التي كانت في بطن الكعبة، وأمر الناس بعبادته. وكانت هذه البئر في جوف الكعبة على يمين من دخلها، عمقها ثلاثة أذرع، حفرها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، ليكون فيها ما يهدى للكعبة، وكانت تسمّى الأخسف. وكان عند هُبل في الكعبة سبعة قِداح، كلّ قِدْح منها فيه كتاب، قِدح فيه العقل إذا اختلفوا في العقل؛ من يحمله منهم ضربوا بالقداح السبعة عليهم[1]، فعلى من خرج حمله. وقِدح فيه "نعم" للأمر الذي أرادوه يضرب به في القداح، فإن خرج قدح فيه "نعم" عملوا. وقدح فيه "لا"، فإذا أرادوا الأمر ضربوا به في القداح، فإذا خرج ذلك القِدح لم يفعلوا ذلك الأمر. وقدح فيه "منكم". وقدح فيه "ملصق". وقدح فيه "من غيركم". وقدح فيه "المياه". فإذا أرادوا أن يحفروا المياه[2] ضربوا بالقداح، وفيها ذلك القِدح، فحيث ما خرج به[3] عملوا به.

وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلامًا أو ينكحوا جارية أو يدفنوا ميتًا، أو شكّوا في نسب أحد منهم، ذهبوا به إلى هبل، ومائة درهم وجزورا، فأعطوها صاحب القداح الذي يضرب بها. ثمّ قرّبوا صاحبهم الذي يريدون به ما يريدون. ثمّ قالوا: يا إلهنا؛ هذا فلان أردنا به كذا وكذا فأخرج الحقّ فيه. ثمّ يقولون لصاحب القِداح: اضرب؛ فإن خرج "منكم" كان منهم وسطًا، وإن خرج عليه "من غيركم" كان حليفًا، وإن خرج عليه "ملصق" كان ملصقًا على منزلته فيهم لا نسب له ولا حلف. وإن خرج عليه شيء مما سوى هذا مما يعملون به "نعم" عملوا به، وإن خرج "لا" أخّروه عامَه ذلك، حتى يأتوا به مرّة أخرى، ينتهون في أمرهم ذلك إلى ما خرجتْ به القداح.

قال ابن إسحق: وكان هُبل من خرز العقيق على صورة إنسان. وكانت يده اليمنى مكسورة، فأدركته قريش، فجعلت له يدًا من ذهب. وكانت له خزانة للقربان، وكانت له سبعة قداح يضرب بها على الميّت والعذرة والنكاح. وكان قربانه مائة بعير، وكان له حاجب. وكانوا إذا جاءوا هبل بالقربان ضربوا بالقداح وقالوا:

---

(١) م، ي: - عليهم.

(٢) م، ي: - المياه. ن: الماء.

(٣) م، ي: - به.

إنّا اختلفنا فهب السراحا
ثلاثة يا هبل فِصاحا
الميت والعذرة والنكاحا
والمبري المريض والصحاحا
إن لم تقله فَمُرِ القِداحا

روينا من حديث أحمد بن مروان، عن محمد بن عبد العزيز الدينوري، عن أحمد بن أبي الحواري، عن أبي سليمان الداراني، قال؛ قلت لراهب: يا راهب؛ أيّ يوم أسرّ إليك؟ فقال[1]: يوم لا أعصي الله ﷻ فيه.

وروينا من حديث ابن أبي الدنيا، عن محمد بن عمرو المالكي، عن سفيان بن عيينة، عن إدريس بن يزيد، عن سعيد بن أبي بردة بن أبي موسى، عن أبيه، قال: قال عمر بن الخطاب ﷺ: من خلصت نيّته ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس.

وروينا من حديثه أيضًا عن يحيى بن يوسف، عن أبي معاوية، عن عبد الرحمن بن زيد[2]، قال: كان أبي يقول: يا بنيّ؛ انْوِ في كلّ شيء تريده الخير، حتى خروجك إلى الكناسة في حاجة.

وروينا من حديث الدينوري في كفارة الغيبة. قال: ثنا أبو جعفر حمدان بن علي، ثنا محمد بن علي الخزاعي، ثنا عنبسة بن عبد الرحمن القرشي، عن خالد بن يزيد المدني، عن أنس بن مالك أنّ النبيّ ﷺ قال[3]: «كفارة الاغتياب أن تستغفر لمن اغتبته».

وروينا من حديثه أيضًا في أحبّ العباد إلى الله، قال: ثنا محمد بن غالب، حدّثني إسحق بن كعب مولى ابن هشام، ثنا عبد الحميد بن سليمان الأزرق، عن سكين بن أبي سراج، عن عبد الله بن دينار، عن ميمون بن مهران، عن ابن عباس «أنّ رجلًا أتى رسول الله ﷺ فقال: أيّ العباد أحبّهم إلى الله ﷻ؟ قال: أنصفهم للناس، وإنّ من أحبّ الأعمال إلى الله ﷻ سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دَينًا، أو تسدّ عنه جوعة، ولأن أمشي مع أخ لي في حاجة أحبُّ إليّ من اعتكاف شهرين في المسجد، ومن كفّ غضبَه

(١) م، ي: قال.
(٢) م، ن: يزيد.
(٣) م، ي: عن أنس بن مالك قال؛ قال رسول الله ﷺ.

ستر الله عورته، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه لأمضاه ملأ الله قلبه أمنًا وإيمانًا، ومن مشى مع أخ له في حاجة حتى يثبتها ثبّت الله قدمه يوم تزلّ الأقدام».

وروينا من حديثه أيضًا، قال: ثنا أحمد بن محمد بن البرّاء، ثنا عبد المنعم، عن أبيه، عن وهب بن منبّه، قال: لمّا ضربت الدنانير والدراهم، حملها إبليس، وقال: سلاحي سلاحي وقرّة عيني وثمرة قلبي، بكما أغوي وبكما أطغي، وبكما أكفّر بني آدم، وبكما يستوجب النار بنو آدم، حسبي.

قال وهب: فالويل ثمّ الويل ثمّ الويل[1] لمن آثرهما على طاعة الله ﷻ.

حدّثنا عبد الرحمن بن علي، ثنا أبو المعتز الأنصاري، أنا جعفر بن أحمد، ثنا أبو محمد الخلال، ثنا أحمد بن محمد بن القاسم الرازي، ثنا أحمد بن محمد الجوهري، ثنا إبراهيم بن سهل المدائني، حدّثني سيف بن جابر القاضي، عن وكيع، قال؛ قال لي أبو حنيفة النعمان بن ثابت: أخطأت في خمسة أبواب من المناسك، فعلّمنيها حجّام، وذلك أنّي حين أردت أن أحلق رأسي وقفت على حجّام، فقلت[2] له: بكم تحلق رأسي؟ فقال: أعراقي أنت؟ قلت: نعم. قال: النسك لا يشارط عليه، اجلس. فجلست منحرفًا عن القبلة. فقال لي: حوّل وجهك إلى القبلة، فحوّلته، وأردت أن أحلق رأسي من الجانب الأيسر، فقال: أدر الشقّ الأيمن من رأسك، فأدرته، فجعل يحلق وأنا ساكت، فقال لي: كبّر، فجعلت أكبّر حتى قمت لأذهب، فقال لي: أين تريد؟ قلت: رحلي، قال: صلّ ركعتين ثمّ امض. قلت: ما ينبغي أن يكون ما رأيت من عقل هذا الحجّام، فقلت له: من أين لك ما أمرتني به؟ فقال[3]: رأيت عطاء بن أبي رباح يفعل هذا.

ومن باب الأجواد والهمم العالية

ما حدّثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو الفرج، ثنا عبد الوهاب، أنا المبارك بن عبد الجبار، ثنا الحسين بن محمد، أنا ابن سويد، ثنا ابن الأنباري، حدّثني أبي، عن المغيرة بن محمد بن عبد الرحمن، عن سحيم بن حفص، عن أبيه، قال حج يزيد بن المهلّب، فطلب حلّاقًا يحلق رأسه، فجاء فحلق رأسه، فأمر له بألف درهم، فتحيّر الحلّاق ودهش، وقال: هذه الألف لي؛ أمضي إلى أمي فلانة أبشّرها! فقال: اعطوه ألفًا أخرى. قال الحلّاق: امرأته طالق إن حلق

(١) م، ن: - ثمّ الويل.
(٢) م، ي: وقلت.
(٣) م، ي: قال.

رأس أحد بعدك. فقال: اعطوه ألفين آخرين.

حدّثنا يونس بن يحيى قال: ثنا ابن ناصر، ثنا المبارك بن عبد الجبار، ثنا أبو طالب العشاري، ثنا ابن أخي ميمي، ثنا ابن صفوان، ثنا أبو بكر القرشي، ثنا عيسى بن عبد الله اليمني[١]، ثنا ابن إدريس، حدّثني أبي، عن وهب بن منبّه قال: كان يلتقي هو والحسن البصري في المواسم كلّ عام في مسجد الخيف، إذا هدأت الرجل، ونامت العين[٢]، ومعهما جلّاس لهما يتحدّثون معهما. فبينما هما يتحدّثان ذات ليلة مع جلسائهما إذ أقبل طائر له حفيف حتى وقع إلى جانب وهب في الحلقة، فسلّم[٣] فردّ وهب عليه السلام، وعلم أنّه من الجنّ، فقال وهب: من الرجل؟ قال: من الجنّ، من مسلميهم. قال: فما حاجتك؟ قال: وتنكر أن نجالسكم ونحمل عنكم، إنّ لكم فينا رواة كثيرة. وإنّا لنحاضركم في أشياء كثيرة من صلاة وجهاد وحج وعمرة، ونحمل عنكم العلم. فقال[٤] وهب: فأيّ رواة الجنّ عندكم أفضل؟ قال: رواة الشيخ، وأشار إلى الحسن رضي الله عنه.

ومن شعر علي بن أفلح في الخيف

هذه الخيف وهاتيك منى ... فترفّق أيّها الحادي بنا
واحبس الركب علينا ساعة ... نندب الربع ونبكي الدمنا
فلذا[٥] الموقف أعددنا البكا ... ولذا اليوم الدموع تقتنى[٦]
زمنًا كان وكنّا جيرة ... يا أعاد الله ذاك الزمنا
بيننا يوم أثيلات النقا ... كان من غير تراضٍ بيننا

واقعة لبعض الفقراء

حدّثني عبد الله بن الأستاذ المورووري بأشبيلية بالخفّافين بدار محمد البسكري الناسخ قال: كنت في بجاية في خدمة شيخنا أبي مدين، فرأى بعض المريدين في واقعته أبا طالب المكي رحمه الله وهو يقول للشيخ أبي مدين: أخبرني عن سرّ حياتك؟ فقال أبو مدين: بسرّ

(١) أ، ج، ر، ن: التميمي.
(٢) م، ي: العيون.
(٣) م، ي: - فسلم.
(٤) م، ي: قال.
(٥) النسخ عدا ج: فكذا.
(٦) أ، ر، م، ن: تفتنى.

حياته ظهرتْ حياتي، وبنور صفاته استنارتْ صفاتي، وفي توحيده أفنيت همّتي، وبديموميته دامت. فسرّ التوحيد في قوله: لا إله إلّا أنا، والوجود بأسره حرف جاء لمعنى. فبالمعاني ظهرت الحروف، وبصفاته اتّصف كلّ موصوف، وبائتلافه ائتلف كلّ مألوف، فمصنوعاته محكمة، ومخلوقاته مسلّمة، لأنّه صانعها ومظهرها، ومنه مبدؤها وإليه مرجعها كما أظهرها ذرًّا، ثمّ تلى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾[1] هو يا أبا طالب لوجوده المحرّك والناطق والممسك، إن نظرت يا أبا طالب بالحقيقة تلاشت الخليقة، الوجود به قائم، وأمره في مملكته دائم، وحكمه في وجوده عام[2]، حكم الأرواح في الأجسام، فالحواس به بانت على اختلاف أنواعها؛ اللسان منها للبيان، وهو مع ذلك لا يشغله شأن عن شأن.

يا أبا طالب؛ لمّا أمدّني بسرّه، غرف فؤادي[3] من بحره، فامتلأ وجودي نورًا، وأثمر غيبة وحضورًا، وسُقيت شرابًا طهورًا، ففني ما كان باطلًا[4] وزورًا، فغشيت أنواره أخلاقي، ونظرت إلى الباقي بالباقي[5].

ثمّ قال: هو الموصوف بالقِدم، ومخترع الوجود من العدم، بنور جلاله أشرقت الظلَم، وهو وليّ الكرم ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[6] وصلّى الله على سيّدنا[7] محمد سراج الظلم.

وروينا من حديث ابن باكويه، عن أحمد بن عبد الله بن عبد المؤمن، ثنا إسماعيل بن القاسم، ثنا عبد الله بن منبويه، عن عبد الرحيم الديبلي، عن عثمان بن عمارة، قال: وردت الحجر مرّة فإذا أنا بمحمد بن ثوبان، وإبراهيم بن أدهم، وعباد المنقري، وهم يتكلّمون بكلام لا أعقله، فقلت لهم: رحمكم الله؛ إنّي شاب كما تروني؛ أصوم النهار وأقوم الليل، وأحج سنة وأغزو سنة، ما أرى في نفسي زيادة! فشُغل القوم عنّي، حتى ظننت أنّهم لم يفهموا كلامي. ثمّ كانت من واحد منهم التفاتة فقال: يا غلام؛ إنّ همّ القوم لم يكن في كثرة الصلاة والصوم، وإنّما كان همّ القوم في نفاذ الأبصار حتى أبصروا.

---

(١) [الأعراف: ١٧٢]

(٢) م، ي: تمام.

(٣) النسخ عدا ج: وادي.

(٤) النسخ عدا ج: ظلّا.

(٥) ج، م: - بالباقي.

(٦) [العلق: ٤- ٥]

(٧) أ، ر، ن، ي: - سيدنا.

وروينا من حديث ابن بأكويه أيضًا، عن عيسى بن عمر، عن أحمد بن محمد القرشي، عن إبراهيم بن عيسى، عن موسى بن عبد الملك المروزي، قال[1]؛ قال مالك بن دينار: بينا أنا أطوف بالبيت إذا أنا بامرأة في الحِجر قد رفعتْ صوتها، واستغرقتْ في حالها، مناجية ربّها، وهي تقول: أتيتك من شقّة بعيدة، مؤمّلة لمعروفك؛ فأنلني معروفًا من معروفك تغنيني به عن معروف مَن سواك، يا معروفًا بالمعروف.

فعرّفتُ أيوب السختياني، فسألنا عن منزلها، وقصدناها وسلّمنا عليها، فقال لها أيوب: قولي خيرًا رحمك الله. قالت: وما أقول؟ أشكو إلى الله قلبي وهواي، قد أضرّا بي وشغلاني[2] عن عبادة ربّي، قُوما فإنّي أبادر طيّ صحيفتي. قال أيوب: فما حدّثتُ نفسي بامرأة قبلها، فقلت لها: لو تزوّجتِ رجلًا يعينك على ما أنت عليه. قالت: لو كان مالك بن دينار وأيوب السختياني ما أردته. فقلت: أنا مالك بن دينار وهذا أيوب السختياني. فقالت: أفّ لكما؛ لقد ظننتُ أنّه يشغلكما ذكر الله عن محادثة النساء، وأقبلتْ على صلاتها. فسألنا عنها، فقالوا: هذه مليكة بنت المنكدر.

ومن حسن الخطاب

ما قال أبو وجرة الأسلمي حين قدم على المهلّب بن أبي صفرة: أصلح اللهُ الأمير؛ إنّي قطعتُ إليك الدهناء[3]، وضربتُ إليك آباط الإبل من يثرب. قال[4] له المهلّب: فهل[5] أتيتنا بوسيلة أو عشيرة أو قرابة؟ قال: لا، ولكنّي رأيتك لحاجتي أهلًا؛ فإن قمتَ بها فأهلُ ذاك أنت، وإن يحل دونها حائل لم أذمم يومك ولم أيأس من غدك.

قال المهلّب: يعطى ما في بيت المال، فوجد فيه مائة ألف درهم، فدفعتْ إليه، فأخذها وقال:

يا من على الجود صاغ الله راحته ... فليس يحسن غير البذل والجودِ
عمّت عطاياك مَن بالشرق قاطبة ... فأنت والجود منحوتان من عودِ

وفي هذا المجرى قوله:

---

(١) م، ي: - قال.
(٢) م، ي: وأشغلاني.
(٣) الدهناء: الفلاة.
(٤) ج، م، ي: فقال.
(٥) م، ي: هل.

تشبّ لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمحلّق
رضيعي لبان ثدي أمّ تخالفا باسحم داج عوض لا تتفرّق

روينا من حديث عمرو قال:

دخل أبو علقمة النحوي على "أعين" الطبيب، وكان يستعمل الحوشي من الكلام[1]، فقال له: إنّي أجد معمعة في قلبي، وقرقرة في بطني، فقال له الطبيب: أمّا المعمعة فلا أعرفها، وأمّا القرقرة فهي ضراط غير نضيج.

وروينا من حديثه قال: قال كعب القيسي لعروة بن الزبير، أذنبت ذنبًا للوليد بن عبد الملك، فاكتب إليه: لو لم يكن لكعب من قديم حرمته ما يغفر له عظيم جريرته، لوجب أن لا تحرمه التفيّؤ بظلّ عفوك الذي تأمله[2] القلوب، ولا تعلق به الذنوب، وقد استشفع بي إليك، فوثقت له منك، بعفو لا يخالطه سخط، فحقّق أمله فيّ، وصدّق ثقتي بك، تجد الشكر وافيًا بالنعمة.

فكتب الوليد: قد شكرتُ رغبته إليك، وعفوتُ عنه لمعوّله عليك، وله عندي ما يحبّ، فلا تقطع كتبك عنّي في أمثاله وفي سائر أمورك.[3]

* * *

روينا من حديث ابن ودعان، قال: ثنا علي بن محمد، عن علي بن القاسم، عن إسماعيل بن محمد، عن عبد الله بن روح، عن شَبابة، عن ابن زحر، عن القاسم بن عبد الرحمن، قال: سمعت أبا هريرة يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «إنما أنتم خلفُ ماضين، وبقيّة متقدّمين، كانوا أكثرَ منكم بسطة، وأعظمَ سطوة، أزعجوا عنها أسكنَ ما كانوا إليها، وغدرتْ بهم أوثق ما كانوا بها، فلم تغنِ عنهم قوّةُ عشيرة، ولا قُبِل منهم بذلُ فِدية، فارحلوا أنفسكم بزادٍ مبلّغ قبل أن تؤخذوا على فجأة، وقد غفلتم عن الاستعداد ولا يغني الندم، وقد جفّ القلم».

قال أبو حازم:

الدنيا طالبة ومطلوبة: طالب الدنيا يطلبه الموت حتى يخرجه، وطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى توفّيه رزقه.

---

(١) الحوشي من الكلام: الغريب.

(٢) م، ي: تؤمّله.

(٣) انتهى السمر.

روينا عن الحسن البصري أنّه قال: بينا أنا أطوف إذا أنا بعجوز متعبّدة، فقلت: من أنت؟ قالت[1]: من بنات ملوك غسّان. قلت: فمن أين طعامك؟ قالت: إذا كان آخر النهار جاءتني امرأة مزيّنة فتضع ين يدي كوزًا من ماء ورغيفين. قلت لها: تعرفينها؟ قالت: اللهمّ لا. قلت: هي الدنيا، خدمتِ ربّك جلّ ذكره، فبعثها إليك تخدمك.

وحدّثني بعض العارفين، عن الشيخ العارف الكبير أبي عبد الله الغزّال الذي كان بالمريّة من أقران أبي مدين وأبي عبد الله الهواري وأبي يعزى وأبي شعيب السارية وأبي الفضل البسكري وأبي النجا وتلك الطبقة، قال أبو عبد الله: كان يحضر مجلس شيخنا أبي العباس بن العرّيف الصنهاجي، وهو آخر من ظهر من المؤدّبين في هذه الطريقة رجلٌ لا يتكلّم، فإذا فرغ الشيخ خرج، فوقع في قلبي منه شيء أحببت أن أعرفه وأعرف موضعه.

وتبعته[2] عشيّة يوم بعد انفصالنا من مجلس الشيخ من حيث لا يشعر بي. فلمّا كان في بعض سكك المدينة، يعني المريّة، وإذا[3] بشخص قد تلقّاه من الهواء، وانقضّ عليه انقضاض الطائر، بيده رغيف حسن، فتناوله منه، وانصرف عنه. فجذبته من خلفه وقلت: السلام عليك، فعرفني فردّ السلام، قلت له: من هذا الشخص، عافاك الله، الذي ناولك الرغيف؟ فتوقّف، فأقسمتُ عليه، فقال: يا هذا؛ هذا ملك الأرزاق يأتيني كلّ يوم بما قدّر لي من الرزق[4] حيث كنتُ من أرض ربّي.

ومرّ زياد بن أميّة بالحيرة، فنظر إلى دير، فقال لخادمه: لمن هذا؟ قال: دير حرقة بنت النعمان بن المنذر، فقال: ميلوا بنا إليه لنسمع كلامها. فجاءت، فوقفتْ خلف الباب، فكلّمها الخادم، فقال لها: كلّمي الأمير. قالت: أوجز أم أطيل؟ قال: بل أوجزي. قالت: كنّا أهل بيت طلعت الشمس علينا وما على الأرض أحد أعزّ منّا، فما غابت تلك الشمس حتى رحمنا عدوُّنا! قال: فأمر لها بأوساق من شعير، فقالت: أطعمتكَ يدٌ شبعاء جاعت، ولا أطعمتك يد جوعاء شبعت. فسرّ زياد بكلامها، فقال: لشاعر معه: قيّد هذا الكلام، لا يُدرس. فقال:

سل الخير أهل الخير قدمًا ولا تسل فتى ذاق طعم الخير منذ قريبِ

(١) م، ي: فقالت.

(٢) م، ي: فتبعته.

(٣) م، ي: فإذا.

(٤) م، ي: - فتوقّف، فأقسمتُ عليه، فقال: يا هذا؛ هذا ملك الأرزاق يأتيني كلّ يوم بما قدّر لي من الرزق.

قيل للخنساء: صفي لنا صخرًا. قالت: كان قَطْرَ السنة الغبراء، وذعاف[1] الكتيبة[2] الحمراء. قيل: فمعاوية؟ قالت: كان حيا الجدب إذا نزل، وقِرى الضيف إذا حل. قيل: فأيّهما كان عليك أحفى؟ قالت: أمّا صخر فسقام الجسد، وأمّا معاوية فجمرة الكبد، وأنشدت:

أسدان ممرّا[3] المخالب نجدة غيثان في الزمن الغضوب الأعسرِ
قمران في النادي رفيعا محتدٍ في المجد فرعا سؤددٍ متخيّرِ

عرّض رجل بليلى الأخيليّة من قومها، فقال:

ألا حيّيا ليلى وقولا لها هلا فقد ركبت طرفًا أغرّ محجّلا

فأجابته:

تعيّرني داء بأمّك مثله وأيّ جوادٍ لا يقال له هلا[4]

روى لنا أبو عبد الله محمد بن زرقون أنّ ليلى الأخيليّة دخلت يومًا على عبد الملك بن مروان، فقال لها: يا ليلى؛ هل بقي في قلبك من حبّ توبة فتى الفتيان شيء؟ قالت: يا أمير المؤمنين؛ وكيف أنساه وهو الذي يقول:

ولو أنّ ليلى في ذرى متمنّعٍ بنجران لالتفّت عليّ قصورُها
حمامة بطن الواديين ترنّمي سقاك من الغُرّ الغوادي مطيرها
أبيني لنا لا زال ريشك ناعمًا وبيضك في خضراء غضّ نضيرها
تقول رجال لا يضرّك نأيها بلى كلّ ما شفّ النفوس يضيرها
أيذهب ريعان الشباب ولم أزر كواعبَ في همدان بيضا نحورها

قال: عمرك الله أن تذكريه.

روينا، عن بعض الأدباء ببلادنا، أنّ عاتكة بنت عاتم[5] بلغها في زمان معاوية ثلب بني أميّة بني هاشم وهي بمكة، فقالت لأهل مكة:

أيّها الناس؛ إنّ بني هاشم سادت فجادت، وملكت وملكت، وفصلت وفصلت، واصطفّت واصطفيت، ليس فيها كدر عيب، ولا أقلّ[6] ريب، ولا خسروا طاغين، ولا

---

(١) الذعاف: السم يقتل من ساعته.
(٢) أ، ر، م، ن: الكتيبة.
(٣) في النسخ: محمر.
(٤) هَلاَ زَجْرٌ تُزجَر بِهِ الفَرَس الْأُنْثَى إذا أُنْزِيَ عَلَيْهَا الفحلُ لتقرّ وتَسكُن.
(٥) في النسخ: غانمة بنت عامر. والترجيح من "المحاسن والأضداد" ومما سيأتي لاحقا.
(٦) أ، ر، ن: أفل.

خازين ولا نادمين، ولا من المغضوب عليهم ولا الضالين.

إنّ بني هاشم أطولُ الناس باعًا، وأمجد الناس[1] أصلًا، وأعظم الناس حلمًا، وأكثر الناس علمًا وعطاء.

منّا عبد مناف الذي يقول الشاعر فيه:

كانت قريش بيضة فتفلّقتْ فالمحّ خالصها لعبد منافِ

وولده هاشم الذي هشم الثريد لقومه[2]، وفيه يقول الشاعر:

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ورجال مكة مُسنِتون عجافُ

ومنّا عبد المطلب الذي سُقينا به الغيث، وفيه يقول أبو طالب:

ونحن سنيّ المحل قام شفيعنا بمكة يدعو والمياه تغورُ

ومنّا ابنه أبو طالب عظيم قريش وسيّدها، وفيه يقول الشاعر:

أتيته ملِكًا فقام بحاجتي

ومنّا العباس بن عبد المطلب، أردفه رسول الله ﷺ وأعطاه ماله، وفيه يقول الشاعر:

رديف رسول الله لم تر مثله ولا مثله حتى القيامة يولدُ

ومنّا حمزة سيّد الشهداء، وفيه يقول الشاعر:

أبا يعلى بك الأركان هدّتْ وأنت الماجد البرّ الوَصولُ

ومنّا جعفر ذو الجناحين، أحسن الناس جمالًا، وأكملهم كمالًا، ليس بغدّار ولا جبّار، بدّله[3] الله بكلتا يديه جناحًا يطير به في الجنّة، وفيه يقول الشاعر:

هاتوا كجعفرنا ومثل عليّنا ألسنا أعزّ الناس عند[4] الخلائقِ

ومنّا أبو الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أفرس بني هاشم، وأكرم من احتفى وانتعل، وفيه يقول الشاعر:

عليّ ألف الفرقان صحفًا ووالى المصطفى طفلًا صبيّا

ومنّا الحسن بن علي سبط رسول الله ﷺ سيّد شباب أهل الجنّة، وفيه يقول الشاعر:

يا أجلّ الأنام يا ابن الوصيّ أنت سبط النبيّ وابن عليّ

---

(١) م، ي: - الناس.

(٢) م، ي: - لقومه.

(٣) م، ي: بدّل.

(٤) م، ي: خير.

ومنّا الحسين بن علي، حمله جبريل عليه السلام على عاتقه، وكفى بذلك فخرًا، وفيه يقول الشاعر:

حبّ الحسين ذخيرة لمحبّه يا ربّ فاحشرني غدًا في حزبهِ

يا معشر قريش؛ إنّي والله آتية معاوية، وقائلة له في بني أميّة ما يعرق منه جبينه ويكثر منه عويله. فكتب عامل معاوية إليه بذلك.

فلمّا بلغه أنها قريب منه أمر[1] بدار ضيافة[2]، فنظّفتْ، وألقي فيها فرش، فلمّا قربتْ من المدينة استقبلها يزيد في حشمه ومماليكه، فلمّا دخلت المدينة أتت دار أخيها عمرو بن عاثم[3]. فقال لها يزيد: إنّ أبا عبد الرحمن يأمرك أن تنتقلي إلى دار ضيافته، وكانت لا تعرفه، فقالت: من أنت كلاك الله؟ قال: أنا يزيد بن معاوية. قالت: فلا رعاك الله يا ناقص، لست بزائد. فتغيّر لون يزيد، وأتى أباه فأخبره، فقال: هي أسنُّ قريش، وأعظمهم حلمًا. قال يزيد: كم تعدُّ لها؟ قال: كانت تعدّ على عهد رسول الله ﷺ أربعمائة عام، وهي من بقيّة الكرام.

فلمّا كان من الغد أتاها معاوية فسلّم عليها، فقالت: على أمير المؤمنين السلام، وعلى الكافرين الهوان والملام، ثمّ قالت: أفيكم عمرو بن العاص؟ قال عمرو: ها أنذا. فأسمعتْهُ ما يكره، وأسمعتْ معاوية كذلك. فقال معاوية: أيّتها الكبيرة؛ أنا كاف عن بني هاشم. قالت: فإنّي أكتب عليك كتابًا، فقد كان رسول الله ﷺ دعا ربّه أن يستجيب لي خمس دعوات، فلئن لم تنته جعلتها كلّها فيك. فخاف معاوية، فحلف أنّه لا يعود لمثل ما بلغها أبدًا. فهذا آخر ما كان بين معاوية وبين بني هاشم من المفاخرة.

حدّثنا أبو جعفر بن يحيى قال:

لمّا استوسق[4] أمرُ العراق لعبد الله بن الزبير، وجّه مصعب إليه وفدًا، فلمّا قدموا عليه، قال لهم: وددت أنّ لي بكلّ خمسة منكم رجلًا من أهل الشام. فقال رجل من أهل العراق: يا أمير المؤمنين؛ علقناك، وعلقت بأهل الشام، وعلق أهل الشام إلى مروان، فما أعرف لنا مثلًا إلّا قول الأعشى:

علقتها عرضًا وعلقت رجلًا غيري وعلق أخرى غيرها الرجل

---

(١) ر، ج: - جبينه ويكثر منه عويله. فكتب عامل معاوية إليه بذلك. فلمّا بلغه أنها قريب منه أمر.

(٢) م، ي: أضيافه.

(٣) أ، ج، ر، ن، ي: عمرو بن غانم.

(٤) استوسق: اجتمع وانتظم.

فما وجدنا جوابًا أحسن من هذا. ينظر أيضًا إلى هذا[1] قول الآخر:

جننت بليلى وهي جُنّت بغيرنا وأخرى بنا مجنونة لا نريدها

وروينا[2] من حديث ابن مروان قال: ثنا الحربي قال: أوصى بعض أهل العلم ابنه وكان له حظوة من السلطان:

يا بنيّ؛ إيّاك أن تلبس من الثياب ما يديم النظر إليك، وعليك بالبياض الناعم، واجتنب الوشي، قلما يلبسه إلّا ملك أو غنيّ. وإيّاك أن يجد أحد منك[3] خلوفًا، وعليك بالزنجبيل واللبان، فإنّه يطيّب خلوف فمك، ويصلح[4] بدنك، ويحتدّ له ذهنك. وإيّاك وحاشية الملوك أن تتعرّض لهم، فإنّهم يرضيهم منك اليسير ما لم يروا منك تحاملًا لبعض على بعض، وكن من العامة قريبًا يكثر دعاؤهم لك، ولا تنسب إلى دناءة فإنّك لا تستقبلها، والسلام.

وحدّثنا أحمد بن يحيى بقرطبة قال: اجتمع عند رسول الله ﷺ الزبرقان بن بدر، وعمرو بن الأهتم، فذكر عمرو الزبرقانَ قال:

بأبي أنت وأمي يا رسول الله؛ إنّه لمطعام، جواد الكفّ، مطاع في أدانِيه، شديد العارضة[5]، مانع لما وراء ظهره. فقال الزبرقان:

بأبي أنت وأمّي يا رسول الله؛ إنّه ليعرف منّي أكثر من هذا، ولكنّه يحسدني! فقال عمرو: واللهِ يا نبيّ الله؛ إن هذا لزُّ المروءة، ضيّق العطن، لئيم العمّ، أحمق الخال. واللهِ ما كذبتُ في الأوّل، ولقد صدقتُ في الآخر؛ رضيتُ فقلت بأحسن ما أعلم، وسخطتُ فقلت بأسوأ ما أعلم.

فقال رسول الله ﷺ: «إنّ من البيان لسحرًا وإنّ من الشعر لحكمًا».

وحدّثنا (أحمد بن يحيى)، قال قسامة[6] بن زهير:

يا معشر الناس؛ إنّ كلامكم أكثر من[7] صمتكم؛ استعينوا على الكلام بالصمت، وعلى

---

(١) ج، م: - هذا.

(٢) م، ي: روينا.

(٣) م، ي: فيك.

(٤) أ، ج، ر، ن: ويصلح عليك.

(٥) شديد العارضة: ذو جلّد وصرامة.

(٦) في النسخ: قسام.

(٧) أ، ر، ن: - من.

الصواب بالفكرة.

يقال: ينبغي للعاقل أن يحفظ لسانه كما يحفظ موضع قدمه، ومن لم يحفظ لسانه فقد سلّطه على هلاكه.

قال الشاعر:

عليك حفظ اللسان مجتهدًا فإنّ جُلّ الهلاك في زللِهْ

وأنشدنا أبو بكر بن خلف اللخمي في مجلسه:

يموت الفتى من عثرةٍ بلسانه وليس يموت المرء من عثرة الرِّجلِ[1]

ولأبي بكر الصدّيق رضي الله عنه في ذلك:

اخزن لسانك أن تقول فتبتلى إنّ البلاءَ موكّلٌ بالمنطقِ

كان عندنا شابّ صالح، سأل أباه أن يتركه يمشي إلى خدمة أبي مدين ببجاية، ونحن إذ ذاك بأشبيلية، فأبى عليه والده، وكان له أخ صغير، فرأى النبيّ ﷺ وهو يقول لأبيه:

دع محمدًا يمشي حيث سأل، فإنّي سأبشّره بالساحل. فقصّ عليّ[2] وعلى أبيه، فدعا بولده السائل، وخلّاه لوجهه، فأخذ الولد يبكي، فقلت له: أبكاء[3] مع هذه البشارة؟ قال: أخاف من قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[4] فقلت: لا جزاك الله عن نفسك خيرًا، ولا عن جهلك في تأويلك، هو[5] ما قلت. وسافَر عنّا، ولحق بأبي مدين، فأكرمه مدّة، ثمّ هجره، وطرده من عنده. فلمّا كان بعد عشر سنين، اجتمعت به بمنزله بأشبيلية، وقد بدّل الله حالة الموافقة منه بالمخالفة، والطاعة بالمعصية، والإيمان بالزندقة، ففارقته، وخرج له ما عبّر به رؤيا أخيه.

فنسأل الله العافية من كلمة تؤدّي إلى هلكة في دين أو دنيا.

وجرحُ السيفِ تأسوه فيبرأ وجرحُ الدهرِ ما جرح اللسانُ
جِراحات الطِّعان لها التئام ولا يلتام ما جرحَ اللسانُ

حدث محمد بن قاسم رواية قال: تكلّم أربعة من الملوك بأربع كلمات، كأنّما رُميت عن قوس

---

(١) أ، ر، ن، ي: وليس يموت المرء عثرة رجله. ج: ... من عثرة رجله.

(٢) ج، م، ي: عليه.

(٣) ج: ما أبكاك. م: ما يبكيك. ي: ما أبكى.

(٤) [الانشقاق: ٢٤]

(٥) م، ي: وهو.

واحدة[1].

قال كسرى: أنا على ردِّ ما لم أقل أقدرُ منّي على ردّ ما قلت.

قال ملك الهند: إذا تكلّمتُ بكلمة ملكتني وإن كنت أملكها.

قال قيصر: لا أندم على ما لم أقل وقد ندمتُ على ما قلت.

قال ملك الصين: عاقبةُ ما قد جرى به القول أشدُّ من الندم على ترك القول.

ولبعضهم في هذا الباب[2]:

لعمرك ما شيء علمت مكانه أحقّ بسجن من لسانٍ مذلّلِ
على فيك مما ليس يعنيك[3] قوله بقفل شديد حيث ما كنت أقفلِ

وروينا من حديث المالكي[4] قال: ثنا أبو صالح، ثنا علي بن حجر، قال؛ قال بعض الحكماء: من طاب ريحه زاد عقله، ومن نظفتْ ثيابه قلّ همّه.

وروينا من حديث ابن أبي الدنيا، ثنا محمد بن الحارث، عن المدايني قال؛ قالت عائشة رضي الله عنها: خلال المكارم عشر، تكون في الرجل ولا تكون في ابنه، وتكون في العبد[5] ولا تكون في سيّده: صِدق الحديث، وصدق الناس، وإعطاء السائل، والمكافأة بالصنائع، والتذمّم للجار والصاحب، وصلة الرحم، وقِرى الضيف، وأداء الأمانة، ورأسهنّ الحياء.

وقال بعضهم: كتمانك سرّك يعقبك السلامة، وإفشاؤك سرّك يعقبك الندامة، والصبر على كتمان السرّ أيسر من الندم على إفشائه.

وفي الحكمة

ما أقبح بالإنسان أن يخاف على ما في يده اللصوصَ فيخفيه، ويمكّن عدوّه من نفسه بإظهاره ما في قلبه من سرّ نفسه أو سرّ أخيه.

وقال معاوية ﷺ: ما أفشيتُ سرّي إلى أحد إلّا أعقبني طول الندم وشدّة الأسف، ولا أودعته جوانح صدري، فحكمته بين أضلاعي، إلّا أكسبني مجدًا وذكرًا وسنى ورفعة. فقيل:

---

(١) م، ي: واحد.

(٢) هو الأحنف العكبري.

(٣) أ، ر، ن: يغنيك. ج: يفنيك.

(٤) م، ي: ابن ودعان المالكي.

(٥) م، ي: عبده.

ولا ابن العاص؟ وكان يقول: ما كنتَ كاتمه من عدوّك فلا تظهر عليه صديقك، يريد -والله أعلم- ما سمعت أبا بكر بن خلف بن صاف أستاذنا ينشده في مجلسه مرارًا، في وصيّته إيّانا:

احذر عدوّك مرّة واحذر صديقك ألف مرّهْ
فلربما هجر الصديـ ـق فكان أعلم بالمضرّهْ

في الخبر المرويّ عن رسول الله ﷺ: «من كتم سرّه كانت[1] الخيرة[2] في يده، ومن عرّض نفسه للتهمة فلا يلومنّ من أساء به الظنّ، وضع أمر أخيك على أحسنه، ولا تظنّن بكلمة خرجت منه سوءًا، وما كافأت من عصى الله فيك بأفضل من أن تطيع الله جلّ اسمه فيه. وعليك بإخوان الصدق؛ فإنّهم زينة عند الرخاء[3] وعصمة عند البلاء».

روينا من حديث الدينوري، عن الأصمعي، على ما حدّث عنه الرياشي، قال: كان أبو الأسود يقول: العمامة جُنّة في الحرب، ومكنة في الحرّ والقرّ، وزيادة في القامة.

أنشدني[4] بعض الأدباء، وكان إلى جانبه من يحبّه، فعتبه بعض الحاضرين فيه لما[5] لم يحسن وجهه عند العاتب. فالتفت إلى المحبّ، فقال[6] وهو يسمعه:

رأى وجه من أهوى عذولي فقال لي أجلّك عن وجه أراه كريها
فقلت له وجه الحبيب مرءاته وأنت ترى تمثال وجهك فيها

وذلك بقرطبة، وكان الحبيب سعيد بن كرز والمحبّ أبو بكر الزهري.

وأنشدنا بعض الأدباء مما أنشده المازني لبعضهم:

لئن كنت محتاجًا إلى الحلم إنّني إلى الجهل في بعض الأحايين أحوجُ
ولي فرس بالحلم للحلم ملجَمٌ ولي فرس بالجهل للجهل مسرَجُ
فمن شاء تقويمي فإنّي مقوّم ومن شاء تعويجي فإنّي معوجُ
وما كنت أرضى الجهل خدنًا ولا أخًا ولكنّني أرضى به حين أحوجُ
ألا ربما ضاق الفضاء بأهله وأمكن من بين الأسنّة مخرجُ

(١) ج، م، ي: كان.
(٢) النسخ عدا ج: الخير.
(٣) م، ي: الرجاء.
(٤) م، ي: وأنشدني.
(٥) م، ي: بما.
(٦) م، ي: وقال.

وروينا من حديث ابن ودعان، قال: ثنا أبو عبد الله الصيرفي، عن محمد بن القاسم، عن أبي منصور، عن الجمحي، عن حماد بن سلمة، عن حميد، عن أنس بن مالك، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يا معشر المسلمين؛ شمّروا فإنّ الأمر جدّ، وتأهّبوا فإنّ الرحيل قريب، وتزوّدوا فإنّ السفر بعيد، وخفّفوا أثقالكم فإنّ وراءكم عقبة كئودا لا يقطعها إلّا المخفّون. أيّها الناس؛ إنّ[1] بين يدي الساعة أمورًا شدادًا، وأهوالًا عظامًا، وزمانًا صعبًا، تتملّك[2] فيه الظلمة، وتتصدّر[3] فيه الفسقة، فيُضطهد الآمرون بالمعروف، ويُضام الناهون عن المنكر. فأعدّوا لذاك الإيمان، وعُضّوا عليه بالنواجذ، والجأوا إلى العمل الصالح وكرهوا عليه النفوس، واصبروا على الضرّاء تُفضوا إلى النعيم الدائم».

أنشد الحطيئةُ عمرَ ﷺ، وكعبَ الأحبار عنده:

من يفعل الخير لا يُعدَم جوازِيَه ... لا يذهبُ العُرف بين الله والناسِ

فقال كعب: يا أمير المؤمنين؛ هذا الذي قاله مكتوب في التوراة. فقال عمر ﷺ: كيف ذلك؟ قال: في التوراة مكتوب: من يصنع الخير لا يضيع عندي، لا يذهب العرف بيني وبين عبدي.

نسيان النعمة أوّل درجات الكفر

يد المعروف غُنْمٌ حيث كانت ... تحمّلها كفورٌ أم شكورُ
فعند الشاكرين لها[4] جزاء ... وعند الله ما كفر الكفورُ

مثل سائر

"جزاء سنمّار" وكان هذا سنمّار رجلًا[5] بنّاء، فبنى للنعمان بن المنذر الخورنق فأعجبه، وكره أن يبنى مثله لغيره، فقعد النعمان في أعلاه، واستدعى سنمّارًا، فأخذ يحدّثه، وغمز بعض خدّامه أن يدفعه، فدفعه من أعلاه، فسقط فمات، فقيل فيه:

جزينا بني سعد بحسن بلائنا ... جزاء سنمّار وما كان ذا ذنبِ

---

(١) م، ي: - إن.
(٢) م، ي: يتملك.
(٣) م، ي: ويتصدر.
(٤) م، ي: له.
(٥) ج، ر، ن، ي: رجل.

مثل: "سمّن كلبك يأكلك"

أخذه بعضهم فقال:

هم سمّنوا كلبًا ليأكل بعضهم ولو ظفروا بالحزم ما سمّنوا كلبا

وقال الآخر:

وإنّي وقيسًا كالمسمِّن كلبه فخدّشه أنيابه وأظافره

مثل في "عيّ باقل"

وكان هذا باقل اشترى عنزًا بأحد عشر درهما. فقيل له: بكم اشتريت العنز؟ ففتح كفّيه، وفرّق أصابعه، وأخرج لسانه، يريد أحد عشر، فعيّروه بذلك، فقال القائلون:

يلومون في حمقه باقِلًا كأنّ الحماقة لم تُخْلَقِ

فلا تكثروا العذل في عِيّهِ فلَلصَّمْتُ أجمل بالأمْوَقِ[1]

خروج اللسان وفتح البنان أحبّ إلينا من المنطقِ[2]

خبر الظبية التي كلّمت رسول الله ﷺ

روينا من حديث أحمد بن عبد الله، ثنا أبو أحمد محمد بن أحمد الغطريفي، ثنا أحمد بن موسى بن أنس بن نصر[3] بن عبد الله بن محمد بن سيرين بالبصرة، ثنا زكريا بن يحيى بن خلاد، ثنا حيان بن أغلب بن تميم، حدّثني أبي، عن هشام بن حسان، عن الحسن، عن ضبّة بن محصن، عن أمّ سلمة زوج النبيّ ﷺ قالت:

بينما النبيّ ﷺ في صحراء إذا هاتف يهتف: يا رسول الله؛ قال: فالتفتُّ، فلم أر أحدًا. فمضيتُ غير بعيد، فإذا الهاتف يهتف: يا رسول الله؛ فالتفتُّ، فلم أر أحدًا، فإذا الهاتف يهتف بي: يا رسول الله؛ فاتّبعتُ الصوتَ، فهجمتُ على ظبية مشدودة في وثاق، وإذا أعرابي منجدِل في شملة، نائم في الشمس. فقالت الظبية: يا رسول الله؛ إنّ هذا الأعرابي صادني قُبيلًا، ولي خشفان في هذا الجبل، فإن رأيت أن تطلقني حتى أرضعهما، ثمّ أعود إلى

---

(١) الأموق: الأحمق.

(٢) انتهى السمر.

(٣) أ، ر، ن: نضر.

وثاقي. قال: وتفعلين[1]؟ قالت: عذّبني الله[2] عذاب العشار إن لم أفعل. فأطلقها رسول الله ﷺ، فمضت، فأرضعت الخشفين، ثمّ عادت. فبينا رسول الله ﷺ يوثقها إذ انتبه الأعرابي فقال: بأبي وأمي؛ إنّي أصبتها قبيلًا، فلَك فيها من حاجة[3]؟ قال رسول الله ﷺ[4]: قلت نعم، قال: هي لك، فأطلقها، فخرجت تعدو في الصحراء فرحًا، وهي تضرب برجلها الأرض، وهي تقول: أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّك رسول الله.

ولاية بني إسماعيل الكعبة[5] وأمر جرهم

روينا من حديث أبي الوليد؛ حدّثني جدّي، ثنا سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، قال: أخبرني ابن إسحق قال: ولد لإسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام اثنا عشر رجلًا وأمهم السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي، فولدت له نابت، وقيدار، وآصَل، وقَياس، وآذر، وأذبل، ومنشي، ومشنى، وطيما، وقطورا، وقبش، وقيدمان، ومسمع، وماشي، ودِمّا[6].

وكان عمر إسماعيل عليه السلام فيما يذكرون ثلاثين ومائة سنة. فمن نابت ابن إسماعيل وقيدار نشر الله العرب. وكان أكبرهم قيدار ونابت، ابنا إسماعيل. وكان من حديث جرهم وبني إسماعيل، أنّ إسماعيل لمّا توفّي دُفن في الحِجر مع أمّه، فولي البيت نابت بن إسماعيل[7] ما شاء الله أن يليه. ثمّ توفي نابت بن إسماعيل فولي البيت بعده مضاض بن عمرو الجرهمي وهو جدّ نابت بن إسماعيل أبو أمّه، وضمّ بني نابت بن إسماعيل وبني إسماعيل إليه، فصاروا مع جدّهم مضاض، ومع أخوالهم من جرهم، وجرهم وقطورا يومئذ أهل مكة، وعلى جرهم مضاض بن عمرو ملكًا عليهم، وعلى قطورا رجل منهم يقال له السميدع ملكًا عليهم.

وكانا حين ظعنا من اليمن أقبُلًا سيّارة، وكانوا إذا خرجوا من اليمن لم يخرجوا إلّا ولهم ملِك يقيم أمرهم. فلمّا نزلا مكة رأيا بلدًا طيبًا[8]، وإذا ماء وشجر فأعجبهما، فنزلا به، فنزل مضاض بن عمرو بمن معه من جرهم أعلى مكة وقعيقعان، فحاز ذلك. ونزل السميدع أجيادين

---

(١) م، ي: أوتفعلين.

(٢) م، ي: - الله.

(٣) م، ي: فلك منها حاجة.

(٤) م، ي: - قال رسول الله ﷺ.

(٥) م، ي: - الكعبة.

(٦) تبين أن هؤلاء خمسة عشر وليسوا اثنى عشر كما جاء في السطر السابق.

(٧) م، ي: - أنّ إسماعيل لمّا توفّي دُفن في الحِجر مع أمّه، فولي البيت نابت بن إسماعيل.

(٨) م، ي: بلدة طيبة.

وأسفل مكة. وكان مضاض بن عمرو يعشّر من دخل مكة من أسفلها ومن كدى، وكلّ في قومه على حياله لا يدخل واحد منهما على صاحبه في ملكه.

ثمّ إنّ جرهما[١] وقطورا بغى بعضهم على بعض، وتنافسوا المُلك بها، واقتتلوا بها، حتى تشتتا ومتنت[٢] الحرب بينهم على الملك، وولاة الأمر بمكة مضاض بن عمرو وبنو نابت بن إسماعيل، وبنو إسماعيل وإليه ولاية البيت دون السميدع. فلم[٣] يزل بهم البغي حتى سار بعضهم إلى بعض، فخرج مضاض بن عمرو من قعيقعان في كتيبة سائرًا إلى السميدع، ومع كتيبته عدّتها من الرماح والدرق والسيوف والجعاب، تقعقع بذلك. ويقال: ما سمّيت قعيقعان إلّا بذلك. وخرج السميدع بقطورا من أجياد معه الخيل والرجال. ويقال ما سمّي أجياد إلّا بخروج الخيل الجياد مع السميدع حتى التقوا بفاضح. فاقتتلوا قتالًا شديدًا، فقُتل السميدع وفُضحت قطورا. ويقال: ما سمّي فاضح فاضحًا إلّا لذلك.

ثمّ إنّ القوم تداعوا للصلح، فساروا حتى نزلوا المطابخ -شِعبًا بأعلى مكة- يقال له شعب عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس. فاصطلحوا بذلك الشِّعب، وأسلموا الأمر إلى مضاض بن عمرو. فلمّا جمع أمر أهل مكة، وصار مُلكها له دون السميدع نحر للناس وأطعمهم، فأطبخ للناس فأكلوا. فيقال: ما سمّي المطابخ إلّا لذلك. قال: فكان الذي كان بين مضاض بن عمرو الجرهمي في تلك الحرب[٤] يذكر السميدع، وقتلِه وبغيِه، والتماسه ما ليس له:

ونحن قتلنا سيّد الحيّ عنوةً ... فأصبح فيها وهو حيرانُ موجَعُ
وما كان يبغي أن يكون سواءنا ... بها ملِك حتى أتانا السميدعُ
فذاق وبالًا حين حاول ملكنا ... وعالج منّا غصّة تتجرّعُ
فنحن عمرنا البيت كنّا ولاته ... نحامي عنه من أتانا وندفَعُ
وما كان يبغي أن يلي ذاك غيرنا ... ولم يك حيٌّ قبلنا ثمّ يمنعُ
وكنّا ملوكًا في الدهور التي مضت ... ورثنا ملوكًا لا ترام فتوضعُ

قال أبو الوليد: قال ابن إسحق، وقد[٥] زعم بعض أهل العلم، إنما سمّيت المطابخ لمّا كان

(١) في النسخ: جرهم.
(٢) الكلمة غير واضحة، وهي في أ، ر، ن: ومتبت. م: ومللت. ي: وملكت.
(٣) م، ي: ولم.
(٤) م، ي: الحروب.
(٥) م، ي: قد.

تبّع نحر بها[1] وأطعم بها، وكانت منزله[2]. قال: ثمّ نشر الله بني إسماعيل بمكة، وأخوالهم جرهم إذ ذاك الحكام بمكة، وولاة البيت كانوا كذلك بعد نابت بن إسماعيل. فلمّا ضاقت عليهم مكة، وانتشروا بها، انبسطوا في الأرض، وابتغوا المعاش والتفسّح في الأرض، ولا يأتون قومًا ولا ينزلون بلدًا إلّا أظهرهم الله عليهم بدينهم، فوطئوهم وغلبوهم عليها، حتى ملكوا البلاد ونفوا عنها العماليق ومن كان ساكنًا بلادهم التي كانوا اصطلحوا عليها من غيرهم. وجُرهم على ذلك بمكة ولاة البيت لا ينازعهم إيّاه بنو إسماعيل لخئولتهم وقرابتهم وإعظام الحرم أن يكون فيه بغي وقتال.

قال أبو الوليد: [3]

وحدّثني بعض أهل العلم، قالوا: كانت العماليق هم[4] ولاة الحكم بمكة، فضيّعوا حرمة الحرم، واستحلّوا منه أمورًا عظامًا، ونالوا ما لم يكونوا ينالوا. فقام رجل منهم يقال له عموق فقال: يا قوم؛ اتّقوا الله على أنفسكم، فقد رأيتم وسمعتم مَن أُهلك من صدر الأمم قبلكم؛ قوم صالح وهود وشعيب، فلا تفعلوا، وتواصلوا، فلا تستخفّوا بحرم الله وموضع بيته، وإيّاكم والظلم والإلحاد فيه[5]، فإنّه ما سكنه أحد قط، فظلم فيه وألحد، إلّا قطع الله دابرهم، واستأصل شأفتهم، وبدّل أرضَها غيرهم، حتى لا يبقى لهم باقية. فلم يقبلوا ذلك منه، وتمادوا في هلكة أنفسهم.

قالوا: ثمّ إنّ جرهمًا وقطورا، خرجوا سيّارة من اليمن، فأجدبت عليهم، فساروا بذراريهم وأنفسهم وأموالهم[6]، وقالوا: نطلب مكانًا فيه مرعى تسمن فيه ماشيتنا، وإن أعجبنا[7] أقمنا فيه، فإنّ كلّ بلد نزله أحد ومعه ذريّته وماله فهو وطنه، وإلّا رجعنا إلى بلادنا[8].

فلمّا قدموا مكة وجدوا فيها ماء مَعينًا، وعضاها ملتفّة من سلَم وسمر ونباتًا يسمّن مواشيهم، وسعة من البلاد، ودفاء من البرد في الشتاء.

---

(١) م، ي: + المطعم.

(٢) م، ي: منزلته.

(٣) واضح أنها رواية أخرى من هنا.

(٤) م، ي: - هم.

(٥) م، ي: فإياكم والإلحاد فيه.

(٦) م، ي: ومالهم.

(٧) م، ي: - أعجبنا.

(٨) م، ي: بلدنا.

فقالوا: إنّ هذا الموضع يجمع لنا ما نريد. فأقاموا مع العماليق، فكان لا يخرج من اليمن قوم إلّا ولهم ملِك يقيم أمرهم، وكان ذلك سنّة فيهم، ولو كانوا نفرًا يسيرًا.

وكان مضاض بن عمرو ملك جرهم، والمطاع فيهم.

وكان السميدع ملك قطورا، فنزل مضاض بن عمرو[1] أعلى مكة، فكان يعشّر مَن دخلها مِن أعلاها، وكان ناحيتهم وجه الكعبة الركن الأسود والمقام وموضع زمزم مصعدًا يمينًا وشمالًا، وقعيقعان إلى أعلى الوادي، ونزل السميدع أسفل مكة وأجيادين، وكان يعشّر مَن دخل مكة مِن أسفلها. فكان حوزهم المسفلة ظهر الكعبة والركن اليماني والغربي وأجيادين، والثنيّة إلى الرمضة، فبنيا فيها البيوت، واتّسعا في المنازل، وكثروا على العماليق. فنازعتهم العماليق، فمنعتهم جرهم، وأخرجوهم من الحرم كلّه، فكانوا في أطرافه لا يدخلونه. فقال لهم صاحبهم عموق: ألم أقل لكم لا تستخفّوا بحرمة الحرم فغلبتموني.

فجعل مضاض والسميدع يقطعان المنازل لمن ورد عليهما من قومهما، وكثروا، وأعجبهم البلاد، وكانوا قومًا عربًا، وكان اللسان عربيًّا.

وكان إبراهيم خليل الله يزور إسماعيل، فلمّا سمع بلسانهم وإعرابهم، سمع لهم كلامًا حسنًا، ورأى قومًا عربًا، وكان إسماعيل قد أخذ بلسانهم؛ أمر[2] إسماعيل أن ينكح فيهم، فخطب إلى مضاض بن عمرو إبنته رعلة، فزوّجه إيّاها، فولدت له عشرة ذكور، وهي زوجته التي غسلت رأس إبراهيم حين وضع رجله على المقام.

قال: وتوفّي إسماعيل، وترك ولدًا من رعلة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي، فقام مضاض بأمر ولد إسماعيل، وكفلهم لأنّهم[3] بنو بنته. فلم يزل أمر جرهم يعظم بمكة، فكانوا ولاةَ البيت وحجّابَه وولاةَ الأحكام بها، ثمّ إنّ جرهما استخفّت بأمر البيت والحرم، وارتكبوا أمورًا عظامًا وأحدثوا إحداثًا لم تكن، فقام مضاض بن عمرو بن الحارث بن مضاض فيهم فقال:

يا قوم؛ احذروا البغي، فإنّه لا بقاء لأهله، قد[4] رأيتم مَن كان قبلكم من العماليق، استخفّوا بالحرم فسلّطكم الله عليهم فأخرجتموهم، فلا تستخفّوا بحقّ الحرم، وحرمة بيت الله، ولا تظلموا مَن حلّه أو جاءه معظّمًا، أو جاء بائعًا، أو مرتغبًا في جواركم، فإنّكم إن فعلتم ذلك

(١) م، ي: - ملك جرهم، والمطاع فيهم. وكان السميدع ملك قطورا، فنزل مضاض بن عمرو.

(٢) م، ي: فأمر.

(٣) م، ي: بأنهم.

(٤) م، ي: فقد.

تخوّفتُ أن تخرجوا منه خروج ذلٍّ وصَغار. فقال له مجدّع: من الذي يخرجنا منه؟ ألسنا أعزّ العرب، وأكثرهم رجالًا وسلاحًا؟ فقال له مضاض: إذا جاء الأمر بطل ما تقولون. فلم يقصروا عن شيء مما كانوا يصنعون.

وكانت لهم[1] خزانة بئر في بطن البيت يلقى فيه الحلي والمتاع الذي يهدى له، وهو يومئذ لا سقف له، فتواعد له خمسة نفر من جرهم أن يسرقوا ما فيه. فقام على كلّ زاوية من البيت رجل منهم، واقتحم الخامس، فجعل الله أعلاه أسفله، وسقط منكّسًا فهلك، وفرّ الأربعة الآخرون. ومن ذلك الوقت بعث الله حيّة سوداء الظهر بيضاء البطن، رأسها مثل رأس الجدي، فحرست البيت خمسمائة سنة.

كتاب حكيم إلى حكيم

روينا من حديث الدينوري عن محمد بن إسحق، ثنا هارون بن معروف قال: كتب حكيم إلى حكيم:

أمّا بعد؛ فقد أصبحنا وبنا من نِعم الله ما لا نحصيه، ولا ندري أيما أشكر؛ أجميل ما ينشر؟ أم قبيح ما يستر؟

ومن حديثه أيضًا عن محمد بن يونس، عن الأصمعي قال: قيل لمحمد بن واسع: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت موفورًا بالنعم، وربّنا يتحبّب إلينا وهو غنيّ عنّا، ونتبغّض إليه بالمعاصي ونحن إليه فقراء.

الألوان

سمعت البدر بن المختار يقول، وقد رأى عليّ ثوبًا أحمر: الحمرة أجمل، والخضرة أنبل، والسواد أهول، والبياض أفضل.

حدّثنا يونس بن يحيى، ثنا محمد بن عمر بن يوسف، ثنا أبو بكر بن ثابت عن أحمد بن محمد بن إبراهيم، عن أبي عصمة محمد بن أحمد بن عبّاد العبّادي، عن أبي علي الحسين بن محمد بن مصعب، عن محمد بن عبد الله الواسطي، عن العلاء بن عبد الجبار، عن نافع بن الجمحي قال: قالت أمّ محمد بن المنكدر لابنها: يا بنيّ؛ إنّي أشتهي أن أراك نائمًا. قال: يا أمّه؛

(١) م، ن: - لهم. ي: له.

إنّ الليل ليهجم عليّ فيهولني[1]، فيدركني الصبح ولم أقض منه وطري[2].

حدّثنا[3] محمد بن محمد، عن هبة الرحمن بن عبد الواحد بن عبد الكريم، قال: أنشدني جدّ عبد الكريم بن هوازن القشيري إملاءً لنفسه:

المرء من هذّب أحواله ... وكان عن دعواه أقوالهْ
تصاغر الإنسان في نفسه ... أوفى لمعناه وأقوى لهْ
وإنّ من يحمد أفعاله[4] ... أخاف أن ترجع أفعى لهْ

وبه قال؛ أنشد[5] القشيري لنفسه:

يا نسيم الشمال بلّغ خطابي ... واشف منّي الجوى بحمل الجوابِ
طف بساحات ذلك الربع واحمل ... ذرّة من ترابِ ذاك الجنابِ[6]
واهدها من متيّمٍ مستهامِ ... دائم الكرب ذائب[7] الإكتئابِ
قل لمولاي والذي ملء نفسي ... والذي فيه ذلّتي[8] وانتحابي
كنت أخشى الوشاة فيك ولكن ... جفوة الحبّ لم تكن في حسابي

روينا من حديث ابن مروان قال: ثنا علي بن الحسن، حدّثني أبي، قال: جاء أعرابيّ إلى ابن طاهر وهو راكب فأنشده:

سألتُ عن المكارم أين صارتْ ... فكلُّ الناس أرشدني إليكا
فجد لي يا ابن طاهر إنّ فعلي ... سيثني بالذي تُولي عليكا

فقال له[9]: كم ثمن هذين البيتين؟ قال: ألفا[10] درهم، قل: لقد أرخصت. يا غلام؛ اعطه أربعة آلاف درهم، فقال[11]:

---

(١) م، ي: يا أماه؛ إن الليلة لتهجم عليّ فتهولني.
(٢) م، ي: وطرا.
(٣) م، ي: حدّثني.
(٤) م، ي: أحواله.
(٥) م، ي: أنشدنا. ن: أنشدني.
(٦) في النسخ: الباب.
(٧) م، ي: دائم.
(٨) أ، ر، ن: ذلني. ج، م، ي: دلتي.
(٩) م، ي: - له.
(١٠) م، ي: ألف.
(١١) أ، ر، ن: - فقال. ج: ثمّ أنشد.

صدّقت ظنّي وظنّ الناس كلّهم فأنت أكرمهم نفسًا وأجدادا
لا زلتَ في روضة خضراء واسعة فأنت أخضرها روضًا وأعوادا

فقال[١]: يا غلام؛ اعطه أربعة آلاف أخرى. فقال:

لو كان قولي بهذا الشعر مستمعًا لكنت أحوي خراج الشرق والغربِ
أنت الكريم الذي تعطي[٢] بلا نكد وأنت تحيي الفتى قد مات من جدْبِ

فقال ابن طاهر للغلام: يا غلام؛ اعطه أيضا[٣] أربعة آلاف درهم أخرى. فلمّا قبضها قال: أيّها الأمير؛ فني[٤] شعري ولم يضق صدرك.

همّة شريفة وزهد كريم

قلت: دخلت مسجد العماد[٥] بن الحدوس بالموصل على المهذّب ثابت بن عنتر الحلوي، وكان رفيع الهمّة من أزهد الناس، وكان يغلب عليه الأدب، فاستنشدته في حاله، فأنشدني ونحن في جماعة، وهو من التجنيس:

إذا قنعنا بإدام بَقْلِنا وخَلِّنا[٦]
فخلّنا من ذكر لذات الوجود خلّنا[٧]
ففقرنا يخلّنا[٨] على ثراء خِلّنا[٩]

من آثر آخرته على دنياه وغلّب عقله على هواه

حدّثنا عبد الرحمن، ثنا عمر بن ظفر، ثنا جعفر بن أحمد، ثنا عبد العزيز بن علي، ثنا أبو الحسن الصوفي، قال: سمعت محمد بن داود، قال: حدّثني أبو الحسن اللؤلؤي، قال: كنت في البحر، فانكسر المركب، وغرق كلُّ ما فيه[١٠]. وكان في وطائي لؤلؤ، قيمته أربعة آلاف

(١) م، ي: فقال ابن طاهر.
(٢) ر، ن: يعطي.
(٣) م، ي: فقال ابن طاهر للغلام: اعطه.
(٤) أ، ج، ر، ن: فمني.
(٥) م، ي: دخلت عماد.
(٦) خلّنا هنا من الخَل
(٧) خلّنا هنا من الترك.
(٨) م، ي: بخلّنا.
(٩) خِلّنا هنا من الخلّة.
(١٠) م، ي: من فيه.

دينار. وقربتْ أيّام الحج، وخفتُ الفوات. فلمّا سلّم اللهُ روحي، ونجّاني من الغرق، مشيتُ. فقال لي جماعة كانوا في المركب: لو توقّفتَ عسى أن يجيء من يخرج شيئًا فيُخرج لك مِن رَحلِك شيئًا. فقلت: قد علم الله ﷻ ما مرّ منّي، وفي وطائي شيء قيمته[1] أربعة آلاف دينار، وما كنت بالذي[2] أوثره على وقفةٍ بعرفة. فقالوا: وما[3] الذي ورّثك هذا؟ فقلت: أنا رجل مولع بالحج، أطلب الربح والثواب، فحججتُ في بعض السنين، وعطشتُ عطشًا شديدًا، فأجلست عديلي في[4] وسط محملي، ونزلت أطلب الماء، والناس قد عطشوا، فلم أزل أسأل رجلًا رجلًا ومحملًا محملًا: معكم ماء؟ وإذا الناس شرعٌ واحد، حتى صرت في ساقة القافلة بميل أو ميلين، فمررت بمصنع[5] وصهريج، وإذا رجل فقير جالس في أرض المصنع[6] والماء ينبع من موضع العصا، وهو يشرب، فنزلت[7] إليه، وشربت حتى رويت، وجئت إلى القافلة والناس قد نزلوا، فأخرجت قربة ومضيت فملأتها[8]، فرآني الناس، فتبادروا بالقِرَب، فرووا عن آخرهم. فلمّا روي الناس، وسارت القافلة، جئت[9] لأنظر، وإذا البركة ملأى تلتطم أمواجها. فموسم يحضره مثل هؤلاء يقولون: اللهم اغفر لمن حضر[10] الموقف ولجماعة المسلمين، أوثِر عليه الدنيا! لا والله. وترك اللؤلؤ، وجميع قماشه.

قال الشيخ: فبلغني أنّ قيمة ما كان غرق له خمسون ألف دينار.

وممّا تضمّنه الأشواق قول بعض العشّاق

يصرفه الصالحون في المتخلّف عن السياق، المسارعين إلى مرضات الله ومغفرته.

شيّعتهم فاستزابوني فقلت لهم ... إنّي بعثت مع الأجمال أحدوها
قالوا فما نفَس يعلو كذا صعدًا ... وما لعينك[11] لا ترقى مآقيها

(١) م، ي: فيه.
(٢) م، ي: - بالذي.
(٣) م، ي: ومن.
(٤) م، ي: - في.
(٥) م، ي: بمضيق.
(٦) م، ي: وإذا رجل فقير صالح في أرض المضيق.
(٧) م، ي: فجئت.
(٨) م، ي: وملأتها.
(٩) م، ي: وجئت.
(١٠) م، ي: حضر هذا.
(١١) أ، ي: لعينيك.

قلت التنفّس من إدمان سيركم والعين تذرف دمعًا من قذى فيها
روحي تسير إذا سارت ركائبكم[1] فإن عزمتم على قتلي فخثّوها

حدّثنا عبد الرحمن بن علي بن الجوزي كتابة قال: وصلني كتاب من بعض إخواني من الحاج يتضمّن الاستيحاش لي في طريق مكة، فهيّج شوقي إلى تلك الأماكن. قال[2]: فكتبت إليه أبياتًا منها:

أتراكم فالنقا فالمنحنى يوم سلع تذكرون ذِكرنا
انقطعنا ووصلتم فاعلموا واشكروا المنعم يا أهل مِنى
قد ربحتم وخسرنا فصِلوا[3] بفضول الربح من قد غبنا
يا سقى الله الحمى أنتم به ورعى تلك الربى والدِّمنا
سار قلبي خلف أجمالكم غير أنّ الوهن عاق البدنا
ما قطعتم واديًا إلّا وقد جئته[4] أسعى بأقدام المنى
إن سقيتم ديمة هاطلة فدموعي قد جرت لي أعينا
وأنادي كلّما لبّيتم في فؤادي أسفًا وا حزَنا
بدني نضوٌ ولا بدنكم والذي أقلقني أنّي هنا
آه وا شوقي إلى ذاك الحمى شوق محزون حليف شجنا
سلّموا عنّي على[5] أربابه أخبروهم[6] أنّني حلف الضنا
أنا مذ غبتم على تذكاركم أتراكم عندكم ما عندنا
عرفكم تعرفه ريح الصَّبا كلّما هبّتْ به مرّ بنا
درَّ درّ الوصل ما أعذبه ليته يرضى بروحي ثمنا
زمنًا مذ زال أولى زمنًا فأعاد الله ذاك الزمنا

روينا من حديث ابن مروان، ثنا محمد بن عمرو، ثنا محبوب بن المكرّم قال: قال يوسف بن أسباط: تخليصُ النيّة من فسادها أشدُّ على العالمين من طول الاجتهاد.

---

(١) ج، م، ي: ركابكم.
(٢) م، ي: - قال.
(٣) م، ي: فافصلوا.
(٤) م، ي: جئتكم.
(٥) م، ي: إلى.
(٦) م، ي: واخبروهم.

ومن حديثه أيضا عن محمد بن يونس، عن الأصمعي، عن أبي الأشهب، عن الحسن أنّه قيل له: ما الإيمان؟ قال: الصبر والسماحة. فقيل له: ما الصبر والسماحة؟ قال الصبر عن محارم الله، والسماحة بفرائض الله.

مجنون وعظ عاقلًا فما ظنّك بعاقلهم

قال ابن حبيب؛ قال عبد الله بن خالد الطوسي: لمّا خرج الرشيد إلى مكة ماشيًا من أجل يمينه فرش له من العراق إلى الحجاز اللبود والمرعزي[1]، فاستند يومًا وقد تعب إلى ميل، فإذا بسعدون المجنون[2] قد عارضه وهو يقول:

هب الدنيا تواتيكا ... أليس الموت يأتيكا
فما تصنع بالدنيا ... وظلّ الميل يكفيكا
ألا يا طالب الدنيا ... دع الدنيا لشانيكا
كما أضحكك الدهر ... كذاك الدهر يبكيكا

فشهق الرشيد شهقةً وخرّ مغشيًّا عليه، حتى فاتته ثلاث صلوات.

الحمد لله ثمّ الحمد لله ... ماذا على الأرض من ساهٍ ومن لاه
ماذا يعاين ذو عينين من عجب ... يوم الخروج من الدنيا إلى الله

ومن شعر المهدي محمد بن عبد الله بن تونارت في عبد المؤمن بن علي:

تكاملت فيك أخلاق خُصصتَ بها ... فكلّنا بك مسرورٌ ومغتبطُ
السنّ ضاحكةٌ والكفّ مانحة ... والصدر متّسعٌ والوجه منبسطُ[3]

خبر رويناه في مواقف يوم القيامة في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة

حدّثنا يونس بن يحيى بمكة تجاه الكعبة المعظمة سنة تسع وتسعين وخمسمائة، أنا أبو الفضل محمد بن عمر بن يوسف الأرموي، أنا أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن موسى بن جعفر المعروف بابن الخيّاط المقري قال:

قرئ على أبي سهل محمود بن عمر بن إسحق العكبري، وأنا أسمع، قيل له: حدّثكم أبو

---

(١) اللبود: لباس من شعر يلبس للمطر. والمرعزي: كالصوف يخلص من بين شعر العنز.
(٢) تعريف.
(٣) انتهى السمر.

بكر محمد بن الحسن النقاش، ثنا أبو بكر أحمد بن الحسن[1] بن علي الطبري البزوري، ثنا محمد بن حميد الرازي أبو عبد الله، ثنا سلمة بن صالح، أنا القاسم بن الحكم، عن سلام الطويل، عن غياث بن المسيّب، عن عبد الرحمن بن غنم، وزيد بن وهب، عن عبد الله بن مسعود قال:

كنتُ جالسًا عند علي بن أبي طالب ﷺ وعنده عبد الله بن عباس، وحوله عدّة من أصحاب رسول الله ﷺ، فقال علي ﷺ:

قال رسول الله ﷺ: «إنّ في القيامة لخمسين موقفًا، كلّ موقف منها ألف سنة.

فأوّل موقف، إذا خرج الناس من قبورهم، يقومون على أبواب قبورهم ألف سنة، عراة حفاةً جياعًا عطاشًا، فمن خرج من قبره مؤمنًا بربّه، مؤمنًا بنبيّه، مؤمنًا بجنّته وناره، مؤمنًا بالبعث والقيامة، مؤمنًا بالقضاء والقدر، خيره وشرّه من الله، مصدّقًا بما جاء به محمد ﷺ من عند ربّه؛ نجا وفاز وغنم وسعد. ومن شكّ في شيء من هذا؛ بقي في جوعه وعطشه وغمّه وكربه ألف سنة حتى يقضي الله فيه بما شاء.

ثمّ يساقون من ذلك المقام[2] إلى المحشر، فيقفون[3] على أرجلهم ألف عام في سرادقات النيران، في حرّ الشمس، والنار[4] عن أيمانهم، والنار عن شمائلهم، والنار من بين أيديهم، والنار من خلفهم، والشمس من فوق رءوسهم، ولا ظلّ إلّا ظلّ العرش.

فمن لقي الله تبارك وتعالى[5]، شاهدًا له بالإخلاص، مُقرًّا بنبيّه محمد ﷺ، بريئًا من الشرك ومن السحر، وبريئًا من إهراق دماء[6] المسلمين، ناصحًا لله ولرسوله، محبًّا لمن أطاع الله ورسوله، مبغضًا لمن عصى الله ورسوله، استظلّ تحت ظلّ عرش الرحمن ﷻ، ونجا من غمّه.

ومَن[7] حاد عن ذلك، ووقع في شيء من هذه الذنوب بكلمة واحدة، أو تغيّر قلبه، أو

---

(١) في النسخ: الحسين.

(٢) م، ي: الموضع.

(٣) م، ي: فيقومون.

(٤) م، ي: - في حر الشمس والنار.

(٥) م، ي: - تبارك وتعالى.

(٦) ن، ي: دم.

(٧) م، ي: ومن مال عنه وعدل.

شكّ في شيء من دينه، بقي ألف سنة في الحرّ والهمّ[1] والعذاب، حتى يقضي الله فيه بما شاء.

ثمّ يُساق الخلق إلى النور والظلمة فيقومون في تلك الظلمة ألف عام. فمن لقي الله تبارك وتعالى لم يشرك به شيئًا، ولم يدخل في قلبه شيء من النفاق، ولم يشكّ في شيء من أمر دينه، وأعطى الحقّ من نفسه، وقال الحقَّ، وأنصف الناس من نفسه، وأطاع الله ﷻ في السرّ والعلانية، ورضي بقضاء الله، وقنع بما أعطاه الله، خرج من الظلمة إلى النور في مقدار طرفة عين مبيضًّا وجهه، قد نجا من الغموم كلّها.

ومن خالف في شيء منها بقي في الغمّ والعذاب ألف سنة، ثمّ خرج منها مسودًّا وجهه، وهو في مشيئة الله يفعل به ما يشاء.

ثمّ يُساق الخلق إلى سرادقات الحساب، وهي عشر سرادقات، يقفون في كلّ سرادق منها ألف سنة. فيُسأل ابن آدم عند أوّل سرادق منها عن المحارم؛ فإن لم يكن وقع في شيء منها جاز إلى السرادق الثاني، فيُسأل عن الأهواء؛ فإن كان نجا منها جاز إلى السرادق الثالث، فيُسأل عن عقوق الوالدين؛ فإن لم يكن عاقًّا جاز إلى السرادق الرابع، فيُسأل عن حقوق من فوّض الله إليه أمورهم، وعن تعليمهم القرآن، وعن أمر دينهم وتأديبهم؛ فإن كان قد فعل جاز إلى السرادق الخامس، فيُسأل عمّا ملكت يمينه؛ فإن كان محسنًا إليهم جاز إلى السرادق السادس، فيُسأل عن حقّ قرابته؛ فإن كان قد أدّى حقوقهم جاز إلى السرادق السابع، فيُسأل عن صلة الرحم؛ فإن كان وَصولًا لرحمه[2] جاز إلى السرادق الثامن، فيُسأل عن الحسد؛ فإن كان لم يكن حاسدًا جاز إلى السرادق التاسع، فيُسأل عن المكر؛ فإن لم يكن مكر بأحد جاز إلى السرادق العاشر، فيُسأل عن الخديعة؛ فإن لم يكن خدع أحدًا نجا، فنزل في ظلّ عرش الله ﷻ، مقرّة عينه، فرِحًا قلبه، ضاحكًا فاه. وإن كان قد وقع في شيء من هذه الخصال بقي في كلّ موقف منها ألف عام جائعًا عطشانا باكيًا حزينًا مهمومًا مغمومًا، لا تنفعه شفاعة شافع.

ثمّ يحشرون إلى أخذ كتبهم بأيمانهم وشمائلهم، فيُحبسون عن ذلك في خمسة عشر موقفًا، كلّ موقف منها ألف سنة. فيُسألون في أوّل موقف منها عن الصدقات وما فرض[3] الله

---

(١) م، ي: + والغمّ.

(٢) م، ي: إلى رحمه.

(٣) ر: أفرض. م، ي: افترض.

عليهم في أموالهم؛ فمن أدّاها كاملة جاز إلى الموقف الثاني، فيُسأل عن قول الحقّ والعفو عن الناس؛ فمن عفا عفى الله عنه وجاز إلى الموقف الثالث، فيُسأل عن الأمر بالمعروف؛ فإن كان آمرا بالمعروف جاز إلى الموقف الرابع، فيُسأل عن النهي عن المنكر؛ فإن كان ناهيًا عن المنكر جاز إلى الموقف الخامس، فيُسأل عن حسن الخلق؛ فإن كان حسن الخلق جاز إلى الموقف السادس، فيُسأل عن الحبّ في الله والبغض في الله ﷻ؛ فإن كان محبًّا في الله مبغضًا في الله ﷻ جاز إلى الموقف السابع، فيُسأل عن المال الحرام؛ فإن لم يكن أخذ شيئًا جاز إلى الموقف الثامن، فيُسأل عن شرب الخمر؛ فإن لم يكن شرب من الخمور[1] شيئًا جاز إلى الموقف التاسع، فيُسأل عن الفروج الحرام؛ فإن لم يكن أتاها جاز إلى الموقف العاشر، فيُسأل عن قول الزور؛ فإن لم يكن قالها جاز إلى الموقف الحادي عشر، فيُسأل عن الأيمان الكاذبة؛ فإن لم يكن حلفها جاز إلى الموقف الثاني عشر، فيُسأل عن أكل الربا؛ فإن لم يكن أكله جاز إلى الموقف الثالث عشر، فيُسأل عن قذف المحصنات؛ فإن لم يكن قذف المحصَنات أو افترى على أحدٍ جاز إلى الموقف الرابع عشر، فيُسأل عن شهادة الزور؛ فإن لم يكن شهدها جاز إلى الموقف الخامس عشر، فيُسأل عن البهتان؛ فإن لم يكن بهت مسلمًا مرّ فنزل تحت لواء الحمد، وأعطي كتابه بيمينه، ونجا من غمّ الكتاب وهولِه، وحوسب حسابًا يسيرًا.

وإن كان قد[2] وقع في شيء من هذه الذنوب الكبائر، ثمّ خرج من الدنيا غير تائب من ذلك، بقي في كلّ موقف من هذه الخمسة عشر موقفًا ألف سنة في الغمّ والهمّ والهول والحزن والجوع والعطش، حتى يقضي الله ﷻ فيه بما شاء.

ثمّ يقام الناس في قراءة كتبهم ألف عام، فمن كان سخيًّا، قد قدّم ماله ليوم فقره وحاجته وفاقته، قرأ كتابه، وهُوِّن عليه قراءته، وكسي من ثياب الجنّة، وتوّج من تيجان الجنّة، وأقعد تحت ظلّ عرش الرحمن ﷻ آمنًا مطمئنًّا.

وإن كان بخيلًا لم يقدّم ماله ليوم فقره وفاقته، أعطي كتابه بشماله، ويُقطع له من مقطّعات النيران، ويقام على رءوس الخلائق ألف عام في الجوع والعطش والعري والهمّ والغمّ والحزن والفضيحة، حتى يقضي الله ﷻ فيه بما يشاء.

ثمّ يحشر الناس إلى الميزان، فيقومون عند الميزان ألف عام؛ فمن رجح ميزانه بحسناته

---

(١) م، ي: الخمر.

(٢) م، ي: - قد.

فاز ونجا في طرفة عين، ومَن خفّ ميزانه من حسناته، وثقلت سيّئاته، حُبس عند الميزان ألف عام في الغمّ والهمّ والحزن والعذاب والجوع والعطش، حتى يقضي الله فيه بما يشاء.

ثمّ يدعى بالخلق إلى الموقف بين يدي الله تبارك وتعالى في اثني عشر موقفًا، كلّ موقف منها مقدار ألف عام[١]، فيُسأل في أوّل موقف عن عتق الرقاب؛ فإن كان أعتق رقبة أعتق الله رقبته من النار وجاز إلى الموقف الثاني، فيُسأل عن القرآن وحقّه وقراءته؛ فإن جاء بذلك تامًّا جاز إلى الموقف الثالث، فيُسأل عن الجهاد؛ فإن كان جاهد في سبيل الله محتسبًا جاز إلى الموقف الرابع، فيُسأل عن الغيبة؛ فإن لم يكن اغتابَ جاز إلى الموقف الخامس، فيُسأل عن النميمة؛ فإن لم يكن نمّامًا جاز إلى الموقف السادس، فيُسأل عن الكذب؛ فإن لم يكن كذّابًا جاز إلى الموقف السابع، فيُسأل عن طلب العلم؛ فإن كان طلبَ العلم وعمل به جاز إلى الموقف الثامن، فيُسأل عن العجب؛ فإن لم يكن معجبًا بنفسه في دينه ودنياه، أو في شيء من عمله جاز إلى الموقف التاسع، فيُسأل عن الكبر؛ فإن لم يكن تكبّر على أحد جاز إلى الموقف العاشر، فيُسأل عن القنوط من رحمة الله ﷻ؛ فإن لم يكن قنط من رحمة الله ﷻ جاز إلى الموقف الحادي عشر، فيُسأل عن الأمن من مكر الله؛ فإن لم يكن أمن من مكر الله ﷻ جاز إلى الموقف الثاني عشر، فيُسأل عن حقّ جاره؛ فإن كان أدّى حقّ جاره[٢] أقيم بين يدي الله ﷻ قريرًا عينه، فرِحًا قلبه، مبيضًّا وجهه، كاسيًا ضاحكًا فرحًا مستبشرًا. فيرحِّب به ربّه[٣] تبارك وتعالى، ويبشّره[٤] برضاه عنه، فيفرح عند ذلك فرحًا لا يعلمه أحد[٥] إلّا الله ﷻ.

فإن لم يأت واحدة منهنّ تامّة، ومات غير تائب، حُبس عند كلّ موقف ألف عام، حتى يقضي الله ﷻ فيه بما يشاء[٦].

ثمّ يؤمر بالخلائق إلى الصراط، فينتهون إلى الصراط[٧] وقد ضُربت عليه الجسور على جهنّم أدقّ من الشعر، وأحدّ من السيف، وقد غابت الجسور في جهنّم مقدار أربعين ألف

---

(١) م، ي: سنة.

(٢) م، ي: - فإن كان أدى حق جاره.

(٣) م، ي: الله.

(٤) النسخ عدا ي: وبشره.

(٥) م، ي: - أحد.

(٦) م، ن، ي: شاء.

(٧) ج، ر، م: - فينتهون إلى الصراط.

عام، ولهبُ جهنّم بجانبها يلتهب، وعليها حسَكٌ وكلاليب وخطاطيف، وهي سبع جسور يحشر العباد كلّهم عليها، وعلى كلّ جسر منها عقبة، مسيرة ثلاثة آلاف عام: ألف عام صعود، وألف عام استواء، وألف عام هبوط. وذلك قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾[1] يعني على تلك الجسور، وملائكة يرصدون الخلق عليها لتسأل العبد[2] عن الإيمان بالله ﷻ؛ فإن جاء به مؤمنًا مخلصًا لا شكّ فيه ولا زيغ جاز إلى الجسر الثاني، فيُسأل عن الصلاة؛ فإن جاء بها تامّة جاز إلى الجسر الثالث، فيُسأل عن الزكاة؛ فإن جاء بها تامّة جاز إلى الجسر الرابع، فيسأل عن الصيام؛ فإن جاء به تامًّا جاز إلى الجسر الخامس، فيُسأل عن حِجة الإسلام؛ فإن جاء بها تامّة جاز إلى الجسر السادس، فيُسأل عن الطهر؛ فإن جاء به تامًّا جاز إلى الجسر السابع، فيُسأل عن المظالم؛ فإن لم يكن ظلم أحدًا جاز إلى الجنّة، وإن كان قصّر في واحدة منهنّ حبس على كلّ جسر منها[3] ألف سنة، حتى يقضي الله فيه بما يشاء[4].

فقال عبد الرحمن بن غنم، قال عبد الله بن مسعود، فقال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ: يا رسول الله؛ ألسنا نراك يوم[5] القيامة في هذه المواطن كلّها، ولا تغيب عنّا ولا نغيب عنك حتى يفترق الناس إلى الجنّة وإلى النار؟ فقال رسول الله ﷺ: الشأن يومئذ أعظم من ذلك، والحوائج إلى الله ﷻ يومئذ أكثر من ذلك، ولكن إذا لم تروني في بعض هذه الحالات فأنا بين يدي الله ﷻ أشفع إلى الله ﷻ وأطلب، أو عند أبواب الجنّة أستفتحها، فتُفتح لي فأدخلها، فأبشّر خدمكم وغلمانكم وأزواجكم بأنّكم على أثري، وآمرهم أن يعدّوا لكم فيستعدّوا.

فيا لها من بشارات[6]، ويا لها من جَلبَة، ويا لها من أصوات الجواري، يدعو بعضهم بعضًا، والغلمان يسعى بعضهم إلى بعض، والمجامِر[7] تسطع في كلّ ناحية، والأزواج على الأرائك ينظرون، والرجال والنساء يساقون إلى الجنّة زمرة زمرة[8]، وإلى الله يضحكون، ولمثل هذا فليعمل العاملون، وفي مثل هذا فليتنافس المتنافسون. فهنيئًا مريئًا لعباد ربّ

---

(١) [الفجر: ١٤]
(٢) م، ي: العبيد.
(٣) م، ي: - منها.
(٤) م، ي: شاء.
(٥) م، ي: في يوم.
(٦) م، ي: بشارة.
(٧) أ، ج، ر، ن: والمجامير.
(٨) م، ي: زمرا زمرا.

العالمين.

والذي نفس محمد بيده؛ إنّ الرجل منهم ليستقبله من حين يدخل الجنّة من بين وليد ووليده وغلام وجارية وقهرمان وملَك من الملائكة، كلّ معه تحفة وطرفة وهديّة يتحفونه بها، ويسعون حواليه، وبين يديه أكثر من ثلاثة آلاف كاللؤلؤ والمرجان، ويتلقّاه سبعون ألف ملك مع كلّ ملَك منهم فرس ونجيبة من ياقوت أحمر وأصفر ومرجان. للخيل صهيل، وللإبل رغاء، ولا يعرقن ولا يَرُثن ولا يَبُلن ولا يضمرن ولا يهرمن، ولهنّ أجنحة إذ شاءوا طارت بهم في خلال الجنّة، وهنّ في السرعة أسرع من الطير.

وإنّ في الجنّة طيرًا لا تؤكل[1]، لها رءوس مثل الجبال، أحسن ما خلق الله خلقًا وريشًا، وأصواتًا وكلامًا، لكلّ طير سبعون جناحًا في منكبه، وإنّ الطير الواحد منها ليُظِلّ الدنيا كلّها بجناحه إذا نشره وبسطه، يكونون على غرفهم قيامًا صفوفًا، يسبّحون الله ﷻ ويحمدونه، ويقدّسونه، العزيز الجبّار، بأصوات لم تسمع[2] الخلائق[3] مثلها.

فيطرب أولياء الله بذلك طربًا لم يطربوا لشيء[4] مما سمعوا، ما خلا كلام الرحمن الملِك الجبّار، فإنّه يسمعهم كلامه، ويكلّمهم ويناديهم، ويقول لهم: سلام عليكم عبادي، ومرحبًا بكم، حيّاكم الله، سلام عليكم من الرحمن الرحيم الحيّ القيوم، طبتم فادخلوها خالدين، طابت لكم الجنّة، فطيّبوا أنفسكم بالنعيم المقيم، والثواب من الكريم[5] والخلود الدائم. أنتم المؤمنون الآمنون، وأنا الله المؤمن المهيمن، شققتُ لكم اسمًا من أسمائي، لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون. أنتم أوليائي وجيراني وأصفيائي وخاصّتي وأهل محبّتي وفي داري. سلام عليكم يا معشر عبادي المسلمين، أنتم المسلمون، وأنا السلام، وداري دار السلام. سأريكم وجهي، كما سمعتم كلامي، فإذا تجلّيتُ لكم وكشفتُ عن وجهي الحجب فاحمدوني، وادخلوا إلى[6] داري غير محجوبين عنّي بسلام آمنين، فاقدموا عليّ، واجلسوا حولي حتى تنظروا إليّ، وتروني من قريب؛ فأتحفكم بتحفتي، وأجيزكم بجوائزي، وأخصّكم بنوري، وأغشيكم بجمالي، وأهب لكم من

---

(١) م، ي: لا يأكل.

(٢) النسخ عدا ج: يسمع.

(٣) م، ي: - الخلائق.

(٤) م، ي: إلى شيء.

(٥) م، ي: - من الكريم.

(٦) م، ي: - إلى.

ملكي[1]، وأفاكهكم بضحكي، وأغلّفكم بيدي، وأشممكم[2] روحي.

أنا ربّكم الذي كنتم تعبدوني ولم تروني، وتدعوني وتحبّوني وتخافوني. فوعزّتي وجلالي، وعلوّي وكبريائي، وبهائي وسنائي، إنّي عنكم راض، وإنّي أحبّكم وأحبّ ما تحبّون، ولكم عندي ما تشتهي أنفسكم وتلذّ أعينكم ولكم عندي ما تدّعون، وما شئتم، وكلّ ما[3] شئتم أشاء. فسلوني ولا تحتشموا، ولا تستحيوا ولا تستوحشوا، وإنّي أنا الله الجواد الغني المليّ الوفيّ الصادق.

وهذه داري وقد أسكنتكموها[4]، وجنّتي قد أبحتكموها، ونفسي قد أريتكموها. وهذه[5] يدي ذات الندى والطلّ[6] مبسوطة ممتدّة عليكم، لا أقبضها عنكم، وأنا أنظر إليكم، لا أصرف بصري عنكم، فسألوني ما شئتم واشتهيتم، فقد آنستكم بنفسي، وأنا لكم جليس وأنيس. فلا حاجة ولا فاقة بعد هذا، ولا بؤس ولا مسكنة ولا ضعف ولا هرم، ولا سخط ولا حرج، ولا تحويل أبدًا سرمدًا. نعيمكم نعيم الأبد، وأنتم الآمنون المقيمون الماكثون المكرّمون المنعّمون، وأنتم السادة الأشراف الذين[7] أطعتموني، واجتنبتم محارمي، فارفعوا إليّ حوائجكم، أقضيها لكم، وكرامة ونعمة.

قال؛ فيقولون: ربّنا ما كان هذا أملنا ولا أمنيتنا، ولكن حاجتنا إليك النظر إلى وجهك الكريم أبدًا أبدًا، ورضاء نفسك عنّا.

فيقول لهم العليّ الأعلى، مالك الملك، السخيّ الكريم، تبارك وتعالى:

فهذا وجهي بارز لكم أبدًا سرمدًا؛ فانظروا إليه وابشروا، فإنّ نفسي عنكم[8] راضية فتمتّعوا، وقوموا إلى أزواجكم فعانِقوا وانكحوا، وإلى ولائدكم ففاكهوا، وإلى غُرفكم فادخلوا[9]، وإلى بساتينكم فتنزّهوا، وإلى دوابّكم فاركبوا، وإلى فرشكم فاتّكئوا، وإلى جواريكم وسراريكم في

---

(١) م، ي: مالي.
(٢) أ، ر، ن: وأشمكم.
(٣) م، ي: وكما.
(٤) م، ي: سكنتموها.
(٥) م، ي: هذه.
(٦) النسخ عدا ج: والظل.
(٧) م، ي: وأنتم سادة الأشراف التي.
(٨) م، ي: إليكم.
(٩) م، ي: - فادخلوا.

الجنان فاستأنسوا، وإلى هداياكم من ربّكم فاقبلوا، وإلى كسوتكم فالبسوا، وإلى مجالسكم فتحدّثوا، ثمّ قيلوا قائلة لا نوم فيها ولا غائلة، في ظلٍّ ظليل وأمن مقيل ومجاورة الجليل، ثمّ روحوا إلى نهر الكوثر والكافور، والماء المطهّر والتسنيم والسلسبيل والزنجبيل فاغتسلوا وتنعّموا، طوبى لكم وحسن مآب. ثمّ روحوا فاتّكئوا على الرفارف الخضر والعبقري الحِسان والفرش المرفوعة والظلّ الممدود والماء المسكوب والفاكهة الكثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة.

ثمّ تلا رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ. هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ. لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ. سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾[1].

ثمّ تلا هذه الآية: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾[2]».

ومن إنشاء المولى مدّ الله ظلّه

يوم المعارج من خمسين ألف سنة ... يُطِيرُ عن كلِّ نَوّامٍ به وَسَنَهْ
والأرضُ من حذَرٍ[3] عليه ساهرةٌ ... لا تأخذَنْها لما يقضي الإله سِنَهْ
فكن غريبًا ولا تركن لطائفة ... من الخوارج أهل الألسنِ اللسِنهْ
وإن رأيت امرءًا يسعى لمفسدةٍ ... فخذ على يده تجزى به حَسنهْ
ولتعتصم حذرًا بالكهف من رجل ... تريك فتنته يومًا كمثل سَنَهْ
قد مدّ خطوتَه في غير طاعته ... ولم يزل في هواه خالعًا رَسَنَهْ[4]

ولنا أيضًا من قصيدة:

مواقف الناس في القيامهْ ... مواقف الحزن والندامهْ
وتلك خمسون لا خلاف ... فيها ولكن لها علامهْ
خمسون ألفًا لها زمان ... من عامنا ما أمدّ عامهْ

روينا من حديث ابن أبي الدنيا قال: ثنا هارون بن سفيان، ثنا عبد الله بن بكر السهمي، عن عبادة بن شيبة[5] الحبطي، عن سعيد بن أنس، عن أنس قال:

بينما رسول الله ﷺ جالسا إذ رأيناه يضحك حتى بدت ثناياه، فقال عمر: ما أضحكك يا

---

(١) [يس: ٥٥ - ٥٨]

(٢) [الفرقان: ٢٤]

(٣) مرتبكة في النسخ والترجيح من الديوان.

(٤) م، ي: - هذا البيت.

(٥) لعله عباد بن شبيب.

رسول الله؛ بأبي أنت وأمي؟ قال: رجلان من أمّتي جثيا[١] بين يدي ربّ العزّة تعالى، فقال أحدهما: يا ربّ؛ خذ لي مظلمتي من أخي. فقال[٢]: اعط أخاك مظلمته. قال: يا ربّ؛ لم يبق من حسناتي شيء[٣]. قال: يا ربّ؛ فليحمل عنّي من أوزاري، وفاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء. ثمّ قال: إنّ ذلك ليوم عظيم، يوم يحتاج الناس[٤] فيه أن يُحمل من أوزارهم. قال: فيقول الله ﷻ للطالب: ارفع رأسك فانظر إلى الجنان، فرفع[٥] رأسه فقال: يا ربّ؛ أرى مدائن من فضّة، وقصورًا من ذهب، مكلّلة باللؤلؤ؛ لأيّ نبيّ هذا، لأيّ شهيد هذا؟ قال[٦]: هذا لمن أعطاني الثمن. قال: يا ربّ؛ ومن يملك ذلك؟ قال: أنت تملكه. قال: بماذا يا ربّ؟ قال: بعفوك عن أخيك. قال: يا ربّ؛ قد عفوت عنه. قال الله تعالى: خذ بيد أخيك، وأدخله الجنّة. ثمّ قال رسول الله ﷺ عند ذلك: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾[٧] فإنّ الله يصلح بين المؤمنين يوم القيامة.[٨]

قلب تأثّر من صادق مؤثّر

حدّثنا أبو العباس أحمد بن مسعود بن شدّاد سنة إحدى وستمائة قال: ثنا أبو جعفر بن القاص قال: ثنا يوسف بن أبي القاسم الديار بكري، ثنا جمال الإسلام أبو الحسن علي بن أحمد القرشي الهكاري، ثنا أبو الحسن الكرخي[٩]، ثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الفضل النهاوندي قال: سمعت شيخي جعفر بن محمد الخُلْدي يقول:

كنت مع الجنيد رحمه الله في طريق الحجاز حتى صرنا إلى جبل طور سيناء، فصعد الجنيد وصعدنا معه، فلمّا وقفنا في الموضع الذي وقف فيه موسى عليه السلام، وقع علينا هيبة المكان، وكان معنا قوّال، فأشار إليه الجنيد أن يقول شيئًا فقال:

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى برقٌ تألّق موهنًا لمعانُهُ

---

(١) أ، ر، ن: حثيا. ج، ي: جيئا.
(٢) م، ي: قال.
(٣) م، ي: - شيء.
(٤) م، ي: - الناس.
(٥) م، ي: فيرفع.
(٦) م، ي: فقال.
(٧) [الأنفال: ١]
(٨) انتهى السمر.
(٩) أ، ر: الكرجي.

يبدو كحاشية الرداءِ ودونه صعب الذرى متمنّعٌ أركانهُ
فبدا لينظر كيف لاح فلم يطق نظرًا إليه وصدّه سبحانُهُ
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه والماء ما سمحت به أجفانُهُ

قال: فتواجد الجنيد، وتواجدنا، فلم يدر أحد منّا، أفي السماء نحن أو في الأرض؟ وكان بالقرب منّا دير فيه راهب، فنادانا: يا أمّة محمد؛ باللهِ أجيبوني! فلم يلتفتْ إليه أحدٌ لطيب الوقت. فنادانا الثانية: بدين الحنيفيّة إلّا أجبتموني، فلم يجبه أحد، فنادى الثالثة: بمعبودكم إلّا أجبتموني، فلم يرد عليه أحد جوابًا. فلمّا فترنا من السماع وهمّ الجنيد بالنزول قلنا له: إنّ هذا الراهب نادانا وأقسم علينا ولم يرد عليه أحد. فقال الجنيد: ارجعوا بنا إليه لعلّ الله يهديه للإسلام.

وناديناه[1]، فنزل إلينا، وسلّم علينا. وقال: أيّا منكم الأستاذ؟ فقال الجنيد: هؤلاء كلّهم سادات وأستاذون. فقال: لا بدّ أن[2] يكون واحد هو أكبركم. فأشاروا إلى الجنيد. فقال: أخبِرني[3] عن هذا الذي فعلتموه؛ هو مخصوص في دينكم أو معموم. فقال: بل مخصوص. فقال: لأقوام مخصوصين أو معمومين؟ فقال: بل لأقوام مخصوصين. فقال: بأيّ نيّة تقومون؟ فقال بنيّة الرجاء والفرح بالله[4] ﷻ. فقال بأي نيّة تسمعون. فقال: بنيّة السماع من الله تعالى. فقال بأيّ نيّة تصيحون؟ قال: بنيّة إجابة العبوديّة للربوبيّة، لمّا قال الله تعالى للأرواح في الذرّ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾[5]. قال: فما هذا الصوت؟ فقال: نداء أزليّ. فقال: بأيّ نيّة تقعدون؟ قال: بنيّة الخوف من الله تعالى. قال: صدقت.

ثمّ قال الراهب للجنيد: مدّ يدك؛ فأنا أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأنّ محمدا ﷺ عبده ورسوله. وأسلم الراهب وحسن إسلامه. فقال الجنيد: بم عرفت أنّي صادق؟ قال: لأنّي قرأت في الإنجيل المنزل على المسيح ابن مريم أنّ خواص أمّة محمد ﷺ يلبسون الخرقة، ويأكلون الكسرة، ويرضون بالبلغة، ويقومون في صفاء أوقاتهم؛ بالله يفرحون، وإليه يشتاقون، وفيه يتواجدون، وإليه يرغبون، ومنه يرهبون. فبقي الراهب معنا ثلاثة أيّام على الإسلام، ثمّ مات رحمه الله.

---

(١) م، ي: فناديناه.
(٢) م، ي: ولا بد وأن.
(٣) م، ي: أخبروني.
(٤) م، ي: والفرح من الله.
(٥) [الأعراف: ١٧٢]

ليس يعني بقوله: "يلبسون الخرقة" هذه الخرقة المعروفة بين هؤلاء الصوفيّة، وإنّما يعني بلباس الخرقة لباس المرقّعات لا المشهّرات، وخلقان الثياب، أي لا تهمّم لهم في ملابسهم، إنما تهمّمهم في لباس التقوى الذي هو خير، ولذلك قال: ويأكلون الكسرة، أي لا يهتمّون بما يجعلون في بطونهم من ملذوذات[1] الأطعمة، وإنّما طعامهم ما تيسّر حسابه، وتيسّر لهم لا غير ذلك.

ومن زعم أنّ ذا القرنين حميري

روينا من حديث ابن الواسطي. قال: ثنا عمر بن الفضل بن المهاجر، عن أبيه، عن الوليد بن حمّاد الرملي، عن محمد بن العباس، عن عمران بن موسى البغدادي، ثنا السام بن داود، ثنا أحمد بن نباتة، عن سلمة بن أبي سلمة الأبرش، عن محمد بن إسحق، عن أبي مالك بن ثعلبة بن أبي مالك القرظي. قال: سمعت إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله يحدّث عن أبيه، عن جدّه يرفعه، قال:

إنّ ذا القرنين كان ابنَ رجل من حمير، وكان قد وفد إلى الروم، فأقام فيهم، وكان يسمّى أبوه: الفيلسوف، لعقله وأدبه. فتزوّج في الروم[2] امرأة من غسّان، وكانت على دين الروم، فولدت ذا القرنين، فسمّاه أبوه الاسكندر. فهو الاسكندر بن الفيلسوف الحميري، وأمّه روميّة غسّانيّة.

قال ابن إسحق، قال أبو مالك بن ثعلبة بن أبي مالك القرظي: ولذلك يقول تبّع الحميري لمّا فخر بأجداده في قصيدة يفخر بذي القرنين، جدّه الأكبر:

قد كان ذو القرنين جدّي مسلمًا ... ملِكا تدين له الملوك وتحسد[3]
بلغ المشارق والمغارب يبتغي ... أسباب أمر من حكيم مرشد
فرأى مغيب الشمس عند غروبها[4] ... في عين ذي خُلبٍ وثاطٍ حَرْمَد

قال محمد بن العباس، قال عمران بن موسى، قال السام بن داود: وليس كلّ الناس يعلم أنّه من حمير، ولا يعرف أباه، وإنّما نسبته الروم إلى أمّه، لأنّ أباه مات وهو صغير، وخلّفه في حجر أمّه. ولقد كان أبوه من أهل المُلك والثروة.

---

(١) م، ي: تلذّذات.
(٢) م، ي: - في الروم.
(٣) أ، ر، م، ن: وتحشد.
(٤) م، ي: مغيبها.

ولنا في[1] باب الفخر

إذا فلّ سيفي لم تفلّ عزائمي ... فلي عزمات شاحذات صوارمي[2]
وإلّا فسلْ عنّا القنا هل وفَتْ لنا ... وأسيافنا يومًا بقدر عزائمي
لنا الجود إذ كنّا سلالة حاتم ... وما زال مذ قلّدته في تمائمي

ومن باب الحياء من الله تعالى والصدقة

ما رويناه من حديث الخرائطي قال: ثنا علي بن حرب، ثنا محمد بن فضيل[3]، ثنا عمارة بن القعقاع، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير، عن أبي هريرة قال[4]؛ قال رجل: يا رسول الله؛ أيّ الصدقة أفضل[5] وأعظم أجرًا؟ قال: أن تصدَّقَ وأنت صحيح شحيح، تأمل[6] الغنى وتخشى الفقر، ولا تمهِل حتى إذا بلغت الحلقوم، قلت: لفلان كذا، وقد كان لفلان كذا.

أنشدنا إسماعيل، أنشدنا محمد بن يوسف، أنشدنا أحمد بن سلمان، أنشدنا أبو نصر[7] بن عبد الله الأندلسي، أنشدنا الحسين بن محمد بن أحمد، أنشدنا محمد بن جعفر، سمعت محمد بن يزيد المبرّد ينشد:

أمهِدْ لنفسك في الحياة فإنما ... يبقى غناك لمصلح أو مفسد
فإذا جمعت لمفسد لم يبقه ... وأخو الفلاح قليله يتزيّد

ومن حديثه عن علي بن حرب، عن خالد بن يزيد العدوي حدّثه بمكة، عن إسماعيل بن إبراهيم بن أبي حبيبة الأشبيلي، عن مسلم بن أبي مريم، عن عروة، عن عائشة قالت: بينما رسول الله ﷺ على المنبر والناس حوله، وأنا في حجرتي، سمعته يقول: «استحيوا من الله حقّ الحياء، حتى ردّدها مرارًا. فقال رجل: إنا لنستحي من الله يا رسول الله. فقال: من كان يستحي من الله فليحفظ الرأس وما حوى، والبطن وما وعى[8]، وليذكر القبور

---

(١) م، ي: من.
(٢) م، ي: شاهدات الصوارم.
(٣) م، ي: محمد بن الفضل.
(٤) م، ي: - قال.
(٥) م، ي: - أفضل.
(٦) م، ي: تؤمل.
(٧) م، ي: أنشدنا أحمد بن سليمان، أنشدنا أبو النصر.
(٨) م، ي: وما حواه، والبطن وما وعاه.

والبلى. فما زال يردّد ذلك حتى سمعتهم يبكون حول المنبر».

ومن باب الغربة عن الوطن شذور

الغريب كالغرس الذي زايَل أرضَه، وفقد شربَه، وهو ذاوٍ لا ينمي، وذابل لا ينضر. عسرك في بلدك أعزّ من يسرك في غربتك.

لَقُرْبُ الدار في الإقتار خيرٌ من العيشِ الموسّعِ في اغترابِ

وقال بعضهم[1]:

ألا هل إلى شمّ الخُزامى ونظرةٍ إلى قَرقريٍّ قبل الممات سبيلُ
فأشرب من ماء الحُجَيلاء[2] شربة يداوَى بها قبل الممات عليلُ
فيا أثلات القاع من بطن توضِح حنيني إلى أطلالِكُنَّ طويلُ
ويا أثلات القاع قلبي موكَّلٌ بِكنَّ وجدوى خَيرِكُنّ قليلُ
ويا أثلات القاع قد مَلَّ صحبتي مسيري فهل في ظِلِّكُنّ مقيلُ
أريد انحدارًا نحوها فيردّني ويمنعني دَيْنٌ عليَّ ثقيلُ
أحدِّثُ نفسي عنك أن لست راجعًا إليك فحزني في الفؤاد دخيلُ

ومما نظمناه في الربيع وأزهاره، وما حباه الرقيع[3] بإزهاره

أما ترى الروضة الغنّاء تضحك إذ جادتْ على الأرض بالأزهارِ أنواءُ
تبسَّمُ الأرض إذ تبكي السماءُ فهل بين السماءِ وبين الأرض شحناءُ
لا والذي بضروب الزهر أضحكها ما ثمّ شحناءُ لكن ثمّ أشياءُ
إنّ السماء تقول الزهر من زهري والأرض تأبى الذي قالته والماءُ

(نظم ونثر لأبي علي بن شبل الشاعر)

وقفت على نظم حسن الترصيع، ونثر في الربيع، وزهر بديع، لأبي علي بن شبل الشاعر:

عرائسُ الأرض تُجلى في غلائلها وفي حلى عليها صاغه الديمُ
تستنّ في حلل الأنواء مُذْهِبة في كلّ حاشية من نسجها علمُ

---

(١) الشعر لمجنون ليلى.

(٢) الْحُجَيْلاءُ الماء الذي لا تطلع عليه الشمس.

(٣) الرقيع: السماء. ج: ومما حباه الرفيع. م، ي: ومما حواه الرفيع.

درّ من الأقحوان الغضّ زيّنه[1] حمر اليواقيت في المنثور ينتظمُ
كأنّما بالسماء الأرض شامتة تبكي السماء وثغر الأرض يبتسمُ

ركز بها الصيف أعلامه، وضرب سرادقاته وخيامه، وأظهر على الدنيا إنعامه، حين جاء بعزلِ الشتاء البريد، وسلّم إلى الصيف كتاب التقليد، فبعث جيوشه وسراياه، ولاطف[2] بتحفه وهداياه، فبضائعه إلى الأرض مشكورة، وآلاؤه على الروض منشورة، إذ لبست أرديته ومطارفه، وحلّيت وشيه وزخارفه، وألقت نصيفها المعنبر، واخترت بخمارها الأخضر، بين ثرى مصندل، وندى مكفّر، ونسيم معطّر، وفضاء مفضّض، وجوّ مخلّق، وترابيع ميادين من الآس والرياحين مستنّة الطوارق، مصفوفة النمارق، مفروز بالنوار بساطها، معلّمة بالأزهار أنماطها.

فكأنما ترنو العيون إلى مُلَح من الديباج في الزهَرِ
وكأنما تطأ[3] اللحاظ على وشي نمته أنامل القطرِ
وكأنما لبس النسيم بها نشر الخزامى وحقّة العطرِ

جلّى بها الغيث عقوده، ونشر بها مِلاءه وبروده، وكتب في رءوس الشقاق عهوده، وشيًا ووشمًا ورقما:

كأنّ عهد الربيع يهواها فقد كساها وشيًا وحلّاها
فهي كِبكرٍ تزفّ في خلع شتّى يحوز الجمال معناها

كأنّما حبتها الجنّة بزخارفها، والفراديس بطرائفها، وغذّاها السلسبيل ماء النعيم، وجرت في بروجها عين التسنيم، أو التحفت بزرائبها ونمارقها، أو اشتملت بسندسها واستبرقها، فهي تباري السماءَ في استدارة أفلاكها، والنجوم في انتظامها واشتباكها.

غير أنّ النجوم تطلع في الليـ ـل وهذي تضيء في الإصباحِ
زاهرت لها نسائم نشرٍ ناميات الجسوم في الأرواحِ
وكأنّ الأنواء إذ تيّمتها قلّدت كلّ روضةٍ بوشاحِ

حطّ بها الأقحوان لثامه، ونثر منها المنثور نظامه، فتبدّد جمانه، وتغايرت ألوانه، فأكذبا مشبهيهما بالثغور المبتسمة، واليواقيت المنتظمة، وهبّ النسيم على سننه، فنبّه السوسن من

(١) م، ي: زينته.
(٢) من هنا يوجد نقص في النسخة ي يمتد إلى "كلام لبعض إخواننا في من أفناه الشوق" بعد ٦٩ صفحة.
(٣) أ، ر، ن: نظا.

وَسَنِه، ولاح البنفسج خنيق الأوداج، لازوردي التاج، واستردّ الورد من الخدود حمرته، والسرو من القدود قامته، واستحال لون العشّاق في البهار، وانتقل صبغ الوجنات إلى الجلّنار، وذاب العقيق على الشقيق، فانقضّ منه شرر كالحريق، وسالت سرج القطارب، كأنّها زبانيات العقارب، وفتح النرجس من الذهب عيونًا، وأدار لها من اللؤلؤ الرطب جفونًا، ومدّ من الزمرّد الأخضر متونًا، كغصون زبرجد أثمرت درًّا، وأثمر درّها تبرًا، كأنّما استعار الزعفران من أحداقها ألوانًا، أو الكافور من جفونها بياضًا ولمعانًا، فهي قضب من زمرّد بحداق ذهب وسط فضّة بيضاء، واستدارت شرف النيلوفر[1] على خوط أملود ليّن العمود، كأنّما خرط من الجزع اليماني، تارة يشخص إلى السماء شخوص الباهت الحيران، وتارة يعوم في الماء عوم الظمآن، وتفتح الآذريون[2] كالعيون الناظرة، أو النجوم الزاهرة، كأنّما توجّته الشمس بأصاليها فهو:

مجوسيّ الصلاة فكلّ وجه يدور إذا ضياء الشمس دارا
دنانير لِطبع النقش فيها سوادٌ حول سكّتها استدارا
تريك قلانس الديباج ليلًا وتيجانًا مشبّكة نهارا

وخطرت القبول على الأغصان، فتمايلت كتمايل النشوان، وتناوحت أشجارها، وتجاوبت أطيارها، وهزجت بأصواتها، وترنّمت بلغاتها، فملأت الأسماع زجلًا، وأخرست العيدان خجلًا، فكأنّها قينات؛ الأوراق ستائرها، أو خطباء الأغصان منابرها، من هزارات مغرّدات، ووراشين مطربات، بأفانين معجبات، وورق من حمام صادحات، بأطواق الملوك مقلّدات، ترنّم في فروع الأيك شجوًا فتلهي عن سماع المسمعات، بإرجاء غدران، مفعّمة الجدران، غمرة الجداول جمّة المناهل، ينقضّ ماؤها انقضاض الفضّة المسبوكة. ويطّرد حبابها اطّراد الزرد المحبوكة، كفرند سيف مصلتات، أو كبطون حيّات على الرمضاء ملتويات.

وكأنّ السماء تنثر درًّا فوق أرضٍ من سندس خضراء
وعبير يثير من عبرات السحـ ـب، مسكٌ يفوح في الفيحاء
شغلتنا الأطيار حين تغنّت في ذراها عن طيب ذاك الغناء

والحمد لله الذي دلّ بظواهر صنعته، على دقائق حكمته ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ

(١) النيلوفر: ضرب من الرياحين ينبت في المياه الراكدة.
(٢) الآذريون: زهر أصفر في وسطه خمل أسود.

الْخَالِقِينَ ﴾[1].

ومن منثور الحِكَم وميسور الكِلَم

من اكتفى باليسير استغنى عن الكثير.

من صحّ دينه صحّ يقينه.

من استغنى عن الناس أمن من عوارض الإفلاس.

الدِّين أقوى عصمة، والأمن أهنى نعمة.

الصبر عند المصائب من أعظم المواهب.

عيشك ما عشت في ظلٍّ يقيك وقوتٍ يكفيك.

البخيل حارس نعمة وخازن ورثة.

من لزم الطمع عدم الورع.

الحسد شرّ عرض، والطمع أضرّ غرض.

الرضا بالكفاف خير من السعي للإسراف.

أفضل الأعمال ما أوجب الشكر، وأنفع الأموال ما أعقب الأجر.

لا تثق بالدولة فإنّها ظلّ زائل، ولا تعتمد على النعمة فإنّها ضيف راحل.

مالُك ما زجّى[2] يوميك، وتوفّر أجره وثوابه عليك.

الكريم من كفّ أذاه، والقويّ من غلب هواه.

من ركب الهوى أدرك العمى.

من غالب الحقّ لان، ومن تهاون بالدين هان.

المؤمن غرّ كريم، والمنافق خِبّ لئيم.

إذا ذهب الحياء يحلّ البلاء.

كلّ إنسان طالب أمنيّة، ومطلوب منيّة.

علم لا ينفع كدواء لا ينجع.

---

(١) [المؤمنون: ١٤]

(٢) زجّى: ساق ودفع برفق.

أحسن العلم ما كان مع العمل، وأحسن الصمت ما كان عن الخطل.

اعصِ الجاهل تسلم، وأطع العاقل تغنم.

من صبر على شهوته بالغ في المروّة.

من كثر ابتهاجه بالمواهب اشتدّ انزعاجه للمصائب.

من تمسّك بالدِّين عزّ نصره، ومن استظهر بالحقّ ظهر قهره.

من استقصر بقاءه وأجله قصّر رجاءه وأمله.

لا تَبِت على غير وصيّة، وإن كنت من جسمك في صحّة، ومن عمرك في فسحة، فإنّ الدهر خائن، وما هو كائن كائن.

لا تخلِ نفسك من فكرة تزيدك حكمة أو تفيدك عصمة.

من جعل مُلكه خادمًا لدينه انقاد له كلُّ سلطان، ومن جعل دينه خادمًا لملكه طمع فيه كلّ إنسان.

من سلك سبل الرشاد بلغ كنه المراد.

من لزم العافية سَلِم، ومن قَبِل النصيحة غنِم.(١)

ليس من عادة الكرام سرعة الانتقام، ولا من شرط الكرم إزالة النعم؛ فلا تأخذ بالسهو ولا تزهد في العفو، وارحم مَن دونك يرحمك مَن فوقك، وأحسن إلى من تملكه يحسن إليك من يملكك، وقِس سهوَه في معصيتك بعمدك في معصيته، وفقرَه إلى رحمتك بفقرك إلى رحمته.

اغتنم صنائع الإحسان، وارْعَ ذمّة الإخوان. فمن منع برًّا منع شكرًا، ومن ضيّع ذمّة اكتسب مذمّة.

بالراعي تصلح الرعيّة، وبالعدل تملك البريّة.

من عدل في سلطانه استغنى عن أعوانه.

الظلم مسلَبة للنعم، والبغي مجلَبة للنقم.

أقرب الأشياء صرعة الظلوم، وأنفذ السهام دعوة المظلوم.

من أكثر العدوان لم يأمن حلول النقم، ومن آثر الإحسان لم يعدم مواد النعم.

من ساءت سيرته لم يأمن أبدًا، ومن حسنت سيرته لم يخف أحدًا.

---

(١) انتهى السمر.

من طال عدوانه زال سلطانه.
من ظلم عقّ أولاده، ومن بغى نصر أضداده.
من ساء عزمه رجع عليه سهمه.
من ساءت سيرته سُرّت منيّته.
من كثر ظلمه واعتداؤه قرب هُلكه وفناؤه.
من ظلم نفسه ظلم غيره، ومن ظلم لغيره ظلم نفسه.
من أساء استشعر الوجل، ومن أحسن استقبل الأمل.
من أساء اجتلب البلاء، ومن أحسن اكتسب الثناء.
لأن تحسن وتُكفَر خير من أن تسيء وتُشكَر.
من أحسن فبنفسه بدا، ومن أساء فعلى نفسه اعتدى.
من طال تعدّيه كثر أعاديه.
من قبح ملكه حسن هلكه.
شرّ الناس من ينصر الظلوم، ويخذل المظلوم.
من مال إلى الحقّ مال إليه الخلق.[1]
من أسوأ الاختيار إساءة الجوار.
من سلّ سيف العدوان سُلب عزّ السلطان.
من أساء النيّة منع الأمنيّة.

وصيّةٌ من زاهد تحوي على فوائد

روينا من حديث ابن ثابت قال: أنا محمد بن أبي علي الأصبهاني قال: سمعت أبا حاتم الطبري يقول: سمعت أبا بكر الشبلي يقول في وصيّته: إن أردت أن تنظر إلى الدنيا بحذافيرها فانظر[2] إلى مزبلةٍ فهي الدنيا، وإذا أردت أن تنظر إلى نفسك فخذ كفًّا من ترابٍ فإنّك منها خلقت وفيها تعود، ومتى أردت أن تنظر ما أنت فانظر ما يخرج منك في دخولك الخلاء، فمن كان حاله كذلك فلا يجوز أن يتطاول أو يتكبّر على من هو مثله.

(١) أ: + من ركب الحق غلب الخلق.
(٢) ر، م: - فانظر.

ومن أحسن ما قيل في المرحاض وهو مما يلحق بهذا الباب

كنّا بأشبيلية في تربة أبي القاسم بن واقد[1]، ومعنا أبو بكر بن حجاج الشاعر، والنقّاش ينقش باب المرحاض من التربة، فقلت لابن حجاج: يا أبا بكر؛ لو عملت شيئًا ينقشه النقّاش على باب هذا المرحاض. فارتجَل على البديهة يقول على لسان المرحاض:

أنا سيّد الدار يا سيّدي ... على أنّ حقّي لا يُنكرُ
أُعَرِّف للناس أقدارهم ... ويأبون إلّا بأن يفخروا[2]
فمن قال عنّي مستقذر ... فلولاه[3] ما كنت أُستقذرُ

وليس على ذكري من الأبيات إلّا ما ذكرنا وجملتها ستة أبيات.

ولنا في النحول من باب النسيب

صيّرني حبّكَ معقولًا ... بحكمه وكنتُ محسوسا
لطفت حتى لا يراني[4] الهوى ... فلم يجد عنديَ تعريسا
فقلت لُمْ نفسك أنت الذي ... ألبستني الضراء والبوسا
حتى تحيّرتَ وحيَرتني ... بئس الذي فعلته بئسا
أفنيتني عنك وعنّي فلم ... تجد مقيلًا فيه تنفيسا
قد كنت ليثًا كاشرًا نابه ... وكانتَ احشائي لكم خِيسا
حار الهوى واعتلّ في نفسه ... فهل سمعتم بالهوى بؤسا[5]
فأين جالينوس يأسوه أو ... محيي الصدى بيننا[6] عيسى

ولنا في اتّحاد المحبّ بالهوى

أنا الهوى ما أنا للحبّ حامله ... والحكم للحبّ في الأشخاص ليس لنا
مثل الصفات لدى قوم أشاعرة ... فلا الهوى هو غيري لا ولا هو أنا
إنّ الهوى وأنا بالعين متّحد ... فإن أُمُتْ فَبِهِ وإن يَعِشْ فبِنا

---

(١) أ، ر: واقد. م: وابد. ن: وافت.
(٢) رسمها في النسخ: يُفخر.
(٣) أ، ر، ن: فلولاي.
(٤) النسخ عدا ج: لم.
(٥) أ، ر، م، ن: يوسا.
(٦) أ، ر، ن: نبينا. ج: بنبيّنا.

لولا الجمال الذي بالحبّ كلّفنا لم يهلك الوجد قلب الصبّ والبدنا
إنّ النظام لتدري ما أفوه به وقد أشرتُ إليها مرّة بمنى

ولنا في معاتبة القلب والبصر

تقول عيني لقلبي إنّ فكرك قد رمى الجفون بدمع الوجد والسهرِ
فقال قلبي لطرفي لا تقول كذا بل أنت عرّضتني للفكر بالنظرِ
لولا الجمال الذي ألقت نواظركم هواه في خلَدي لم نُبْلَ بالفِكَرِ
فالعتب للقلب جور من معاتِبِهِ وإنّما العتب في التحقيق للبصرِ
وها أنا حكمٌ بالعدل بينهما لِعلمنا بالذي فيه من الخبرِ

ولنا من باب منازلات الحبّ

لمّا تحكم عين الشمس في بصري تمكّن الحبّ بالسلطان في خلَدي
وأنزل الجند في نفسي منازلهم كالوجد والشوق والتبريح والكمدِ
فعندما أخذوا منّي منازلهم ناديت من لهب الأشواق من كبدي
الحبّ أرّقني والحبّ أقلقني والحبّ يقتلني ظلمًا وليس يَدِي
والحبّ حمّلني ما لست أحمله حتى بقيت له روحًا بلا جسدِ

ولنا من باب القلب والبصر

زعمتَ يا أيّها المفتون بالحَورِ أنّ الفؤاد له دعوى على البصرِ
ألا ترى القلب محصورًا بقلعته وقد أحاطتْ به من عسكر الفِكرِ
فقلت يحضر خصم القلب إنّ له عليه دعوى مِنَ اجلِ الدمع والسهرِ
فعندما حضرا في الحين قام لنا عند الشهود بأنّ الذنب للنظرِ

ولبعضهم في باب النسيب[1]:

أقول لأصحابي وقد طلبوا الصِّلَى[2] ألا فاصطلوا إن خفتم القُرَّ[3] من صدري
فإنّ لهيب[4] النار بين جوانحي إذا ذَكِرتْ ليلى أحرّ من الجمرِ
فقالوا نريد الماء نسقي ونستقي فقلت تعالوا فاستقوا الماء من نهري

(١) الشاعر هو مجنون ليلى.
(٢) الصلى: النار والحرارة.
(٣) القر: البرْد.
(٤) أ، ر، ن: لهب.

فقالوا فأين النهر؟ قلت مدامعي سيغنيكم فيض الدموع عن الحفرِ[1]
فقالوا ولِمْ هذا؟ فقلت من الهوى فقالوا لحاك الله قلت اسمعوا عذري

ولابن المعتز:

يا سائق الذود رُدَّهُنَّهْ ومن دموعي فَرَوِّهُنَّهْ
واقتدح النار من فؤادي فإنّها فيه مستكنّهْ

ولغيره:

يا قادح النار بالزناد وطالب الجمر في الرمادِ
دع عنك شكًّا وخذ يقينًا واقتدح النار من فؤادي

حكاية

حدّثنا أبو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن قال: لمّا مشى أبو عمرو بن المرّتين إلى الديار المصريّة من الأندلس، اجتمع هو والقاضي عبد الرحيم المعروف بالفاضل في مجلس السلطان، فتذاكروا الأقاليم، فأخذ القاضي يعرّض بصاحبنا أبي عمرو بن مرّتين، فذم[2] المغرب، بما رويناه من حديث عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم قال: ثنا محمد بن إسماعيل الكعبي قال: حدّثني أبي، عن حرملة بن عمران التجيبي، عن أبي قبيل، عن عبد الله بن عمرو بن العاص. قال: خُلِقت الدنيا على خمس صور:

على صورة الطير برأسه وصدره وجناحيه وذنبه. فالرأس: مكة والمدينة واليمن، والصدر: الشام ومصر. والجناح الأيمن: العراق، وخلف العراق أمّة يقال لها واق، وخلف واق أمّة يقال لها واقواق، وخلف ذلك من الأمم ما لا يعلمه إلّا الله ﷻ. والجناح الأيسر: السِّند، وخلف السند الهند، وخلف الهند أمّة يقال لها ناسك، وخلف ناسك أمّة يقال لها منسك، وخلف ذلك من الأمم ما لا يعلمه إلّا الله ﷻ. والذنَب: من ذات الجمام إلى مغرب الشمس. ثمّ قال: وشرّ ما في الطير الذنَب. فقال له أبو عمرو المغربي: ويكون الطير الطاووس؟ فأخجله بين يدي السلطان، فقال السلطان: ما كان أغناك عن هذا؟

مشورة أبي بكر الصديق رضي الله عنه الصحابة في قتال أهل الردّة

روينا من حديث الرملي قال: ثنا الحسين بن زياد الرملي، ثنا محمد بن عبد الله أبو

(١) أ، ر، ن: الجفر. وهي بمعنى البئر الواسعة.
(٢) في النسخ: قدم.

إسماعيل الأزدي البصري قال:

لمّا توفّي رسول الله ﷺ وطلب أبو بكر الزكاة كفر بها قوم وقالوا: قد كنّا ندفع أموالنا إلى محمد، فما بال ابن أبي قحافة يسألنا، واللهِ لا نعطيه منها شيئًا أبدًا. فاستشار أبو بكر أصحاب الرسول ﷺ فيهم. فأجمع القوم على التمسّك بدينهم في أنفسهم، وأن يَتركوا الناس مع ما اختاروه لأنفسهم، وتخيّلوا أنّهم[1] لا يقدرون على من ارتدّ من المسلمين. فقال أبو بكر رضي الله عنه: لو لم أجد أحدًا يؤازرني لجاهدتهم بنفسي وحدي حتى أموت أو يرجعوا إلى الإسلام، ولو منعوني عقالًا مما كانوا يعطونه رسولَ الله ﷺ لجاهدتهم حتى ألحق بالله، فلم يزل أبو بكر يجاهد بأصحاب رسول الله ﷺ بالمُقبِل من المسلمين مدبِرَهم حتى عادوا جميعًا إلى الإسلام، ودخلوا فيما كانوا خرجوا منه.

شيب رسول الله ﷺ

روينا من حديث ابن حيّان قال: ثنا محمد بن يحيى المروزي، ثنا عاصم بن علي، ثنا محمد بن راشد، عن مكحول، عن موسى بن أنس، عن أبيه قال: لم يبلغ رسول الله ﷺ من الشيب ما يخضِبه ولكن أبو بكر كان يخضِب لحيته ورأسه بالحنّاء والكتَم حتى يفتؤ شعره. وبه قال: ثنا ابن الطهراني، ثنا محمد بن عمر بن الوليد الكندي، ثنا يحيى بن آدم، عن شريك، عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر قال:

كان شيب رسول الله ﷺ نحوا من عشرين شعرة، وبه قال: ثنا محمد بن العباس بن أيوب، ثنا محمد بن إسماعيل الواسطي، عن الأوزاعي، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «اختضِبوا، فإنّ اليهود والنصارى لا تختضب، فخالِفوهم» وبه قال: ثنا ابن رسته، ثنا إبراهيم بن المنذر الحِزامي، ثنا أبو عمّار هاشم بن غطفان يعني ابن عمارة بن مهران، ثنا عبد الله بن هدّاج من بني عدي بن حنيفة، عن أبيه، وكان أبوه قد أدرك الجاهلية، قال: «جاء رجل إلى النبيّ ﷺ قد صفّر، فقال: خضاب الإسلام. وجاءه رجل قد حمّر، فقال: خضاب الإيمان».

ما جاء في زهده عليه السلام

روينا من حديث ابن حيّان، ثنا أحمد بن جعفر الحمّال، ثنا عبد الواحد بن محمد البجلي،

---

(١) النسخ عدا أ: إنه. ج: إنه لا يقدر.

ثنا يزيد بن هارون، ثنا الجرّاح بن منهال، عن الزهري، عن عطاء، عن ابن عمر قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى دخل بعض حيطان الأنصار، فجعل يلتقط من التمر، فقال: يا ابن عمر؛ ما لك لا تأكل؟ قلت: لا أشتهيه يا رسول الله. قال: لكنّي أشتهيه، وهذه صبح رابعة لم أذق طعامًا، ولو شئتُ لدعوتُ ربّي ﷻ فأعطاني مثل مُلك كسرى وقيصر، فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يخبّئون رزق سنتهم، ويضعف اليقين. فواللهِ ما برحنا حتى نزلت: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[1]. فقال رسول الله ﷺ: إنّ الله ﷻ لا يأمرني بكنز الدينار، ولا باتّباع الشهوات، فمن كنز دينارًا يريد بها حياة باقية فإنّ الحياة بيد الله ﷻ. ألا وإنّي لا أكنز دينارًا ولا درهمًا ولا أخبّئ رزقًا لغد[2]».

الزهري هو عبد الرحمن[3] بن عطاف.

قالت عائشة: «ما ترك رسول الله ﷺ دينارًا ولا درهمًا ولا عبدًا ولا أمَةً ولا شاة ولا بعيرًا». وفي رواية: ولا بقرة، ولا أوصى.

روينا ذلك من حديث ابن حيّان، عن إسحق بن أحمد الفارسي، عن أحمد بن الصبّاح، عن إسحق الأزرق، عن سفيان، عن عاصم بن أبي النجود، عن ذرّ، عن عائشة.

إسلام خزيم بن فاتك

روينا من حديث ابن إسحق، وحديث أبي عبد الله بن الحاكم، أمّا الحاكم فقال: ثنا أبو القاسم الحسن بن محمد السكوني، ثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، ثنا محمد بن شييم الحضرمي، ثنا محمد بن خليفة الأسدي، ثنا الحسين بن محمد بن علي، عن أبيه قال: قال عمر بن الخطاب ذات يوم لابن عباس: حدِّثني بحديث يعجبني. فقال: حدَّثني خزيم بن فاتك. وقال ابن إسحق: حدّثني سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: قال خزيم بن فاتك لعمر بن الخطاب: يا أمير المؤمنين؛ ألا أخبرك كيف كان بدء إسلامي؟ قال: بلى. قال: بينما أنا في طلب إبل لي، قال ابن عباس: قال: إذ وجدُتها فعقلتها، وتوسّدت ذراع بعير منها. قال ابن إسحق: وناديت بأعلى صوتي: أعوذ بعزيز هذا الوادي من سفهاء قومه. قال الحاكم: وكذلك كانوا يصنعون في الجاهليّة؟ قال: إذا هاتف يهتف بي ويقول:

---

(١) [العنكبوت: ٦٠]

(٢) في النسخ: لغدا.

(٣) في النسخ: عبد الرحيم.

ويحك عذ بالله ذي الجلالِ
والمجدِ والإنعامِ والإفضالِ
منزّلِ الحرامِ والحلالِ
ووحّد الله ولا تبالي
ما هو ذي الجنّ من الأهوالِ
إذ تذكر الله على الأميالِ
وفي سهول الأرض والجبالِ
وصار كيد الجنّ في سفالِ
إلّا التقى وصالح الأعمالِ

قال ابن إسحق: فذعرتُ ذعرًا شديدًا. فلمّا رجعتُ إلى نفسي، قلت:

يا أيّها الهاتف ما تقولُ
أرُشْدُ عندك أم تضليلُ
بيّن لنا هديتَ ما الحويلُ

قال الحاكم: قال فقال:

هذا رسول الله ذو الخيراتِ
بيثرب يدعو إلى النجاةِ
جاء بياسينٍ وحاميماتِ
في سورٍ بعد مفصّلاتِ
محرّماتٍ ومحلّلاتِ
يأمر بالصوم وبالصلاةِ
ويزجر الناس عن الهنّاتِ

قال الحاكم، قال فقلت: من أنت يرحمك الله؟ فقال: ملك بن ملك، بعثني رسول الله ﷺ على أرض أهل نجد. قال، فقلت: لو كان مَن يكفيني إبلي هذه لأتيته حتى أؤمن به. فقال: أنا أكفيكها حتى أؤدّيها إلى أهلك سالمة إن شاء الله.

قال: فركبت بعيرًا. قال ابن إسحق: قال: فاتّبعني وهو يقول:

صاحبك الله وسلّم نفسكْ وبلّغ الأهل وردّ رحلَكْ
آمن به أفلح ربّي حقّكْ وانصره عزّ الإله نصركْ

قال الحاكم: ثمّ أتيت المدينة، فوافقت الناس يوم الجمعة، وهم في الصلاة. فقلت: يقضون صلاتهم ثمّ أدخل. فإنّي كذلك، إذ خرج إليّ أبو ذر فقال: يقول لك رسول الله ﷺ: ادخل، فدخلت، فلمّا رآني قال: ما فعل الشيخ الذي ضمن لك أن يؤدّي إبلك إلى أهلك سالمة؟

أما إنّه قد أدّاها إلى أهلك سالمة؟ قلت: رحمه الله. فقال النبيّ ﷺ: أجل رحمه الله. فقال خزيم: أشهد أن لا إله إلّا الله وحسن إسلامه.

خبر إلهي

حدّثنا صاحبنا المسعود عبد الله بدر بن عبد الله الحبشي الأستاذ، ثنا يونس بن يحيى، ثنا أبو الوقت عبد الأوّل بن عيسى السجْزي، ثنا عبد الأعلى بن عبد الواحد المليحي، ثنا إسماعيل بن إبراهيم الهروي، عن محمد بن عبد الله، عن أحمد بن نجدة، عن يحيى بن عبد الحميد، عن ابن المبارك، عن يحيى بن أيوب، عن عبيد الله بن زحر، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة، عن النبيّ ﷺ قال:

قال الله ﷻ: «أغبط أوليائي عندي لمؤمن خفيف الحاذ، ذو حظّ من صلاة أحسن عبادة ربّه، وأطاعه في السرّ والعلانية، وكان غامضًا[1] في الناس لا يشار إليه بالأصابع، وكان رزقه كفافًا، فصبَر على ذلك. ثمّ نقر بيده ثمّ قال: عجلتْ منيّته، وقلّت بواكيه، وقلّ تراثه».

وصيّة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

روينا من حديث ابن عيينة قال: حدّثنا عمرو بن دينار، ثنا ابن عمر قال: كان رأس عمر في حجري لمّا طُعن، فقال: ضع رأسي بالأرض. قال: فظننتُ أنّ ذلك تبرّمًا، فلم أفعل، فقال: ضع خدّي بالأرض، لا أمّ لك، ويلي، وويل أمي، إن لم يغفر الله لي.

وروينا من حديث محمد بن جعفر قال: ثنا أحمد بن بديل الإيامي، ثنا أبو معاوية الضرير، ثنا داود بن أبي هند، عن الشعبي قال: لمّا طُعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاء ابن عباس فقال:

يا أمير المؤمنين؛ أسلمتَ حين كفر الناس، وجاهدتَ مع رسول الله ﷺ حين خذله الناس، وقُتِلتَ شهيدًا ولم يختلف عليك اثنان، وتوفّي رسول الله ﷺ وهو عنك راض، فقال له: أعد عليّ، فأعاد عليه. فقال: المغرور مَن غررتموه، المغرور من غررتموه. واللهِ لو أنّ لي ما طلعت عليه الشمس أو غربت لافتديت به من هول المطلع.

---

(١) أ، ر، ن: غامصا.

في الخوف من الله تعالى

روينا من حديث ابن ثابت قال: ثنا الحسن بن أبي بكر البزّاز، عن عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي، عن يعقوب بن سفيان، عن أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت أبا سليمان عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي[1] يقول:

مفتاح الدنيا الشبع، ومفتاح الآخرة الجوع. وأصلُ كلّ خير في الدنيا والآخرة الخوف من الله ﷻ. وإنّ الله تعالى يعطي الدنيا من يحبّ ومن لا يحبّ، وإنّ الجوع عنده في خزائن مدخورة فلا يعطي إلّا لمن يحبّ خاصة، ولأن أدع من عشائي لقمة أحبّ إليّ من أن آكلها، وأقوم من أوّل الليل إلى آخره.

ولنا:

إلهي لا تؤاخذني على ما كان من زللي
ولا تنظر إلى فعلي فإنّي سيّء العملِ
وما لي غير حسن الظنّ يا ثقتي ويا أملي[2]

عجائب بيت المقدس التي صنعها الضحاك بن قيس الأزدي وقيل الغسّاني

حدّثنا غير واحد عن القاسم بن علي، عن أبي القاسم السوسي، عن إبراهيم بن يونس، عن عبد العزيز النصيبي، عن محمد بن أحمد الخطيب، عن عمر بن الفضل فيما حدّث، عن أبيه، عن ابن حمّاد الرملي، عن محمد بن العباس، عن عمران بن موسى، عن السام بن داود، عن أحمد بن نباتة، عن سلمة الأبرش، عن ابن إسحق، عن أبي مالك القرظي، عن إبراهيم وقيل: هو موقوف على السام بن داود، قال:

لمّا توجه ذو القرنين إلى بيت المقدس، وقد خضعت له الملوك، رأى تلك العجائب التي وضعها الضحّاك بن قيس في الزمان بحركات هندسيّة، وطلسمات موضوعة.

فمن ذلك نار عظيمة اللهب، فمن لم يطع الله في ليلته، ثمّ نظر إليها أحرقته، فإن كان قد أطاع الله ونظر[3] إليها لم[4] تضرّه.

---

(١) ج، م: العبسي.
(٢) انتهى السمر.
(٣) ج، ر، ن: نظر. م: فنظر.
(٤) في النسخ: فلم.

ومن العجائب أنّه: من رمى بيت المقدس بسهم رجع إليه سهمه.

ومنها أنّه: وضع كلبًا من خشب على باب البيت المقدس، فمن كان عنده شيء من السحر، إذا مرّ بذلك الكلب نبح عليه، فإذا نبح عليه نسي ما عنده من السحر.

ومنها أنّه: وضع بابًا فإذا دخل الظالم من اليهود والنصارى على ذلك الباب ضغطه ذلك الباب حتى يعرف بظلمه.

ومنها أنّه وضع عصًا في محراب المسجد، فما يقدر أحد يمسّ تلك العصا، إلّا من كان من ولد الأنبياء، فإن مسّها من ليس من أولاد الأنبياء احترقت يده.

ومنها أنّهم كانوا يحبسون أولاد الملوك عندهم في محراب بيت المقدس، فمن كان من أهل المملكة إذا أصبح أصابوا يده مطليّة بالدهن.

وجعل سليمان بن داود عليهما السلام سلسلة معلّقة من السماء إلى الأرض يقضي بها بين الخصمين، فالصادق تتدلّى إليه حتى يمسكها، والكاذب لا ينالها حتى وقع المكر بين الناس. فكان سبب رفعها أنّ رجلًا استودع رجلًا مالًا، ثمّ غاب عنه حينًا، ثمّ جاء يطلب وديعته، فأنكره ذلك، فأتى إلى سليمان، فقصّ عليه القصّة فحكم عليه سليمان ﷺ بالحكم، وبعث معه الأمناء إلى الموضع، وأخذ الرجل الذي أودع المال قناة، فشقّها، وصبّ المال فيها وأطبقها، ثمّ أخذها يتوكّأ عليها شبيهًا بالعليل حتى أتى إلى الموضع، فلما صار إلى الموضع قال للرجل: امسك عصاي هذه حتى أمدّ يدي وأنال السلسلة، فأخذ الرجل صاحب المال منه العصا، وقال: اللهمّ إنّك تعلم أنّ هذا الرجل أودعني مالًا، وإنّي قد رددت ماله إليه، والمال في يد الرجل ولا يعلم، اللهمّ إن كنتُ صادقًا في مقالتي فأنلني السلسلة بقدرتك، فنال السلسلة. ثمّ قال: ردّ عليّ عصاي، فردّ عليه عصاه، وارتفعت السلسلة من ذلك اليوم.

ونزل الوحي على سليمان[1]، فأخبره بالمكر، وكان موضعها القبّة التي على يسار الصخرة، بناها عبد الملك بن مروان، (و)في ذلك الموضع لقي النبيّ ﷺ الحور العين ليلة الإسراء. وجعل سليمان بن داود أيضًا تحت الأرض مجلسًا وبركة، وجعل فيها ماء، وكان على وجه ذلك[2] الماء بساط، فمن كان على الباطل إذا وقع في ذلك الماء غرق، ومن كان على الحقّ لم يغرق. فلمّا رأى ذو القرنين هذه العجائب أوحى الله إليه: إنّك ميت، وإنّ أجلَك قد

(١) جميع النسخ: داود.

(٢) ر، ن: ذاك.

حضر. وكان ذو القرنين قد أوسع أهل الأرض عدلًا، وكان آخر ملوك الأرض من أهل الخير. وقد كان كبر ودقّ عظمه، ونحل جسمه، وطعن في السنّ. فمات رحمه الله ببيت المقدس.

وزعم أهل العلم أنّه بدومة الجندل، رجع إليها من بيت المقدس، وقبره بها اليوم، قيل عاش خمسمائة عام.

ومن باب التقوى في الهوى

فلمّا التقينا قالت الحكم بيننا ... سوى خصلة هيهات منك مرامها
فقلت معاذ الله أطلب خصلة ... تموت وتبقى بعد ذاك أثامها

ولعمر بن أبي ربيعة في هذا الباب:

لعمر أبيها ما صبوتُ ولا صبتْ ... إليّ وإنّي عن صبًا لحليمُ
سوى قبلةٍ أستغفر الله ذَنْبَها ... سأطعم مسكينًا بها وأصومُ

وللفرزدق في هذا الباب:

شُمُسٌ إذا بلغ الحديث حياءه[1] ... أمسكن عنه غرائرٌ[2] أقمارُ
وحديثهنّ كأنّما مرفوعه[3] ... من دينهنّ إذا جهرن سرارُ

وله أيضًا ويعزى[4] لغيره:

ويوم كإبهام الحُبارى قطعته ... بنَعمة والواشون فيه تحرّفُ
بلا محرم إلّا كلام مودّة ... علينا رقيبان التقى والتطرّفُ
إذا ما هممنا صُدّت النفس دونها ... كما صُدّ من بعد التهمّم يوسفُ

ومن نظمنا في هذا الباب ارتجالًا:

علينا من التقوى رقيبٌ مسلّط ... إذا ما خلونا والهوى زائد[5] البلوى
ولكن وقانا الله شرّ بلائه ... بما جعل الرحمن فينا من التقوى
ولو لم يكن تقوى لكان اشتغالنا ... إذا ما خلونا بالعتاب وبالشكوى
ويأبى الهوى القتّال إلّا صبابة[6] ... عن اللثم لمّا كان سلطانه الأقوى

---

(١) أ، ر، م، ن: خيانة. ج: حياته. والترجيح من ديوان الفرزدق في الموسوعة الشعرية.
(٢) أ، ر، ن: عرائر. ج: غرائر.
(٣) ج، ن: كأنها مرفوعة. أ، ر، م: كأنما مرفوعة. والترجيح من ديوانه في الموسوعة الشعرية.
(٤) النسخ عدا ج: وتعزى.
(٥) أ، ج، ر: رائد.
(٦) النسخ عدا ج: صيانة.

فحسبي أن أفنى إذا ما لقيته وحسبي ما يلقى عن السمع في النجوى
حديث كزهر الروض عطّره الندى وفي الطعم طعم المنّ فيه مع السلوى

مثل نبوي

من حديث الخليل بن أحمد قال: حدّثنا أبو العباس محمد بن إسحق السراج، أنا ابن منيع، ثنا عبد الأعلى بن حمّاد النرسي، ثنا حمّاد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أوس بن مجالد، عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: «مثَلُ الذي يجلس يستمع الحكمة ثمّ لا يحدّث إلّا بسوء ما يسمع، كمثل رجل أتى راعيًا فقال: يا راعي؛ أجزر لي شاةً من غنمك، فقال له: اذهب فخذ بأذن خيرها شاة، فأخذ بأذن كلب الغنم».

لعمرك ما للمرء كالربّ حافظ ولا مثل عقل المرء للمرء واعظُ
لسانك لا يلقيك في الغيّ لفظه فإنّك مأخوذ بما أنت لافظُ

وروينا من حديث عبد العزيز بن عمر قال: حدّثنا أبو محمد، محمد بن محمد القطواني، ثنا عبد الجبّار بن الحسن الخشني، ثنا محمد بن علي، ثنا محمد بن سليمان الحضرمي، ثنا محمد بن العلاء، ثنا معاوية بن سنان، عن منصور بن سعيد الحمصي، عن يونس بن حيّان العسكري، عن أبي هريرة، قال؛ قال رسول الله ﷺ: «يأتي على أمّتي زمان تكثر فيه الآراء، وتتّبع فيه الأهواء، ويتّخذ القرآن مزامير، ويوضع على ألحان الأغاني، يقرأ بغير خشية، لا يأجرهم الله على قراءته، بل يلعنهم، عند ذلك تهشّ النفوس إلى طيّب الألحان، فتذهب حلاوة القرآن؛ أولئك لا نصيب لهم في الآخرة. ويكثر الهرج والمرج، وتخلع العرب أعنّتها، ويكتفي الرجال بالرجال والنساء بالنساء، ويتّخذون ضرب القضيب فيما بينهم فلا ينكِره منكِر، ويتراضون به، وهو من إحدى الكبائر الخفيّة. فويل لهم من ديّان يوم الدِّين، لا تنالهم شفاعتي. فمن رضي بذلك منهم، ولم ينههم ندم بذلك يوم القيامة، وأنا منه بريء. وعندها يتّخذ النساء مجالس، ويكون لهم الجموع الكثيرة حتى أنّ المرأة لتتكلّم فيها مثل الرجال، ويكون جموعهنّ لهوًا ولعبًا، وفي غير مرضاة الله، وهي من عجائب ذلك الزمان. فإذا رأيتموهم فباينوهم، واحذروهم في الله، فإنّهم حرب لله ولرسوله، والله ورسوله منهم بريء».

ومن شذور الحِكم

أفضل المعروف مغوثة الملهوف.

من تمام الكرم أن تذكر الخدمة لك، وتنسى النعمة منك، وتفطن للرغبة إليك، وتتعامى عن الجناية عليك.

من تمام المروءة أن تنسى الحقّ لك، وتذكر الحقّ عليك، وتستكثر الإساءة منك، وتستصغر الإساءة إليك.

من أحسن المكارم عفو المقتدر وجود المغتفر.

أحسنُ الآداب ما كفّك عن المحارم، وأحسنُ الأخلاق ما حثّك على المكارم.

الكريم يكرم عن السؤال، ويحلم عن الجهّال.

ومن وصايا الله تعالى لنبيّه داود عليه السلام

ما رويناه من حديث ابن ثابت، قال: أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن أحمد بن الصلت الأهوازي، ثنا أبو عبد الله محمد بن مخلد العطار، ثنا موسى بن هارون، ثنا أبو محمد يعني نُعيم بن هيصم[1] قال: سمعت بِشْرًا هو ابن الحارث المشهور بالحافي يقول:

أوحى الله تعالى إلى نبيّه داود عليه السلام: يا داود؛ لا تجعل بيني وبينك عالِمًا مفتونًا فيصدّك بمكره عن طريق محبّتي، أولئك قطّاع طريق عبادي.

حكمة بالغة وحجّة دامغة

روينا من حديث ابن ثابت قال: ثنا عبد الرحمن بن محمد بن فضالة، ثنا أحمد بن محمد بن إسماعيل، ثنا أبو مطيع مكحول بن الفضل النسفي قال؛ قال يحيى بن معاذ الرازي: مصيبتان للعبد لم يسمع الأوّلون والآخرون بمثلها في ماله عند موته. قال له: ما هي؟ قال: يؤخذ منه كلّه، ويُسأل عنه كلّه.

وصيّة أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه

روينا من حديث أبي بكر أحمد بن محمد المروزي[2]،ثنا محمد بن عيّاش السامري، ثنا مؤمّل بن إسماعيل، ثنا عبيد الله بن أبي حميد، عن أبي المليح أنّ أبا بكر رضوان الله عليه لمّا حضرته الوفاة أرسل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال:

---

(١) في النسخ: ثنا محمد يعني ابن نُعيم بن هيصم.

(٢) أ، ر، ن: المازوري. ج: الماوردي. م: المازوي.

إنّي أوصيك بوصيّة إن أنت قبلتها عنّي: إنّ لله ﷻ حقًّا بالليل لا يقبله بالنهار، وإنّ لله حقًّا بالنهار لا يقبله بالليل، وإنّه ﷻ لا يقبل النافلة حتى تؤدّى الفريضة. واعلم أنّ الله ﷻ ذكر أهل الجنّة بأحسن أعمالهم. فيقول القائل: أين يقع عملي في عمل هؤلاء؟ وذلك أنّ الله ﷻ تجاوز عن سيّء أعمالهم ولم يثربه. واعلم أنّ الله ﷻ ذكر أهل النار بأسوأ أعمالهم. ويقول قائل: أنا خير من هؤلاء عملًا وذلك أنّ الله ﷻ ردّ عليهم أحسن أعمالهم، فلم يقبله.

ألم تر أنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه في الآخرة في اتّباعهم الحقّ في الدنيا وثقل ذلك عليهم، وحقّ لميزان أن لا يوضع فيه إلّا حقّ أن يثقل. ألم تر أنما خفّت موازين من خفّت موازينه في الآخرة في اتّباعهم الباطل في الدنيا، وخفّ ذلك عليهم؟ وحقّ لميزان أن لا يوضع فيه إلّا باطلًا أن يخفّ.

ألم تر أنّ الله ﷻ أنزل آية الرجاء[1] عند آية الشدّة، وآية الشدّة عند آية الرجاء[2]، لكي يكون العبد راغبًا راهبًا، لا يلقي بيديه إلى التهلكة، لا يتمنّى على الله غير الحقّ. فإن أنت حفظت وصيّتي، فلا يكوننّ غائبٌ أحبّ إليك من الموت، ولا بدّ لك منه. وإن أنت ضيّعت وصيّتي هذه فلا يكوننّ غائبٌ أبغض إليك من الموت، ولن تعجزه.

وروينا من حديث محمد بن يوسف بن بشر، ثنا الفضل بن العباس بن أبي العباس الزيّات، ثنا زكريا بن يحيى بن صبيح، ثنا أبو بكر محمد الواسطي، ثنا الهيثم بن محفوظ أبو سعد النهدي، ثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت:

كتب أبي ﵁ وصيّة:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أوصى به أبو بكر بن أبي قحافة، عند خروجه من الدنيا، حين يؤمن الكافر، وينتهي الفاجر، ويصدق الكاذب، إنّي استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ﵁ فإن يعدل فذلك ظنّي به ورجائي فيه، وإن يجر ويبدّل فلا أعلم الغيب، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾[3].

قال أبو سليمان: والذي كتب وصيّة أبي بكر عثمان بن عفان رضوان الله عليهما.

---

(١) أ، ر، ن: الرخاء.

(٢) أ، ر، م، ن: الرخاء.

(٣) [الشعراء: ٢٢٧]

غزوة عبد الله بن جحش الأسدي

قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾[1].

روينا من حديث الواحدي، قال: أنا أبو إسحق أحمد بن محمد بن إبراهيم، أنا محمد بن عبد الله بن محمد بن زكريا، أنا محمد بن عبد الرحمن، أنا أبو بكر بن أبي خيثمة، أنا إبراهيم بن المنذر، أنا محمد بن فليح، عن موسى بن عقبة، عن ابن شهاب، قال: هذا كتاب مغازي رسول الله ﷺ التي قاتل فيها:

يوم بدر في رمضان سنة اثنتين.

ثمّ قاتل يوم أحد في شوال من سنة ثلاث.

ثمّ قاتل يوم الخندق وهو يوم الأحزاب وبني قريظة في شوال سنة أربع.

ثمّ قاتل بني المصطلق وبني لحيان في شعبان سنة خمس.

ثمّ قاتل يوم خيبر في سنة ست.

ثمّ قاتل يوم الفتح في رمضان سنة ثمان.

وقاتل يوم حنين، وحصر أهل الطائف في شوال سنة ثمان.

قال الواحدي: أوّل قتال كان بين المسلمين والمشركين كان في غزوة عبد الله بن جحش التي نزل فيها قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ..﴾[2] الآية. وذلك أنّ رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن جحش، وهو ابن عمّته، في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين على رأس سبعة عشر شهرًا من مقدمِه المدينة. وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين: سعد بن أبي وقاص، وعكاشة بن محصن، وعتبة[3] بن غزوان، وأبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وسهيل بن بيضاء، وعامر بن ربيعة، وواقد بن عبد الله، وخالد بن بكير.

وكتب لأميرهم عبد الله بن جحش كتابًا، وقال: سِرْ على اسم الله، ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين، فإذا نزلت فافتح الكتاب، واقرأه على أصحابك، ثمّ امضِ لما أمرتك، ولا تستكرهنّ أحدًا من أصحابك على السير معك.

فسار عبد الله يومين، ثمّ نزل، وفتح الكتاب، فإذا فيه:

---

(١) [البقرة: ٢١٧]

(٢) [البقرة: ٢١٧]

(٣) في النسخ: وعيينة.

بسم الله الرحمن الرحيم

أمّا بعد؛ فسِر على بركة الله بمن تبعك من أصحابك حتى تنزل بطن نخلة، فترصّد بها عير قريش، لعلّك أن تأتينا منه بخبر[١].

فلمّا نظر عبد الله في الكتاب قال: سمعًا وطاعة. ثمّ قال لأصحابه ذلك، وقال: إنّه قد نهاني أن أستكره أحدًا منكم، فمن كان يريد الشهادة فلينطلق، ومن كره ذلك فليرجع، فإنّي ماضٍ لأمر رسول الله ﷺ.

ثمّ مضى ومعه أصحابه لم يتخلّف عنه أحد منهم، حتى إذا كان بمعدن فوق الفُرع يقول له نجران أضلّ سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرًا لهما كانا يعتقبانه. واستأذنا أن يتخلّفا في طلب بعيرهما، فأذن لهما، فتخلّفا في طلبه، ومضى عبد الله ببقيّة أصحابه حتى نزلوا بطن نخلة، بين[٢] مكة والطائف. فبينا هم كذلك إذ مرّت بهم عيرٌ لقريش تحمل زبيبًا وأدمًا وتجارة من تجارة[٣] الطائف، فيهم عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ونوفل بن عبد الله المخزومي. فلمّا رأوا أصحاب رسول الله ﷺ هابوهم.

فقال عبد الله بن جحش: إنّ القوم قد ذعروا منكم، فاحلقوا رأس رجل منكم فليعرض لهم، فإذا رأوه محلوقًا أمِنوا. وقالوا: قوم عمّار لا بأس عليكم. فحلقوا رأس عكاشة، ثمّ أشرف عليهم، فقالوا: قومٌ عمّار لا بأس عليكم، فأمنوهم، وكان ذلك في آخر يوم من جمادى الآخرة، وكانوا يرون أنّه من جمادى وهو رجب.

فتشاور القوم فيهم وقالوا: لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلنّ الحرم، وليمتنعُنّ منكم. فأجمعوا أمرهم في مواقعة القوم. فرمى واقد بن عبد الله السهمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله، فكان أوّل قتيل من المشركين. واستأسر الحكم وعثمان، فكانا أوّل أسيرين في الإسلام. وأفلت نوفل فأعجزهم.

واستاق المؤمنون العير والأسيرين حتى قدموا على رسول الله ﷺ، فقالت قريش: قد استحلّ محمد الشهر الحرام، شهر يأمن فيه الخائف، وينذعر فيه الناس لمعاشهم، فسفك فيه الدماء وأخذ فيه الحرائب[٤]. وعيّر بذلك أهلُ مكة من كان بها من المسلمين، وقالوا: يا معشر

---

(١) ج، ن: بخير.

(٢) ج، ر، م: بيمن.

(٣) ج، ر، م: - من تجارة.

(٤) الحرائب (جمع حريبة): وهي المال.

الصباة؛ استحللتم الشهر الحرام وقاتلتم فيه. وتفاءلت اليهود بذلك، وقالوا: واقد: وقدت الحرب، وعمرو: عمرت الحرب، والحضرمي: حضرت الحرب.

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال لابن جحش وأصحابه: ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام. ووقف العير والأسيرين، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئًا. فعظم ذلك على أصحاب السريّة، وظنّوا أن قد هلِكوا، وسقط في أيديهم. فقالوا: يا رسول الله؛ إنّا قتلنا ابن الحضرمي، ثمّ أمسينا فرأينا الهلال، فإذا هو هلال رجب، فلا أدري أفي رجب أصبناه أم في جمادى، وأكثرَ الناس في ذلك. فأنزل الله هذه الآية: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾[1] الآية، فأخذ رسول الله ﷺ العير، فعزل منها الخمس، فكان أوّل خمس في الإسلام، وقسّم الباقي بين أصحاب السريّة، فكان أوّل غنيمة في الإسلام. وبعث أهل مكة في فداء أسيرهم، فقال رسول الله ﷺ: بل ثقفهم حتى يقدم سعد وعتبة، فإن لم يقدما قتلناهما بهما، فلمّا قدما فاداهما.

فأمّا الحكم بن كيسان فأسلم، وأقام مع رسول الله ﷺ بالمدينة، فقتل يوم بئر معونة شهيدًا.

وأمّا عثمان بن عبد الله فرجع إلى مكة فمات بها كافرًا.

وأمّا نوفل فضرب فرسه يوم الأحزاب ليدخل الخندق فتحطّم فيه فمات. وطلب المشركون جيفته بالثمن. فقال رسول الله ﷺ: خذوه، فإنّه خبيث الجيفة خبيث الديّة.[2]

(حِكَم)

من حفر لأخيه كان حتفه فيه.

من حفر لأخيه بئرًا أوقعه الله في بئره، ومن أساء عليه تدبيرًا جُعل هلاكه في تدبيره.

من أبدى سرّ أخيه أبدى الله أسرار مساويه.

من جار حكمه أهلكه ظلمه.

من جارت قضيته دانت منيّته.

من ساء اختياره قبحت آثاره.

---

(١) [البقرة: ٢١٧]

(٢) انتهى السمر.

من قلّ اعتباره قلّ استظهاره.

من بغى على أخيه قتله بغيُه، ومن جرى في مساويه كبا به جريُه.

من خادع الله خُدع، ومن صارع الحقّ صُرع.

من ساء عقده سُرّ فقده.

من أمكن من مظلوم زال إمكانه، ومن أحسن إلى ظلوم بطل إحسانه.

من جار في سلطانه صغّره، ومن منّ بإحسانه كدّره.

من تعدّى على ذويه تناهى في ظلمه وتعدّيه.

من بخل على أهله لم يتّصل به تأميل، ومن أساء إلى نفسه لم يتوقّع منه جميل.

من أحسن الملكة أمِن الهلكة.

من أشفق على سلطانه أقصر على عدوانه.

من ظلم يتيمًا ظُلم أولاده، ومن أفسد أمره أفسد معاده.

من أحبّ نفسه اجتنب الآثام، ومن رحم ولده رحم الأيتام.

أفضل الملوك من أحسن في فعله ونيّته، وعدل في جنده ورعيّته.

أعظم الملوك من مَلِك نفسه وبسط عدله.

ومن سلّ سيف البغي أغمده في رأسه، ومن استنّ أساس الشر استنّه على نفسه.

أقبحُ الأشياء سخف الولاة، وظلم القضاة، وغفلة الساسة، وحسد السادة.

ومن جانَبَ الأخيار أساء الاختيار.

من ركب البغي لم يأمن مغبّته، ومن نكب عن الحقّ لم تحمد عاقبته.

النميمة دناءة، والسعاية رداءة، وهما أُسّ الغدر وأساس الشرّ؛ فجنّب سبلها، وتجنّب أهلها.

من لم يرحم العبرة منع الرحمة، ومن لم يقيل[1] العثرة سلب القدرة.

بناء عبد الملك بن مروان قبّة الصخرة

روينا من حديث ابن الواسطي قال: ثنا عمر بن الفضل بن المهاجر، عن أبيه، عن الوليد

(١) أ، ر، ن: يقبل.

بن حمّاد الرملي، ثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن منصور بن ثابت بن استنباذ[1]، ثنا محمد[2] بن منصور، عن جدّه ثابت، عن رجاء بن حيوة ويزيد بن سلام مولى عبد الملك بن مروان من أهل بيت المقدس: أنّ عبد الملك بن مروان حين همّ ببناء صخرة بيت المقدس والمسجد، قدم من دمشق إلى بيت المقدس، وبثّ الكتب في جميع عمله كلّه إلى جميع الأمصار: أنّ عبد الملك أراد أن يبني قبّة على الصخرة، صخرة بيت المقدس، تُكِنُّ المسلمين من الحرّ والبرد، والمسجد. فكرِهَ أن يفعل ذلك دون رأي رعيّته، فلتكتب الرعيّة إليه برأيهم، وما همّ عليه.

فوردت الكتب عليه: يرى أمير المؤمنين رأيه موفّقا رشيدا، نسأل الله تعالى أن يتمّ له ما نوى من بناء بيته وصخرته ومسجده، ويجري ذلك على يديه، ويجعله مكرمة، ولمن مضى من سلفه.

فجمع الصنّاع من جميع عمله كلّه، وأمرهم أن يصفوا له صفة القبّة وسَمْتها من قبل أن يبنيها. فعُمِلتْ له في صحن المسجد، وأمر أن يبنى بيتًا للمال في شرقي الصخرة، وهو الذي فوق حرف الصخرة، فأشحن بالأموال، ووكّل على ذلك رجاء بن حيوة ويزيد بن سلام على النفقة عليها[3]، وأمرهم أن يفرغوا المال عليها إفراغًا دون أن ينفقوه إنفاقًا. فأخذوا في البناء والعمارة حتى أحكم وفرغ من البناء، ولم يبق لمتكلّم فيها كلام، وكتب إليه بدمشق:

قد أتمّ الله ما أمر به أمير المؤمنين من بناء صخرته والمسجد الأقصى، ولم يبق لمتكلّم فيه كلام، وقد تبقّى مما أمر به أمير المؤمنين من النفقة عليها بعد أن فرغ من البناء وأحكم مائة ألف دينار، فيصرفها أمير المؤمنين في أحبّ الأشياء إليه.

فكتب إليهما: قد أمر بها أمير المؤمنين لكما جائزة لما وليتما من عمارة ذلك البيت الشريف المبارك.

فكتبا: نحن أولى أن نزيده من حليّ نسائنا، فضلًا عن أموالنا، فاصرفها في أحبّ الأشياء إليك.

فكتب إليهما: تُسبك، وتفرّغ على القبّة، فما كان أحد يقدر أن يتأمّلها، مما عليها من الذهب. وهيّأ لها جلالين: جلال من لبود، وجلال من أديم من فوقه. فإذا كان الشتاء أُلبسته

(١) أ، ن: استنبياذ. ج: استبناذ.
(٢) في النسخ: أبو محمد.
(٣) أ، ن: + والقيام عليها.

ليكنّها من الأمطار والرياح والثلوج.

وكان رجاء بن حيوة ويزيد بن سلام قد حفّوا الحجر بدرابزين ساسم[1]، وخلف الدرابزين ستور ديباج مرخاة بين العمد. وكان في كلّ اثنين وخميس يأمرون بالزعفران أن يُدقّ ويُطحن، ثمّ يُعمل من الليل بالمسك والعنبر والماء ورد الجوري، ويخمّر من الليل، ثمّ يأمر الخدم بالغداة فيدخلون حمّام سليمان بن عبد الملك، يغتسلون ويتطهّرون، ثمّ يأتون إلى الخزانة التي فيها الخلوق، فتلقى أثوابهم عنهم، ثمّ يخرجون بأثواب جدد من الخزانة، مَرْوِي وقوهي[2] وشيء يقال له العصب، ويخرجون منها مناطق محلّاة، ويشدّون بها أوساطهم، ثمّ يأخذون الخلوق، ويأتون الصخرة، فيلطّخون ما قدروا أن تناله أيديهم حتى يغمروها كلّها، وما لم تنله أيديهم غسلوا أقدامهم، ثمّ يصعدون على الحجر حتى يلطّخون ما بقي، ثمّ ترفع آنية الخلوق، ويؤتى بمجامير الذهب والفضّة والند والعود القماري المطرّى بالمسك والعنبر، فترخى الستور حول العمد كلّها، ثمّ يأخذون في البخور حولها يدورون حتى يحول البخور بينهم وبين القبّة من كثرته، ثمّ تشمّر الستور، فيخرج البخور يفوح من كثرته حتى يبلغ رأس السوق، فيَشمّ الريح من ثمّ، فيقطع البخور من عندهم. ثمّ ينادي منادٍ في صفّ البزّازين وغيره: ألا إنّ الصخرة قد فتحت للناس، فمن أراد الصلاة فيها فليأت. فيقبل الناس مبادرين إلى الصلاة في الصخرة. فأكثر من يدرك أن يصلّي ركعتين، وأكثره أربعًا.

ثمّ يخرج الناس، فمن شمّوا رائحته قالوا: هذا ممن دخل الصخرة. ويغسل أثر أقدامهم بالماء، ويمسح بالآس الأخضر، وينشّف بالسباني[3] والمناديل، وتغلق الأبواب، وعلى كلّ باب عشرة من الحجبة، ولا يدخل إلّا يوم الاثنين والخميس، ولا يدخلها إلّا الخادم. قال: فكنت أسرجها في[4] خلافة عبد الملك كلّها باللبان المدني والزنبق الرصاصي، فكان الحجبة يقولون له: يا أبا بكر؛ مر لنا بقنديل ندَّهن به ونتطيّب به. وكان يجيبهم إلى ذلك. فهذا ما كان يفعل بها في[5] خلافة عبد الملك كلّها. وكانت الأبواب ملبّسة ذهبًا وفضّة، صفائح الأبواب.

فلمّا قدِم أبو جعفر، وكان شرقي المسجد وغربيّه قد وقع، فرُفع إليه: يا أمير المؤمنين؛

---

(١) ساسم: نوع من الخشب الأسود يشبه الأبنوس.

(٢) المروي: ثوب منسوب إلى مَرْو. والقوهي: ثوب منسوب إلى قوهَستان.

(٣) السباني: أزر متّخذة من الحرير، وهي منسوبة إلى قرية سَبَن، بلدة ببغداد.

(٤) النسخ عدا م: - في.

(٥) النسخ عدا م: - في.

قد وقع شرقي هذا المسجد وغربيّه. وكان الرجفة سنة ثلاثين ومائة. فقالوا له: لو أمرت ببناء هذا المسجد وعمارته. فقال: ما عندي شيء من المال. فأمر بقلع الصفائح الفضّة والذهب التي على الأبواب، فضربت دنانير ودراهم، وأنفق عليها. فلمّا فرغ منه كانت[1] الرجفة الثانية، فوقع البناء الذي أمر به أبو جعفر.

فلمّا قدم المهدي من بغداد، وهو خراب، فأمر ببنائه وقال: أنقِصوا من طوله وزيدوا في عرضه، فتمّ البناء في خلافته. وأمر ببناء الكنيسة التي تهدّمت الفضلُ بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس بأمر المهدي.

هكذا رويناه من حديث الرملي، عن عبد الرحمن بن محمد بن منصور بن ثابت، وكان بين القبّتين، من القبّة إلى القبّة، كلاليب حديد وعوارض حديد. فقلعها أبي لابن أبي يحيى. قال: وكانت الصخرة أيّام سليمان بن داود ارتفاعها اثنا عشر ذراعًا، وكان الذراع ذراعا وشبرا[2] وقبضة. وكان عليها قبّة من العود اليلنجوج[3]، عود مندلي[4]، وارتفاع القبّة ثمانية عشر ميلًا، فوق القبّة غزال من ذهب في عينه درّة حمراء، تقعد نساء أهل البلقاء يغزلون على[5] ضوئها.

وكانت أهل عمواس[6] يستظلّون بظلّ القبّة إذا طلعت الشمس، وإذا غربت استظلّ أهل بيت الرامة من الغور بظلّها. وكان ولد هارون عليه السلام يجيئون إلى الصخرة، ويسمّونها: الهيكل، بالعبرانيّة. وكانت تنزل عليهم عين زيت من السماء فيدور في القناديل فيملأها من غير أن تمس.

وكانت تنزل نار من السماء فتدور في مثال سبع على جبل طور زِيتا[7]، ثمّ تمتدّ حتى تدخل من باب الرحمة، ثمّ تصير على الصخرة. فيقولون، ولد هارون: يا زوح أذوناي، وتفسيرها: تبارك الرحمن لا إله إلّا هو. فغفلوا ذات ليلة عن الوقت التي كانت النار تنزل فيه، فنزلتْ وليس هم حضور. ثمّ ارتفعت النار، فجاءوا، فقال الكبير للصغير: يا أخي؛ قد كتبت الخطيئة، ليس ينجينا من بني إسرائيل أن تركنا هذا البيت الليلة بلا نور ولا سراج. فقال

---

(١) في النسخ: ثمّ كانت.

(٢) في النسخ: ذراع وشبر.

(٣) اليلنجوج: عود البخور.

(٤) المندلي: عود طيب هندي ينسب إلى بلدة مندل بها.

(٥) النسخ عدا ج: إلى.

(٦) عمواس: بلدة في فلسطين، ظهر فيها أول طاعون في الإسلام وسمّي باسمها طاعون عمواس.

(٧) طور زِيتا: جبل بالقدس عن يمين المسجد، وهو الذي وقع عليه الوحي.

الصغير للكبير: تعال حتى نأخذ من نار الدنيا، فنسرج القناديل لئلّا يبقى هذا البيت الليلة بلا نور ولا سراج. وأخذوا من نار الدنيا، وأسرجوا، فنزلت عليهم النار في ذلك الوقت، فأحرقت نارُ السماء نارَ الدنيا، وأحرقت ولدي هارون.

قال: فناجى نبيُّ ذلك الزمان فقال: يا ربّ؛ أحرقت ولدي هارون وقد علمتَ مكانهم. فأوحى الله ﷻ إليه: إنّي هكذا أفعل بأوليائي إذا عصوني، فكيف بأعدائي؟

قال: وكان في زمان بني إسرائيل إذا أذنب أحدهم الذنب كتب على جبينه خطيئته، وعلى عتبة بابه: ألا إنّ فلانًا قد أذنب في ليلته كذا وكذا. فيُبعدونه ويزجرونه، فيأتي إلى باب التوبة، وهو الباب الذي عند محراب مريم عليها السلام، الذي كان يأتيها رزقها منه، فيبكي فيه ويتضرّع ويقيم حينًا. فإن تاب الله عليه محي ذلك عن جبينه، فيقرّبوه بنو إسرائيل، وإن لم يتب عليه أبعدوه وزجروه.

وبه إلى عبد الرحمن بن محمد يبلغ به كعبًا قال: مكتوب في التوراة: أشيروا أوشلائم[1] وهي بيت المقدس، والصخرة يقال لها الهيكل؛ أبعث إليك عبدي؛ عبد الملك يبنيك ويزخرفك.

وبه إلى عبد الرحمن قال: سمعت من يحكي عن خليل أنّه غلب عليه النوم ذات ليلة عن يمين الصخرة، فانتبه والناس قد انصرفوا، والموضع خال ليس فيه أحد. فقام يطفئ القناديل، والأبواب مفتّحة، فإذا بسَبُعٍ من نار واقفًا على حاجز الصخرة يتوقّد نارًا. قال: فطاش عقلي وقام شعرُ بدني، وهِبْتُ، ثمّ حملت نفسي على الصبر، وجعلت أطفئ القناديل، وهو يدور معي بحذاي على الحاجز حتى جئت إلى الباب القِبلي، فلمّا أغلقته وثب، فغرق عند المنارة، ولا لي به عهد، فأقمتُ سنة ما هدأ روعي.

ومن باب النسيب

قال العباس بن الأحنف:

إنّي وجدتُ الهوى في الصدر إذ ركدا كالنار بل زاد جوف الصدر متّقدا
النار تطفا ببرد الماء إن ضربت ولو ضربت الهوى بالماء ما بردا

وقال بعضهم في ذلك:

إذا وجدتُ أوار الحبّ في كبدي أقبلتُ نحو سقاء القوم أبتردُ

(١) ج (في الحاشية): أورشليم.

هذا بردت ببرد الماء ظاهره فمن لحرٍّ[1] على الأحشاء يتّقدُ

وفيه لابن الرومي:

بعيني دموع لو جرين بقفرة لأضحت بقاع الأرض من مائها وَحْلا
وفي القلب نار لو تصبّ على الورى لمات جميع الناس واحترقوا كُلّا

ولابن الرومي أيضا:

يا موقد النار قد هيّجتَ أشجانًا ولم أطق للذي هيّجت كتمانا
أوقدت نارًا على علياء واحدة وأوقد الشوق في الأحشاء نيرانا

وله أيضا:

يا مُوقد النار يذكيها ويُخْمِدُها بردُ الشتاء بأرياح وأمطارِ
قم فاصطلِ النار من قلبي مضرّمة بالشوق تغن بها يا مُوقد النارِ
ويا أخا الذود قد طال الظماء بها لم تدر ما الرِّيُّ في جدْبٍ وإقتارِ
ردّ الظباء على عيني ومحجرها تروى الظباء بدمع مسبل جاري
يا مزمع البين إن جَدّ الرحيل فلا كان الرحيل فإنّي غير صبّارِ

ولنا من النظاميّات

رعى الله طيرًا على بانةٍ قد أفصح لي عن صحيح الخبرْ
بأنَّ الأحبّة شدّوا على رواحلهم ثمّ راحوا سحرْ
فسِرتُ وفي القلب من أجلهم جحيم لِبينهمُ تُستعرْ
أتابعهم في ظلام الدجى أنادي بهم ثمّ أقفوا الأثرْ
وما لي دليل على إثرهم سوى نفَس من هواهم عطِرْ
رفعن السجافَ أضاء الدجى فسار الركاب لضوء القمرْ
وأرسلتُ دمعي أمام الركاب فقالوا متى سال هذا النهرْ
ولم يستطيعوا عبورًا له فقلتُ دموعي جرين دُرَرْ
كأن الرعود للمع البروق وسير الغمام لصوب المطرْ
وجِيبُ القلوب لبرق الثغور وسكب الدموع لركبٍ نفرْ
فيا من يشبّه لين القدود بلين القضيب الرطيب النظرْ
ولو عكس الأمر مثل الذي فعلت لكان سليم النظرْ

(١) ج، ن: بحر.

فلينُ[1] الغصون للينِ القدود ووردُ الرياض لورد الخفرْ

خبر إلهي

روينا من حديث مسلم قال: ثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن بهرام الدارمي قال: ثنا مروان يعني ابن محمد الدمشقي، ثنا سعيد بن عبد العزيز، عن ربيعة بن يزيد، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر، عن النبيّ ﷺ، فيما روى، عن الله تعالى أنّه قال:

«يا عبادي؛ إنّي حرّمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرّمًا فلا تَظالموا.

يا عبادي؛ كلّكم ضالّ إلّا من هديته، فاستهدوني أهدِكم.

يا عبادي؛ كلّكم جائع إلّا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم.

يا عبادي؛ كلّكم عار إلّا من كسوته، فاستكسوني أكسكم.

يا عبادي؛ إنّكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا، فاستغفروني أغفر لكم.

يا عبادي؛ إنّكم لن تبلغوا ضُرّي فتضرّوني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني.

يا عبادي؛ لو أنّ أوّلكم وآخركم، وإنسكم وجنّكم، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في مُلكي شيئًا.

يا عبادي؛ لو أنّ أوّلكم وآخركم، وإنسكم وجنّكم، كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم، ما نقص ذلك من مُلكي شيئًا.

يا عبادي؛ لو أنّ أوّلكم وآخركم، وإنسكم وجنّكم، قاموا في صعيد واحد، فسألوني، فأعطيت كلّ إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلّا كما ينقص المخيط إذا دخل البحر.

يا عبادي؛ إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثمّ أوفّيكم إيّاها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلّا نفسه».

وروينا من حديث الخرائطي قال: ثنا علي بن داود القنطري، ثنا عبد الله بن صالح، ثنا الليث بن سعد، عن حميد الطويل، عن مطرف بن عبد الله بن الشخير قال:

خرجت إلى الربيع في زمانه، وكنت أدخل إلى الجمع لشهودها، وكان طريقي على المقبرة، فدخلت يومًا فإذا بجنازة، فقلت: لو اغتنمتُ شهودها فصلّيتُ عليها، ثمّ صلّيت ركعتين خفيفتين لم أتقنهما ذلك الاتقان في نفسي، ثمّ اضطجعتُ إلى جانب قبر، فإذا صاحب القبر

(١) أ، ر: فليس.

يقول: إليك عنّي؛ فإنّكم قوم تعملون ولا تعلمون، ونحن قوم نعلم ولا نعمل. صلّيتَ ركعتين خفيفتين لم تتقنهما في نفسك ذلك الإتقان. قلت: نعم، قال: ما سرّني أنّ الدنيا بحذافيرها لي بهما. قلت: فمن ها هنا؟ فقال: كلٌّ مسلم، وكلٌّ قد نال خيرًا.

وبه قال: ثنا علي بن داود، ثنا عبد الله بن صالح، ثنا يعقوب بن عبد الرحمن، عن عمرو بن أبي عمرو، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ قال:

قال الله ﷻ: «إنّ عبدي المؤمن بمنزلة كلّ خير عندي، يحمدني وأنا أنزع نفسه من بين جنبيه».

وبه قال عبد الله بن صالح: ثنا معاوية بن صالح، عن يحيى بن جابر الطائي، عن أبي عائذ[1] الأزدي، عن غضيف بن الحارث الأزدي أنّه قال:

أتيت بيت المقدس، أنا وعبد الله بن عائذ، فجلسنا إلى عبد الله بن عمرو، فسمعته يقول: إنّ القبر يكلّم العبد إذا وُضع فيه يقول: يا ابن آدم؛ ما غرّك بي؟ ألم تعلم أنّي بيت الوحدة؟ ألم تعلم أنّي بيت الظلمة؟ ألم تعلم أنّي بيت الحقّ؟ يا ابن آدم؛ ما غرّك بي؛ كنتَ تمشي حولي فدّادًا[2]؟ قال ابن عائذ: فقلت لغضيف: وما الفدّاد يا أبا سماء؟ قال: كبعض مشيتك يا ابن أخي أحيانًا. قال غضيف: فقال صاحبي -وكان أكبر منّي- لعبد الله بن عمرو: فإن كان مؤمنًا فماذا له؟ قال: ذاك يوسّع له في قبره، ويجعله منزلة خضراء ويعرج بنفسه إلى الله تعالى.

وروينا من حديث ابن ثابت قال: أنا أبو العباس الفضل بن عبد الرحمن الأبهري، ثنا محمد بن إبراهيم بن علي قال: أنشدنا عبد الله بن رستم قال: رؤي على قبر عبد الله بن المبارك رحمه الله مكتوب:

الموت بحرٌ موجُهُ غالب تذهل فيه حيل السابح
لا يصحب المرء إلى قبره إلّا التقى والعمل الصالح

وبه قال: أنا محمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن مخلد، ثنا جعفر بن محمد الخلدي، ثنا أحمد بن محمد بن مسروق قال: أنشدني بعض أصحابنا:

اجعل تلادك في المهمّ من الأمور إذا اقتربْ

---

(١) أ، ر، ن: أبي عاند. ج: أبي عابد. م: حرفها المعجم مهمل.
(٢) رجل فدّاد: شديد الوطء.

لا تسه عن أدب الصغيـ ـر وإن شكا ألم التعبْ
وذر الكبير فإنّه كبر الكبير عن الأدبْ
لا تصحب الصلف المريـ ـب فقربه إحدى الريبْ
واعلم بأنّ ذنوبه تعدي كما يعدي الجَرَبْ

وبه قال: أنا عبد الله بن محمد بن عبد الله بن بشران، ثنا محمد بن الحسين الآجري، ثنا العباس بن يوسف الشكَلي[1]، ثنا محمد بن الحسين بن العلاء البلخي قال: سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول:

يا ابن آدم؛ طلبتَ الدنيا طلَبَ من لا بدّ له منها، وطلبتَ الآخرة طلبَ من لا حاجة له إليها، والدنيا قد كُفيتها وإن لم تطلبها، والآخرة بالطلب منك تنالها؛ فاعقل شأنك.

وبه قال: سمعت أبا علي بن فضالة النيسابوري يقول: سمعت بقيّة بن علي الآمدي يقول: سمعت أبا الحسن الحُصْري يقول: لا يغرّنكم صفاء الأوقات فإنّ تحتها آفات، ولا يغرّنكم العطاء فإنّ العطاء عند أهل الصفاء مقت.[2]

* * *

روينا من حديث ابن الواسطي قال: ثنا عيسى بن عبيد الله[3]، أنا علي بن جعفر، ثنا محمد بن إبراهيم بن عيسى، ثنا محمد بن النعمان، ثنا سليمان بن عبد الرحمن، ثنا أبو عبد الملك الجزري، قال: علّم الله تعالى سليمان منطق الطير، وعلّمه منطق الهوام، وكان له من النساء الحرائر سبعمائة وثلاثمائة سريّة. فلمّا خلا من ملك سليمان سنون بدأ في بناء بيت المقدس، فبلغ عدّة من يعمل معه في بناء بيت المقدس، ألف رجل عليهم قَطع الخشب، في كلّ شهر عشرة آلاف، وبلغ عدّة الذين يعملون في الحجارة عشرة آلاف رجل، وبلغ عدّة الذين يقومون عليهم ثلاثمائة أمين.

فلمّا بناه، وزيّنه كما أحبّ من الذهب والفضّة والأبواب الموثقة، صنع له مائة سُكُرّة من الذهب، في كلّ سكرّة عشرة أرطال، وأولج فيه تابوت موسى وهارون، وأنزل الله ﷻ عليه الغمام، وصلّى سليمان ﷺ فيه، ودعا ربّه، فقال: يا ربّ؛ أمرتني ببناء هذا البيت الشريف، يا ربّ؛ فلتكن يدك عليه الليل والنهار، وكلّ من جاءك يبتغي منك الفضل والمغفرة والنصر

(١) أ، ر، م: الشملي. ج: السلمي. ن: الشهلي.
(٢) انتهى السمر.
(٣) ج، م: عبد الله.

والتوبة والرزق، فاستجب له من قريب أو بعيد.

وكان سليمان قد فرش أرض المسجد بالذهب والفضّة؛ بلاطة من هذا، وبلاطة من هذا. فلمّا جاء بختنصّر خرّبه، واحتمل منه ثمانين عجلة ذهبًا وفضّة، وطرحه برومية. ولا يعجب من هذا، فإنّ الذي حمل إلى الوليد لمّا فتحت الأندلس من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت إلى[1] ذلك من الأحجار النفيسة، دون الذهب والفضّة مائة عجلة وثمان عشرة عجلة.

وأمّا ابن اسمانوس، فإنّه لمّا غزا بني إسرائيل، وسبى حليّ بيت المقدس أحرق منه ما أحرق، وحمل منه في البحر ألفًا[2] وسبعمائة سفينة حليًّا، حتى أورده روميّة.

أخبر بذلك حذيفة بن اليمان عن رسول الله ﷺ وذكر فيه أنّ رسول الله ﷺ قال: ليستخرجنّ المهدي ذلك حتى يؤدّيه إلى بيت المقدس، ثمّ يسير المهدي ومن معه حتى يأتوا مدينة يقال لها: القاطع، وهي على البحر الأخضر المحيط، ليس شيء خلفه إلّا أمر الله ﷻ، طول تلك المدينة ألف ميل، وعرضها خمسمائة ميل، لها ثلاثة آلاف باب.

حدّثنا بهذا الحديث جماعة، عن القاسم بن علي الشافعي، عن أبي القاسم السوسي، عن إبراهيم بن يونس المقري، عن عبد العزيز النصيبي، عن محمد بن أحمد بن محمد، عن عيسى بن عبيد الله، عن علي بن جعفر الرازي، عن محمد بن سليمان بن مسكين بصور، عن إسحق بن زريق بن سليمان، عن سليمان، عن عثمان بن عبد الرحمن القرشي، عن يزيد بن عمر، عن منصور، عن ربعي بن خراش، عن حذيفة بن اليمان.

أقوال حِسان في الحنين إلى الأوطان

فمن ذلك: الكريم يحنّ إلى أحبابه، كما يحنّ الأسد إلى غابه. أرض الرجل ظئرُه[3] ودار مهده. والغريب النائي عن بلده المتنحّي عن أهله كالثور الناد[4] عن وطنه، الذي هو لكلّ سَبُع فريسة، ولكلّ رام قنيصة، وقد قيل:

إذا ما ذكرتُ الثغر فاضت مدامعي ... وأضحى فؤادي نهبة للهماهمِ
حنينًا إلى الأرض الذي اخضرّ شاربي ... وحُلّتْ بها عنّي عقود تمائمي

---

(١) م، ن: إلى غير.
(٢) في النسخ: ألف.
(٣) ظئره: مرضعته.
(٤) الناد: الشارد.

وألطف قوم بالفتى أهلُ أرضه وأرعاهمُ للمرء حقّ التقادمِ

وقد قيل أيضا:

يقرّ بعيني أن أرى من مكانه ذرى عطفات الأجرع المتعاقدِ
وأن أرِدَ الماء الذي عن شماله طروقًا وقد ملّ السرى كلَّ واحدِ
وألصِقُ أحشائي ببرد ترابه وإن كان مخلوطًا بسمّ الأساودِ

ومن قول أبي العباس بن الأحنف فيمن ظفر وعفّ:

أتأذنون لصبٍّ في زيارتكم فعندكم شهوات السمع والبصرِ
لا يُضمر السوءَ إن طال الجلوس به عفّ الضمير ولكن فاسق النظرِ

وأنشدني في هذا الباب أبو عبد الله القسطنطيني المذكّر وعزاها للعباداني:

الحمد لله على أنّني قد تبتُ إلّا من وجوهٍ ملاحْ
ما بقيتْ فيّ سوى نظرةٍ فاسقةٍ باطنها من صلاحْ

وأنشدني قاسم بن مرّتين لبعضهم:

وما يستوي الصابي ومَن ترك الصبا وإنّ الصبا للعيش لولا العواقبُ
وللبرّ منّي جانبٌ لا أضيعه وللّهو منّي والبطالة جانبُ

وأنشدني علي بن طاب الريح القبائلي:

أحبّكِ حبًّا لا أعنّف بعده محبًّا ولكنّي إذا ليم عاذرُهْ
أحبّكِ يا سلمى على غير ريبة ولا بأس في حبّ تعفّ سرائرُهْ

أنشدتُ هاتين البيتين لمن كان لي بها غرام، فلمّا سمعتْ قولي:

"أحبّك يا سلمى على غير ريبة"، قالت: فنَلْ إن كنت تقدر سرعة من غير بطء.

وأنشدني علي بن جابر في مجلسه:

تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها من الحرام ويبقى الإثم والعارُ
تبقى عواقب سوءٍ في مغبّتها لا خير في لذّة من بعدها النارُ

ومن هذا الباب ما تمثّل به عبد الله بن الحسن بن الحسن الذي وصله السفّاح لمّا ولي الخلافة بألفي ألف:

أنْسٌ غرائر ما هممن بريبةٍ كظباء مكة صيدهنّ حرامُ
يُحسبن من لين الكلام زوانيًا ويصدّهنّ عن الخنى الإسلامُ

ومن الأخبار النبويّة

ما رويناه من حديث عبد العزيز بن عمر، ثنا محمد بن الحسن بن منصور، ثنا عبد العزيز بن أحمد الحلواني، ثنا أبو الحسن علي بن الحسين، ثنا إبراهيم بن محمد بن خلف، ثنا أحمد بن محمد العجلي، ثنا عبد الله بن عبيد الله، ثنا القاسم بن الفرج، ثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبّار، ثنا أبو المغيرة المكي، عن رجل من ولد الزبير اسمه محمد، عن ابن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ:

«من كفّ غضبه كفّ الله عنه عذابه، ومن خزن لسانه ستر الله عورته، ومن اعتذر إلى الله قبِل الله معذرته».

خبر آخر

من حديثه أيضًا، عن أبي المعين[1] ميمون بن محمد بن معتمد المكحولي، عن أبي طاهر محمد بن نصر القلانسي، عن أبي نصر أحمد بن محمد، عن عيسى بن الحسين، عن خلف بن سليمان، عن محمد بن سليمان القرشي، عن إبراهيم، عن أنس بن مالك قال؛ قال رسول الله ﷺ:

«إنّك لتتصدّق عن ميّتك بصدقة فيجيء بها ملَك من الملائكة على طبق من نور، ويقوم على رأس قبره، وينادي: يا صاحب القبر الغريب؛ أهلُك أهدوا لك هذه الهديّة، فيُفسح له في مدخله في قبره، وينوّر له. قال؛ فيقول: جزى الله عنّي أهلي خيرًا. قال: ولزيق ذلك القبر صاحبه يقول: ألم أخلِف أنا المال؟ ألم أخلِّف الأولاد؟ قال: فهو مهموم، والذي أهدي إليه فرح مسرور».

وبه إلى أبي المعين[2] أيضًا: ثنا أحمد بن محمد النسفي، عن أبي سهل محمد بن عبد الرحمن الشيباني، عن أبي بكر أحمد بن جعفر، ثنا الحسين بن عمر بن أبي الأحوص، عن محمد بن العلاء، عن الحسن بن عطيّة، عن سوار الهمداني، عن زياد، عن محمد بن الحنفيّة، وهو ابن أحمد بن محمد الاسماعيلي، عن أبي الفضل محمد بن عبد الملك، ثنا أبو حفص أحمد بن محمد المقري، ثنا أبو سعيد الخليل بن أحمد السجزي، ثنا أبو عروبة الحسين بن أبي معشر الحرّاني، ثنا أبو المسيّب بن الواضح، ثنا بقيّة بن الوليد، عن ورقاء بن عمر، عن أبي الزناد،

---

(١) أ، ج، ر، ن: أبي المعتز. م: ابن المغيرة.

(٢) أ، ر، م، ن: أبي المعتز. ج: أبي المغير.

عن الأعرج، عن أبي هريرة قال؛ قال رسول الله ﷺ:

«إذا صلّى العبد في الخلاء فأحسن، وصلّى في الملأ فأحسن، قال الله ﷻ: أنت عبدي حقًّا».

حِكم جوامع لضروب من المنافع

من رقى في درجات الهمم عظم في عيون الأمم.

من بذل فِلسه صان نفسه.

من بسط يد العطاء استنبط لسان الثناء.

من كبرتْ همّته كثرتْ قيمته.

من كرم خلقه وجب حقّه.

ومن أساء خُلقه ضاق رزقه.

من أجاب السفيه سفِه، ومن سكت عن جوابه نبِه.

إذا نطق السفيهُ فلا تجبه ... فخيرٌ من إجابته السكوتُ

سكتُّ عن السفيه فظنّ أنّي ... عييتُ عن الجواب وما عييتُ

ولكنّي اكتسيتُ بثوب حلم ... وجنّبتُ السفاهة ما بقيتُ

من قابل السخيف سخف، ومن كرم عن مقابلته شرف.

من قال الحقَّ صُدِّق، ومن عمل به وُفِّق.

من صدق في مقاله زاد في جماله.

من هان عليه المال، توجّهت إليه الآمال.

من بسط راحته، آنس ساحته.

من بذل ماله استحمد، ومن بذل جاهه استعبد.

من جاد بماله جلّ، ومن جاد بعِرضه ذلّ.

من أحسن إلى جاره، زاد في استظهاره.

من طمع في جاره، زُهِد في جواره.

أحسن الجدّ ما كان عند التعب، وأحسن الصدق ما كان عند الغضب.

خير الأموال ما قضى اللوازم، وخير الأعمال ما بنى المكارم.

خير الأموال ما أخذته من الحلال وصرفته في النوال، وشرّ الأموال ما أخذته من الحرام وصرفته في الآثام.

المواساة أفضل الأعمال، والمداراة أجمل الخصال.

يستدلّ على عقل الرجل بقوله، وعلى أصله بفعله، فما أفحش حكيمًا إلّا أوحش كريمًا.

إيّاك وفضول الكلام، فإنّها تخفي فضلك وتوكس قدرك.

خبر نبويّ بتلطّفٍ إلهيّ

رويناه من حديث ابن ثابت، ثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن أحمد بن موسى بن هارون بن الصلت الأهوازي، ثنا أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملي، ثنا سلم بن جنادة، ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ: يقول الله تعالى: «أنا عند ظنّ عبدي بي، وأنا معه حيث يذكرني؛ فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن اقترب إليّ شبرًا اقتربت إليه ذراعًا، وإن اقترب إليّ ذراعًا اقتربت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة».

ومن حديث ابن ثابت أيضا رضي الله عنه في باب الفراسة

ثنا يونس بن يحيى بن أبي البركات القصّار نزيل مكة، ثنا الفضل بن يوسف، ثنا أبو بكر بن ثابت الخطيب، ثنا أبو الحسن علي بن أحمد بن نعيم بن الجارود البصري قال: سمعت علي بن أحمد بن عبد الرحمن الفهري الأصبهاني يقول: سمعت أحمد بن عبد الجبّار المالكي يقول: سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول:

حقيقة المحبّة أن لا تزيد بالبرّ، ولا تنقص بالجفاء.

ثمّ حدّث ابن ثابت على ما حدّثناه تاجُ الأمناء، عن عمّه الصائن هبة الله، عن السمرقندي عن ابن ثابت قال: ثنا يحيى بن علي العجلي، سمعت عبد الله بن محمد الدامغاني، سمعت الحسن بن علي بن يحيى بن سلام، قيل ليحيى بن معاذ يروي عن رجل من أهل الخير قد كان أدرك الأوزاعي وسفيان، أنّه سئل: متى تقع الفراسة على الغائب؟ قال: إذا كان محبًّا لما أحبّ الله، مبغضًا لما أبغض الله وقعت فراسته على الغائب. فقال يحيى:

كلّ محبوب سوى الله سرفْ وهموم وغموم وأسفْ
كلّ محبوب فمنه خلفٌ ما خلا الرحمن ما منه خلفْ
إنّ للحبِّ دلالات إذا ظهرت من صاحب الحبّ عرفْ
صاحبُ الحبِّ حزين قلبه دائم الغصّة مهموم دنِفْ
همّه في الله لا في غيره ذاهب العقل وبالله كلفْ
أشعث الرأس خميص بطنه أصفر الوجنة والطرف ذرفْ
دائم التذكير من حبّ الذي حبّه غاية غايات الشرفْ
فإذا أمعن في الحبّ له وعلاه الشوق من داء كثفْ
باشر المحراب يشكو بثّه وأمام الله مولاه وقفْ
قائمًا قدّامه منتصبًا لهجًا يتلو بآيات الصحفْ
راكعًا طورًا وطورًا ساجدًا باكيًا والدمع في الأرض يَكِفْ
أورد الحقّ على القلب الذي فيه حبّ الله حقًّا فعَرَفْ
ثمّ جالت كفّه في شجر ينبت الحبّ فسمّى واقتطفْ
إنّ ذا الحُبَّ لمن يعنى له لا لدارٍ ذات لهو وطُرَفْ
لا ولا الفردوس لا يألفها لا ولا الحوراء من فوقِ غُرَفْ

ومن باب النسيب ما قاله الأديب

خليليّ للبغضاء حالٌ مبيّنٌ وللحبّ آيات تُرى ومعارفُ
ألا إنما العينان للقلب رائدٌ فما تألف العينان فالقلب آلفُ

ولنا من هذا الباب:

إذا نظرت عيني لحسنٍ زجرتُها حـذارًا على قلبي فلم ينفع الحـذرْ
فهام به قلبي فأرسـلت عَبرتي وسـلّطت من غيظٍ على عيني السـهرْ
وذاب فؤادي رقّة وصـبابة وأتـلفـه طـول الـتـعـلّـل والـفِـكـرْ
وإنّي بين القلب والعين ميّتٌ فبعضـي من بعضي على قدم السفرْ
إذا قلت يا قلبي أجاب بحرقة حنانيك لا تعتب سوى الحسن والنظرْ
أنا قائل للحبّ لسـت بمانع حلول الهوى بالسمع كان أو البصـرْ

ومن باب الإفراط في العشق

أنا والله أرحم العشّاقا ويح من كان عاشقًا مشتاقا[1]
لو على العالمين قسّم عشقي أصبح الناسُ كلّهم عشّاقا

ولبعضهم في هذا الباب:

أحبّك حُبًّا لو يفاض يسيره على الخلق ذاب الخلق من شدّة الحبِّ
وأعلم أنّي بعد ذاك مقصِّرٌ لأنّك في أعلى المراتب من قلبي

ولنا في هذا الباب من قصيدة:

وبي منه ما لو كنت أنطق باسمه إلى الخلق مات الخلق من قوّلي الحبّ

وكما قال الآخر:

وبي من الحبّ ما لو أنّ أيسره يكون بالفلَك الدوّار لم يَدُرِ

وكما قال مجنون بني عامر:

ولو أنّ ما بي بالحصا فَلَقَ الحصا وبالريح لم يوجد لهنّ هبوبُ
ولو أنّ أنفاسي أصابت بحرّها حديدًا إذَنْ ضلّ الحديد يذوبُ
ولو أنّني استغفر الله كلّما ذكرتكِ لم تكتب عليّ ذنوبُ
كتمتُ الهوى في الصدر حتى أعلّني ونمّت به من مقلتيّ غروبُ

وكما قال الآخر:

وأشرب قلبي حبّه ومشى به تَمَشِّي حميّا الكأس في جسم شاربِ
يدبّ هواه في عظامي ولحمها كما دبّ في الملسوع سمّ العقاربِ

ولنا من النظاميّات

مرضي من مريضة الأجفان علِّلاني بذكرِها علِّلاني
هَفَتِ الوُرقُ بالرياضِ وناحت شجو هذا الحمامِ ممّا شجاني
بِأبي طَفَلةٌ لُعوب تَهادى من بنات الخدورِ بين الغواني

---

(١) للشاعر الخبز أرزي (ت: ٣٢٧هـ): نصر بن أحمد بن نصر بن مأمون البصري أبو القاسم. شاعر غزل، علت له شهرة. يعرف بالخبز أرزي (أو الخبزرزي)، وكان أمياً، يخبز خبز الأرز بمربد البصرة في دكان، وينشد أشعاره في الغزل، والناس يزدحمون عليه ويتعجبون من حاله. وكان (ابن لنكك) الشاعر ينتاب دكانه ليسمع شعره، واعتنى به وجمع له (ديواناً). ثم انتقل إلى بغداد، فسكنها مدة، وقرأ عليه ديوانه، وأخباره كثيرة طريفة.

طلعتْ في العيانِ شمسًـــا، فلمّا أفلتْ أشرقتْ بأفق جناني
يا طُلولًا برامـةٍ دارســـات كم رأت من كواعبٍ وحِسـانِ
بـأبي ثمّ بي غـزالٌ ربـيـبٌ يرَتعي بين أضـلُعي في أمانِ
مـا عليـه من نارِهـا فهو نُورٌ هكـذا النور مُحمـدُ النّيرانِ
يا خَـليَـلي عـرّجـا بـعـنـاني لأرى رسم دارِهـا بعَيـاني
فـإذا مـا بلغتُما الدار حُطّـا وبهـا صـــاحبيّ فلتبكيـاني
وقفـا بي على الطلولِ قليلًا نتباكى، بلْ أبكِ ممّا دهاني
الهوى راشـــقي بغيرِ ســـهـامٍ الهوى قـاتلي بغيرِ ســـنـانِ
عـرّفـاني إذا بـكـيـتُ لديهـا تُسعداني على البكا تُسعداني
واذكرا لي حـديـثَ هنـد ولبنى وسُـليـــمى وزينبٍ وعَنانِ
ثمّ زِيـدا مـن حـاجـرٍ وزرودٍ خبرًا عـن مـراتعِ الـغـزلانِ
وانـدباني بشـــعرِ قيسٍ وليلى وبمـيٍّ والمـبَـتَـلى غَـيـلانِ
طـالَ شَـــوقي لِطَفْلةٍ ذات نَثر ونـظـامٍ ومـنـبرٍ وبـيـانِ
من بنات الملوكِ[1] من دارِ فُرسٍ من أجلِّ البلاد من أصـبهانِ
هي بنـتُ العراق بنـتُ إمـامي وأنا ضـــدّها ســـليلُ يماني
هلْ رأيتم، يا ســادتي، أو سمعتم أنّ ضـــدّينِ قَطُّ يجتمعـانِ
لـو تَـرانا بـرامـةٍ نـتـعـاطـى أكؤسًـــا للهوى بغيرِ بَنـانِ
والهوى بيننـا يســوقُ حـديثًـا طيّبًـا مطربًا بغيرِ لســـانِ
لرأيتم مـا يـذهـب العقـلُ فيـه يمـنٌ والـعـراقُ معـتـنـقـانِ
كذبَ الشـــاعر الذي قال قبلي وبـأحجـارِ عقله قـد رمـاني
أيّهـا المنكح الثريّا ســـهيلًا عمرك الله كيفَ يلْتقيـانِ
هي شـــاميّةٌ إذا ما اســـتقلّت وســـهيلٌ إذا اســـتقلّ يماني

ومما قيل في لذع الهوى

إن كنت تنكر ما ألقاه من ألم وما يضـــــرّم في قلبي معذِّبهُ

(١) النسخ عدا ج: التجار.

أشِر بعودٍ من الكبريت نحو فمي وانظر إلى زفراتي كيف تلهبهُ[1]

ذِكر غزاة مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم وما عمِل من الأعاجيب في بلاد الروم ودخوله القسطنطينية على أتمّ الروايات في ذلك إن شاء الله تعالى

حدّثنا ابن طليس وأبو اليمن وأبو الفرج، كلّهم عن القزّاز، ثنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، أنا الشيخ أبو الحسن بن محمد بن أحمد بن رَزْقَويه، أنا أبو عمرو عثمان بن أحمد الدقّاق، قال: ثنا أبو علي الحسن بن سلام، ثنا الصباح[2] بن بيان البغدادي، ثنا يزيد بن أوس الحمصي، عن عامر بن شرحبيل، عن عبد الله بن سعيد بن قيس الهمداني، وكان ممن خرج مع مسلمة بن عبد الملك بن مروان إلى بلاد الروم، قال: لمّا أراد عبد الملك بن مروان بن الحكم أن يوجّه ابنه مسلمة إلى بلاد الروم، أمر المنادي بأن ينادي في الناس أن يجتمعوا.

وكتب عبد الملك بن مروان إلى الحجّاج بن يوسف أن يوجّه إليه رؤساء أهل العراق. وكتب إلى عمر بن عثمان بن عفان، وهو على الحجاز، أن يوجّه إليه رؤساء أهل الحجاز، وكتب إلى علقمة بن مرداس، وهو عامله على اليمن، أن يوجّه إليه رؤساء أهل اليمن، وكتب إلى أخيه محمد بن مروان بن الحكم، وهو عامله على البصرة، أن يشخص إليه بنفسه وبرؤساء أهل البصرة.

فلمّا قدم الناس قام فيهم خطيبًا، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أيّها الناس؛ إنّ العدوّ قد كلب عليكم، وقد طمع فيكم، وهنتم عليه بترككم الغزو له، واستخفافكم بحقّ الله ﷻ، وبشغلكم عن الجهاد في سبيل الله، وقد علمتم ما وعد ربّكم في الجهاد لعدوّه، وقد أردتُ أن أغزو بكم غزوة كريمة شريفة إلى صاحب الروم أليون، والله مهلكهم، ومبدِّد شملهم، ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

وقد جمعتكم يا معشر المسلمين؛ وأنتم ذوو[3] البأس والنجدة والشجاعة؛ فإنّ من حقّ الله تعالى أن تقوموا لله تعالى بحقّه، ولنبيّه ﷺ بنصرته. وقد أمّرتُ عليكم مسلمة بن عبد الملك، فاسمعوا له وأطيعوا أمره، ترشدوا وتوفّقوا، فإن استشهد فالأمير من بعده محمد بن

---

(١) ا، ر، ن: يلهبه. انتهى السمر.

(٢) في النسخ: اصبح.

(٣) في النسخ: ذو.

خالد بن الوليد المخزومي، فإن استشهد فالأمير من بعده محمد بن عبد العزيز. وقد ولّيت الغنائم رجاء بن حيوة، وصيّرته أمينًا على مسلمة وعليكم. وقد ولّيت على تميم محمد بن الأحنف بن قيس، وعلى همدان عبد الله بن (سعيد بن) قيس.

فقلت: يا أمير المؤمنين وَلِّ غيري، فإنّي آليت أن لا أكون أميرًا أبدًا. فولّى على همدان صدقة بن اليمان الهمداني، وعلى ربيعة عبد الرحمن بن صعصعة، وولّى على طيّ ولخم وجذام، عبد الله بن عدي بن حاتم الطائي، وولّى على قيس الضحّاك بن مزاحم الأسدي، وولّى على بني أميّة وجماعة من قريش، محمد بن مروان بن الحكم، وولّى على كندة وغسّان، الأصبغ بن الأشعث الكندي، وولّى على رؤساء أهل الحجاز عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، وولّى على رؤساء أهل الجزيرة والشام البطّال[1]، وولّى على رؤساء أهل مصر يزيد بن مرّة القبطي، وولّى على رؤساء أهل الكوفة الهيثم بن الأسود النخعي، وولّى على رؤساء أهل البصرة سليمان بن أبي موسى الأشعري، وولّى على رؤساء أهل اليمن جابر بن جبير المدحجي، وولّى على رؤساء أهل الجبال عبد الله بن جرير بن عبد الله البجلي.

ثمّ أقبل على مسلمة بن عبد الملك فقال: يا بنيّ؛ إنّي قد ولّيتك على هذا الجيش فسِر بهم، وأقدم على عدو الله أليون كلب الروم، وكن للمسلمين أبًا رحيمًا، وارفق بهم وتعاهدهم. وإيّاك أن تكون جبّارًا عنيدًا، مختالًا فخورًا. ثمّ عرض الناس فانتخب منهم ثمانين ألفًا من أهل البأس والنجدة، واتّخذ من الخيل والفرسان ثلاثين ألفًا. وقال: يا بنيّ؛ صيّر على مقدّمتك محمد بن الأحنف بن قيس، وعلى ميمنتك محمد بن مروان، وصيّر على ميسرتك عبد الرحمن بن صعصعة، وصيّر على ساقتك محمد بن عبد العزيز، وكن أنت في القلب، وصيّر على طلائعك البطّال، وأمُرْهُ فليعسّ بالليل العسكر، فإنّه أمين ثقة مقدام شجاع. فإذا وردت بلاد الروم إن شاء الله فالقم بالناس، واقدم بهم إقدامًا واحدًا، حتى ترعب قلوبهم وتزلزل أقدامهم وتبدّد جمعهم وتهابك ملوكهم، ولا قوّة إلّا بالله العلّي العظيم.

واعلم أنّهم سيلقونك بجمع كثير وعدّة وسلاح، فلا يهولنّك ذلك، فإنّ الله مخزيهم وضاربٌ وجوهَهم.

واعلم يا بنيّ؛ إنما نصبتك لهذا الوجه، وشرّفتك بهذا الجيش، وصيّرته لك ذكرًا وذخرًا تُذكر به أبدًا، فإيّاك أن تنكص أو تولّي منهزمًا، فإنّك إن فعلت ذلك استوجبتَ من الله

(١) البطّال: عَبْد اللَّه، أَبُو مُحَمَّد البطّال [ت: ١٢٢ هـ].

المقت، ومن عباده البغض، ومن ملائكته اللعن.

واعلم يا بنيّ؛ أنّك إن أنكلت وأبليت وقتلت ورميت، والله الفاعل ذلك والقاتل لهم، وهو رادُّهم على أعقابهم خاسئين.

ثمّ أقبل على المسلمين فقال:

يا إخواني وأعواني؛ هذا مسلمة ابني، وهو سيفي وسهمي ورمحي، وهو أميني، جعلته عليكم، وقد رميتُ به في نحر العدوّ والروم، وقد علمتم أنّه ثمرة قلبي، وحبيب نفسي من صلبي لا من أصلابكم، وقد وهبته الله ﷻ، وبذلتُ دمَه ومهجتَه طلبًا لرضوان الله ﷻ، فأعينوه واعضدوه وانصروه، واقدموا إذا أقدم، وحثّوه إذا نكص، وشجّعوه إذا جَبُن، وأيقظوه إذا نام، وأنبهوه إذا سها، ولا تغفلوا عنه، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

ثمّ عانق مسلمة وقال: السلام عليك يا حبيبي وثمرة قلبي، ثمّ قلّده سيفين: سيف عبد الملك وسيفه، ثمّ عمّمه بعمامة بيضاء، وحمله على فرسٍ أشهب.

فخرج مسلمة يوم الجمعة بعد صلاة الظهر، وذلك أوّل يوم من رجب، وخرجنا معه، وخرج عبد الملك معنا يشيّعنا حتى بلغ إلى باب دمشق، ثمّ خرج معنا مسلمة وعسكرنا على رأس أربعة فراسخ[1] من دمشق، فودّعنا عبد الملك بن مروان، فرجع، وخرجنا، فدخلنا طرسوس، وفيها نفر من المسلمين يسير، فأمرهم مسلمة أن يقيموا، ولم يغز تلك السنة. قال عبد الله بن سعيد: فأقام القوم بها، وخرجنا فلم نزل نسير حتى انتهينا إلى قريب من عموريّة[2].

وبلغ شمعون صاحب عموريّة[3] أنّ العرب قد غزتهم، فبعث إلى رؤساء أهل القرى والمدن فاجتمعوا إليه، فأقام بعموريّة[4]. وأتى مسلمة الخبر بجمع شمعون له، وأنّه خارج إليه، فجمع مسلمة الناس ثمّ قال لهم: قد علمتم جلب عدوّكم عليكم، وطلبه لكم، فإنّه خارج، وقد اجتمعوا، واشتدّ أمرهم. فتعالوا فاجتمِعوا، فاجتمعنا، فصيّر على المقدّمة محمد بن الأحنف، وعلى الميمنة محمد بن مروان، وعلى الميسرة عبد الرحمن بن صعصعة، وصار هو في القلب.

قال عبد الله: فكنت معه في القلب، قال: وأمر البطّال أن يتقدّم في الطلائع، فتقدّمَ

---

(١) أربعة فراسخ: عشرون كيلو مترا تقريبا.

(٢) أ، ر، ن: أعمورية.

(٣) النسخ عدا ج: أعمورية.

(٤) النسخ عدا ج: بأعمورية.

وتقدّمْنا معه، فلقي البطّال بِطريقًا من بطارقة شمعون، فقاتله قتالًا شديدًا حتى انهزم، فلحقناه، فلمّا قربنا منه حمل على القوم، وحمل محمد بن الأحنف في المقدّمة، فلم نزل نقاتل القوم يومنا وليلتنا حتى أصبحنا، فلمّا أصبح مسلمة صلّى الفجر وأمرنا بالتقدّم، فتقدّمنا، وزحف شمعون من المدينة، فحمل وحملنا. ولقد رأيت البطّال وقد حمل على القوم وهو يريدهم، وحمل عبد الرحمن بن صعصعة فقَتل وأَسَر، ثمّ حمل عبد الله بن جرير فقتل منهم مقتلة عظيمة. ثمّ حمل محمد بن مروان فطُعن طعنة منكرة، ثمّ رجع إلى العسكر. ثمّ حمل محمد بن عبد العزيز فقَتل منهم نفرًا كثيرًا، ثمّ حمل مسلمة بنفسه، وحملتُ، فقَتلنا وأَسرنا. ثمّ إنّ البطّال لمّا نظر إلى مسلمة يقاتل، ترجّل وأقدم هو ومحمد بن الأحنف وعبد الرحمن بن صعصعة ورؤساء أهل العراق، فقاتلوا وجثوا على الركب.

وكان شمعون في عشرين ومائة ألف، فما كان إلّا ساعة حتى أقبل عبد الرحمن بن صعصعة يلهث، فقال: أيّها الأمير؛ قد قُتل شمعون، فأقبِل على المدينة فاقدُم عليها! فقال له مسلمة: فكيف علمتَ ذلك؟ قال: لأنّي أَسرتُ علجًا، فسألته أين شمعون؟ فقال: قد كان أمام القوم وقد فُقِد. فما كان بأسرع حتى أقبل البطّال ومعه رأس شمعون. فلمّا رأى مسلمة الرأس خرّ لله ساجدًا، ثمّ حمل، وحملنا معه حملة واحدة، فقاتلوا بقيّة يومهم. فلمّا جنّنا الليل التجأوا إلى المدينة، مدينة عمّوريّة[1]، فأقمنا على بابها. فخلّوا المدينة وخرجوا من الباب الآخر، فدخلنا المدينة[2]، فأصبنا نساء وصبيانًا، فأخذناهم أسرى، وغنمنا غنيمة كثيرة، فبلغ غنيمة عمورية[3] مائة ألف دينار، وثمانية وثمانين ألف دينار، واثنتي عشرة ألف شاة وألفًا[4] وستمائة رأس؛ فبعث بهم مسلمة إلى عبد الملك.

ثمّ عرض الناس، ففقد منهم ستمائة وثلاثين رجلًا، فخرج مسلمة، وكتب إلى أبيه عبد الملك بما فتح الله سبحانه على يديه، وبما أصيب من المسلمين، ويستأذنه في التقدّم، ويستأذنه في الغنائم. فأمر أن يقسّم الغنائم بين المسلمين، ففعل ذلك رجاء بن حيوة.

ثمّ أمرنا مسلمة بالتقدّم، فتقدّمنا إلى التقفورية، وفيها تقفور الأكبر، وهو على ابنة أليون ملك الروم، ومعه ستون ألف فارس، ما فيهم راجل، فخرج ثمّ حمل علينا حملة منكَرة حتى

(١) النسخ عدا ج: أعمورية.
(٢) أ، ر: + بالمدينة. ن: + بالغداة.
(٣) النسخ عدا ج: أعمورية.
(٤) في النسخ: وألف.

أزالنا عن مراكزنا، وردّنا على أعقابنا.

ثمّ إنّ مسلمة نادى بأعلى صوته: إلى أين يا أهل الشام؟ فلا شام لكم إن غَلبت الروم على دياركم، وإلى أين يا أهل العراق؟ فلا عراق لكم إن ولّيتم من علوج الروم اليوم، اليوم يعلم الله منكم صدق اليقين.

ثمّ قام رجاء بن حيوة فقال:

يا معشر المسلمين؛ إلى أين تنهزمون يا أهل العراق وأهل الدين وأهل الصدق، من أهل الصلبان وعبدة الأوثان؟ أما ترغبون؟ أما ترجعون؟ اثبتوا ثبّت الله أقدامكم.

ثمّ أقبل شابّ من أهل الكوفة يقرأ بين الصّفّين: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[1].

قال: فرجعنا إلى مصافّنا، وحملنا، وترجّل البطّال، وترجّل مسلمة، وترجّل محمد بن مروان، وترجّل الناس، فحمل تقفور، لعنه الله، على مسلمة، فضربه بالسيف ضربة حتى خرّ مسلمة صريعًا. ثمّ حمل على الناس حملة منكَرة، فانهزم المسلمون حتى أقبل عبد الرحمن بن صعصعة في الخيل، وأقبل محمد بن عبد العزيز، فحمل مسلمة، وأفاق[2] مسلمة من ضربته فنادى: يا أهل الإسلام؛ اليوم[3] يوجب الله لكم الرضوان، أنا مسلمة لم أُقتل، فتراجع الناس، وحملنا عليهم، فلقد رأيت الجيف يومئذ كأنّها التلول! وجنّنا الليل، وبادر البطّال إلى باب المدينة، وثبت عليها. ثمّ حمل عليهم من خلفهم، وحملنا عليهم من بين أيديهم. فقُتل تقفور لعنه الله وعامّة أصحابه، فانهزموا بالليل، وهم يريدون المدينة، فلقيهم البطّال، فقَتل وأَسر، وولّوا الأكتاف، وقدمنا على المدينة ليلًا وهم لا يشعرون، فقَتلنا وأَسرنا وغنمنا وسبينا.

فلمّا أصبحنا عرَضَنا مسلمة، ففقد من المسلمين خمسمائة، ونظر رجاء بن حيوة في الغنائم قال: فكانت غنائم التقفورية ستمائة ألف دينار سوى المتاع، وإنّ مسلمة وهبه للناس، وأقمنا بالتقفورية عشرين ليلة.

ثمّ تقدّمنا إلى السماوة الكبرى، وهي مدينة عظيمة، وعليها أربعة أبواب من حديد فيها بِطريق عظيم الشأن يقال له: ايفريظون يتحصّن بها، وأقام بالمدينة. فتقدّمنا نحن إلى المدينة،

---

(١) [محمد: ٧]

(٢) م، ن: فأفاق.

(٣) أ، ن: + اليوم.

وأقمنا عليها أيّامًا، ونصبوا المجانيق[1] على سورها، ونصب مسلمة المجانيق[2] عليها، فرميناهم ورمونا، وأحطنا بالمدينة من جميع الأبواب، وصبرنا لهم وصبروا لنا أربعين ليلة، ثمّ إنّ بطريقًا من بطارقة ايفريظون كتب إلى مسلمة يسأله الأمان، أن يفتح له بابا من أبوابها. فبعث إليه مسلمة البطّال، فأمّنه، فلمّا جنّنا الليل فتح له الباب الأعظم، فدخل البطّال، فقتل منهم مقتلة عظيمة، وفتح له بابا آخر، فدخل مسلمة، وخرج ايفريظون من الباب الآخر، وخلّى المدينة، ولحق بالمسيحيّة، فقتلنا منهم وأسرنا منهم، من غير أن يُقتل من المسلمين أحد يومئذ إلّا تسعة رهط، وغنمنا غنيمة كبيرة.

ثمّ خرجنا من السماوة نريد المسيحيّة، فلقينا شمّاس صاحب مقدّمة ايفريظون في ثمانين ألفًا، وكان ايفريظون مقيمًا بالمسيحيّة، فقتل منّا شمّاس مقتلة عظيمة حتى ردّنا إلى السماوة. ثمّ رجعنا ورجعوا، فعند ذلك كانت الهزاهز، فقتل يومئذ من المسلمين ألف ومائة. ثمّ قتل شمّاس، فعند ذلك خرج ايفريظون خارجا من المسيحيّة، فحمل عليه مسلمة بنفسه فطُعن، ثمّ حمل محمد بن مروان فطُعن، ثمّ حمل محمد بن عبد العزيز فطُعن، ثمّ حمل عبد الرحمن بن صعصعة فطُعن، ثمّ حملتُ، يعني عبد الله بن سعيد فطُعنت طعنة منكرة، ثمّ حمل محمد بن الأحنف فطُعن، ثمّ حمل البطّال فضُرب على مفرق رأسه فخرّ صريعًا، ثمّ حمل عبد الله بن جرير بن عبد الله البجلي فطُعن، ثمّ حمل رجاء بن حيوة، فقَتل منهم مقتلة عظيمة، ثمّ حمل عليهم الضحاك بن يزيد السلمي، فلم يزل يقاتل حتى طُعن طعنة في بطنه، فاستشهد رحمه الله، ثمّ أفاق محمد بن عبد العزيز، فحمل على القوم، فلم يزل يقاتلهم حتى عُقر فرسه، ثمّ حمل عليه ايفريظون، فطعنه فخرّ صريعًا، ثمّ ضرب عنقه ورمى برأسه إلى المسلمين.

فانكسر الناس لقتل محمد بن عبد العزيز، ولقتل الضحّاك بن يزيد السلمي. ثمّ أفاق مسلمة فحمل وحمل البطّال على ايفريظون فضربه ضربة بالسيف على رأسه ففلق رأسه فخرّ ميّتًا. ثمّ كبّر البطّال وكبّر الناس وكبّر مسلمة، وحملنا حملة واحدة، ورفعنا رأس ايفريظون، فانهزم أهل المسيحيّة، فدخلنا فسبيناهم وقتلناهم وغنمنا غنائمهم.

قلت: فكم بلغتْ غنيمة أهل المسيحيّة؟ قال: بلغَنَا ألف ألف دينار واثنان وعشرون ألف دينار. فقسّمها رجاء بن حيوة بيننا. وأقمنا بالمسيحية، وهي مدينة عظيمة على شاطئ الفرات، لها ثمانية أبواب، وفيها البساتين، وهي أعمر بلاد الروم وأحصنها، وأقمنا بها ستة

(١) جميع النسخ: المناجيق.
(٢) أ، ج، م: المناجيق.

أشهر.

فصارت بلاد الروم ما دون المسيحيّة إلى بلاد الشام كلّها في يد مسلمة. ثمّ كتب إلى أبيه بذلك، فكتب إليه يأمره بالتقدّم، فتقدّمنا إلى مدينة اليوش، وهي مدينة صغيرة، إلّا أنّ اليوش كتب إلى أليون أن يمدّه، فأمدّه بالخيل والرجال، فخرج إلينا في خمسين ألفًا، فلبثنا يومًا وليلة، وتقاتلنا قتالًا شديدًا، ثمّ إنّ اليوش قُتل، فانهزم أصحابه ودخلنا المدينة. قال عبد الله بن سعيد: فما رأيت مدينة كانت أكثر غنائم منها على صغرها؛ أصبنا فيها ستمائة ألف أوقية من ذهب، فقسّمها رجاء بن حيوة بيننا.

قال: ثمّ خرجنا إلى القسطنطينية، فما لقينا منهم أحدًا حتى وردنا البحر، فأقمنا على شاطئ البحر ثمانية أشهر. ثمّ إنّ مسلمة بعث إلى أهل عمله من الروم، فهيّأوا لنا سفنًا فركبنا فيها. فقاتلناهم في البحر ثلاثة أيّام، حتى وصلنا إلى الجزيرة التي فيها القسطنطينية، والجزيرة التي فيها القسطنطينية ثمانية فراسخ. المدينة منها أربعة فراسخ والبقية جزيرة. فأقام مسلمة بتلك الجزيرة. وبعث إلى أهل عمله من الروم يبنوا له مدينة: فرسخين في فرسخين، فأقمنا فيها. وصارت بلاد الروم كلّها في يد مسلمة ما بين الشام إلى جزيرة القسطنطينية، وجبي إليه الخراج. ونصب أليون ملك الروم على المدينة المجانيق، وأقمنا بها سبع سنين وسمّاها مسلمة مدينة القهر[1]، لأنّه قهرهم عليها.

قال عبد الله بن سعيد بن قيس: لقد غرسنا بها التفاح وأكلنا منه، وغرسنا بها الكرْم وأكلنا منه، وغرسنا بها الكمّثرى وأكلنا منه، وأقمنا إقامة قوم لا يريدون الرجعة إلى بلادهم، وكنّا مع هذا نغزوهم في كلّ يوم ويغزونا، ونقاتلهم ويقاتلونا، حتى إذا جنّنا الليل رجعوا إلى القسطنطينية، ورجعنا إلى مدينة القهر. فلم نزل في ذلك سبع سنين. ثمّ تقدّمنا إلى باب القسطنطينية، فوقفنا على بابها سبعة أيّام، ما نفتر ولا نرجع إلى مدينتنا، وإنّ مسلمة ليقاتل بنفسه، وما يرجع ولا ينثني. وأقبل البطّال فقتل منهم ما بين الخمسين إلى المائة، حتى قتل في تلك الأيّام ستمائة رجل.

قال: فلمّا اشتدّ حصارنا لهم كتب ملك الروم:

إلى مسلمة بن عبد الملك أمير العرب، من أليون

أمّا بعد: فقد أخربت بلادي، وقتلتَ بطارقتي، وحصرتني في مدينتي وبلغت منّي كلّ

(١) مدينة بناها مسلمة بن عبد الملك حذاء قسطنطينية. الزمخشري، الجبال والأمكنة والمياه، ص ٢٦٦.

مبلغ. وقد أردتُ أن أجمع عليك جموع الروم كلّها، ثمّ أصول عليك صولة واحدة أفرّق جمعك، وأقتل فيها أصحابك، وأبدّد شملك. ثمّ إنّي أحببت أنّي لا أفعل ذلك، وقد عزمتُ على مصالحتك على أن ترجع إلى المسيحيّة فتقيم بها، وأؤدّي إليك كلّ سنة عشرة آلاف أوقية درهما، وستة آلاف أوقية ذهبا، وخمسة آلاف رَمَكة[1]، على أن أحقن دماء أصحابك وأصحابي، وعلى أن أسالمك وتسالمني، فإنّ ذلك أبقى لك.

فكتب مسلمة بن عبد الملك:

بسم الله الرحمن الرحيم

من مسلمة بن عبد الملك إلى أليون كلب الروم.

أمّا بعد؛ فإنّك ذكرتَ أن لو أردتَ أن تجمع الجموع، فلو قدرتَ لفعلت، ولكنّ الله مهلكك إن شاء الله، وهذه أمدادي تأتيني من الشام، وهم ذو البأس والنجدة، وهم أصحاب الدين والقرآن، لا يريدون إلّا قتالك، يطلبون بذلك الجنّة، لا يريدون الدنيا، ولا ذهبًا ولا فضة، لا يريدون الدنيا ولا أهلها. هم أشدّ حبًّا للموت منك للحياة، يطلبون بذلك جنّات النعيم.

وأمّا ما ذكرت من أمر الصلح فإنّي قد آليت بيمين أنّي لا أرجع إلى بلادي حتى أدخل مدينتك، فإن أبررتَ يميني، وإلّا وقفتُ على بابها حتى أموت، أو يفتحها الله سبحانه على يدي.

وأمّا ما ذكرت من مالك وما تصالحني عليه فإنّ ذلك حقير عندي، ذليل في عيني، وإن[2] كان قد عظم عليك كثرة ذلك فإنّه لا يكثر عندي. وبعد ذلك فإنّي إن وصلتُ إلى مدينتك، وإلّا فهي الجنّة.

قال: فلمّا قرأ أليون الكتاب صعد إلى باب القسطنطينية ثمّ نادى: أنا أليون فأين مسلمة؟ فدنا مسلمة قريبًا من الباب، ثمّ إنّ أليون قال لمسلمة: قد ضمنت لك الرضا وفوق الرضا، فارفق، ولا تعجلنّ إلى قتالي، فإنّي سأعدّ لك خيلًا غير هذه الخيل.

قال له مسلمة: اثبت مكانك. وأمرنا مسلمة أن نتهيّأ في السلاح الشاك[3]. فلمّا نظر أليون إلى ذلك هاله، ونحن يومئذ ستون ألف مقاتل، فهاله ذلك هولًا شديدًا. فعندها قال

(١) رمكة: الفرس والبرذونة تتخذ للنسل.

(٢) أ، ر، ن: إن.

(٣) الشاك: المدجج.

لمسلمة: ما الذي تريد؟ فقال له مسلمة: عزمت على أن لا أرجع حتى أدخل مدينتك. قال له أليون: ادخل وحدك ولك الأمان. فقال له مسلمة: نعم، على أن آمر البطّال وأصحابه يقفون على باب القسطنطينية، ولا يغلقون الباب. فقالوا له: لك ذلك. ففتح الباب الأعظم، ولم يُفتح قبل ذلك سبع سنين إلّا لقتال، وهو الباب الأعظم. فثبتنا عليه، والبطّال على المقدّمة على الباب ثابت، ما يزول ولا يتحرّك.

قال مسلمة: إنّي داخل فاثبتوا على الباب؛ فإن صلّيتم العصر ولم أخرج فاقحموا بخيلكم على المدينة، فاقتلوا من أصبتم، والأمير من بعدي محمد بن مروان. فركب على فرس أشهب عليه ثياب بيض[1] وعمامة، متقلّد بسيفين: سيف أبيه وسيفه، حتى دخل وبيده الرمح.

فصفّ له الملكُ الرومَ والخيلَ من باب المدينة إلى باب الكنيسة العظمى، كلّما مرّ بقوم ساروا خلفه وقد رمقوه بأبصارهم وهم يتعجّبون من شجاعته وشدّته وجرأته. فلم يزل يتقدّم حتى ورد إلى قصر أليون. فخرج إليه أليون فقبّل يده، فقال مسلمة: أنت أليون؟ فقال له: نعم. قال: فأين الكنيسة العظمى؟ قال: هذه، فدخل على فرسه، فجزعت الروم من ذلك جزعًا شديدًا.

فلمّا دخل الكنيسة نظر إلى صليبهم الأعظم وهو موضوع على كرسي من ذهب، وعيناه ياقوتتان حمراوتان، وأنفه زبرجدة خضراء. فلمّا نظر مسلمة إلى الصليب أخذه فوضعه على قربوس سرجه. فقالت الرهبان لأليون: لا تدعه. فقال له أليون: إنّ الروم لا ترضى بهذا. فخلف أن لا يخرج حتى يأخذه. فقال أليون للروم: دعوه يخرج به، لكم عليّ مثله. دعوه يخرج به، وإلّا دخل عليكم البطّال. فأخذه وخرج وهو على فرسه، وأليون مسايره حتى إذا توسّط المدينة رفع الصليب على الرمح. فلمّا نظرت الروم إلى ذلك همّوا به، ثمّ فكّروا في خراب مدينتهم إن قتلوه. فنكسوا رءوسهم. فخرج والصليب على رمحه بعد العصر وقد همّ القوم بالدخول. فلمّا نظرنا إليه كبّرنا تكبيرة واحدة كادت الأرض تخور بهم، وسررنا بخروج مسلمة سرورًا عظيمًا، ورجعنا إلى مدينتنا، فأقمنا بها سبعة أيّام ونحن مسرورون، ننتظر المال والدواب التي ضمنها أليون لمسلمة.

فكتب إليه مسلمة بن عبد الملك:

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) أ، ج، ر: بياض.

من مسلمة بن عبد الملك إلى أليون ملك الروم:

أمّا بعد؛ فإنّ الله تعالى أظفرني بك، وأعلاني عليك، وجعل لي خدّك الأسفل، فللّه الحمد والشكر كثيرًا، وأعزم بالله عزيمة ثانية، لتُوجِّهَنّ بالمال إليّ، أو لأقدمنّ إلى مدينتك، ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

فكتب إليه أيضًا أليون:

إلى الأمير مسلمة بن عبد الملك من عبده الذليل أليون:

أمّا بعد؛ فقد وجّهت إليك خمسة آلاف رَمَكة، وعشرة آلاف أوقية دراهم، وستة آلاف أوقية من ذهب، وتاجًا مفصّصًا بالدرّ والياقوت، فهو لك خاصّة.

أسألك أيّها الملك الأمير، وأطلب إليك طلب العبد الذليل، أن تخرج من هذه الجزيرة، وتقيم في أيّ البلاد شئت من بلاد الروم إن أحببت ذلك.

فلمّا أتى مسلمة الكتاب والمال والدواب والتاج، حمد الله تعالى وأثنى عليه، ثمّ عرَض الناس فكانوا يومئذ أربعة وأربعين ألف رجل قد أصابهم الجهد، فقسّم المال بينهم، وباع التاج من بعض بطارقة الروم بمائة ألف دينار، فقسّمه بيننا.

ثمّ خطبَنا، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ صلّى على النبيّ ﷺ، ثمّ قال:

أيّها الناس؛ إنّي في غمرات الموت منذ سبع سنين، لم أحبّ أن أخبركم، كرهت أن أخبث أنفسكم، وأفشلكم عن قتال عدوّكم، وقد توفّي خليفتكم عبد الملك منذ سبع سنين، ووُلّي الوليد بن عبد الملك، وكتب إليّ يوم مات فيه، وقد ولّي سليمان بن عبد الملك، وبايع له الناس، وإنّما وجّهتُ رجاء بن حيوة يوم وصلت إلى الجزيرة، لأنّ الوليد كتب إليّ، فلذلك وجّهته. فبكى الناس بكاءً شديدا، ثمّ قالوا: أيّها الأمير؛ فأنت أحقّ بالخلافة، فهلمّ نبايعك! فقال: أيّها الناس؛ لله قد أنكيت أمس في المشركين، وأشقّ عصا المسلمين اليوم، فأخالف أمرهم.

ألا إنّي قد بايعت لسليمان بن عبد الملك، فبايِعوا له، فبايع له الناس كلّهم، عند ذلك. فأقمنا في الجزيرة بعد ذلك ثلاثة أشهر، حتى أصلحنا سُفننا، وهيّأنا أمرنا، فأعطانا الغنائم.

ثمّ كتب إلى أليون ملك الروم:

بسم الله الرحمن الرحيم

من الأمير مسلمة بن عبد الملك إلى أليون ملك الروم:

أمّا بعد؛ فإنّي قد عزمتُ على الخروج من بلادك، فأجمعتُ على ذلك، وأحببتُ أن أحسن إليك كما طلبت العافية، وقد خلّفتُ عندك وديعة، مسجدي هذا الأعظم، فإيّاك ثمّ إيّاك أن تحرّك منه حجرًا أو عودًا، فإنّي أقسم عليك بالله فأعزم لئن فعلتَ لأرجعنّ، ثمّ لأقدمنّ عليك حتى يهلكك الله ويخزيك، وأمّا سوى ذلك من بناء فأنت أعلم، فإيّاك أن تغير في أثري حتى أخرج من بلاد الروم، فإنّك إن فعلت فقد خالفت وقد نقضت ما بيني وبينك فلا أمان، فأعزم بالله عزيمة ثانية لئن خالفتني، أو رأيتُ سوءًا، لاقيمنّ عمري، أو يظفرني الله بك، مع ما أنّي أرجو أن يضيّع الله أمرك، ويهتك سترك، فافعل أو دع.

فكتب إليه ملك الروم:

للأمير مسلمة بن عبد الملك، من أليون عبده الذليل:

أمّا بعد؛ فقد فهمتُ كتابك، ولك السمع والطاعة، أنّي لا أغير الجزيرة، ولا أخرج حتى تخرج من بلاد الروم.

وأمّا المسجد فوربّ المسيح، وربّ الصليب، لا يُهدم منه حجر ما كان لي سلطان، ولا يُكسر منه عود، ولا يدخله أحد من الروم أبدًا، ما عُمّرتُ في الدنيا، وقد وجّهتُ إليك ألف رمَكة، وألف أوقية من ذهب، وألف ثوب بدردكون هديّة لك، فاقبلها أيّها الأمير. فلمّا أتاه الكتاب والهدية، قبِلها ثمّ وزّعها بين المسلمين، فما تفضّل بدينار ولا درهم. ثمّ أمر البطّال أن يحمل المسلمين في السفن، ويعبرهم الجزيرة، فلم يزل ذلك دأبه، وإنّه لمقيم في المدينة حتى عبر الناس كلّهم، وبقي في مائة فارس، فمضى إلى القسطنطينية فقال:

يا أليون؛ إنّي ماضٍ فهل لك من حاجة؟ فخرج إليه أليون، فسلّم عليه، فلم يصافحه مسْلمَة، فقبّل أليون رجله، ثمّ قال أليون:

أيّها الأمير الموفق الكبير؛ إئذن لي حتى أسير معك، فأبى، وأمره أن يرجع إلى المدينة، فرجع، فإنّ مسْلمة لواقف على باب القسطنطينية حتى دخلوا كلّهم إليها، ثمّ أقبل فعبر الجزيرة، هو والمائة فارس، ولم يتخلّف بالمدينة خلف من الناس، ولم يترك بها متاعا ولا مالًا ولا زادًا إلّا حملناه معنا.

فلمّا عبر مسْلمة كبّر وكبّر المسلمون، فأقمنا على شاطئ البحر سبعة أيّام. وجاء أليون

حتى دخل مدينة "القهر" فأقام بها. فلمّا ارتحلنا خرّبها كلّها عن[1] آخرها ما خلا المسجد. وأقبلنا حتى دخلنا المسيحيّة. وأمر مسْلمة أصحاب المسائح[2] أن يلحقوا به، فلم يخلّف مسلمة أحدًا، وعبر الفرات، وأقمنا بالمسيحيّة، ووقع الموت والطاعون بالمسلمين، فمات من المسلمين خمسة عشر ألف رجل، فاغتمّ مسْلمة لذلك غمًّا شديدًا وهاله ذلك، وكان الخراج يُحمل إليه، فيقسمه بيننا، ولم يُحْدث أليون ولا أحد من أصحابه حدثا[3]. وأخرب مسْلمة مدينة المسيحيّة، وتحوّل عنها إلى التقفورية، لأنّ أهل المسيحيّة كانوا قد همّوا أن يغدروا بالمسلمين، فخرّبها وقتل رجالها وسبى نساءهم. وأقام بالتقفورية ستة أشهر، ثمّ عرَض الناس، فكانوا يومئذ خمسة وعشرين ألفا، فاغتمّ لذلك مسلمة غمًّا شديدا[4].

وأتاه كتاب رجاء بن حيوة يُخبره أنّ سليمان بن عبد الملك توفّي، وأمر أن يُستخلف عمر بن عبد العزيز، فإنّي قد بايعت له، وبايع له الناس، وهو عدلٌ مَرضيّ في الرعيّة، ويقسم بينهم بالسويّة، ورضيتْ به بنو أميّة، وقريش كلّها، ورضي به أهل الآفاق والأمصار، ودخلوا في بيعته، وقد كتب إليك كتابًا يأمرك بالقدوم عليه، ويعزلك عن بلاد الروم، ويأمرك فيه بالبيعة له والطاعة، فاقْبَلْ كتابه، وانفَذْ لأمره، وأطِعْه ترشد، إن شاء الله. فإيّاك أن تخالف فتفسد ما أصلحتَ وتنقض ما أبرمت، مع ما أتخوّف عليك من العقاب والعذاب الشديد في شقّك العصا وخلافك على الأمّة. فاقْبل وصيّتي، فقد علمت نصيحتي لك والسلام.

فأتاه كتاب عمر بن عبد العزيز وإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى مسلمة بن عبد الملك:

أمّا بعد؛ فإنّ الله تعالى خلق الخلق على ما شاء من تقديره، ودبّرهم بمشيئته وإرادته، فله الحمد والشكر كثيرا. وقد كان مما قضى الله وقدّر أن ولّاني أمر المسلمين، وجعلني خليفة في الأرض، فأسأل الله أن يخرجني مما أدخلني فيه سليما سويّا خميصًا، لا تبعة عليّ في ذلك ولا عقاب، فقد طال حزني بذلك، ومرضَ قلبي، وتفتّتَ كبدي. وقد بايع لي بنو أميّة كلّهم، وجميع الأمصار، فادخل مع الجماعة، وأقدم بمن معك جميعا، ولا تخلفنّ أحدًا، فقد عظمت

(١) أ، ر، ن: من.

(٢) المسائح: الأقواس، ولعل المقصود فيها حملة الأقواس الذين يؤمّنون الجيش المنسحب من الخلف.

(٣) النسخ عدا ج: ولم يحرث أليون ولا أحد من أصحابه حرثا. ج: ولم يخرب أليون ولا أحد من أصحابه حربا.

(٤) النسخ عدا م: - شديدا.

المصيبة بالمسلمين.

فلمّا أتى مسلمة الكتاب تمعّر وجهه وتغيّر لونه، ثمّ دعا محمد بن الأحنف، وعبد الرحمن بن صعصعة، وعبد الله بن جرير، ورؤساء أهل الأمصار ممن معه، فأدخلهم إلى رحله، ثمّ قال: هذا كتاب عمر بن عبد العزيز، فماذا ترون؟ فقال له محمد بن الأحنف: أرى أن تدخل فيما دخل فيه المسلمون، وتكون مع الجماعة، فإنّ الرشد والتوفيق في الجماعة.

ثمّ قال لعبد الله بن جرير: وأنت ما ترى؟ فقال: مثل مقالة صاحبه.

ثمّ قال لعبد الرحمن بن صعصعة: وأنت ما تقول؟ قال: أيّها الأمير؛ أقم في موضعك، ولا تخرج إليه، فان طلب البيعة فبايعه، فإن أبى خالفته وبايعك الناس، فأنت أولى بذلك منه.

فقال له محمد بن الأحنف: اتّق الله أيّها الأمير؛ فقد علمتَ نكايتك من العدوّ منذ سبع سنين، فإيّاك أن يكون آخر أمرك إلى الدمار، فهذا أوّل الدمار أن تخالف السنّة وتشقّ العصا، ولكن سرْ بنا؛ فأنت موضع الفضل والشرف، ومع هذا أيّها الأمير؛ تلمّ بأهلك وقرابتك. مع أنّك بحمد الله ممن يُحتاج إليه، ويُطلب ما عنده لثلاث خصال.

أمّا الواحدة فالفهم والعلم، والثانية الشجاعة والبأس، والثالثة الشرف في أهل بيتك. فلا تفسد هذه الخصال في الخلاف والشقاق.

قال مسلمة: فقد تكلّمتم، وقد علمتُ ما جاء من رجلٍ رجلٍ منكم. فكلّكم أراد النصيحة، وكلّكم أراد الشفقة. لا خير في عيش الدنيا مع الخوف والرعب.

فقد ولّي هذا الرجل فأهل ذلك[1] في ورعه ودينه. وقد كتب إليّ رجاء بن حيوة بكتابٍ سرّني ما ذكر فيه من عدله وإنصافه. ولا مثله يفسد مثلي، ولا مثله يخلّي مثلي. إنّه أنظَرُ لي من جميع إخواني، وأقوَم بحقّي، وأعرف بفضلي؛ لأنّه أبرُّ بي من إخواني، وأكرم عليّ مع مصاهرته وقرابته. وقد عزمتُ على الشخوص إليه؛ فإن أكرم وقرّب فأهل ذلك، وإن باعد وتنحّى فبما سلف من ذنوبي.

فقلنا له: وفّقك الله؛ فنِعمَ ما رأيت أن بايعته. فصيّر على مقدّمته محمد بن الأحنف، وعلى الميمنة عبد الرحمن بن صعصعة، وعلى الميسرة محمد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان؛ ابنه. وصار هو في القلب. وصيّر على السّاقة[2] عبد الله بن سعيد، وأخرب مدينة التقفوريّة.

---

(١) ج، ن: لذلك.

(٢) الساقة: مؤخرة الجيش.

ثمّ خرجنا[1] منها، فلم نزل نسير إلى أن دخلنا إلى عموريّة[2]. فأقمنا بها ثلاثة أيّام. ثمّ خرجنا منها، وهدّم مسلمة سورها، وعزل جميع عمّاله من بلاد الروم.

فقدمنا دمشق في ثلاثين ألفًا، فدخلناها، وقد مات رجاء بن حيوة قبل ذلك بعشرة أيّام، فبلغ ذلك مسلمة فغمّه غمًّا شديدا، وأقام بباب دمشق، وكتب إلى عمر بن عبد العزيز، فلم يأذن له في الدخول إلى المدينة ثلاثة أيّام، حتى طلب إليه جميع بني أميّة. فأذن له، فدخل، فمضى ومضينا معه إلى منزل عمر بن عبد العزيز بالخيل والناس وهيئة السفر، فلم يأذن له.

فرجع إلى منزله، فلمّا كان من الغد، ركب وركبنا معه ألف رجل من القوّاد، فلم يأذن له أيضا فرجع، وركب إليه من الغد في أهل بيته ومواليه. فلم يأذن له. وركب إليه من الغد في إخوانه وبني عمّه، فلم يأذن له. فرجع ومضى إليه من الغد في ثلاثة؛ إبنيه وغلامه، فلم يأذن له، فرجع، ومضى إليه من الغد وحده فلم يأذن له، فرجع، ومضى إليه من الغد راجلًا، فأذن له، وعنده وجوه قريش، ورؤساء أهل الشام. فسلّم عليه بالخلافة فردّ عليه ردًّا ضعيفا، ولم يأذن له بالقعود ساعة. فبكى مسلمة وقال: ما أراني عاصيًا، فإن كنتُ عاصيًا فقد عصى من هو خيرٌ منّي، وإن كنتُ مداهنا فقد داهن من هو خيرٌ منّي. فما جرمي إلّا أن أنكيتُ في المشركين، وأبليتُ، وقمتُ بحقّ الله تعالى، وقتلت عدوّه، ولم تأخذني فيه لومة لائم، فإنما فعلت بما أُمِرت، وأوصيت بالدخول إلى المدينة العظمى فدخلت. هذا كلامي وهذا عذري، فاقبل منّي أو دَعْ. فقال عمر بن عبد العزيز: يا مسلمة؛ سرت بالمسلمين أقصى بلاد الروم؛ فقتلت الضعيف وأتعبت القوي، تطلب الشرف وأردتَ الرئاسة.

أما كان يكفيك من القسطنطينية بلاد عموريّة والقيام بها؟ ولكنّك أردت أن يقال: هذا مسلمة بن عبد الملك شديد العرب. فالويل لك إن آخذك الله بقتل رجل من المسلمين. ويحك يا مسلمة؛ لقد بلغني عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «الويل لمن أهلك نفسا مؤمنة».

فقد عفونا عنك ما كان من جهلك، اقعد؛ فقعد. فقال: هات يا مسلمة؛ حدّثني عن بلاد الروم. فقال مقاتل، مولى عمر بن عبد العزيز: سمعت مسلمة وهو يقول لعمر: ما رأيت بلادًا تشبه القسطنطينية. قال عمر: صِفها لي. قال: هي مدينة برّيّة بحريّة، الخير فيها كثير، من الفاكهة والطعام واللباس فيها ظاهر، والدواب فيها فرهة! قال عمر: صف لي سورها

(١) أ، ر، ن: أخرجنا.

(٢) النسخ عدا ج: أعمورية.

وأبوابها وكنيستها العظمى وقصرها الكبير. قال: أمّا سورها فحجارة، وعرض السور ما يسير عليه مائة فارس عرضًا. فأمّا الأبواب فإنّها حديد، عرض ما بين كلّ بابٍ ميل. وأمّا الكنيسة العظمى، فمن رخام مصفّف مفصّص بالحجارة المذهّبة وبالجوهر، وأمّا قصرها فمن رخامٍ ولم أدخله يا أمير المؤمنين.

قال عمر: أسألك بالله يا مسلمة؛ هل جبنت حيث دخلتها؟ قال مسلمة: لا واللهِ يا أمير المؤمنين؛ ما جبنتُ، ولكنّي كنت أجرأ ما كنت حيث دخلتها. قال: كيف رأيت أهل الروم؟ قال: قوم سوء، وقلوبهم خائفة، فإذا صدقوا هربوا، ولقد قتلنا منهم مقتلة عظيمة، فالحمد لله على ذلك كثيرًا. قال عمر: غفر الله لك. ثمّ وجّه سراقة بن عبد الرحمن أميرًا على الثغور، وأمره أن يبلغ العمورية، فإذا بلغها لا يجوز إلى غيرها. وأقام مسلمة عند عمر بدمشق ورضي عنه.

تأديب عمر بن عبد العزيز مسلمة بن عبد الملك

وبالإسناد قال مقاتل: ثمّ إنّ عمر بلغه أنّ مسلمة ينفق على مائدته ألف درهم في كلّ يوم. وكان عمر يُطعم السّوّال من غلّته ألف سائل في كلّ يوم؛ يطعمهم ثلاثة ألوان وشواء. وكان يأكل هو يومًا لحمًا، ويومًا خلًّا وزيتًا، ويومًا عدسًا. وكان قد صيّر الدنيا ثلاثة أيّامٍ: يوما للقضاء، ويوما لأهله، ويوما لحوائج الناس. والليل للعبادة. فكان إذا جنّه الليل لبس جبّة الصوف، وجعل الغلّ في عنقه، والقيد في رجله. ونادى: يا ربّ؛ هذا عذاب الدنيا، فكيف عذاب الآخرة.

ثمّ بعث إلى مسلمة يأمره أن يتغدّى عنده، فأتاه. فأمر عمر بجفان السّوّال أن تهيّأ، وهيّأ له طعامًا. وأمر أن يحبس الطعام، وأن يقدّم العدس. فلمّا أبطأ عليهم الطعام، وجاع مسلمة جوعًا شديدًا، قال عمر: ويحك يا مقاتل؛ إنّ أبا سعيد لا يصبر على الجوع، فأتِنا بما عندك. فأتاه بعدس، فأكل أكلًا منكرًا حتى شبع، ثمّ أُتِيَ بالطعام. فقال عمر: كُلْ يا أبا سعيد، فقال: قد اكتفيت. قال عمر: يا أبا سعيد؛ تكفيك أكلة بدانقين، وأنت تنفق على مائدتك ألف درهم كلّ يوم. فقال مسلمة: أُعطي عهد الله أن لا أعود إلى مثل ذلك، فرجع عنه.

ومن أخبار عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

وبالإسناد قال مقاتل: رأيت قومًا من العبّاد، وقد أتوا محمد بن عمر بن عبد العزيز، فسألوه عن عمل أبيه، فقال: ما أذكر أنّي رأيته، ولكنّي أدخل على أمي فاطمة ابنة عبد الملك

بن مروان، فأسألها[1] عن هذا إن شاء الله. فدخل عليها. فقال: يا أمّه؛ ما صنع أبي؟ فإنّ الناس قد لجّوا عليَّ في ذلك. فقالت فاطمة ابنة عبد الملك: يا بنيّ لا يريد أن تُعلم؟ قال لها: فإنّهم لا يدَعوني حتى أخبرهم. قالت: نعم، قل لهم: إنّ أبي كان من أعظم قريش، وأرفههم مركبًا، وألينهم ثوبًا، وأطيبهم طعامًا، قبل أن يَلِيَ الخلافة، فلمّا وليَ الخلافة لبِسَ الكرابيس والصوف، وربما ادّهن بزيت القلّة، تعني زيت الماء[2]، ولا رفع ثوبًا يدّخره، ولا اتّخذ أمَةً منذ وُلِيَّ إلى يوم مات، فهذه كانت حاله.

قال مقاتل: فلمّا حضَرتْ عمر بن عبد العزيز الوفاة، قال له: يا مقاتل؛ إنّه بلغني عن النبي ﷺ أنّ الإمام العادل إذا وُضع في قبره تُرك على يمينه، وإذا كان جائرًا نقل من يمينه إلى يساره، فاطّلِع حتى تنظر إليّ. قال: فاطّلعتُ، فرأيته على يمينه، والحمد لله.

قال مقاتل: رأيته قبل أن تخرج الروح من جسده، وهو يضحك ويقول: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾[3]. ثمّ مات رحمه الله.

ولنا في الأخذ من السلطان وترك الأخذ من الناس للمنّة

إنّ الحلالَ من المكاسب همّتي ... والأخذ من مال الفتوح أُجانِبُهْ
تمضي[4] المروءة أخذَه من عالم ... مذمومة أحواله ومذاهبُهْ
يمتنّ من قبل العطاء وربما ... سألت عليك بما يعرّ مذانبهْ
فلتجتنبْ أخذ الفتوح فإنّه ... تجني على الأعقاب منك عواقبهْ
إلّا من السلطان فهو نصيبُكم ... ممّا تعيّن بالشريعة واجبهْ
هو عنده للمسلمين أمانة ... فمتى حبَاكَ فخذه إنّك صاحِبهْ[5]

قال ابن الواسطي، وقد ذكرت إسنادنا إليه: ثنا القاسم بن مزاحم، عن محمد بن الحسن العسقلاني، عن محمد بن عمرو بن الجراح الغزّي، عن أبي الصلت شهاب بن خراش، عن سعيد بن سنان، عن أبي الزاهرية، قال: أتيت بيت المقدس أريد الصلاة، فدخلتُ المسجد، وغفلتْ عنّي سدنةُ المسجد حتى أطفئت القناديل، وانقطعتْ الرجْل، وغُلّقت الأبواب.

---

(١) ج، ر: فسألها.
(٢) زيت الماء: الزيتون الفج الذي لم يتم نضجه.
(٣) [الصافات: ٦١].
(٤) النسخ عدا ج: يمضي.
(٥) انتهى السمر.

فبينما أنا على ذلك إذ سمعت حفيفًا له جناحان قد أقبل، وهو يقول: سبحان الدائم القائم، سبحان القائم الدائم، سبحان الحيّ القيّوم، سبحان الملك القدّوس، سبحان ربّ الملائكة والروح، سبحان الله وبحمده، سبحان العليّ الأعلى ﷻ.

ثمّ أقبل حفيفٌ يتلوه يقول مثل ذلك، ثمّ أقبل حفيفٌ بعد حفيفٍ يتجاوبون بها حتى امتلأ المسجد، فإذا بعضهم قريب منّي، فقال: آدمي؟ فقلت: نعم، قال: لا روع عليك، هؤلاء الملائكة! قلت: سألتك بالذي قوّاكم على ما أرى؛ مَن الأوّل؟ قال: جبريل. قلت: ثمّ الذي يتلوه؟ قال: ميكائيل. قلت: مَن يتلوه بعد ذلك؟ قال: الملائكة. قلت: سألتك بالذي قوّاكم على ما أرى، ما لقائلها من الثواب؟ قال: من قالها سنةً في كلّ يوم مرّة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنّة، أو يُرى له. قال أبو الزاهرية قلت: سنة، وسنة كثير، لعلّي لا أعيش، فقلتها في يومٍ عدد أيّام السنة، فرأيت خيرًا. قال سعيد بن سنان: فقلت سنة، والسنة كثير، لعلّي لا أعيش فيها، فقلتها في يومٍ عدد أيّام السنة، فرأيت خيرًا. قال الحوشبي: فقلت سنة، والسنة كثير، لعلّي لا أعيش فيها، فقلت: في يومٍ، فرأيت خيرًا. قال محمد بن عمرو: فقلتها في ثلاثة أيّام، أو أربعة، في كلّ يوم مائة مرّة، فكان الرجل يلقاني فيقول: رأيت لك كذا وكذا أظنّه من ذلك. قلت: وقلتها أنا[1] في ليلة فرأيت خيرًا، وقالها صاحبي عبد الله الحبشي، فرأى أو أُري له خيرًا.

ومن باب الوطن ما قالت العجم اللسن

من علامة الرشد أن تكون النفس إلى مولدها مشتاقة، وإلى مسقط رأسها توّاقة.

وقال الحكيم: فطرة الرجل معجونة بحبّ الوطن، ولذلك قال أبقراط: يُداوَى كلّ عليل بعقاقير أرضه؛ فإنّ الطبيعة تقطع بهواها، وتفزع إلى غذائها. وقال ابن عباس: لو قنع الناس بأرزاقهم قنوعهم بأوطانهم لما اشتكى عبدٌ الرزقَ. والذي يؤكّد ما ذكرناه في حبّ الوطن، قول الله ﷻ حين ذكر الديّار، فخبّر عن مواقعها من قلوب عباده، فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾[2].

وسوّى بين قتل أنفسهم وبين الخروج من ديارهم، وقال تعالى: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي

(١) الضمير هنا يعود على الشيخ الأكبر.
(٢) [النساء: ٦٦].

سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾[1].

وقيل: لولا حبّ الناس الأوطانَ لخرب البلدان.

وقيل: من أمارات العاقل برّه لإخوانه، وحنينه إلى أوطانه، ومداراته لأهل زمانه.

كما قيل: (ودارِهم فاللّبيبُ مَن دارَى).

قالت العرب: حماك أحمى لك، وأهلك أحفى بك.

حكمة

الغربة كربة، والقلّة ذلّة.

وقال القائف: إذا أحسّتْ النفس بمولدها تفتّحت مشامّها؛ فعرفت النسيم، وأكثرت الشميم.

وقال الآخر: يحنّ اللبيب إلى وطنِه، كما يحنُّ النجيب إلى عَطِنِه.

وقال بعضهم: كما أنّ لحاضنتك حقّ لبنها، فكذلك لأرضك حرمة وطنها.

وشبّهت الحكماءُ الغريبَ باليتيم اللطيم؛ ثكِل أباه وأمّه؛ فلا أمّ ترام له، ولا أب يحرب عليه.

وفي المثل: أوضح من مِرآة الغرائب.

قالت الحكماء: أكرم الخيل أجزعها من السوط، وأكيس الصبيان أشدّهم بغضًا للكتّاب، وأكرم الإبل أشدّهم حنينًا إلى أوطانها، وأكرم المهارى أشدّها ملازمة لأمهاتها، وخير الناس آلفهم للناس.

قال بعض الشعراء في الوطن:[2]

ألا ليت شعري والحوادث جمّةٌ ... متى تجمع الأيّام ما فرّق الشملا

وكلّ غريبٍ سوف يمسي بذلّةٍ ... إذا بان عن أوطانه وجفا الأهلا

وأنشدنا أبو بكر بن سكر قال: كان المازني ينشد لعروة:

اقرأ على الوَشل السلام وقلْ له ... كلّ المشارب مُذ هجرتَ ذميمُ

جبلٌ ينيفُ على البلاد إذا بدا ... بين الغدائر والرمالِ مقيمُ

---

(١) [البقرة: ٢٤٦].

(٢) هو ابن الزقاق البلنسي (ت: ٥٢٨).

لو كنتُ أملك منع مائك لم يذق ما في قِلاتِك ما حييتُ لئيمُ

وأنشدنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الوزغي بمسجد ابن عتّاب بقرطبة لمجنون بني عامر:

إلى عامر أصبو وما أرض عامرٍ هي الرملة الوعساء والبلد الرحبُ
معاشر بيض لو ورَدتَ بلادهم ورَدتَ بحورًا للهدى ماؤها عذبُ
إذا ما بدت للناظرين خيامهم فثمَّ العتاق القُبُّ والأسل القضْبُ

وأنشدنا أبو الحسن علي بن خروف بمنزلي لامرأةٍ من عقيل:

خليليّ من سكان ماوان هاجني هبوب جنوبٍ مرّها وانتسامها
فإن تسـألاني ما ورائي فإنّني بمنزلة أعيى الطبيبَ سـقامها

وأنشدنا أيضا:

أقول لقومٍ ألّفَ الدهر بينهم وبيني والأيّام تحوي وتفرقُ
فإنّي وإن أحمدتُ عقد وصالكم ففي غير مثوى أرضكم أتشرّقُ
سقى الله قومي كلّ يومٍ وليلةٍ عوارضَ مُزنٍ صوبها يتدفّقُ

ومن باب العشّاق والعشق

قال علي بن عبيدة: العشق أرواح تجول في الخلقة، وفرحٌ يجول في الروح، وسرور ينشي الخواطر، له مستقرّ غامض، ويحلّ أطيب المسالك، ينساب في الحركات، ويهدّئ القوي ويقوّي[1] ما ضعف.

يقول أناسٌ لو نعتّ لنا الهوى ووالله ما أدري لهم كيف أنعتُ
فليس لشيءٍ منه جزء أحدُّه وليس لشيءٍ منه وقتٌ موقّتُ
بلى غير أنّي لا أزالُ كأنّني عليّ من الأحزان بيتٌ مبيّتُ
وأنضحُ وجهَ الأرض طورًا بعبرتي وأقرعُها طورًا بظفري وأنكتُ
وقد زعموا بي أنّني لا أحبُّه فما لي أراه من بعيدٍ فأبهتُ
إذا اشتدّ ما بي كان آخر حيلتي له وضع كفّي تحت خدّي وأصمتُ

وأنشدنا ابن مرّتين من هذا الباب:

الحبُّ فيه حلاوةٌ ومرارةٌ والحبّ فيه شقاوةٌ ونعيمُ

(١) النسخ عدا م: يقوّي.

الحبّ أهونه شـــديدٌ قادح الحبّ أصغر ما يكون عظيمُ
الحبّ صاحبه يبيت مسهّدًا[1] ويطير منـه فؤاده ويهيمُ
الحـبّ لا يخفى وإن أخفيتـه إنّ البكاء على المحـبّ نميمُ
الحبّ يَشـهد صـادقا في وجهه عنـد التنفّس أنّـه مهمومُ
الحبّ داءٌ قد تضـمّنه الحشـا بين الجوانح والضـلوع مقيمُ

حكاية

قال إبراهيم بن سعيد: كنتُ عند المأمون يوم نيروز، فجاء الناس بهدايا، فأمر بردّها استحقارًا لها، فرُدّت الهدايا، وكانت في المهديّين امرأة معها هديّة، ولها رقعة فيها مكتوب:

ألم ترَنا نهدي إلى الله ما له وإن كان عنه ذا غنًى فهو قابِلهْ
ولكنّنا نهدي إلى من نحبّه على قدرنا لا نحو ما قد يشاكلهْ

قال: فأمر المأمون بقبول الهدايا.

حديث مرفوع، رفعه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز إلى أبي هريرة قال؛ قال: «بينما النبيّ ﷺ جالس في أحفل ما يكون من أصحابه، إذ أقبل إليه أعرابيّ من بني سُليم باكيًا. فقال له النبيّ ﷺ: ما يبكيك يا أخا بني سليم؟ قال: إنّي ربما قمت في صلاتي فيأخذني الهذيان، وربما نمت[2] فتأخذني الفكرة في منامي، وربما أخذتني الوسوسة حتى كادت تفسد عليّ ديني. فقال له النبيّ ﷺ: يا سُلَيمي[3]؛ هذا عمل إبليس لعنه الله، ألا أعلّمك تسعة عشر اسمًا علّمنيها ربُّ العالمين حين أُسريَ بي إلى السماء السابعة؟

أربعة منها مكتوبة على جبهة إسرافيل.

وأربعة مكتوبة على جبهة ميكائيل.

وأربعة مكتوبة على جبهة جبريل.

وأربعة مكتوبة على جبهة عزرائيل.

وثلاثة مكتوبة على جبهة الناموس الأكبر، وهو أحد حملة العرش، جناح له في المشرق، وجناح في المغرب، وعنقه مثنيّة تحت قائمة من قوائم العرش، لو أمره الجبّار ﷻ أن يلتقم

(١) أ، ر، ن: مسهرا.
(٢) ج، ر، م: قمت.
(٣) النسخ عدا م: يا سلمي.

السماوات وما بينهنّ وما فيهنّ وما عليهنّ، كان أهون عليه من طرفة عين.

قال: بلى يا رسول الله. فقال: يا أخا بني سُليم؛ إنّها تسعة عشر اسمًا، ما دعا بهنّ مهمومٌ إلّا فرّج الله عنه همّه، ولا مغمومٌ إلّا فرّج الله عنه غمّه، ولا غائب إلّا ردّه الله ﷻ، ولا مريض إلّا شفاه الله، ولا مديون إلّا قضى الله دَينه، ولم تكن هذه الأسماء في منزل إلّا طُرِد عنه إبليس وجنوده؛ فإذا أمسيت وأصبحت فقل:

اللهمّ إنّي أسألك يا رحمن يا رحيم، ويا جار المستجيرين، ويا مأمن الخائفين، ويا عماد من لا عماد له، ويا سند من لا سند له. ويا ذخر من لا ذخر له، ويا حرز الضعفاء، ويا عظيم الرجاء، ويا منقذ الهلكى، ويا منجي الغرقى، ويا محسنُ، ويا مجمّلُ، ويا منعِمُ، ويا مفضِلُ، ويا عزيز، أنت الذي سجد لك سواد الليل وضوء النهار وشعاع الشمس وحفيف الشجر ودويُّ النحل ونور القمر، يا ألله يا ألله يا ألله لا شريك لك؛ أسألك أن تصلّي على محمد وعلى آل محمد. ثمّ تدعوا بحاجتك».

ومن جواهر الكلام

أطيب الأشياء العافية، وأفضل الدارين الباقية.

الطاعة حرز، والقناعة عزّ، والعلم كنز، والصمت فوز.

الثقة بالله مال المؤمن، والرحمة من الله حظّ المحسن؛ فمن وثق بالله أغناه، ومن أحسن إلى خلقه نجّاه.

إنّ الدنيا لا تصفو لشائب، ولا تفي لصاحب، لا تخلو من فتنة، ولا تخلَى من محنة؛ فأعرض عنها قبل أن تعرِض عنك، واستبدل بها قبل أن تستبدل بك؛ فإنّ نعيمها ينتقل، وأحوالها وثمرتها سوء الجزاء.

مَنْ أطاع الله جلّ فارتفع، ومَن عصاه ذلّ فاتّضَع.

مَن أطاع الله ملك، ومن أطاع هواه هلك.

كم من جامعٍ لمن لا يشكره، ومنفق فيما لا يسرّه.

من تمام العلم استعماله، ومن تمام العمل استقباله؛ فمن استعمل علمه[1] لم يخل من رشاد، ومن استعمل عمله لم يقصر عن مراد.

---

(١) أ، ر: فمن استعمله علمه. ج: فمن استعمله عمله. م: فمن استعمل عمله.

ثمرةُ العلم أن تعمل به، وثمرةُ العمل أن تؤجَر عليه.

كلُّ عزٍّ لا يوطّده دِينٌ مذلّة، وكلُّ علم لا يؤيّده عقلٌ مضلّة[1].

ذَلَّ من ليس له ظالم يعضده، وضَلَّ مَن ليس له عالم يُرشده.

الزهد بصحّة اليقين، وصحّة اليقين بصحّة الدِّين؛ فمن صحّ يقينه زهد في الثراء، ومن قوي دينه أيقن بالجزاء.

وصيّة من شيخ ناصح لتلميذ قابل

روينا من حديث ابن ثابت، قال: أنا عبد الرحمن بن محمد بن فضالة النيسابوري، أنا محمد بن عبد الله بن شاذان، سمعت يوسف بن الحسين يقول: قلت لذي النون في وقتِ مفارقتي له: مَن أُجالس؟ فقال: عليك بمجالسة من يذكّرك اللهَ رؤيتُه، وتقع هيبتُه على باطنك، ويزيد في عملك منطقُه، ويزهّدك في الدنيا عمله، ولا تعصِ الله ما دمت في قربه، يعظك بلسان فعله، ولا يعظك بلسان قوله.

ومن هذا الباب ما حدّثنا المورواري، عن الخشّاب، ثنا عبد الله بن الأستاذ قال: دخل رجل من أصحابنا على أبي العباس الخشّاب الزاهد، فسلّم عليه، وقال له: يا أبا العباس؛ أريد أن أقرأ عليك مما في هذا الكتاب، لكتابٍ كان بيده، ففتح فقرأ عليه من باب الورع والزهد والتوكّل. والخشّاب ساكت. فقال الرجل: يا أبا العباس؛ إنما أقرأ عليك هذه الأبواب لتتكلّم لي عليها. فقال له الخشّاب: اقرأني فإنّي أنا ذلك الكتاب. فخرج الرجل من عنده، ودخل إلى الشيخ أبي مدين، وهو إذ ذاك بمدينة فاس، فقال: يا أبا مدين؛ اتّفق لي مع الخشّاب كيت وكيت، فقال أبو مدين: صدق الخشّاب، هل قرأت عليه بابا ليس هو حاله؟ فإذا كان حاله لا تفهمه، ولا يؤثّر فيك، فكيف قوله؟! فاتّعظ الرجل.

أخبرني عبد الله بن الأستاذ المورواري، عن كشف أبي العباس الخشّاب، قال: خطر لأبي مدين طلاق امرأته، واستخار الله، ثمّ رأى أن يستأذن في ذلك أبا العباس الخشّاب، فإنّه كانت له حالة تعليم من الله تعالى، فوافق هذا الخاطر دخول الخشّاب على أبي مدين، فقبْل أن يكلّمه أبو مدين، قال له الخشّاب: يا أبا مدين؛ يقال لك: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾[2] فمسكها.

---

(١) رسمها في النسخ: مظلة.

(٢) [الأحزاب: ٣٧].

ولهذا الخشّاب عجائب. زرتُ قبره مع ابن يخلف بمدينة فاس، فأتى خبر أنّه يوم مات ما بقي وليٌّ لله له خطوة إلّا حضره.

وصيّةُ نوحٍ ابنَه عليه السلام

روينا من حديث أحمد بن محمد بن زياد، قال: ثنا محمد بن عبد الملك الدقيقي، ثنا خنيس، ثنا زيد بن بكر بن خنيس، عن محمد بن إسحق، عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أوصى نوحٌ ابنَه فقال: لا أطوِّل عليك؛ احذر أن لا تنسى اثنتان واثنتان: اثنتان يستبشر الله ﷻ بهما وصالح خلقه، واثنتان يحتجب الله بهما وصالح خلقه. فأمّا الاثنتان التي يستبشر الله ﷻ بهما وصالح خلقه، فشهادة أن لا إله إلّا الله، وأنّ السماوات والأرض وما بينهما وما فيهنّ، لو كنّ حلقة لفصَمَتْها[1]، ولو كنّ في كفّة لرجحتْ، وسبحان الله وبحمده، فإنّها صلاة الخلق، وبها يُرزقون.

وأمّا الاثنتان التي يحتجب الله ﷻ منهما وصالح خلقه، فالشرك به والكِبْر. فقال رجل من أصحابه: يا رسول الله؛ إنّي لأحبُّ أن يجمل مركبي، ويلين مطعمي، ويحمل علاق سوطي، وقبال نعلي؛ فذلك الكِبر؟ قال: لا. ولكنّ الكِبر أن تُبطر الحقّ، وتغمص[2] الناس» واللفظ لابن الأعرابي.

نصيحة

رويناها، عن الحسن من حديث ابن ثابت قال: ثنا أحمد بن الحسين بن محمد بن عبد الله، ثنا جدّي، ثنا أبو بكر أحمد بن يحيى بن عمرو بن عتيق العامري، ثنا أحمد بن علي بن خلف، ثنا سري بن المغلّس السقطي، ثنا يزيد، عن المسعودي، عن عون بن عبد الله، قال:

سمعت الحسن يقول: ابن آدم؛ لو أنّك تجد حقيقة الإيمان، ما كنتَ تعيبُ الناس بعيبٍ هو فيك، حتى تبدأ بذلك العيب من نفسك فتصلحه، ولا تصلح عيبًا إلّا ترى عيبا آخر، فيكون شغلك في خاصّة نفسك، وكذلك أحبُّ ما تكون إلى الله إذا كنت كذلك.

ومن حديثه أيضًا قال: أنا محمد بن علي الاصبهاني التاجر، ثنا أحمد بن محمود القاضي بالأهواز، ثنا محمد بن زكريا، ثنا ابن عائشة قال: سُئل علي بن الحسين، عن صفة الزاهد في

---

(١) فصم: شقَّ وصدع.

(٢) تغمص: تحتقر.

الدنيا فقال: يتبلّغ بدون قوته، ويستعدّ ليوم موته، ويتبرّم بحياته.

حكاية شاب اصطنعه الحقّ تعالى

روينا من حديث ابن ثابت قال: ثنا علي بن القاسم الشاهد بالبصرة قال: سمعت أبا الحسن أحمد بن محمد بن عيسى قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول: كان شابّ يحضر مجلس ذي النون بن إبراهيم المصري مدّة، ثمّ انقطع عنه زمانًا، ثمّ حضر عنده وقد اصفرّ لونه، ونحل جسمه، وظهرت آثار العبادة والاجتهاد عليه. فقال له ذو النون: يا فتى؛ ما الذي أكسبك خدمةُ مولاك واجتهادُك، من المواهب التي منحك بها ووهبها لك واختصّك بها؟ فقال الفتى: يا أستاذ؛ وهل رأيتَ عبدًا اصطنعه مولاه من بين عبيده واصطفاه وأعطاه مفاتيح الخزائن، ثمّ أسرّ إليه سرًّا، أيحسن به أن يفشي ذلك السرّ؟

ثمّ أنشأ يقول:

مَن ساررو فأبدى السرَّ مجتهدًا ... لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا
وباعدوه فلم يُسعد بقربهم ... وأبدلوه مكان الأنس إيحاشا
لا يصطفون مذيعًا بعضَ سرّهم ... حاشا وِدادهم من ذلكم حاشا

وقال: وحدّثنا يحيى بن علي، عن عبد الله الدامغاني، عن ابن سلام، سمعت يحيى بن معاذ يقول:

مَن عرف عاش، ومن مال إلى الدنيا طاش، والمؤمن عن عيوب نفسه فتّاش، والأحمق يسعى في لاش.

قال: وثنا عبد الرحمن، عن أحمد بن مكحول قال: سئل حكيم: أيّ شيء أحلى؟ قال: النصرة على العدوّ بعد الهزيمة، والاستغناء بعد الحاجة، والعظة في المجالس للتائب، والغلبة للمتكلّم.(١)

كلام لبعض إخواننا فيمن أفناه الشوق

أملى علينا صاحبنا أحمد بن مسعود بن شدّاد المقري، بمدينة الموصل سنة إحدى وستمائة، فيمن أفناه الشوق وأذابه التوقان، وأماته التذكّر وأبلاه التفكّر، حتى صارت جزئيّاته وكلّيّاته لله، وحركاته وسكناته بالله، ولحظاته وخطراته من الله، وضمائره وسرائره مع الله؛

(١) إلى هنا انتهى النقص في النسخة ي الذي بدأ قبل ٦٩ صفحة. انتهى السمر.

فني به عنه، لما منحه به منه، وذلك حين زهد في شهواته ولذّاته، وتجوهر في صفاته وذاته، فني بمولاه عن تِربه ونفسِه بما أولاه من[1] قُربه وأُنسِه، عرَض عَرَضه على الخلق، وجاهر بجوهره لدى الحقّ، حتى صار بين الأتراب من عالم التراب، ومن أُولي الألباب عند ربّ الأرباب، بقي صورةً في الفِناء، ومعنًى في عالم الفَناء، فعين السعادة لم تزل تلاحظه من قبل الأزل؛ فهو في عالم الصّوَر[2] معنا، وفي عالم الأرواح يشاهد المعنى.

فلمّا أفناه موجده عن وجوده، بما حباه[3] من تطوُّله وجوده، تخيّط[4] جوهر روحانيّته في عرَض إنسانيّته، وطمعتْ في الخلاص[5] الأرواح، من حصر أقفاص الأشباح، هتفتْ بها هواتف الأقدار بالعشيّ والإبكار، هذا يقرأ عليها: ﴿يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾[6]، وهذا يتلو عليها ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾[7]. فحينئذ هدرتْ بلابل بلبالها، وغرّدتْ قمارى[8] أقمار أحوالها، وأنشدتْ بلسان حالها:

وا حسرتي كيف ألقاهم ولي جسدٌ ... ولي فؤاد ولي سمعٌ ولي بصـــرُ
مـاذا أقول إذا قـالوا فـديتهم ... أين النحول وأين الدمع والسـهرُ
إذا اعتذرتُ أجابتني محاســـنهم ... ما لامرىءٍ لم يمت في حبّنا عُذرُ

مبشّرة خير تدلّ على فتح ونصر

رأينا ونحن بسيواس في شهر رمضان، والسلطان الغالب في ذلك الزمان يحاصر أنطاكية. فرأيت كأنّه قد نصب عليها المناجيق، ورماها بالأحجار، فقتل زعيم القوم. فأوّلتُ الأحجارَ آراؤه السعيدة، وعزائمه التي يرميهم بها، وإنّه فاتحها إن شاء الله. فكان كما رأيتُ بحمد الله، وفتحها يوم عيد الفطر، وكان بين الرؤيا والفتح قدر عشرين يومًا، وذلك سنة اثنتي عشرة وستمائة.

فكتبت إليه من ملطية قبل فتحه إيّاها بأبياتٍ أذكر فيها رؤياي، وأذكر فيها ما قاله رسول الله ﷺ حين رأى في النوم جبريل عليه السلام، وقد جاءه بعائشة أمّ المؤمنين، قبل أن يتزوّج بها

---

(١) م، ي: عن.
(٢) م، ي: الصورة.
(٣) أ، ر: حباه. ج: جاءه. م، ي: أحياه. ن: حياه.
(٤) أ، ر: تخط. ج: يحيط. م: تحيط. ن، ي: تخبط.
(٥) م، ي: خلاص.
(٦) [الفجر: ٢٧].
(٧) [البقرة: ٣٦].
(٨) م، ي: - قمارى.

في سَرَقَةِ حرير، فقال له: هذه زوجتك. فلمّا استيقظ رسول الله ﷺ وذكرها. قال: إن كان من عند الله سيمضيه. فقلنا نحن كذلك أدبًا واقتداءً. فكان من عند الله، وفتح الله على السلطان بها كما كان زواج رسول الله ﷺ لعائشة.

وكانت الأبيات لزومية اتّفاقًا:

قصـــدتَ بلاد الكفر تبغي فتوحها ... فأبشر- فإنّ الروم منك لفي خســـرِ
رأيتُ لكم رؤيا تدلّ على النصـــر ... وفتح بلاد الكفر والقتـل والأسرِ
قتلتم بـأحجـار المنـاجيق كبشَـــهم ... فأوّلتها الآراء تعضـد بالنصـــــرِ
فـدونـك فـانهض أيّهـا الملك الذي ... علا أمره فوق السـماكين والنســـرِ
وخـذهـا من الله الكريم بشـــارة ... تدلّ على التأييد والقهر والقســـــرِ
فإن كان عن حقّ سيمضي وجودها ... وإن لم يكن ما فيه في الملك من عسرِ
بذا جاء لفظ الشـرع إذ جاء وحيه ... برؤياه في أمر الحميراء بالســـــرِّ
إذا جاء نصـــر الله والفتح فلتجُدْ ... بمالك من خير على العسر- واليســـرِ

روينا من حديث ابن الواسطي قال: ثنا عيسى بن عبيد الله الورّاق، أخبرني علي بن جعفر الرازي، ثنا عبد الله بن محمد بن سلم، ثنا موسى بن سهل النيسابوري الموصلي قال:

سكن من أصحاب رسول الله ﷺ جماعةٌ بيتَ المقدس: عبادة بن الصامت، وشدّاد بن أوس، وابن أمّ حرام هو أبو أُبَي؛ واسمه شمعون حليفٌ لحضرموت، وأبو ريحانة، وسلامة بن قيصر الحضرمي، وفيروز الديلمي، وذو الأصابع، وأبو محمد النجاري؛ هؤلاء من أهل بيت المقدس، ماتوا بها، أعقب منهم عبادة بن الصامت، وشدّاد، وسلامة، وفيروز، ولم يعقب أبو ريحانة، ولا ذو الأصابع، ولا النجاري.

(ذِكر كعب الأحبار)

ذَكَرَ كعبُ الأحبار أنّ الله تعالى قال في التوراة لصخرة بيت المقدس: أنت عرشي[1] الأدنى، ومنك ارتفعتُ إلى السماء، ومن تحتك بسطتُ الأرض، وكلُّ ماءٍ يسيل من ذروة الجبال من تحتك، من مات فيك فكأنما مات في سماء الدنيا، ومن مات حولك فكأنما مات فيك، لا تنقضي الأيّام والليالي حتى أرسل عليك نارًا من السماء، فتأكل آثار كفِّ بني آدم وأقدامهم منك، وأرسل عليك ماء من تحت العرش فأغسلك حتى أتركك كالملهاة، وأضرب

(١) م، ي: عرش.

عليك سورًا من غمام غلظه اثنا عشر ميلًا وسياجا من نارٍ، وأجعل عليك قبّة خلقتها بيدي، وأنزل فيك روحي، وملائكتي يسبّحون فيك، لا يدخلك أحد من ولد آدم إلى يوم القيامة، فمن يرى ضوء تلك القبّة من بعيد يقول: طوبى لوجه يخرّ فيك لله ساجدًا. وأضرب عليك حائطا من نارٍ[1]، وسياجًا من الغمام، وخمس حيطان من ياقوت ودرٍّ وزبرجد، أنتِ البيدر وإليك المحشر ومنك المنشر.

حدّثني بهذا الحديث جماعةٌ غير واحد، عن القاسم بن علي، عن أبي القاسم السوسي، عن إبراهيم بن يونس، عن عبد العزيز النصيبي، عن محمد بن أحمد، عن عمر عن أبيه، عن الوليد، عن إبراهيم بن محمد، عن رواد، عن صدقة بن يزيد، عن ثور بن يزيد، عن عبد الله بن بشر، عن كعب الأحبار.

ومن باب العشق والعشّاق ما ذكر عن المأمون وهو قوله

إنّ الهوان هو الهوى قُلب اسمُه فإذا هويتَ لقد لقيتَ هوانا
فإذا تعبّدك الهوى فاخضع له واسجد لإلفك كائنًا من كانا

ولجميل بن معمر في هذا الباب:

قد كنت أسمع بالمحبّ وذكرِه فأضلّ منه عاجبا أتفكّرُ
حتى بُليتُ بحبّكم فوجدته مُرًّا ولم أكُ قبل ذلك أشعُرُ
فاليوم أعذرُ كلّ من أثبته صبًّا ومن ذاق الهوى يستشعرُ

ولأمّ الضحّاك في هذا الباب:

مَن كان لم يدرِ ما حُبٌّ وصفتُ له أو كان هيّابةً أو كان لم يجِدِ
الحبُّ أوله رَوْعٌ وآخره مثل الحزازة بين القلبِ والكبدِ

وقال الآخر:

الحبُّ أوّله حلوٌ وأوسطه مرٌّ وآخره التوديعُ والأجلُ

وقال صاحب بثينة:

الحبُّ أوّل ما يكونُ لجاجةً تأتي به وتسوقه الأقدارُ
حتى إذا اقتحم الفتى لجج الهوى جاءت أمورٌ لا تطاق كبارُ

(١) م، ي: النار.

ولنا في هذا الباب:

الحبُّ أوله نَحْبٌ وأوســـطه ... موتٌ وليس له حدٌّ فينكشفُ[1]
فمن يقول بأنّ الحبّ يعرفه ... فما لقوم بـه أعمارهم شُـــغفوا
ولم يقولوا بأنّ الحبّ نعرِفه[2] ... خلفٌ[3] ولكنّه بالقلب يأتلفُ
فليسَ يعرفُ منه غير لازمهِ ... البثّ والوجْد والتبريح والأسـفُ

ومن منثور الحِكَم والوصايا

قال الاسكندر:

الحكم يرضي أحد الخصمين ويُسخط الآخر؛ فليستعملا الحقّ ليرضيهما جميعًا. وقال: لِمَ سارت سير بلادكم قليلة؟ قالوا: لإعطائنا الحقّ من نفوسنا، ولعدل ملوكنا، وحسن سيرتهم فينا. فقال لهم: أيّما أفضل: العدل أم الشجاعة؟ قالوا: إذا استعمل العدل استغني عن الشجاعة.

بزرجمهر:

العدل ميزان الباري، ولذلك[4] هو مبرّأ من كلّ زيغ وميل.

أنو شروان:

قيل له: أيّ الجُنن أوقى؟ قال: الدِّين. قيل: فأيّ العُدد أقوى؟ قال: العدل.

أردشير[5]:

قيل له: مَن الذي لا يخاف أحدًا؟ قال: الذي لا يخافه أحد؛ فمن عدل في حكمه، وكفّ عن ظلمه، نصره الحقّ وأطاعه الخلق، وصَفَتْ له النعمى، وأقبلتْ عليه الدنيا؛ فتهنّى بالعيش، واستغنى عن الجيش، وملك القلوب، وأمِنَ الحروب، وصارت طاعته فرضًا، وظلّت رعيّته جندًا. وإنّ أوّل العدل أن يبدأ الرجلُ بنفسه، فيلزمها كلّ خلّة زكيّة وخصلة رضيّة، في مذهب سديد ومكسب حميد، ليسلم عاجلًا ويسعد آجلًا. وأوّل الجوْر أن يعمد إليها فيجنّبها الخير،

---

(١) أ، ر، ن: فينكسف.
(٢) النسخ عدا ج: يعرفه.
(٣) في النسخ: خلق. والترجيح من الديوان.
(٤) م، ي: ولذاك.
(٥) ج، ي: أزدشير.

ويعوّدها الشرّ، ويكسبها الآثام، ويعقبها المذام، ليعظمَ وزرها، ويقبح[1] ذكرها.

أفلاطون:

مَن بدأ بنفسه فساسها أدرك سياسة الناس. أصلِحوا أنفسكم تصلح لكم آخرتكم.

أرسطو:

أصلح نفسك لنفسك يكون الناس تبعا لك.

فيثاغورس:

أحسن العظات ما بدأتَ به نفسك، وأجريتَ عليه أمرك.

سقراط:

من رضي عن نفسه سخط الناس عليه.

الأحنف بن قيس:

مَن ظلم نفسه كان لغيره أظلم، ومَن هدم دينه كان لمجده أهدم.

ابن المقفّع:

خير الآداب ما حصل لك ثمره، وظهر عليك أثره.

من تعزّز[2] بالله لم يذلّه سلطان، ومن توكّل عليه لم يَضرّه إنسان.

ليكن مرجعك إلى الحقّ، ومنزَعك إلى الصدق؛ فالحقّ أقوى مُعين، والصدق أفضل قرين.

من لم يَرحم الناس منعه الله من رحمته، ومن استطال بسلطانه سلبه الله قدرته.

إنّ العدل ميزان الله وضعه للخلق، ونصَبه للحقّ؛ فلا تخالفه في ميزانه، ولا تعارضه في سلطانه. واستغن عن[3] العدل بخلّتين: قلّة الطمع وشدّة الورع.

من طال كلامه سُئم، ومن قلّ احترامه شُتم.

باطلٌ ما لا يقوم به حقّ، وكذوبٌ ما لا يُنتصف منه صدق.

لا تحاجّ من يذهلك خوفه، ويملكك سيفه؛ فربّ حُجّة تأتي على مهجة، وفرصة تؤدّي

---

(١) ج، ر: ويفتح.

(٢) م، ي: تعوذ.

(٣) م، ي: واستعن على.

إلى غصّة، وإيّاك واللجاج فإنّه يوعر[1] القلوب وينتج الحروب.

عِيّ تسلم به خير من نطق تندم عليه؛ فاقتصِر من الكلام ما يُقيم حجّتك، ويبلّغك حاجتك، وإيّاك وفضوله فإنّها تزلّ القدم وتورث الندم.

عِيّ يزري بك خير من براعة تأتي عليك.

ومن باب التذكير والنصائح

ما رويناه من حديث ابن ثابت قال: أنا محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رزق البابي، وأبو الحسن علي بن أحمد بن عمر[2] المقري، قال: ثنا جعفر بن محمد الخلدي، ثنا إبراهيم بن نصر، ثنا إبراهيم بن بشار، قال قلت لإبراهيم بن أدهم: أمُرّ اليوم أعمل في الطين. فقال: يا ابن بشار؛ إنّك طالب ومطلوب؛ يطلبك من لا تفوته، وتطلب من[3] قد كفيته، كأنّك بما غاب عنك قد كشف لك، وبما أنت فيه قد نقلت عنه. يا ابن بشّار؛ كأنّك لم ترَ حريصًا محرومًا، ولا ذا فاقة مرزوقًا، ثمّ[4] قال لي: ما لك حيلة؟ قلت: لي عند البقال دانق، قال: عزّ عليّ؛ تملك دانقًا وتطلب العمل؟

ومن باب ما وجد منقوشًا على الأحجار

ما رويناه من حديث ابن ثابت، عن البزّاز محمد بن الفرج قال: ثنا جعفر الخلدي، ثنا أحمد بن محمد بن مسروق، ثنا أبو محمد الأنصاري، قال: قرأت على حجر ببيت المقدس: رأس الغِنى القنوع، ورأس الفقر الخضوع.

وقرأت على حجر بدمشق: كلِّم من شئت فأنت نظيره، واستغن عمن شئت فأنت أميره، واخضع لمن شئت فأنت أسيره.

قال: وقرأت على حجر عند جبّ: كلّ من أحوجك الدهر إليه فتعرّضتَ له هُنت عليه.

قال ابن ثابت: وأخبرني محمد بن الفرج، عن جعفر الخلدي قال: أنشدني أحمد بن مسروق:

إن كنــتَ توقن أنّ ربّــك رازق وسألتَ مخلوقا فلست بموقنِ

---

(١) ج، م، ي: يوغر.

(٢) م، ي: علي.

(٣) م، ي: ما.

(٤) م، ي: - ثمّ.

أو كنتَ في شكٍّ من الرزق الذي كفَل الإلهُ به فلست بمؤمنِ

ومن باب النسيب

ما قاله خالد بن يزيد فيما يقع بين العين والفؤاد من العناد:

القلب يحسدُ عيني لذّة النظرِ والعين تحسد قلبي لذّة الفِكَرِ
يقول قلبي لعيني كلّما نظرتْ كم تنظرين رماكِ الله بالسهرِ
العين تورثه[1] همًّا فيشغله[2] والقلب بالدمع ينهاها عن النظرِ
هذان خصمان لا أرضى بحكمهما فاحكم فديتك بين القلب والبصرِ

ولنا في الحكم بينهما إجابة لهذا السائل الأديب[3] بما هو الأمر عليه:

ذكرتَ يا أيّها المشغوفِ بالحوَرِ[4] وبالنسيب وما في الحبّ من سيرِ[5]
بين الفؤاد وبين السمع والبصرِ وقائع لم تزل في سالف العصرِ
وطالما يبحثون الدهر عن[6] حَكم نَدْبٍ خبيرٍ بما يعطيه من أثرِ
فاسمع هُديت صواب الحكم من حَكمٍ عدل عليم بعين الأمر[7] والخبرِ
إنّي لأحكم بين القلبِ والبصرِ حكما تؤيّده[8] أدلّة النظرِ
نعيمُ أهل الهوى وقفٌ على النظر والسمع واللثم والتعنيق والوطرِ
لا يدرك الحسن الحسّيّ طالبه ما لم يقم شاهد من حاسّة النظرِ
وهكذا كلّ ما للحسّ[9] مَدركه لا يستقلّ به عقل من البشرِ
فالقلب يحمل ما يعطيه من ألمٍ ومن نعيم وخير عالم الصوّرِ
له النعيم كما أنّ العذابَ لهُ والحسُّ[10] آلته للنفع والضررِ

---

(١) أ، ر، ن: يورثه.
(٢) ج، م: فتشغله.
(٣) م، ي: - الأديب.
(٤) أ، ج، ر، ن: بالغزل. م، ي: بالخير. والترجيح من الديوان.
(٥) في الديوان: شتر وهي بمعنى: عيب.
(٦) م، ي: من.
(٧) م، ي: العلم.
(٨) في النسخ: يؤيده.
(٩) ج، م، ي: للحسن.
(١٠) ج، م، ن، ي: والحسن.

وبعـد أن ثبـتَ العِلم اليقين لكم فلا تَخاصُمَ بين القلب والبصـــــرِ
وإنّـما تـلك أحـوالٌ يـقـولُ بهـا أهـلُ الهوى لم تكن[1] نتـائج الفكرِ

ولنا أيضا في الجواب:

ليس للعين لذّة إنمـا تـلك في الـفـؤادْ
إنما الحسنُ[2] آلة وبـه يـبـلـغ المـرادْ
ما له غيرُ ما يرى مـا له لذّة الـودادْ
وإذا كان هكـذا لم يـكونا عـلى عنـادْ
هكـذا الحكمُ فيهما عند من يطلبُ السدادْ

ولبعضهم في هذا الباب:

فو الله ما أدري أنفســـي ألومها على الحبّ أم عيني المشومة أم قلبي
إذا لُمْتُ قلبي قال نفســك أذنبتْ وإن لمتها قالت خذ العين بالذنبِ
فقلبي وطرفي قد تشارك[3] في دمي فياربّ كن عوني على العين والقلبِ

وللعباس بن الأحنف:

اختصـم العينان والقلبُ قالا جميعًا ما لنا ذنبُ
فقلتُ نفسي ذهبتْ عنوة بينكما هـذا وذا لعـبُ
فقال قلبي مقلتي أبصرتْ لا ذنب لي يا أيّها الصّبُ
فقلت للعين سمعتِ الذي يحكيه عن ناظرك القلبُ
فاستعبرتْ عند مقالي لها وكان من خجلتها السكبُ

ولنا[4] أيضا من هذا الباب:

لِمْ هويت الهلال يا قلبُ قل لي[5] قال يا عين لم لحظتِ الهلالاَ
أنتِ أهديتِ إذ نظرتِ سـقامًا وبلاءً وشـقوةً وخبـالا

ولخالد بن يزيد:

---

(١) أ، ج، ر، ن: يكن.
(٢) أ، ر، ن، ي: الحس.
(٣) م، ي: تشاركن.
(٤) في النسخ: وله.
(٥) م، ي: يا قلب قلبي.

كتب الطرف في فؤادي كتابًا فهو بالشـــوق والهوى مختومُ
كان طرفي على فؤادي بلاءً إنّ طرفي على فؤادي مَشومُ

ولبعضهم في هذا الباب:

ويحك يا طرفي أما تستحيي حتى متى تُوردُني حَتفي
وأنـت يا قلـبُ إلى كم وكم تتركني أدعو على طَرْفي
هذان قد صـــارا عدوّين لي فأنت ما عُذرُك يا إلفي
تحلفُ لي أنّـك في كفّي وعضّ كفّي منك في كفّي

ولابن المعتز في هذا الباب:

إنّ عيني قادت فؤادي إليها عبد حبٍّ لا عبد رقٍّ لديها
فهو بين الفراق والهجر موقو فٌ بحزنٍ منها وحُزنٍ عليها

وللعباس بن الأحنف:

قـلـبي إلى مـا ضرّني داعِ يكثر أسقامي[1] وأوجاعي
كيف احتراسي من عدوّي إذا كان عدوّي بين أضلاعي

وله أيضا:

أقـام قـيـامـتي نـظـري فمن بعدي على بصري
تعرّض لي الهوى[2] غرًّا[3] فشـيّبني على صـغري
وكان هـــواك لي قـــدرًا فكيف أفرّ من قَدري

ولنا في هذا الباب:

أقول للقلب قد أورثتني ســـقمًا فقـال عينُـك قـادتني إلى التلفِ
لو لم ترَ العين لم تمسي حليف ضنىً وإن أمت فيه ما في الحبّ من خلفِ
لذاك قسّـمتُ ما عندي على بدني من الضنى والجوى والدمع والأسفِ[4]

(١) م، ي: أشواقي.
(٢) م، ي: تعرض للهوى.
(٣) أ، ر، م: عزا.
(٤) انتهى السمر.

ومما روينا في بنيان إيليا[1]

حدّثنا غير واحد، عن القاسم بن علي بن الحسن، ثنا أبو القاسم السوسي، ثنا إبراهيم بن يونس المقري، ثنا أبو محمد عبد العزيز النصيبي، ثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد الخطيب بن الواسطي، ثنا أبو بكر محمد بن أيوب بن سويد الحميري، ثنا أبي، ثنا إبراهيم بن أبي عبلة، عن أبي الزاهرية، عن رافع بن عمير، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى لداود: يا داود؛ ابن لي في الأرض بيتًا. فبنى داود بيتا لنفسه قبل البيت الذي أمره به. فأوحى الله ﷻ إليه: يا داود؛ أبنيتَ بيتك قبل بيتي؟ قال: أي ربِّ؛ هكذا قلت فيما قضيت: من مَلك استأثر. ثمّ أخذ في بناء المسجد. فلمّا تمّ سور الحائط سقط، ثمّ بناه، فلمّا تمَّ السور سقط ثلاثًا. فشكى ذلك إلى الله ﷻ، فأوحى الله تعالى إليه: إنّه لا يصلح أن تبني لي بيتًا. قال: يا ربّ؛ ولِمَ؟ قال: لمَا جرى على يديك من الدماء. قال: أي ربّ؛ أولم يكن ذلك في رضاك ومحبّتك؟ قال: بلى، ولكنّهم عبادي، وأنا أرحمهم[2]. فشقّ ذلك عليه، فأوحى الله ﷻ إليه: لا تحزن فإنّي سأقضي بناءه على يدي[3] ابنك سليمان.

فلمّا مات داود أخذ سليمان في بنائه، فلمّا تمّ قرّب القرابين، وذبح الذبائح، وجمع بني إسرائيل، فأوحى الله تعالى إليه: قد أرى سرورك ببنيان بيتي، فسلني أعطك.

قال: أسألك ثلاث خصال: حُكما يوافق حكمك، ومُلكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعدي، ومن أتى هذا البيت لا يريد إلّا الصلاة فيه خرج من ذنوبه كهيئة يوم ولدته أمّه.

قال النبيّ ﷺ: أمّا اثنتان فقد أُعطيهما، وأنا أرجو أن يكون قد أُعطي الثالثة»، فقال العلماء في ذلك: دعوة نبيٍّ، ورجاء نبيّ، نرجو قبولها إن شاء الله تعالى، وما ذلك على الله بعزيز.

ومن باب الغربة وذكر الوطن

قال بعضهم: أرض الرجل أوضح نسبه، وأهله أخصّ حسبه.

وقيل لأعرابيّ: كيف تصنع بالبادية إذا اشتدّ القيظ، وانتقل كلّ شيء ظلّه؟ قال: وهل العيش إلّا ذلك؛ يمشي أحدنا ميلًا فيرفضّ عرقًا، ثمّ ينصب عصاه، ويُلقي عليه كساه، ويجلس

---

(١) إيليا: بيت المقدس.

(٢) م، ي: أرحم بهم.

(٣) ج، ي: يد.

في فيّه، ويكتال الريح، فكأنّه في إيوان كسرى.

أنشد[1] أبو النضر الأسدي:

أحبّ بلاد الله ما بين ضارج ... إلى قَفَوانٍ أن تَسُحَّ سحابها
بلادٌ بها نيطت عليّ تمائمي ... وأوّل[2] أرضٍ مسّ جلدي ترابها

ولإبراهيم بن محفوظ الرّبعي:

أحبُّ الأرض تسكنها سُليمى ... وإن كانت بواديها الجدوبُ
وما عهدي بحبّ ترابِ أرضٍ ... ولكن مَن يحلّ بها حبيبُ

ثنا أبو ذرٍّ مصعب بن محمد بن مسعود الخشني الخطيب الأديب، قاضي كورة جيّان بمسجد الأخضر بمدينة أشبيلية قال:

لمّا حُملت نائلة بنت الفرافصة الكلبيّة إلى عثمان بن عفان ﷺ كرهتْ فراق أهلها، فقالت لضَبٍّ، أخيها:

ألستَ ترى بالله يا ضبُّ أنّني ... مُرافقة نحو المدينة أركبا
أما كان في أولاد عمرو بن عامرٍ ... لك الويلُ ما يُغني الخباء المحجَّبا
أبى الله إلّا أن أكون غريبةً ... بيثرب لا أُمٌّ لديّ ولا أبا

وأنشدنا ابن سكر بها بمسجد الشهداء:

ألا يا حبّذا وطني وأهلي ... وصحبي حين يُذّكر[3] الصَّحابُ
بلاد من غرانقة كرام ... بهم حلّى تميمي[4] الشبابُ
وما عسل ببارد ماء مُزنٍ ... على ظمأ لشاربه يُشابُ
بأشهى من لقائكم[5] إلينا ... فكيف لنا به ومتى الإيابُ

وأنشدتني خديجة بنت عبد الوهاب بن هبة الله الصوفي القصّار قول الأعرابيّة التي كان يهواها بعض خلفاء بني العباس، فتزوّج بها، فلم يوافقها هوى البلاد، فما زالت تنحل وتعتلّ

---

(١) أ، ن: أنشدنا.

(٢) م، ي: فأوّل.

(٣) ج: يذكرني. م، ي: يدرك.

(٤) ارتبكت النسخ هنا كما يلي: أ: بهم حلي تمتي. ج: بهم خلي بميتي. ر، ن: بهم حلي تمتي. م: بهم حلمي بهيي. ي: بهم حلمي بميي.

(٥) في النسخ: لقيكم.

وتتأوّه، مع ما هي (عليه) من النعيم واللذّة والأمر والنهي. فسألها عن شأنها، فأخبرته بما تجد من الشوق إلى البراري وأحالب الرعاء وورد المياه التي تعوّدتْ، فبنى لها قصرًا على رأس البرّيّة بشاطئ الدجلة، سمّاه المعشوق، يقابل مدينة سامرّاء من الجانب الآخر. وأمر بالأغنام والرعاء أن تسرح بين يديها وبمرأى منها، فلم يزدها ذلك إلّا اشتياقًا إلى وطنها، فمرّ بها يومًا في قصرها من حيث لا تشعر بمكانه، فسمعها تبكي وتنتحب حتى ارتفع صوتها وعلا شهيقها، وكبد الخليفة يتقطّع رحمة لها، فسمعها تقول:

وما ذنبُ أعرابيّة قذفتْ بها ... صروف النوى من حيث لم تك ظنّتِ
تمنّت أحاليب الرّعاة وخيمةً ... بنجدٍ فلم يقضـــــــى لها ما تمنّتِ
إذا ذكرت ماءَ العُذيب وطيبه ... وبردَ حصـــاه آخر الليـل أنّـتِ
لها أنّةٌ عند العِشـــاء وأنّةٌ ... سُحـيرًا ولـولا أنـتّـاهـا لجُـنَّـتِ

فخرج عليها الخليفة وقال لها: قد قُضِي[1] ما تمنَّيتِ؛ قومي فالحقي بأهلك من غير طلاق، فما مرّ عليها وقت أسرّ من ذلك، وسَرى ماء[2] الحياة في وجهها من حينها، فعجب الخليفة، والتحقتْ بأهلها بجميع ما كان عندها في قصرها، وكان الخليفة يغشاها في أهلها إذا تصيّد.

فأخذ هذه الأبيات بعض الأدباء فقال: وما ذنب أعرابيةٍ قذفتْ بها... إلى آخر الأبيات. ثمّ زاد:

بأعظمَ مِن[3] شوقي إليكم وإنّما ... أُجمجم أحشائي على ما أجَنَّتِ

خبر نبويّ في مكارم الأخلاق

روينا من حديث أبي محمد عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، قال: ثنا محمد بن أبي سهل السرخسي، ثنا عبد العزيز بن أحمد الحلواني، ثنا أبو علي الحصين بن خضر النسفي، ثنا أبو بكر محمد بن الفضل، ثنا عبد الله بن محمد بن يعقوب، ثنا عبد الله بن محمد الهرَوي، ثنا الحسن بن علي، ثنا جعفر بن عون، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، عن مسلم بن يسار، عن سعيد بن المسيّب، عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن تعاهد مسجدًا بسراجه اشتاقت إليه الجنّة، ومَن صبر على المصيبات فله الجنّة، ومَن فرّ عن الفتنة

(١) م، ي: قضيت.
(٢) م، ي: - ماء.
(٣) م، ي: - بأعظم من.

أعتق الله رقبته من النار، ومن عفا عن مظلمة عفا الله عنه يوم القيامة، ومن كان سمحًا في التقاضي فُتحت[1] له أبواب الجنّة؛ فيدخل من أيّ أبوابها شاء بغير حساب».

ومن الحسان في فضل رمضان

روينا من حديث عبد العزيز أيضا؛ ثنا أبو إبراهيم إسماعيل بن محمد الخشني ببخارى، ثنا أبو الحسن علي بن الحسن بن محمد السعدي، ثنا أبو إسحق إبراهيم بن محمد الحصري، ثنا أبو حفص أحمد بن محمد العجلي، ثنا عبد الله بن عبد الله، ثنا أحمد بن نصر العتكي، ثنا أبي، ثنا عبّاد بن كثير، عن أبي عبد الرحمن، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ أبواب السماء تُفتح في أوّل ليلة من رمضان، فلا تغلق إلى آخر ليلة، فليس عبد يصلّي في ليلة إلّا كتب الله تعالى له بكلّ سجدة ألفًا[2] وخمسمائة حسنة، وبنى له في الجنّة بيتا من[3] ياقوتة حمراء، له سبعة آلاف[4] باب من ذهب، لكلّ باب منها قصر من ذهب موشّح بياقوتة حمراء، فإذا صام أوّل يوم من شهر رمضان كان كفّارة له إلى مثله من الحوْل، وكان له بكلّ يوم يصومه ألف قصر من ذهب موشّح بياقوتة حمراء، ويستغفر له سبعون ألف ملك من غدوه إلى أن توارت بالحجاب، وكان له بكلّ سجدة يسجدها من ليل أو نهار شجرة يسير في ظلّها الراكب مائة عام».

ومن أحسن الحِكَم

مَن صبر على طول الأذى، دلّ على صدق التقى.

من رفع حاجته إلى الله ﷻ استظهر في أمره، ومن رفعها إلى غيره وضع من قدره.

من آمن بالآخرة لم يحرص على الدنيا.

من أيقن بالمجازاة لم يؤثر على الحسنى.

من ذكر المنيّة نسي الأمنيّة.

من استعان بالله استغنى عن عباده، ومن وثق به استظهر لمعاشه ومعاده.

ومن ذلك:

---

(١) م، ي: فتح.

(٢) أ، ج، ر، ن: ألف.

(٣) م، ي: - سجدة ألفًا وخمسمائة حسنة، وبنى له بيتا في الجنّة من.

(٤) أ، ر، ن: ألف.

أفضل الناس من لم تُفسِد الشهوة دِينَه، ولم تُزِل الشبهة يقينه.

خير الناس من أخرج الحرص عن قلبه، وعصى هواه في طاعة ربّه.

المعاونة في الحقّ ديانة، والمعاونة في الباطل خيانة.

نصرة الحقّ شرف، ونصرة الباطل سَرف.

أفضل الناس من[1] كان بعيبه بصيرًا، وعن عيب غيره ضريرًا.

أبصرُ الناس من أحاط بذنوبه، ووقف على عيوبه.

الدين سور، واليقين نور.

السعيد من خاف[2] العقاب فآمن، وطلب الثواب فأحسن.

الرشيد من أخلص الطاعة، والغنيّ من آثر القناعة.

ولنا:

ما العزّ إلا لربّ الناس والرسُل والمؤمنين ولكن عالَمٌ جهلوا
كما القناعة مال الحرّ يخزنه بقلبه فلهذا ليس يبتدلُ

خير الأمور ما يسرّك في يوميك[3]، وأسعدك في داريك.

الثقة بالله أقوى أمل، والتوكّل على الله أزكى عمل.

كلمات نافعة لخيرات جامعة

روينا من حديث ابن ثابت قال: أنا أبو الحسين محمد بن محمد بن إبراهيم بن مخلد البزّاز، ثنا جعفر بن محمد بن نصير، ثنا أحمد بن محمد بن مسروق، ثنا محمد بن الحسين، ثنا إسماعيل بن إبراهيم الترجماني؛ سمعت أبا جعفر المحولي، وكان جمع بين العلم والعبادة قال: حرام على قلبِ محبّ الدنيا أن يسكنه الورع الخفيّ. وأقول أنا: ولا واللهِ الورع الجليّ. قال: وحرام على نفس غلبها زبانية الناس أن تذوق حلاوة الآخرة، وحرام على كلّ عالم لم يعمل بعلمه أن يتّخذه[4] المتّقون[5] إمامًا.

---

(١) م، ي: ما.

(٢) ر، ن، ي: أخاف.

(٣) ج، م، ي: يومك.

(٤) أ، ج، ر، ن: يتخذ.

(٥) ج: المفتون. م، ي: المؤمنون.

وروينا من حديثه في باب: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾[1]

قال: ثنا أبو الحسن أحمد بن الحسين، قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن عطاء الروذباري يقول: العلم موقوف على العمل، والعمل موقوف على الإخلاص، والإخلاص لله يورث الفهم عن الله ﷻ.

حديث حسن مروي عن الحسن

روينا من حديث ابن ثابت قال: ثنا إبراهيم بن مخلد بن جعفر القاضي، ثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم الحلبي، ثنا محمد بن يونس، ثنا مكي بن قمير العجلي، ثنا جعفر بن سليمان، عن سعيد بن طريف، عن الاصبَغ بن نُباتة، قال:

دخلنا مع علي بن أبي طالب ﷺ على الحسن بن علي نعوده، فقال له عليّ: كيف أصبحت يا ابن بنت رسول الله[2]؟ فقال: أصبحت بحمد الله بارئا. قال: كذلك أنت[3] إن شاء الله. ثمّ قال الحسن: أسندوني أسندوني[4]، فأسنده إلى صدره عليّ. فقال الحسن: سمعت جدّي ﷺ وقال لي يومًا: «يا بنيّ؛ عليك بالقناعة تكن من أغنى الناس، وأدِّ الفرائض تكن من أعبدِ الناس. يا بنيّ؛ إنّ في الجنّة شجرة يقال لها شجرة البلوى، يؤتى بأهل البلاء يوم القيامة، فلا يُنصب لهم ميزان، ولا يُنشر لهم ديوان، يُصبّ عليهم الأجر صبّا، وقرأ رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾» [5].

ومما قيل في إفراط المحبّة

بلغ الهوى من قلبي المجهودا ... والحبّ أخلقني وكنت جديدا
يا عاذلي لو ذقتَ من ألم الهوى ... لوجدتَه صعبا عليك شـديدا

وكما قال الآخر:

ما للهوى أخذ الله الهوى بدمي ... تحكّم الحبّ في روحي وفي بدني
ما حلّ للحبّ إنّ الحبّ أعدمني ... صبري وحرّم أجفاني على الوسنِ

---

(١) [البقرة: ٢٨٢].
(٢) ج، ر، ن، ي: يا ابن رسول الله.
(٣) م، ي: - أنت.
(٤) ج، م، ي: - أسندوني.
(٥) [الزمر: ١٠].

وكما قال مجنون بني عامر:

وشُغلتُ عن فهم الحديث سوى ما كان منكِ وحبّكم شغلي
وأديم لحظ محدّثي ليرى أن قد فهمتُ وعندكم عقلي

وكما قال الضحّاك:

يقولون مجنون بسمراء مولَعٌ ألا حبّذا جنّ بها وولوعُ
وكيف أُطيع العاذلات[1] وحبّها يؤرّقني والعاذلات[2] هجوعُ
وإنّي لأُخفي حبَّ سمراء منهم ويعلم قلبي أنّه سيشيعُ

وكما قال أحمد بن طاهر:

جنون الهوى فوق الجنون[3] ولا ترى هوى عاقل إلّا كآخر جاهلُ
يزيّن للمعشوق ما هو فاعلٌ ويغوي إذا ما لجَّ في العذل عاذلُ

وكما قال الآخر:

محبٌّ بكتْ عيناه من حبِّ قاتلٍ فيا قاتلًا يبكي عليه قتيلُ
خليل جفاني كان روحي لروحه خليلًا وهل يجفو الخليلَ خليلُ

وكما قال الآخر:

ونفسٌ كأنّ الهوى مولعٌ بها ليس يقصد إلّا لها
أعلّلها بالمنى تارةً وطورًا أصانعُ عُذَّالها

ولنا من النظاميّات

أغيب فيُفني الشوقُ نفسي فألتقي فلا أشتفي فالشوق غيبًا ومحضرا
ويُحْدِثُ لي لقياه ما لم أظنّه مكان الشفا داءً من الوجد آخرا
لأنّي أرى شخصًا يزيد جماله إذا ما التقينا نصرةً وتكبُّرا
فلا بدّ من وجدٍ يكون مقارِنًا لما زاد من حسن نظامًا محرّرا

(١) م، ي: العاذلين.
(٢) م، ي: والعاديات.
(٣) م، ي: الهوى.

خبر الرجفة التي كانت ببيت[1] المقدس

روينا من حديث ابن الواسطي قال: ثنا عمر قال: ثنا أبي قال: ثنا الوليد بن حمّاد الرملي، قال: ثنا أبو عمير عيسى بن محمد قال: ثنا ضمرة، عن رستم الفارسي، قال الرملي: وثنا عبد الرحمن بن محمد بن منصور بن ثابت، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن جدّه: إنّ أبا عثمان الأنصاري كان يُحيي الليل بعد انصرافه من القيام في شهر رمضان على البلاطة السوداء. قال: فبينما هو قائم في الصلاة حتى سمع صوت الهزّة في المدينة، وصراخ الناس[2] واستغاثتهم، وكانت ليلة قارّة مظلمة كثيرة الأرياح والأمطار. قال: فسمعت قائلًا يقول، أسمع الصوت ولا أرى الشخص: ارفعوها رويدًا بسم الله، فقُلعت القبّة حتى تبدّى لنا بياض السماء، وأصاب وجهه رشُّ المطر، حتى أذّن رستم السادن الفارسي، فسمع قائلًا يقول: ردّوها رويدًا، بسم الله، سوّوها عدّلوها، سوّوها عدّلوها[3]، فردّت القبّة على حكاية ما كانت. فقال لرستم لمّا فتح الباب عليه: اذهب فجئني بخبر أهلي حتى أنبئك بعجيب. فجاءه بخبر أهله أن قد أصيب قومٌ وسلِم قومٌ[4]، فأخبرني، فقال له: سمعت قائلا يقول: ارفعوها رويدًا، بسم الله، قُلعت القبّة قلعًا، حتى بدى لنا بياض السماء، وأصاب وجهي رشُّ المطر حتى أذّنتُ، فلمّا أذّنتُ سمعت قائلًا يقول حين أذّنت: ردّوها[5] رويدًا، بسم الله، سوّوها عدّلوها[6]، حتى أعيدت على حالها وذلك في الرجفة الأولى.

ومن باب من آثر محبّة الله

روينا من حديث الخرائطي، قال: ثنا إبراهيم بن الجنيد، ثنا محمد بن الحسين، ثنا عبد الملك بن قُرَيب الأصمعي الباهلي، قال: أصيبت امرأة من الأعراب بابنٍ لها، فأكمنت الصبر والعزاء عليه، فقيل لها: ما رأيناكِ جزعتِ على ابنك هذا؟ قالت: بلى، ولكن[7] آثرتُ طاعة الله تعالى على محبّة الشيطان.

---

(١) أ، ر، ن: بالبيت.

(٢) م، ي: وصراخهم.

(٣) ج، م: - سووها عدلوها.

(٤) م، ي: - وسلم قوم.

(٥) أ، ر، ن: - ردوها.

(٦) م، ي: وعدلوها.

(٧) م، ي: ولكني.

ومن حِكم وهب بن منبّه

ما رويناه من حديث الخرائطي، قال: ثنا علي بن الحسين النخعي، قال: مكتوب في حكمة وهب بن منبّه: المال يفنى والبدن يبلى، والعمل يبقى، والذنوب لا تُنسى، والديّان حيٌّ لا يموت.

ثمّ قال منشدًا علي بن الحسين لأبي العتاهية:

نموت وننسى غير أنّ ذنوبَنا وإن نحن متنا لا تموت ولا تُنسى
ألا رُبّ ذي عينين لا تنفعانه وهل تنفع[1] العينانُ من قلبُه أعمى

ومن فصيح كلام الأعراب في هذا الباب

رويناه[2] من حديثه أيضا، قال: ثنا إسماعيل بن أحمد بن معاوية بن بكر الباهلي، قال: ثنا أبي، عن الأصمعي، قال: سمعت أعرابيًّا يقول: ما بقاء عُمْرٍ تقطعه الساعات، وسلامة بدنٍ معرَّض للآفات، ولقد عجبت من المؤمن كيف يكره الموت، وهو سبيله إلى الثواب، ولا أرى أحدًا منّا إلّا سيدركه الموت، وهو عنه آبق.

قال: وأنشدني أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي عبد الرحمن القطوي لأبيه:

يـأمـلُ المرءُ أبعـد الآمـالِ وهو رهنٌ لأقرب الآجـالِ
لو رأى المرءُ رأيَ عينيه يومًا كيف صَوْل الآجال بالآمالِ
لتناهى وقصَّر الخطو في اللهو ولم يغترْ بـدار الزّوالِ

قال الحسن بن أبي الحسن البصري: ما أطال أحدٌ الأمل إلّا أساء العمل. رويناه من حديث الحميدي، عن الحسن بن محمد بن إبراهيم الحنائي، عن محمد بن أحمد بن أبي الحديد، عن أبي بكر محمد بن جعفر، عن إبراهيم بن الجنيد، عن بشر بن آدم، عن فُضيل بن عياض، عن هشام، عن الحسن.[3]

* * *

روينا من حديث ابن الواسطي، ثنا عيسى، ثنا علي، ثنا محمد بن إبراهيم، ثنا محمد بن النعمان، ثنا سليمان بن عبد الرحمن، ثنا أبو عبد الملك الجزري، قال: إذا كانت الدنيا في بلاء

---

(١) ج، ر، ي: ينفع.
(٢) م، ي: روينا.
(٣) انتهى السمر.

وقحط كان الشام في رخاء وعافية، وإذا كان الشام في بلاء وقحط كانت فلسطين في رخاء وعافية، وإذا كانت فلسطين في بلاء وقحط، كان بيت المقدس في رخاء وعافية. وقال: الشام مباركة، وفلسطين مقدّسة، وبيت المقدس قدس القدس.

ولقد روي عن يزيد الرقاشي أنه قال: من أراد أن يشرب ماء في جوف الليل، فليقل: يا ماء، ماءُ بيت المقدس يقرئك[1] السلام، ثمّ يشرب، فإنّه أمان بإذن الله تعالى. حدّثني بذلك غير واحد عن القاسم بن علي الشافعي، عن أبي القاسم السوسي، عن إبراهيم بن يونس، عن أبي محمد عبد العزيز النصيبي، عن أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد الخطيب، عن ابن عبيد الله، عن ابن جعفر، عن محمد بن إبراهيم، عن ابن النعمان، عن سليمان بن عبد الرحمن، عن عبد الله بن ضرار وأبي عبد الملك كلاهما، عن يزيد الرقاشي، وبه إلى ابن[2] إبراهيم قال: ثنا محمد بن سليمان، ثنا الحوشبي، عن بكر بن خنيس قال: كان سليمان بن داود إذا دخل بيت المقدس، يعني المسجد، وهو ملِك الأرض، يقلّب بصره، يطلب مجالس المساكين من العمي والخرس والجَذْمَى، فيدع مجالس الناس، وينطلق فيجلس[3] في جملة المساكين تواضعًا، لا يرفع طرفه إلى السماء. ثمّ يقول إذا سئل عن ذلك: مسكين جلس إلى المساكين.

وروينا من حديث الرملي قال: ثنا محمد بن النعمان، ثنا سليمان بن عبد الرحمن، عن أبي عبد الملك، عن غالب، عن عبد الله الأعرج، عن كعب قال: لا تقوم الساعة حتى يزور البيت الحرام بيت المقدس، فينقادان إلى الجنّة جميعًا، وفيهما أهلوهما، والعرض والحساب ببيت المقدس.

موعظة

روينا من حديث الحميدي قال: ثنا محمد بن إبراهيم، ثنا ابن أبي الحديد، عن أبي بكر بن جعفر قال: ثنا عمر بن شبّة قال: قال عبد الملك بن قُرَيب الأصمعي: ولِيَ أعرابيٌّ ناحية من نواحي البصرة، فكان يخطب بهم يوم الجمعة، فقام يومًا، فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على محمد ﷺ، ثمّ قال:

---

(١) م، ي: يقرئكم.

(٢) ج، م، ي: - ابن.

(٣) ج، م، ي: ويجلس.

أيّها الناس؛ إنّ في سنن من كان قبلنا لعظة، وما أخطأ القائل حيث قال:

أين الملوك التي عن حظّها غفلتْ ... حتى سقاها بكاس الموت ساقيها
أموالنا لذوي الميراث نجمعها ... ودُورنا لخراب الدهر نبنيها
والنفس تكلَف بالدنيا وقد علمتْ ... أنّ السلامة منها ترك ما فيها

وروينا من حديث الخرائطي قال: ثنا إبراهيم بن الجنيد، ثنا محمد بن يحيى بن عبد الكريم، ثنا جعفر بن أبي جعفر الرازي، حدّثني أبو جعفر محمد بن قدامة قال: بلغنا أنّه كان بالبصرة امرأة، وكانت إذا جنّها الليل، ونامت كلُّ ذي عين، تخرّ ساجدة، وتنادي في سجودها: أما لك يا مولاي عذاب تعذّبني به إلّا النار؟ ولا تزيد عليه حتى تصبح.

وبه قال: بلغنا أنّ عيسى بن مريم عليه السلام مرّ بأربعمائة[1] ألف امرأة متغيّرات الألوان، وعليهنّ مدارع الشعر والصوف، فقال عيسى عليه السلام: ما الذي غيّر ألوانكنّ معاشر النسوة؟ قلن: ذِكر النار غيّر ألواننا يا ابن مريم، إنّ من دخل النار لا يذوق بردًا ولا شرابًا.

ومّما قيل في الوطن

ميلك[2] إلى موضع مولدك من كريم مجدك، إذا كانت الطير تحنُّ إلى أوكارها، فالإنسان أولى بالحنين إلى وطنه[3].

قالت الفرْس: تربة الصبي تغرس في القلب رقّة وحلاوة.

قيل لبعض العرب: ما الغبطة؟ قال: الكفاية مع لزوم الأوطان، والجلوس مع الإخوان.

قيل له: فما الذّلّة؟ قال: التنقّل في البلدان، والتنحّي عن الأوطان، ثمّ أنشد:

طلبُ المعاش مفرّق ... بين الأحبّة والوطنْ
ومصيّر جَلد الرجالِ ... إلى الضراعة والوهنْ
حتى يُقاد كما يقاد ... النضو في ثني[4] الرسَنْ
ثمّ المنيّة تأتهِ ... فكأنّه ما لم يكنْ

ومن أحسن ما قيل في الإياب وحبّ الأوطان:

---

(١) م، ي: بأربعة.
(٢) أ: نيل ميلك. ج، ر: سل ميلك. ن: يثل ميلك.
(٣) م، ي: - إلى وطنه.
(٤) م، ي: قيد.

وباشرتها فاستعجلت عن قناعها[1] وقد تستخفّ الطامعين المباشرُ
وخبّرها الروّاد أن ليس بينها وبين قرى نجران والدرب ساترُ
فألقتْ عصاها واستقرّ[2] بها النوى كما قرَّ عينًا بالإياب المسافرُ

قيل لأعرابي: ما السرور؟ قال: أوبة بغير[3] خيبة، وألفة بغير غيبة.

وقيل لآخر: ما السرور؟ قال: غيبة تفيد غنىً، وأوبة تعطيك مُنى.

إذا هبّت الأرياح من نحو جانبٍ به أهل ميٍّ هاج قلبي هبوبها
هوىً تذرف العينان منه وإنّما هوى كلّ نفس حيث ظلّ[4] حبيبها

وقيل في الغربة:

وأنزلني طول النوى أرض غربةٍ إذا شئتُ لاقيتُ الذي لا أشاكلهْ
فحامقتُهُ حتى يُقال سجيَّة[5] ولو كان ذا عقل لكنتُ أعاقلهْ
ولو كنت في أهلي وجُلّ عشيرتي للاقيتُ فيهم كلّ خرقٍ أُواصلهْ

ومما قال من اتّقى هواه ومنع حماه:

ومستخفياتٍ ليس يخفين دوننا ويسحبن أذيال الصّبا لذوي الشكلِ
مريضات رجعِ القولِ بُلْهٌ عن الخنى تألّفنَ أهواء الرجال بلا بذلِ
جمعن الهوى حتى إذا ما ملكنه ترعن[6] وقد أكثرن فينا من القتلِ[7]

قوله: مريضات رجع القول، قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾[8] وهو غير المتّقي.

ومن هذا الباب قول الآخر[9]:

لا والذي تسجدُ الجباه له ما لي بما تحتِ ثوبها[10] خبَرُ

---

(١) م، ي: فاستعجبت عن قنعها.
(٢) أ، ر، ن: واستقرت.
(٣) م، ي: بعد.
(٤) ج، م: حل.
(٥) ج، م: شجيّة.
(٦) ترعن: أسرعن إلى الشر. أ: ترغن. ي: نزعن.
(٧) م، ي: النقل.
(٨) [الأحزاب: ٣٢].
(٩) هو جميل بثينة.
(١٠) ج، م، ي: ذيلها.

ولا بفيها[1] ولا هممت به ما كان إلّا الحديثُ والنظرُ

قال النابغة:

زعم الهمام بأنّ فاها باردٌ عـذبٌ مقبَّلهُ شـــهيُّ المواردِ
زعم الهمام ولم أذقه أنّه يشفى بريّا ريقها العطش الصدي

ومن هذا الباب قول ابن المعتز[2]:

قد كان يكفيك ما بالجسم من سقمٍ لِم زدتني سهرًا لا مسَّك السهرُ
عينيّ مؤرّقة والجســـم محتبلٌ[3] والقلـبُ بينهما تخلو بـه الفِكرُ
يا مـانعي لذّة الدنيـا بمـا رحُبَـتْ إنّي ليقنعني من وجهك النظرُ

وفي[4] هذا الباب لأبي فراس الحمداني:

الحـبُّ آمِرُهُ والصـــون زاجره والصـــبر أوّل ما يأتي[5] وآخرهُ
إنّ[6] الفتى إن صبا أو شفّه غزل فللعفـاف وللتقوى مـآزرهُ[7]
وأشرف الناس أهل الحبّ منزلة وأشرفُ الحبّ ما عفّتْ سرائرهُ

ومن هذا الباب لجميل بن معمر العذري:

وكان التفرّق عند الصباح عن مثل رائحة العنبرِ
خليلان لم يقربا ريبـةً ولم يستخفّا إلى منكرِ

ومن التنبيهات

ما رويناه من حديث عبد العزيز[8] بن عمر قال: قال أبو ثابت عاصم بن الحسن، أنا محمد بن أحمد، ثنا أحمد بن محمد المقري، عن أحمد بن محمد العبدي، عن أبي حكيم شدّاد بن سعيد، عن مزاحم بن سعيد، عن حباب بن إبراهيم، عن محمد بن حرب الأبرش، عن سعيد

(١) أ، ر، ن: نبيها. ج: بينها. م: بيننا. والترجيح من ديوان جميل بثينة.
(٢) م، ي: المعري. وفي الموسوعة الشعرية للخبزأرزي.
(٣) النسخ عدا ي: مختبل. ي: مجتبل. والترجيح من الموسوعة الشعرية.
(٤) م، ي: ومن.
(٥) م، ي: ما يؤتى.
(٦) أ، ر، ن: أنا.
(٧) م، ي: مآرده.
(٨) م، ي: عبد الرحمن.

بن سنان، عن أبي الزاهرية، عن جبير[1] بن نفير قال: خمس خصال قبيحة في أصناف من الناس: الحرص في القرّاء، والحدّة في السلاطين، والبخل في الأغنياء، والفترة في الشيوخ، وقلّة الحياء في ذوي الأحساب.

ومما قيل في الاعتذار عن البخل

قال علي بن الجهم[2]:

أعاذلُ ليس البخل منّي سجيّة ... ولكن رأيت الفقر شرّ سبيلِ
لَمَوت الفتى خيرٌ من الفقر للفتى ... ولَلموت خيرٌ من سؤال بخيلِ

ومما قيل في البخل:

أراك تؤمّل[3] حسن الثناء ... ولم يرزق الله ذاك البخيلا
فكيف يسود أخو بَطنةٍ ... يمنّ كثيرًا ويُعطي قليلا

وقال علي بن الجهم:

لعمرُك ما الناس أثنوا عليك ... ولا قرضوك[4] ولا عظّموا
ولا شايعوك[5] على ما بلغت ... من الصالحات ولا قدّموا
ولو وجدوا لهم مطعنًا ... إلى أن يعيبوك ما أحجموا
ولكن صبرت لما ألزموك ... وجُدت بما لم تكن تلزمُ
وكان قِراك إذا ما لقوك ... لسانًا بما سرّهم ينعمُ
وخفض الجناح ووشك النجاحْ ... وتصغير ما عظّم المنعِمُ
وأنت بفضلك ألجأتهم ... إلى أن تعالوا أن يكرموا

ومن أزاهر الحِكم

شُكر الإله بطول الثناء، وشُكر الولاة بصدق الولاء، وشُكر النظير بحسن الجزاء، وشُكر مَن دونك بسبب العطاء.

---

(١) في النسخ: جرير.
(٢) ج، م، ي: قال ابن الجهم.
(٣) م، ي: تأمل.
(٤) أ، ر، ن: قرصوك.
(٥) م، ي: شيعوك.

من أدام الشكر استدام البِر.

أحلى النوال ما وصل قبل السؤال.

خير المبار ما أسديتَه إلى الأبرار.

أولى الناس بالنوال أزهدهم في السؤال.

من تمام الكرم إتمام النعم.

أحسنُ المقال ما صدق بحسن الفعال.

مَن حسن صفاؤه وجب اصطفاؤه.

من زال معهود إحسانه استحال موجود إمكانه.

من مَنع العطاء مُنع الثناء.

من منع الإحسان سُلب الإمكان.

من عفّ عن الريبة كفّ عن الغيبة.

إخلاص التوبة تُسقِط العقوبة.

إحسان النيّة توجب المثوبة.

من غاظك بقُبح الشتم منه، فغِظه بحسن الحلم عنه.

ألأم الناس سعيد لا يسعد به[1] إخوانه، وسليم لا يسلم منه جيرانه.

من بخل بماله على نفسه جاد به على زوج عرسه.

إذا اصطنعتَ المعروف فاستره، وإذا اصطُنع إليك فانشره.

من جاور الكرام أمن[2] الإعدام، ومن جاور اللئام فقد الإنعام.

من شرف منصبه حسن مذهبه، ومن طاب أصله زكى فعله.

من أنكر حسن الصنيعةِ استوجبَ قبح القطيعة.

من كفر شمول النعم استحلّ حلول النقم.

مَنْ مَنَّ بمعروفه سقط شكره، ومن أعجب بعمله[3] حبط أجره.

---

(١) النسخ عدا ج: + إلى.

(٢) أ، ج: + من.

(٣) م، ي: بعلمه.

من رضي من نفسه بالإساءة شهد على أصله بالرداءة.

من رضي بذمّ أخلاقه اعترف بلؤم أعراقه.

من رجع في هِبته بالغ في خسّته.

من أغلق عن أخيه بابَه ذمّ الناس خلقه وآدابه.

من بخل على نفسه بخيره لم يَجُد به على غيره.

من تصرّف على حكم المروّة دلّ على شرف الأبوّة.

من كرم على تحبيب الرجاء دلّ على كرم الآباء.

الشكر أحسن حلية، والأجر أفضل قنية.

أفضل الكنوز أجرٌ يدّخر، وأنفَسُ الثياب شُكر ينشر.

أفضل العُدد أخٌ وفيّ، وأفضل الذخائر سعي زكيّ.

السلطان السوء يخيف البريء ويصطنع الدني، والبلد السوء يجمع السفَل ويورث العلل، والولد السوء يشين السلف ويهدم الشرف، والجار السوء يفشي السر ويهتك الستر.

أخسّ الناس من أخذ بغير حقّ، وأنفق على غير مستحق.

من غدَرَ شانَه غَدْرُهُ، ومن مكر حاق به مكره.

من حُمد على الظلم مُكر به، ومن شُكر على الإساءة سُخر منه.

من حقّ المِلك أن يختار لرعيّته ما يختاره[1] لنفسه، ويعدّ سوء سيرته من شقاء جدّه ونحسه.

المرء بحيث يختاره تحلّه آثاره.

شرّ الأفعال ما جلب المذام، وشرّ الأقوال ما أوجب الملام، وشرّ الآراء ما خالف الشريعة، وشرّ الأعمال ما هدم الصنيعة.

ومن باب ما قيل في التصوّف

ما رويناه من حديث ابن ثابت، قال: ثنا أبو طالب يحيى بن علي الدسكري، ثنا علي بن بندار الاسترابادي، قال: سئل الشبلي عن التصوّف، فقال: التصوّف عندي ترويح

(١) ج، م: ما يختار.

القلوب بمراوح الصفاء، وتجليل الخواطر بأردية الوفاء، والتخلّق بالسخاء، والبِشر في اللقاء.

وأنشد ابن ثابت، قال: أنشدني الحسن بن محمد البلخي، قال: أنشدني طاهر بن الحسين، وهو ابن الحسن المخزومي لنفسه:

ليس التصوّف أن يلاقيك الفتى ... وعليه من نسج المسيح مُرقّعُ
بطرائق سـودٍ وبيض لفّقتْ ... فكأنّـه فيهـا غـرابٌ أبَقـعُ
إنّ التصـوّفَ ملْبَسٌ متعارفٌ ... فيه لموجده المهيمن يخشـعُ

تذكرة ربّانيّة رويناها من حديث ابن ثابت

قال: ثنا علي بن القاسم بن الحسن الشاهد بالبصرة، ثنا علي بن إسحق المادراني، ثنا المفضل بن محمد، ثنا إسحق بن إبراهيم الطبري، قال: قال الفضيل بن عياض: قال الله ﷻ: يا ابن آدم؛ إذا كنتُ أقلّبك في نعمتي، وأنت تتقلّبُ في معصيتي، فاحذر لا أصرعك بين معاصيك. يا ابن آدم؛ اتّقني ونمْ حيث شئت؛ إنّك إن ذكرتني ذكرتك، وإن نسيتني نسيتك، والساعة التي لا تذكرني فيها عليك لا لك[1].

وممن وعظه الشيب فتبرّأ من العيب

ما رويناه من حديثه، قال: ثنا عبد الرحمن بن محمد النيسابوري، ثنا محمد بن عبد الله بن شاذان الرازي، سمعت أبا عبد الله القرشي يقول: كان لي جارٌ شاب، وكان أديبًا، وكان[2] يهوى غلامًا أديبًا، فنظر يومًا إلى طاقات شعرٍ بيضٍ في عارضيه، فوقع له شيء من الحقّ، فهجر الغلام وتركه.

فلمّا نظر الغلام إلى ذلك منه كتب إليه:

ما لي جُفيتُ وكنتُ لا أُجفى ... ودلائـل الهجران مـا تخفى
وأراك تشـــــــرَبُني فتمزجُنا ... ولقد عهدتك شاربي صِرفا

قال: فقلب[3] الرقعة وكتب إليه على ظهرها:

أتعـاب مع الشـــمَطْ ... سُمتني خطّة شططْ
لا تلمني على جفـاي ... فحســـبي بما فرَطْ

(١) أ، ج، ر، ن: ولا لك.
(٢) م، ي: - وكان.
(٣) م، ي: فقبل.

أنا رهنٌ بما جَنَيْتُ فذرني من الغلطْ
قد رأينا أبا الخلائق[1] في زلّةٍ هبَطْ

ومن النسيب ما قيل في معاتبة الجوارح

ناديتُ قلبي بدمعي ثمّ قُلتُ له يا مَن يُحبّ حبيبًا لا يواتيهِ
فرَدّ قلبي على طرْفي بزفرتهِ هذا البلاء الذي أوقعتني فيهِ

ومن ذلك قول الآخر:

يا قلبُ يا قلبُ يا مشومُ منك بلائي فَمَن ألومُ
تعشقُ هذا وذا وهذا لستَ على واحدٍ تدومُ

ولبعضهم في هذا الباب:

أغارَ طرْفي على قلبي وأحشائي بنظرة وقفتْ[2] منّي على دائي
وكنتُ عِزًّا بما تجني عليّ يدي لا علم لي أنّ بعضي بعض أعدائي

ولبعضهم في هذا الباب:

أفيضي وانزفي[3] العبرات عيني فأنتِ فتنتني وجلبتِ حيني
وألهبت الفؤادَ لهيبَ جمرٍ بحرقته تذوبُ الأسوَدينِ
فذوقي من فِعالِك مثل ما قد أذقتِ القلبَ من صَدٍّ وبَينِ
جناية ناظري بالقلب تربى على فعل الخوارج بالحُسَينِ

ومن هذا الباب:

يا جُفونًا سواهرًا أعدمتها لذّة النومِ والرقاد جفونُ
إنّ لله في العباد منايا سلّطتها على العيونِ العيونُ

ومن هذا الباب:

نظرُ العيونِ إلى العيون هو الذي جعل العيون على القلوب وبالا
ونهيتُ نومي عن جفوني فانتهى وأمرتُ ليلي أن يطول فطالا

ومن هذا الباب قولنا:

---

(١) أبا الخلائق: يقصد آدم عليه السلام.
(٢) م، ي: وقعت.
(٣) أ، ر، ن: واترفي. م، ي: وبرق.

أمر الهوى ليل الشجيّ فطالا ونهى الهوى عنه المنامَ فزالا

والذي ذهبنا إليه أدخلُ في النسيب من الأوّل؛ فإنّ الأوّل في حكم نفسه، فإنّه الآمر والناهي، والذي ذهبنا إليه بحكم الهوى؛ لأنّ المحبّ لا حكم له مع سلطان الهوى، فإنّه الأقوى.

وللعباس بن الأحنف فيه:

خليليّ ما للعاشقين قلوبُ وما للعيون الناظراتِ ذنوبُ

ويا معشرَ العشّاق ما أصعبَ الهوى إذا كان لا يلقى المحبَّ حبيبُ

ومن باب الإفراط في الحبّ قول قيس المجنون:

إنّ البلاد وما فيها من الشجرِ لو بالهوى عطشتْ لم تُرْوَ بالمطرِ

لو ذاقت الحبَّ أرضُ الله لاشتغلتْ أشجارها بالهوى فيها عن الثمرِ

ليسَ الحديدُ ولا صمّ الجبال إذا فكَّرت أقوى على البلوى من البشرِ[1]

كلام في السماع لبعض إخواننا

سمعتُ صاحبنا أحمد بن مسعود بن شدّاد المقري الموصلي بمنزلي بمدينة الموصل سنة إحدى وستمائة يقول: السماع سِرٌّ من أسرار الله تعالى التي لا عمارة للقلوب إلّا بها، وهي لطيفة من لطائف الغيوب التي هي قوت القلوب، فإذا مررتَ بسربه، فسر به، وقف مع أهله على قدم التذلّل، وأمِطْ عنك رداء[2] التدلّل[3]، فإنّك لن تدرك الأرب إلّا بلزوم الأدب، ولن تبلغ المقصود الّا بحفظ العهود. ومن رام قضاء الأوطار اقتحم ركوب الأخطار، فإذا برز لك توقيع تقريبه فلا تبخل تقري به. فهذه عناية أصلها ثابت في القِدَمْ، وفرعها نابت ظهر إلى الوجود من كمين العدم، مشيرًا إليه في قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ فلمّا كمنتْ نار قوله ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ في زناد ﴿قَالُوا بَلَى﴾[4]، قرعتها[5] صفى الصفا بواسطة هذه الآلات، فبرقت بارقة من تلك النغمات، فسمَت الأرواح إلى تلك النسمات، وشفّ الجوهر الروحاني في العرَض الإنساني، فلمّا تنسّمت الأرواح، وَسَمَت[6] إلى ما به وُسِمَت، طارت بأجنحة

(١) انتهى السمر.

(٢) ج، ر، ن: رد.

(٣) ر، ن: التذلل.

(٤) [الأعراف: ١٧٢].

(٥) في النسخ: فرعتها.

(٦) م، ي: - الأرواح وسمت.

الطرب إلى سماء الطلب، فرتعتْ في رياض الأنس، وكرعتْ في حياض القدس. فلمّا انبسطتْ على بساط البسيطة، وتعزّزتْ بعزّ العزائم النشيطة، ثبتتْ[1] أقدام اقدامها، وناحت حمام حمامِها، وغرّدت بلابل بلبالها، وأنشدت بلسان حالها[2]:

أبـدًا تحـنُّ الـيـكمُ الأرواحُ ووصـالكم رَيحانها والرّاحُ
وقلوبُ أهل ودادكم تشـتاقكم وإلى زمـان لقائكم ترتاحُ
وارَحمتـا للعـاشـــقين تحمّلوا ثقل المحبّة والهوى فضّاحُ
بالسرّ إن باحوا تباحُ دماؤهم وكذا دماءُ البائحين تباحُ

حكاية الضّادي

حدّثنا أحمد بن مسعود، أنا أرسلان[3] البغدادي قال: كان بالبصرة رجلٌ يُكثر من ذكر الضادات حتى وُسِم بالضّادي، وكان قاضيها يتمنّى أن تقع له إليه حاجة ليسمع كلامه، فدخل عليه بعض حجّابه يومًا، وقال: يا سيّدنا؛ الضّادي بالباب، قال: ائذن له، فمحصول ما يتكلّم به ثلاث ضادات، وهو أن يقول: السلام عليك أيّها القاضي، إنّ فلانًا ظلمني وأنا ضعيف. فأقول له: الظلم بالظاء وليس بالضاد، فأقهره. فدخل عليه، وقال: السلام عليك أيّها القاضي الفاضل الأفضل ابن الأفاضل[4]، إنّ ضرار بن ضمرة الضبّي اهتضمني، وعضّني، وضلع ضلعي، وأخذ ضيعة لي على الفياض بالضبعي[5]، اعترضها ضمانا ولم يعوّضني عنها، وأنت أيّها القاضي غضبان عليّ، مُعرض عنّي، بتعرّض يعرض غرضك[6]، أن تمضي إلى ضرار بن ضمرة الضبّي، وتحضره بحضرتك إحضارًا، وتفرض[7] لي عليه فرضًا، ليخضع ويضرع، ويُعوّضني البعض عن الضمان، فإنّي ضعيف مستضعف، مهضوض من بين الضعفاء، فاهتضمني بضوضائه. قال: فأقبل القاضي على خصمه، وقال له: إنّ خصمك هذا لمجنون، انطلِق وخذ الضيعة.

---

(١) ن، ي: ثبت.
(٢) الأبيات لشهاب الدين السهروردي (ت: ٥٨٧هـ).
(٣) ج، م، ي: رسلان.
(٤) م، ي: - ابن الأفاضل.
(٥) ج، ي: بالضيعي.
(٦) الجملة مرتبكة في النسخ كما يلي: ج: بتعرض يعرضك. م: بعرض غرضك. ن: يتعرض غرضك. ي: بعرض عرضك..
(٧) م، ي: أو تفرض.

فلمّا ولّى أخذ الضادي بأهدابه وأنشد:

أيَا مَن أفرض القـاضي له أرضي لكي يرضى
أهذا في القضـــا فرضٌ بأن ترضى ولا أرضى
قضى قاضيك في أرضي قضاءً ليت لم يقضــى
فـأين العوض المفروض لا عوضًــا ولا فرضــا
ضــعاف مضــهمٌ ضــيمٌ مضت ضيعتهم أيضا

قال: فاستفرغ القاضي منه ضحكًا ووقّع له بالضيعة.

خليفة أمنٍ وعدلٍ في حال شغله باللهو والغزل

احتجب عبد الرحمن بقرطبة عن الناس سنين كثيرة في أكل وشرب ولهو وطرب، فدخل عليه بعض من له عليه إدلال فقال: يا أمير المؤمنين؛ اشتغلتَ باللهو عمّا قُلّدته من أمور المسلمين، وفوّض إليك من القيام بهم والنظر في مصالحهم ورعي حقّ الله فيهم! فقال: يا هذا؛ السُّبل آمنة؟ قال: نعم. قال: قاضيكم يعدل؟ قال: نعم. قال: عدوّكم مقهور؟ قال: نعم. قال: فما[1] تريدون منّي؟

ودخل[2] على هذا الخليفة يومًا أرسالُ الإفرنج، وقد ظهر لهم من عظيم الملك ما يُرعبهم؛ بُسط الحُصر لهم من باب قرطبة إلى باب الزهراء، قدر فرسخ، وجعل الرجال عن يمين الطريق ويساره، بأيديهم السيوف الطوال العراض، مجرّدة، يجمع بين سيف الأيمن[3] وسيف الأيسر، حتى صار[4] كعقد الحنايا، وأمر بالأرسال أن يمشوا بين تلك في ظلالها، كأنّها ساباط، فدخلهم من الرعب ما لا يعلمه إلّا الله. فلمّا وصلوا إلى باب الزهراء، فرش لهم الديباج، من باب المدينة إلى مقعده، على تلك الحالة من الترهيب، وأقام في مواضع مخصوصة حجّابًا، كأنّهم الملوك، قعودًا على كراسي مزخرفة، عليهم الذهب والحرير، فما يبصرون حاجبًا إلّا سجدوا له يتخيّلون أنّه الخليفة، فيُقال لهم: ارفعوا رؤوسكم؛ هذا عبد من عبيده، إلى أن وصلوا إلى ساحة مفروشة بالرمل، والخليفة في وسطها قاعد، عليه ثيابٌ خلقٌ[5] قصار،

(١) م، ي: فماذا.
(٢) م، ي: قال ودخل.
(٣) أ، ر، ن، م: اليمن. ج، ي: اليمين.
(٤) م، ي: سار.
(٥) ج، م: خلقة.

يساوي كلّ ما عليه أربعة دراهم، وهو قاعد على الأرض، مطرق، وبين يديه مصحف وسيف ونار. فقيل للرسل: هذا السلطان، فسجدوا، فرفع رأسه إليهم قبل أن يتكلّموا وقال لهم: إنّ الله أمرنا يا هؤلاء أن ندعوكم إلى هذا، وأشار إلى كتاب الله، فإن أبيتم فهذا، وأشار إلى السيف، ومصيركم إذا قتلناكم إلى هذا، وأشار إلى النار. فملئوا منه رُعبًا، وأمر بإخراجهم، ولم يسمع لهم كلامًا، فصالحوه على ما أراد.

هكذا هكذا يُعزّ دين الله وإلّا فلا لا.

ومن باب النصائح

ما كتبنا به إلى السلطان عزّ الدين الغالب بأمر الله كيكاوس[1] جوابا عن كتاب وصل إلينا منه أيّده الله:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل الاهتمام السلطاني الغالبي بأمر الله العزّي، أدام الله عدل سلطانه، إلى والده الداعي له، فتعيّن عليه الجواب بالوصيّة الدينيّة، والنصيحة السياسيّة الإلهيّة، على قدر ما يعطيه الوقت، ويحتمله الكتاب، إلى أن يقدّر الاجتماع ويرتفع الحجاب.

فقد صحّ عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «الدين النصيحة. قالوا: لمن يا رسول الله؟ فقال: لله ولرسوله ولأئمّة المسلمين وعامّتهم». وأنت يا هذا بلا شك من أئمّة المسلمين، قد قلّدك الله هذا الأمر، وأقامك نائبا في بلاده، ومتحكّمًا بما تُوفّق إليه في عباده، ووضع لك ميزانًا مستقيمًا، تقيمه فيهم، وأوضحَ لك محجّة بيضاء، تسلك بهم عليها وتدعوهم إليها. على هذا الشرط ولّاك، وعليه بايعناك؛ فإن عدلت فلك ولهم، وإن جرت فلهم وعليك. فاحذر أن أراك غدا يوم القيامة بين أئمّة المسلمين من أخسر الناس أعمالا، ولا يكون شكرك لما أنعم الله به عليك من استواء ملكك بكفران النعم، واستظهار المعاصي، وتسليط النوّاب السوء على الرعيّة الضعيفة، فيتحكّمون فيهم بالجهالة والإعراض[2]، وأنت المسئول عن ذلك.

فيا هذا؛ قد أحسن الله إليك، وخَلع خِلع النيابة عليك، فأنت نائب الله في خلقه، وظلّه الممدود في أرضه، فأنصف المظلوم من الظالم، ولا يغرّنك أن وسّع الله عليك سلطانك، وسوّى لك البلاد ووطّاها، مع إقامتك على المخالفات والجور وتعدّي الحدود، فإنّ ذلك

(١) كيكاوس بن كيخسرو بن قلج ارسلان السلطان الملك الغالب عز الدين، أحد سلاطين السلاجقة.

(٢) م، ن: والأغراض.

الاتّساع، مع بقائك[1] على مثل هذه الصفات[2]، إمهال من الحقّ لا إهمال، وما بينك وبين أن تقف على أعمالك إلّا بلوغ الأجل المسمّى، وتصل إلى الدار التي سافر إليها آباؤك وأجدادك، فلا تكن من النادمين، فإنّ الندم في ذلك الوقت غير نافع.

يا هذا؛ ومن أشدّ ما يمرّ على الإسلام والمسلمين، وقليل ما هم، رفع النواقيس والتظاهر بالكفر، وإعلاء كلمته ببلادك، ورفع الشروط التي اشترطها أمير المؤمنين وإمام العالمين عمر بن الخطاب ﷺ على أهل الذمّة، من أن لا يحدثوا في مدينتهم ولا ما حولها كنيسةً ولا ديرًا ولا قُلِيّة ولا صومعة راهب، ولا يجدّدوا ما خرب، ولا يمنعوا كنائسهم أن ينزلها أحد من المسلمين، ثلاث ليال يطعمونهم، ولا يأووا جاسوسًا، ولا يكتموا غشًّا للمسلمين، ولا يعلّموا أولادهم القرآن، ولا يُظهروا شركًا، ولا يمنعوا ذوي قرابتهم من الإسلام إن أرادوه، وأن يوقّروا المسلمين، وأن يقوموا لهم من مجالسهم إذا أرادوا الجلوس، ولا يتشبّهوا بالمسلمين في شيء من لباسهم في قلنسوةٍ ولا عمامةٍ ولا نعلين ولا فرق شعر، ولا يتسمّوا بأسماء المسلمين، ولا يتكنّوا بكُناهم، ولا يركبوا سُرُجا، ولا يتقلّدوا سيفًا، ولا يتّخذوا شيئًا من سلاح، ولا ينقشوا خواتيمهم بالعربية، ولا يبيعوا الخمور، وأن يجزّوا مقادم رءوسهم، وأن يلزموا زيّهم حيث ما كانوا، وأن يشدّوا الزنانير على أوساطهم، ولا يظهروا صليبا، ولا شيئًا من كتبهم في طرق المسلمين، ولا يجاوروا المسلمين بموتاهم، ولا يضربوا بالناقوس[3] إلّا ضربًا خفيًّا[4]، ولا يرفعوا أصواتهم بالقراءة في كنائسهم في شيء من حضرة المسلمين، ولا يخرجوا سعانين[5]، ولا يرفعوا مع موتاهم أصواتهم، ولا يظهروا النيران معهم، ولا يشتروا من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين. فإن خالفوا شيئا مما شرطوا فلا ذمّة لهم، وقد حلّ للمسلمين منهم ما يحلّ من أهل المعاندة والشقاق[6].

---

(١) م، ي: - على المخالفات والجور وتعدّي الحدود، فإنّ ذلك الاتّساع، مع بقائك.

(٢) م، ي: + فإنّ هذا.

(٣) م، ي: الناقوس.

(٤) م، ي: خفيفا.

(٥) عيد النصارى.

(٦) اللافت أن هذه الشروط لم يضعها الخليفة عمر بن الخطاب، وإنما وضعها أهل الجزيرة في الشام، وقصتها أوردها ابن القيم في كتابه أحكام أهل الذمة تحت عنوان: "ذكر الأحكام العمرية وأحكامها وموجباتها" وجاء فيها: "قال عبد الله ابن الإمام أحمد: حدثني أبو شُرَحْبيل الحمصي عيسى بن خالد قال: حدثني عمر أبو اليمان وأبو المغيرة قالا: أخبرنا إسماعيل بن عياش قال: حدثنا غير واحد من أهل العلم قالوا: كتب أهل الجزيرة إلى عبد الرحمن بن غنم: " إننا حين قدمت بلادنا طلبنا إليك الأمان لأنفسنا وأهل ملتنا على أنا شرطنا لك على أنفسنا ألا نحْدِث في مدينتنا كنيسة، ولا فيما حولها ديراً ولا قلاية ولا صومعة راهب؛ ولا

فهذا كتاب الإمام[1] العادل عمر بن الخطاب ﷺ.

وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «لا تبنى كنيسة في الإسلام، ولا يُجَدَّد[2] ما خرب منها»، فتدبّر كتابي ترشد، إن شاء الله تعالى، ما لزمت العمل به، والسلام.

وكتبت إليه أيضا:

إذا أَنْتَ أَعْزَزْتَ الهُدَى وتَبِعْتَهُ ... فَأَنْتَ لِهَذا الدِّيْنِ عِزٌّ كَمَا تُدْعَى

وإِنْ أَنْتَ لَمْ تَحْفَلْ بِهِ وتركتَهُ ... فَأَنْتَ مُذِلُّ الدِّيْنِ تَخْفِضُهُ وَضْعَا

فَلا تَأْخُذِ الأَلقابَ زُوْرًا فَإِنَّه ... لَتُسْأَلُ عَنْهَا يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ جَمْعَا

يُقالُ لِعِزِّ الدِّيْنِ: أَعْزَزْتَ دِيْنَهُ؟ ... ويُسْأَلُ دِيْنُ اللهِ عَنْ عِزِّكُمْ قَطْعَا

فإِنْ شَهِدَ الدِّيْنُ العَزِيْزُ بِعِزِّكُمْ ... تَكُنْ مَعَ دِيْنِ اللهِ فِي عِزِّهِ شَفْعَا

وإِنْ قالَ دِيْنُ اللهِ كُنْتُ بِمُلْكِهِ ... ذَلِيْلًا وأَهْلِي فِي مَيَادِيْنِهِ صَرْعَى

وَما زِلْتُ فِي سُلْطَانِهِ ذَا مَهَانَةٍ ... وفِي زَعْمِهِ بِي أَنَّهُ مُحْسِنٌ صُنْعَا

فَمَا حُجَّةُ السُّلْطَانِ إِنْ كانَ قَوْلُهُ ... كَمَا قُلْتُ؟ فَلْيَسْكُبْ لِمَا قُلْتُه الدَّمْعَا

وأَدْمِنْ لِبَابِ اللهِ إِنْ كُنْتَ تَبْتَغِي ... تَجَاوُزَهُ عَنْ ذَنْبِكَ الضَّرْبَ والقَرْعَا

نجدد ما خرب من كنائسنا ولا ما كان منها في خطط المسلمين. وألا نمنع كنائسنا من المسلمين أن ينزلوها في الليل والنهار، وأن نوسع أبوابها للمارة وابن السبيل، ولا نؤوي فيها ولا في منازلنا جاسوساً، وألا نكتم غشاً للمسلمين، وألا نضرب بنواقيسنا إلا ضرباً خفياً في جوف كنائسنا. ولا نظهر عليها صليباً، ولا نرفع أصواتنا في الصلاة ولا القراءة في كنائسنا فيما يحضره المسلمون، وألا نخرج صليباً ولا كتاباً في سوق المسلمين، وألا نخرج باعوثاً - قال: والباعوث يجتمعون كما يخرج المسلمون يوم الأضحى والفطر ولا شعانين، ولا نرفع أصواتنا مع موتانا، ولا نظهر النيران معهم في أسواق المسلمين، وألا نجاورهم بالخنازير ولا ببيع الخمور، ولا نظهر شِرْكاً، ولا نرغب في ديننا، ولا ندعو إليه أحداً. ولا نتخذ شيئاً من الرقيق الذي جرت عليه سهام المسلمين. وألا نمنع أحداً من أقربائنا أرادوا الدخول في الإسلام. وأن نلزم زينا حيثما كنا، وألا نتشبه بالمسلمين في لبس قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ولا في مراكبهم، ولا نتكلم بكلامهم، ولا نكتني بكناهم، وأن نجز مقادم رءوسنا ولا نفرق نواصينا، ونشد الزنانير على أوساطنا، ولا ننقش خواتمنا بالعربية، ولا نركب السروج، ولا نتخذ شيئاً من السلاح ولا نحمله، ولا نتقلد السيوف، وأن نوقر المسلمين في مجالسهم، ونرشدهم الطريق ونقوم لهم عن المجالس إن أرادوا الجلوس، ولا نطلع عليهم في منازلهم، ولا نعلم أولادنا القرآن. ولا يشارك أحد منا مسلماً في تجارة إلا أن يكون إلى المسلم أمر التجارة، وأن نضيف كل مسلم عابر سبيل ثلاثة أيام ونطعمه من أوسط ما نجد. ضمِنا لك ذلك على أنفسنا وذرارينا وأزواجنا ومساكيننا، وإنْ نحن غيّرنا أو خالفنا عما شرطنا على أنفسنا، وقبلنا الأمان عليه، فلا ذمة لنا، وقد حل لك منا ما يحل لأهل المعاندة والشقاق". فكتب بذلك عبد الرحمن بن غُنْم إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكتب إليه عمر: "أن أمض لهم ما سألوا، وألحق فيهم حرفين أشترطهما عليهم مع ما شرطوا على أنفسهم: ألا يشتروا من سبايانا، ومن ضرب مسلماً فقد خلع عهده". فأنفذ عبد الرحمن بن غنم ذلك، وأقر من أقام من الروم في مدائن الشام على هذا الشرط.

(١) م، ي: - الإمام.

(٢) النسخ عدا م: يجددوا.

عَسَـــى جُوْدُهُ يَوْمًا يَجُوْدُ بِفَتْحِهِ فَيَبْرُزُ عَفْوُ اللهِ يَـدْفَعُـهُ دَفْعَـا
فَيَـا رَبّ رِفْقًـا بِالجَمِيْعِ، فَيَـا لَهَـا إِذا اجْتَمَعَ الخَصْمَانِ مِنْ وَقْعَةٍ شَنْعَا
فـأَنْـتَ إِمـامُ المتَّقِيْنَ وَرَأْسُـــهُمْ إِذا لَمْ تَزَلْ تَجْبُرْ لِدِيْنِ الهُدَى صَدْعَا
لَكُمْ نائِبٌ فِي الأَمْرِ أَصْبَحَ مُلْحِدًا وأَضْحَى لأَهْلِ الدِّيْنِ يَقْطَعُهُمْ قَطْعَا
فَمَا لَكَ لَمْ تَغْلِبْهُ واسْمُكَ غالِبٌ وَمـا لَكَ لَمْ تَعْزِلْهُ إِذْ آثَرَ النَّقْعَـا
فَيا أَيُّها السُّلْطَانُ حَقِّقْ نَصِيْحَتِي لَكُمْ وارْعِنِي مِنْكُمْ لِمَـا قُلْتُـهُ سَمْعَـا
فـإِنِّي لَكُمْ واللهِ أَنْصَـــحُ ناصِحٍ أَذُودُ الرَّدَى عَنْكُمْ وأَمْنَعُـهُ مَنْعَـا
وأَجْلِبُ لِلسُّلْطانِ مِنْ كُلِّ جانِبٍ مِنَ الدِّيْنِ والدُّنْيَـا المعَـارِفَ والنَّفْعَـا

حكم منثورة

أفضل العمل ما أثَّل مجدًا، وأجمل الطلب ما حصّل حمدًا.

شرّ العمل ما هدم فخرًا، وشرّ الطلب ما قبح ذكرًا.

الحليم من لم يكن حلمه لفقد النصرة وعدم القدرة، والجواد من لم يكن جوده لدفع الأعداء وطلب الجزاء، والشجاع من لم تكن شجاعته لفوت الفرار وفقد الأنصار، والصَّموت من لم يكن صمته لكلّة لسانه وقلّة بيانه، والمنصف من لم يكن إنصافه لضعف[1] يده وقوّة خصمه، والمحبُّ من لم تكن[2] محبّته لبذل معونة أو حذف مئونة.

مَن خان أخاه أزهد في أخوّته، ومن أعان عليه خرج من مروءته.

وروينا من حديث ابن ثابت قال: أنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن رزق البزّاز، وأبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران المعدِّل، ثنا إسماعيل بن محمد الصفّار، ثنا أبو يحيى بن أسد المروزي، ثنا معروف الكرخي قال[3]:

قال بكر بن خُنيس: إنّ في جهنّم لوادٍ تتعوّذ[4] جهنّم من ذلك الوادي[5] كلّ يوم سبع مرات، وإنّ في الوادي لَجُبًّا يتعوّذ الوادي وجهنّم من ذلك الجبّ كلّ يوم سبع مرات، وإنّ في الجبّ لحيّة يتعوّذ الجبّ والوادي وجهنّم من تلك الحيّة كلّ يوم سبع مرات، يبدأ بفسقة

(١) م، ي: بضعف.
(٢) أ، ج، ر، ن: يكن.
(٣) م، ي: - قال.
(٤) أ، ر، ن: يتعوذ.
(٥) النسخ عدا ج: - الوادي.

حملة القرآن فيقولون: أي ربّ؛ بُدئ بنا قبل عبدة الأوثان، قيل لهم: ليس من يعلم كمن لا يعلم.

وروينا من حديثه أيضًا، عن ابن رزق قال: ثنا أبو محمد، وجعفر بن محمد بن نصر الخلدي، حدّثني إبراهيم بن نصر المنصوري، مولى منصور بن المهدي، حدّثني إبراهيم بن يسار الصوفي الخراساني خادم إبراهيم بن أدهم قال: وقف رجل مرّة[1] على إبراهيم بن أدهم فقال: يا أبا إسحق؛ لِمَ حُجِبت القلوب عن الله ﷻ؟ فقال[2]: لأنّها أحبّت ما أبغض الله؛ أحبّت الدنيا ومالت إلى دار الغرور واللهو واللعب، وتركت العمل لدار فيها حياة الأبد في نعيم لا يزول ولا ينفد خالدًا مخلّدًا في مُلكٍ لا نفاد له ولا انقطاع.

ومن باب النسيب

ما قاله ابن الرومي في حلاوة الحبّ، ومرارته. قال أبو بكر الصيدلاني في روايتنا: أنشدنا أبو أحمد الكاتب[3] قال: أنشدني ابن الرومي:

وأزرقُ الفجر يبدو قبل أشهَبِهِ ... وأوّلُ الغيث قطرٌ ثمّ ينسكبُ
فمثل ذلك ودّ العاشقين هوىً ... بالمزج يبدو وبالإدمان يلتهبُ

وبلسان الوسوس في هذا الباب

الحبُّ حُلوٌ أَمَرّتْهُ عواقبه ... وصاحب الحبِّ صَبٌّ[4] القلب ذائبهُ
أستودعُ اللهَ من بالقلب ودَّعني ... يوم الرحيل ودمع العين ساكِبهُ
ثمّ انصرفتُ وداعي الحبِّ يهتف بي ... ارفق عليك فقد عزّتْ مطالبُهُ

ولنا في هذا الباب:

الحبّ حلوٌ إذا ما حِبُّنا وصلا ... كما يَمِرُّ إذا محبوبُنا هجرا
منوّع الطعم بالحالات فهو كمثل ... الماء يتبع لون الكاس إن نظرا

وقال الحسن بن هاني:

أوائل الحبّ حلاواتُ ... وآخر الحُبّ مراراتُ

---

(١) م، ي: - مرة.
(٢) م، ي: قال.
(٣) م، ي: أبو محمد الكاتب.
(٤) م، ي: ذيب.

ومشرع الحبّ دواعي الردى ومنهل الحبّ بليّاتُ
كم قد أباد الحبّ من معشرٍ أمسوا وهم في الترب أمواتُ
فسوف إن دام بنا ذا الهوى أموت والله كما ماتوا

ولبعضهم:

الحبُّ يترك مَن أحَبَّ مُدَلّهًا حيرانَ أو يقضي عليه فيُسرِعُ

وقال الآخر:

ألا قاتل الله الهوى كيف يقتلُ وكيف بأكبادِ المحبّين يفعلُ
فلا تعذلوني في هواي فإنّني أرى سورة الأبطال في الحبِّ تبطلُ

وقال أبو حفص في هذا الباب:(١)

ليس أمرُ الهوى يُدبَّرُ بالرأي ولا بالقياس والتفكيرِ
إنّما الحبُّ والهوى خطراتٌ مُحدِثاتُ الأمورِ بعد الأمورِ
ليسَ خطبُ الهوى بخطب يسير ليسَ ينبيك عنه مثل خبيرِ

ومِن قيل الكميت في هذا الباب:

الحبُّ فيه حلاوةٌ ومرارةٌ سائلْ بذلك من تطعّمَ أو ذُقِ
ما ذاق بؤس معيشةٍ(٢) ونعيمها فيما مضى أحدٌ إذا لم يعشقِ

ولبعضهم فيه:

رأيتُ أخا الحبّ الذي ليس يقصرُ يقال له أعمى وإن كان يبصِرُ
ويخبط كالعشواءِ في حالِكِ الدجى سواءٌ عليه السهل والمتوعّرُ

ومن باب طعم الحبّ:

وللحبِّ(٣) أغصانٌ تراها نظيرةً وفي طعمها للذائقينَ ذعافُ
رأيتُ المنايا في عيونِ أوانسٍ تمينُ(٤) بها الأرواحَ وهي ضعافُ

ومن ذلك:

(١) وجدنا في الموسوعة الشعرية أنّ هذه الأبيات لعلية المهدي (١٦٠-٢١٠هـ) أخت الخليفة هارون الرشيد.
(٢) م، ي: عيشه.
(٣) م، ي: وفي الحب.
(٤) أ، ج، ر، ن: يمين. م: نمين.

وقيل الهوى عذبٌ فلمّا وردتُهُ ... وردتُ كريهًا لا يسوغ[1] لشاربِهْ
وإنّي رأيتُ الدهر حين صحِبته ... محاســـنه مقرونـة بمعـائبِـهْ
إذا سرّني في أوّل الأمر لم أزل ... على حذرٍ من غمّهِ في عواقبهْ

ومن ذلك:

الحـبُّ حلو البـدءِ مرُّ العقـبِ ... وأصعبُ الأدواءِ داءُ الحبِّ
وصاحبُ الحبِّ حليف الكربِ ... مدلّهُ العقل عميد القلبِ[2]

رؤيا عاتكة عمّة رسول الله ﷺ بمكة فيما جرى على المشركين يوم بدر

قال الله ﷻ: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾[3] قيل يريد يوم بدر، قُتل فيها صناديد قريش.

روينا من حديث الواحدي، قال: ثنا أحمد بن الحسن الحيري، ثنا أبو العباس أحمد بن يعقوب، ثنا أحمد بن عبد الجبار العطاردي، ثنا يونس بن بكير، ثنا محمد بن إسحق، ثنا حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: وحدّثني يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير، قال: رأت عاتكة بنت عبد المطلب، فيما يرى النائم قبل مقدم ضمضم على قريش بمكة بثلاث ليال، رؤيا أعظمتها. فبعثتْ إلى أخيها العباس بن عبد المطلب، فقالت له: يا أخي؛ لقد رأيتُ الليلة رؤيا، ليدخلنَّ على قومك شرٌّ وبلاء. فقال: وما هي؟ قالت: رأيتُ فيما يرى النائم أنّ رجلًا أقبل على بعير له، فوقف بالأبطح، فقال: انفروا يا آل غدر إلى مصارعكم في ثلاثٍ. فأرى الناس اجتمعوا إليه، ثمّ أرى بعيره دخل به المسجد، واجتمع الناس إليه. ثمّ مثل به بعيره، فإذا هو على رأس الكعبة، فقال: يا آل غدر؛ انفروا إلى مصارعكم في ثلاث. ثمّ إنّ بعيره مثل به على رأس أبي قبيس فقال: انفروا يا آل غدر إلى مصارعكم في ثلاثٍ[4]. ثمّ أخذ صخرة فأرسلها من رأس الجبل، فأقبلت تهوي حتى إذا كانت في أسفله ارفضّت، فما بقيت دارٌ من دور قومك، ولا بيت إلاّ دخل فيه بعضها. فقال العباس: واللهِ إنّ هذه لرؤيا فاكتميها. قالت: وأنت فاكتمها.

فخرج العباس من عندها، ولقي الوليد بن عتبة، وكان له صديقًا فذكرها له، واستكتمه

---

(١) م، ي: لا يساغ.
(٢) انتهى السمر.
(٣) [الدخان: ١٦].
(٤) م، ي: - ثمّ إنّ بعيره مثل به على رأس أبي قبيس فقال: انفروا يا آل غدر إلى مصارعكم في ثلاثٍ.

إيّاها، فذكرها الوليد لأبيه، فتحدّث بها، ففشى الحديث. قال العباس: فغدوت لأطوف بالبيت، فدخلتُ المسجد، فإذا أبو جهل في نفرٍ من قريش يتحدّثون عن رؤيا عاتكة[١]. فقال أبو جهل: يا أبا الفضل؛ متى حدثتْ هذه النبيّة فيكم؟ فقلت: وما ذاك؟ قال: رؤيا رأتها عاتكة بنت عبد المطلب! أما رضيتم أن تتنبّأ رجالكم حتى تتنبّأ نساؤكم! سنتربّص[٢] بكم هذه[٣] الثلاث التي ذكرت عاتكة؛ فان تكن عاتكة تقول حقّا فسيكون، وإلّا كتبنا عنكم[٤] كتابًا: أكذب بيت[٥] في العرب. قال العباس: فواللهِ ما كان منّي إليه من كبير شيء إلا أنّي جحدت ذلك وأنكرته. وقلت: ما رأت[٦] شيئًا ولا سمعتُ بها. فلمّا أمسيتُ لم تبقَ امرأةٌ من بني عبد المطلب إلّا أتتني، فقلن: صبرتم[٧] لهذا[٨] الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم، ثمّ قد تناول النساء وأنت تسمع، فلم تكن[٩] عندك غيرة. فقلت واللهِ لقد صدقتُني، وما كان عندي في ذلك من غيرة، إلّا أنّي أنكرت ما قال، فلا تعرّضن له، فإن عاد[١٠] لأكْفِيكُنَّه.

فغدوت في اليوم الثالث أتعرّضه ليقول شيئًا، فأشاتمه. فو اللهِ إنّي لمُقبل نحوه، وكان رجلًا حديد الوجه[١١] حديد اللسان، إذ ولّى نحو الباب يشتدّ. فقلت في نفسي: ما له، لعنه الله! أكلُّ هذا فرَقًا من أن أشاتمه؟ وإذا هو سمِع ما لم أسمَع. سمع صوت ضمضم بن عمرو الغفاري، وهو يصرخ ببطن الوادي، واقف على بعيره بالأبطح قد حوّل رحله، وشقّ قميصه، وجدع بعيره. يقول: يا معشر قريش؛ اللطيمة اللطيمة، أموالكم مع أبي سفيان وتجارتكم قد عرض له محمد وأصحابه، الغوث الغوث. فشغله ذلك عنّي، وشغلني عنه ما جاء من الأمر.

وتجهّز الناس سراعًا، وقالوا: أيظنُّ محمد وأصحابه أن يكون كعِير ابن الحضرمي؟ كلّا واللهِ؛ ليعلمنّ غير ذلك. فكانوا بين رَجُلين؛ إمّا خارجا وإمّا باعثا مكانه رجُلا. وأوعبتْ قريش

---

(١) م، ي: - أبو جهل في نفرٍ من قريش يتحدّثون عن رؤيا عاتكة.
(٢) م، ي: وسنتربّص.
(٣) أ، ر، ن: هذا.
(٤) م، ي: عليكم.
(٥) أ، ج، ر، ن: بيتا.
(٦) م، ي: ما رأيت.
(٧) النسخ عدا أ: صرتم.
(٨) م، ي: لمثل هذا.
(٩) النسخ عدا ن: يكن.
(١٠) م، ي: - عاد.
(١١) م، ي: النظر.

فلم يتخلّف من أشرافها أحد. فأصابت قريش ما أصابها يوم بدر من قتْل أشرافهم وأسر جبابرتهم.

قال ابن أبي نجيح: كان أميّة بن خلف قد أجمع القعود، وكان شيخًا كبيرًا ثقيلًا. فأتاه عقبة بن أبي معيط، وهو جالس في المسجد بين ظهري قومه، بمجمرة يحملها فيها نار حتى وضعها بين يديه، فقال: يا أبا علي؛ استجمر، فإنما أنت من النساء. فقال: قبّحك الله، وقبّح ما جئت به. ثمّ تجهّز وخرج مع الناس.

وكان سبب تثبُّط أميّة عن الخروج، ما رويناه أيضا من حديث الواحدي، قال: ثنا أبو نصر أحمد بن محمد بن إبراهيم، أنا عبد الله بن بطه، أنا أبو القاسم بن بنت منيع، ثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي، ثنا خلف بن الوليد، ثنا إسرائيل، عن أبي إسحق، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله بن مسعود، قال: انطلَق سعد بن معاذ معتمرًا، فنزل على أميّة بن خلف، وكان أميّة إذا انطلق إلى الشام، فمرّ بالمدينة، نزل على سعد، فقال أميّة لسعد: انتظر حتى إذا انتصف النهار وغفل الناس انطلقتَ فطفتَ. فبينما سعد يطوف إذ أتاه أبو جهل، فقال: مَن هذا الذي يطوف معك بالكعبة؟ فقال: سعد. فقال أبو جهل: تطوف بالكعبة آمنًا وقد آويتَ محمدًا وأصحابه؟ قال: نعم. فتلاحيا بينهما. فقال أميّة لسعد: لا ترفع صوتك على أبي الحكم، فإنّه سيّد أهل هذا الوادي. فقال له سعد: والله لئن منعتني أن أطوف بالبيت لأقطعنّ عليك متجرك[1] إلى الشام. فجعل أميّة يقول لسعد: لا ترفع صوتك، وجعل سعدٌ يمسكه. فغضب سعد، وقال: دعنا عنك، فإنّي سمعت محمدًا ﷺ يزعم أنّه قاتِلك. قال: إيّاي؟ قال: نعم. قال: واللهِ ما يكذب محمد. فرجع إلى أمّ صفوان، فقال: أما تعلمين ما قال أخي اليثربي؟ قالت: وما قال؟ قال: زعم أنّ محمدًا يزعم أنّه قاتلي. قالت: والله ما يكذب محمد. فلمّا خرجوا إلى بدر، وجاء الصريخ. فقالت له امرأته: أما ذكرت ما قال لك أخوك اليثربي؟ فقال له أبو جهل: إنّك من أشرف أهل الوادي، فسر معنا يومًا أو يومين، فسار معهم، فقتله.

وقد ذكرنا قصّة غزوة بدر في هذا الكتاب، ومقتل أميّة بن خلف وغيره فيها.

قدوم حِمْيَرْ على أبي بكر الصديق رضي الله عنه

روينا من حديث الرملي، عن الحسين بن زياد، عن أحمد بن عبد الله، عن محمد بن يوسف، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك، قال: قَدِمَتْ حِميَر على أبي بكر معها ذو

(١) أ، ر، ن، ي: منخرتك.

الكلاع بعدد كثير من أهل اليمن، وعُدّة حسنة. وجاءت مدحج فيها قيس بن هبيرة المرادي، ومعه جمع عظيم من قومه فيهم الحجاج بن عبد يغوث، وجاء حابس بن سعد الطائي في عدد كثير من طيّ، وجاءت الأزد في عدد كثير وجمع عظيم فيهم جندب بن عمرو بن حممة الدوسي وفيهم أبو هريرة الدوسي، وجاءت قيس. (فأمَّر) أبو بكر ﷺ لميسرة بن مسروق العبسي عليهم. وجاء ابن أشيم في بني كنانة.

فأمّا ربيعة وتميم، فإنّهم كانوا بالعراق، وكانت دارهم عراقيّة، وقلّ من شهدها منهم. وكان عظمهم وجلّهم أهل اليمن. فمن هناك كثروا بالشام، وكانوا سكّانها وأهلها.

ومن باب النسيب

وما سرّني أنّي أطيق تصـــبُّرًا ... ولا أنّني أمسيت خلوًا من الحبِّ
إذا ما سألتُ الله عنك تسلّيا ... فلســـت حقيقًا بالإجابة من ربّي

السماع في ذلك: تقول النفس الإنسانية اللطيفة الربّانيّة الموجودة عن الروح الإلهي من قوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾[1] لهذا الروح، لمّا طال حبسها في هذا الهيكل الضيّق، عن السراح في تلك المسارح الواسعة الفضاء، الصافية الأضاء، حيث الرّوح الأعلى والملائكة العلى بالمكانة الزلفى والنظر الأجلى، ما سرّني أنّي أطيق تصبّرًا عن اللحوق، ولا أنّني خلو من تعلّق الهمّة به والاشتياق إليه، وكيف لا يكون ذلك منّي وهو أصلي وكلّي. ولمّا تخيّلت الإعراض منه عنّي بطول الحبس في عالم التركيب الأسفل، بوطيق التخليص والتشجير، أردتُ إقامة الحجّة على كلّ خاطر يحرّضني عن العدول عن هذه المحجّة، وعلمت أنّي لا بد لي من الرجوع إليه والنزول عليه، والتخليص من هذه السّدفة الترابية واقعٌ على كلّ حال، والإقامة في عالم الفساد على الدوام محال. سألت الله في السلوان عن هذا التعلّق بالتضرّع والإنابة، وقد تحقّقتُ في ذلك عدم الإجابة فأرضيت الفريقين، هيهات وكيف يسلو فرع عن أصله؟ ولولاه ما غذاه الماء، ولا امتدّت منه الأفياء.

ومن هذا الباب قول الآخر:

يُعيّرني[2] قومي بـذلّي في الهوى ... وكم من ذليل في الهوى يكسب العِزّا
إذا كنت تهوى فاجعل الذلّ جُنّة ... فإنّي رأيت الكبر من ذي الهوى عجزا

---

(١) [الحجر: ٢٩].

(٢) النسخ عدا ن: تعيّرني.

السماع في ذلك: لمّا كان الهوى محلّه النفَس، وكان تعلّقه بالمجانس[1] لها، عيّره أهل الحجاب بذلّته لمجانسه وشكله، فقال لهم: ليس الأمر كما تزعمون، فإنّ التعلّق، وإن كان بالمناسب، فالمناسب هنا قوله: «خلق آدم على صورته»[2]، و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[3]، والتجلّي في الصور مشروع، والمناسبة (هي) في صور التجلّي؛ وهو روحها، ومحبّتنا تنتج محبّته؛ ومحبّته تورث كونه لمحبّه من حيث هو حبيب له، سمعًا له وبصرًا. فأيُّ عزٍّ وأيّ قوّة وأيّ عِظَم يقاوم عزّ مَن هو مع الحقّ بهذه المثابة، فهو قوله: "وكم من ذليل في الهوى يكسب العزّا"، وذلّ الهوى جنّة لهذا العزّ، يتعلّق الذّم به دونه. يقول: وإذا رأيت من يتكبّر في هواه، فذلك لعدم مواصلة المحبوب، فيرى أنّ ذلك من كبر نفسه، وهذا في جناب الحقّ غير لائق و(أيضًا) في سماع العارفين.

ومن باب النسيب قولنا

ألا يا نسيم الريح بلّغ مها نجدِ ... بأنّي على ما يعهدون من العهدِ
وقل لفتاةِ الحيّ موعدنا الحِمى ... غديّة يوم السبت عند[4] ربا نجدِ
على الربوة الحمراء من جانب الصُّوى ... وعن أيمن الأفلاج والعلم الفردِ
فإن كان حقًّا ما تقول وعندها ... إليَّ من الشوق المبرّح ما عندي
إليها ففي حرّ الظهيرة نلتقي ... بخيمتها سرًّا على أصدق الوعدِ
فتُلقي ونُلقي ما نلاقي من الهوى ... ومن شدّة البلوى ومن ألم الوجدِ
أأضغاث أحلامٍ أبُشرى منامةٍ ... أنُطق زمان كان في نطقه سعدي
لعلّ الذي ساق الأماني يسوقها ... إليّ فيهدي روضها لي جَنى الوردِ

خبر إسحق بن طلحة بن عبيد الله مع حرقة بنت النعمان بن المنذر

روينا من حديث الحميدي قال: ثنا الحسن بن محمد بن إبراهيم، ثنا محمد بن أحمد، ثنا محمد بن جعفر بن سهل، ثنا إبراهيم بن الجنيد، ثنا أحمد بن أبان، ثنا أحمد بن زيد الأصغر[5]، ثنا علي بن حرملة التميمي قاضي واسط، عن مالك بن مغول، عن الشعبي، عن إسحق بن

(١) ج، ن: بالمجالس.
(٢) حديث.....
(٣) [الشورى: ١١].
(٤) أ، ر، ن، ي: عن.
(٥) ج، ر: الأصفر.

طلحة بن عبيد الله قال: دخلت على حرقة بنت النعمان بن المنذر، وقد ترهّبتْ في دير لها بالحيرة، وهي في ثلاثين جارية لم يُرَ مثل حسنهنّ قط، قلت: يا حرقة؛ كيف رأيت غيرات المُلك؟ قالت: ما نحن فيه اليوم خير ممّا كنّا فيه أمس. إنّا نجد في الكتب أنّه ليس من أهل بيتٍ يعيشون في حبرة إلّا سيعقبون بعدها عبرة، وإنّ الدهر لم يظهر لقوم بيوم يحبّونه الّا أبَطن لهم بيوم يكرهونه، وإنّ على أبواب السلطان كإخوان الإبل من الفتن، مَن أصاب من دنياهم شيئًا أصابوا من دينه مثليه، وقد قلت في ذلك قولا، قلت: وما هو؟ قالت:

فبينا[1] نسوس الناس والأمر أمرنا إذا نحن فيهم[2] سوقةً نتنصّفُ
فـأفٍّ لدنيـا لا يـدوم سرورهـا تقلّبُ تاراتٍ بنا وتصـــــرّفُ

وبه إلى محمد بن جعفر بن سهل قال: ثنا علي بن داود القنطري قال: ثنا يحيى بن بكير، ثنا يعقوب بن عبد الرحمن، عن عمرو بن أبي عمرو، عن المطلب بن عبد الله بن حنطب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ داود عليه السلام كان فيه غيرة شديدة، وكان إذا خرج أغلق الأبواب، فاطّلعتْ امرأته يومًا إلى الدار، فإذا برجل وسط الدار، فقالت: من أين دخل هذا؟ والله لنفتضحنّ عند داود. فلمّا جاء داود عليه السلام قال له: من أنت؟ قال: أنا الذي لا يهاب الملوك، ولا يمتنع بمنع الحجّاب. فقال: فأنت واللهِ أمينُ الله ملك الموت، فقبض روحه في موضعه، وطلعت عليهم الشمس، فأمر سليمان عليه السلام الطير أن تظلّه بأجنحتها ففعلتْ، فأظلمتْ عليهم الأرض، فأمرها أن تقبض جناحًا جناحًا». قال أبو هريرة: يرينا رسول الله ﷺ كيف فعلت الطير؟ قال: «وغابت يومئذٍ النسور».

خبر عبد الواحد بن زيد مع الراهب

روينا من حديث ابن ثابت قال: أنا الحسن بن أحمد بن إبراهيم الدورقي، ثنا جعفر بن محمد بن أحمد المؤدّب، ثنا محمد بن يونس، ثنا شدّاد بن علي، ثنا عبد الواحد بن زيد قال: مررتُ براهب فناديته: يا راهب؛ مَنْ تعبد؟ قال: الذي خلقني وخلقك. فقلت: عظيم هو؟ قال: عظيم المنزلة. قال: جاوزتْ عظمتُه كلَّ شيء. قلت: فمتى يذوق العبد الأنس بالله؟ قال: إذا صفا الودّ حصلت المعاملة. قلت: فمتى يصفو الودّ؟ قال: إذا اجتمع الهمّ فصار في الطاعة. قلت: متى تخلص المعاملة؟ قال: إذا كان الهمُّ همّا واحدًا. قلت: كيف تخلّيت بالوحدة؟

---

(١) ج، ر، م، ن: بينا.

(٢) ج، ر، م، ن: منهم.

قال: لو ذقتَ حلاوة الوحدة لاستوحشتَ إليها من نفسك. قلت: ما أكثر ما يجد العبد من الوحدة؟ قال: الراحة من مداراة الناس، والسلامة من شرّهم. قلت: بِمَ[1] يُستعان على قلّة المطعم؟ قال: بالتحرّي في المكسب، والنظرة في الكسرة. قلت: زدني. قال: كُلْ حلالًا، وارقد حيث شئت.

قلت: فأين طريق الراحة؟ قال: خلاف الهوى. قلت: ومتى يجد العبد الراحة؟ قال: إذا وضع قدمه في الجنّة. قلت: لِمَ تخلّيتَ من الدنيا وتعلّقتَ في هذه الصومعة؟ قال: لأنّه من مشى على الأرض عثر وخاف اللصوص؛ فتعلّقتُ فيها وتحصّنتُ بمن في السماء من فتنة أهل الأرض، لأنّهم سُرّاق العقول، فخفتُ أن يسرقوا عقلي، وذلك أنّ القلب إذا صفا ضاقت عليه الأرض، وأحبَّ قُرب السماء، وفكّر في قرب الأجل، فأحَبَّ أن يرتحل إلى ربّه. قلت: يا راهب؛ من أين تأكل؟ قال: مِن زرعٍ لم أبذره، بذره اللطيف الخبير الذي نصب الرحا يأتيها بالطحين؛ وأشار إلى ضرسه.

قلت: كيف ترى حالك؟ قال: كيف يكون حال من أراد سفرًا بلا أُهبة، ويسكن قبرًا بلا مؤنس، ويقف بين يدي حكم عدل؟ ثمّ أرسل عينيه فبكى. قلت: ما يبكيك؟ قال: ذكرتُ أيّاما مضت من أجلي لم أحقّق فيها عملي، وفكّرت في قلّة الزاد، وفي عقبِه هبوط إلى الجنّة أو إلى النار. قلت: يا راهب بِمَ يُستجلب الحزن؟ قال بطول الغربة، وليس الغريب من مشى من بلدٍ إلى بلد، ولكن الغريب صالح بين الفسّاق.

ثُمّ قال: إنّ سرعة الاستغفار توبة الكذّابين، لو علم اللسان ممّ يستغفر الله لجفّ في الحنَك. إنّ الدنيا منذ يومٍ سكَنَها الموت ما قرّتْ لها عين، كلّما تزوّجت الدنيا زوجًا طلّقها الموت، والدنيا من الموت طالق، لمْ تقرّ عينها، فمثلها كمثل الحيّة ليّنٌ مسُّها، والسُمّ في جوفها.

ثمّ قال الراهب: يا هذا؛ كما لا يجوز الزائف من الدراهم، كذلك لا يجوز لا إله إلّا الله إلّا بنور الإخلاص، إنّ الفضّة السوداء لتُزَخرفْ بالفضّة البيضاء. ثُمّ قال: عند تصحيح الضمائر يَغفر اللهُ الكبائر، فإذا عزم العبد على ترك الآثام أتته من السماء الفتوح والدعاء المستجاب الذي تحرّكه الأحزان. قلت: فأكون معك يا راهب وأقيم عليك؟ قال: ما أصنع بك ومعي معطي الأرزاق، وقابض الأرواح، يسوق إليّ الرزق في وقت لم يكلّفني جمعُه، ولم يقدر على ذلك أحد غيره، والسلام.

---

(١) رسمها في النسخ عدا ج: بما. ج: فبما.

وروينا أيضا من حديث ابن ثابت، قال: أنا علي بن أحمد الرزّاز، ثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن زياد النقّاش، ثنا محمد بن يحيى، حدّثني جعفر بن أبي جعفر الرازي، قال: كتب إبراهيم بن أدهم إلى أخٍ له:

بسم الله الرحمن الرحيم

أمّا بعد؛ فإنّي أوصيك بتقوى من لا تحلُّ معصيته ولا يُرجى غيره ولا يُدرَك الغنى إلّا به؛ فإنّه من استغنى عزّ وشبِع وروِيَ، وانتقل عندما أبصر قلبه عمّا أبصرتْ عيناه من زهرة الدنيا، فتركها وجانَب شُبهها، فرضي[1] بالحلال الصافي منها إلّا ما لا بُدّ له منه، من كسرةٍ يشدُّ بها صُلبه، وثوب يواري به عورته، أغلظ ما يجد وأخشنه.

وروينا من حديثه أيضا، قال: ثنا محمود بن عمر العكبري، أنا علي بن الفرج بن أبي روح، ثنا عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا، ثنا الحسين بن عبد الرحمن، قال: كتب بعض الحكماء إلى أخ له: أمّا بعد؛ فاجعل القنوع ذخرا تبلغ به، إلى أن يُفتح لك بابٌ يحسن لك الدخول فيه؛ فإنّ الثقة من القانع لا تخذل، وعون الإله مع ذي الأناة، وما أقرب الصُّنع من الملهوف، وربما كان الفقر نوعا من آداب الله، وخيرة في العواقب. والحظوظ مراتب، فلا تعجل على ثمرة لم تدرك، فإنّك تدركها في أوانها عذبة، والمدبّر لك أعلم بالوقت الذي يصلح فيه لما تؤمّل، فثِق بخيرته لك في أمورك كلّها، والسلام.

ومن حديثه أيضا في روايتنا، قال: ثنا عبد الملك بن محمد بن بشران، أنا دعلج بن أحمد، ثنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن هارون العودي، ثنا عمرو بن الحباب، ثنا يعلى بن الأشدق، ثنا عبد الله بن جرادة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الأعمى من عمي بصره، ولكن الأعمى من تعمى بصيرته».

وروينا أيضا من حديثه، قال: ثنا الحسين بن عمر بن برهان، ثنا عبد الباقي بن قانع[2]، ثنا بشر بن موسى، ثنا عبيد الله بن صالح، قال: كتب رجل إلى محمد بن السمّاك: صف لي الدنيا. فكتب إليه: أمّا بعد؛ فإنّ الله حفّها بالشهوات، ثمّ ملأها آفات، مزج حلالها بالرزيّات، وحرامها بالتبعات؛ فحلالها حساب، وحرامها عذاب.

---

(١) في النسخ: فارض.

(٢) أ، ر، ن، ي: قافع. ج: نافع.

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشّفتْ له عن عدوٍّ في ثيابِ صديقِ[1]

* * *

روينا من حديث الخرائطي، قال: ثنا حمّاد بن الحسن بن عنبسة الورّاق، ثنا سيّار بن حاتم العنزي[2]، ثنا جعفر بن سليمان الضبعي، ثنا هشام الدستوائي، قال: بلغني في خطبة عيسى عليه السلام: تعملون للدنيا وأنتم تُرزقون فيها بغير العمل، ولا تعملون للآخرة وأنتم لا ترزقون فيها إلّا بالعمل. ويلكم علماء السوء؛ الأجر تأخذون، والعمل تضيّعون، يوشك ربّ العلم أن يطلب عِلمه، ويوشك أن تخرجوا من الدنيا إلى ظلمة القبر وضيقه.

ولنا في القبر والتحريض على الغَرس عليه

«مرّ[3] رسول الله ﷺ على قبرين، فقال: إنّهما ليعذّبان، وما يعذّبان في كبير، وإنّه لكبير؛ أمّا أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأمّا الآخر فكان لا يستنزه[4] من البول. ثمّ دعا بقضيب رطب فشقّه على اثنين، وغرس على كلّ قبر منهما، وقال: إنّه ليخفّف عنهما ما لم ييبسا».

في القبر أسرارٌ يراها الذي عنه غطاء الحسّ مكشوفُ
فادّكروا فإنّ كلّ امرئ لِفعله في القبر مصروفُ
هذا الذي أذكره عندنا وعند أهل الكشف معروفُ
عاينتُ قومًا عُذّبوا في الصدى كان لهم نقصٌ وتطفيفُ
فهل لغصن البان من غارس بقبرهم ففيه تخفيفُ
ما دام رطبًا يانعًا أخضرًا ولم يقم بالغصن تجفيفُ
تأسّيًا فإنّه لم يقل بأنّه عليّ موقوفُ
وفي تأسّينا به عصمةٌ منجيةٌ منه وتشريفُ

ولنا في قوله تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ﴾[5]

من أمن المكر من الله فأمْنُهُ المكر من اللهِ

---

(١) انتهى السمر.
(٢) في النسخ عدا م: الغنوي. م: - العنزي.
(٣) النسخ عدا ج: ومرّ.
(٤) أ، ر، ي: لا يستتر. ج، م: لا يستر.
(٥) [الأعراف: ٩٩].

هـذا الذي يـأمن من مكرهِ هل جاءه وحي من اللهِ
كيف له بالأمن من مكره أجـرأةً منـه عـلى اللهِ
هـذاك[1] جبريلٌ على قربه لا يـأمن المكر من اللهِ
فلُذْ بجنب الله واســترعِه وارجع إلى الله من اللهِ
فالصادق المصدوق عبدٌ أتى بكلّـه شــوقـا إلى اللهِ

وروينا من حديث القشيري[2] رحمه الله قال: لمّا ظهر على إبليس ما ظهر، طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام يبكيان زمانا طويلا، فأوحى الله تعالى إليهما: ما لكما تبكيان كلّ هذا البكاء؟ فقالا: يا ربّ؛ لا نأمن مكرك. فقال الله تعالى: هكذا كونا لا تأمنا مكري.

كنت ببغداد سنة ثمان وستمائة، فرأيت في النوم ليلة الحادي عشر من رمضان قد فتحتْ أبواب السماء، وفتحتْ خزائن المكر، ونادى منادٍ: ماذا نزلَ الليلة من مكر الله؟ فاستيقظتُ فزعًا.

زيادة عمر بن الخطاب ﷺ في مسجد المدينة

روينا من حديث ابن الواسطي هو ابن عبيد الله قال: ثنا عيسى، أخبرني علي بن جعفر، ثنا محمد بن إبراهيم، ثنا محمد بن النعمان، ثنا عبد الله بن الزبير الحميدي، ثنا سفيان، ثنا بشر بن عاصم، أنّه سمع سعيد بن المسيّب يحدّث أنّه سمع كعبًا قال: كان[3] للعباس دار، فلمّا أراد عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أن يوسّع مسجد رسول الله ﷺ أخذ منه الدار، فقال: ليس إلى ذلك سبيل، أو اجعل بيني وبينك رجلًا. فجعل بينهما أُبيّ بن كعب، فقال أُبيّ بن كعب: إنّه لمّا أُمر سليمان عليه السلام ببنيان بيت المقدس، وكانت أرضه لرجل، فاشتراها منه سليمان بن داود عليهما السلام، فلمّا اشتراها منه سليمان قال له الرجل: الذي أخذتَ منّي خير، أم الذي أعطيتني؟ قال له: بل الذي أخذتُ منك، فقال له: فإنّي لا أجيز البيع، حتى اشتراها منه بحكمه على أن لا يسأله شيئا كثيرًا، فسأله شيئًا كثيرًا، فتخاصم هو وسليمان في ذلك إلى ربّه عزّ وجلّ، فأوحى الله إليه: إن كنتَ إنما تعطيه من عندنا، فاعطه حتى يرضى.

فرضي العباس، وقال: أمّا إذا كان ذلك كذلك، فإنّي قد جعلتها صدقة منّي للمسجد

(١) في النسخ عدا م: هذا. م: - هذاك.
(٢) ترجمة.....
(٣) ج، ر، م، ن: -كان.

على المسلمين.

تذكرة نبويّة باجتناب صفات دنيّة

روينا من حديث الخرائطي قال: ثنا أبو قلابة البصري عبد الملك بن محمد بن عبد الله، ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، ثنا هاشم الكوفي، ثنا زيد الخثعمي، عن أسماء بنت عميس الخثعمية قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بئس العبد عبد تخيّل واختال، ونسي الكبير المتعال، بئس العبد عبدٌ سها ولها ونسي المقابر والبِلا، بئس العبد عبد بغى وعتا ونسي المبتدأ والمنتهى، بئس العبد عبد يختلي الدين بالشبهات، بئس العبد عبد طمَعٌ يقوده، بئس العبد عبد هوى يضلّه».

تنبيه

روينا من حديث الحميدي قال: ثنا الحنائي، عن ابن أبي الحديد، عن أبي بكر، عن أبي موسى عمران بن موسى قال؛ قال أبو حازم: من اعتدل يوماه فهو مغبوط، ومَن غَدُه شرٌّ يوميه فهو محروم، ومن لم يرَ الزيادة في نفسه كان في نقصان، ومن كان في نقصان فالموت خير له، وقال الآخر: ومن كان غده أحسن من يومه، ويومه أحسن من أمسه فهو رابح معتنى به.

وروينا من حديث الخرائطي قال: ثنا أحمد بن بديل[1] الأيامي، ثنا أبو معاوية الضرير، ثنا داود بن أبي هند عن الشعبي قال: لمّا طُعن عمر بن الخطاب ﷺ جاء ابن عباس فقال: يا أمير المؤمنين؛ أسلمتَ حين كفر الناس، وجاهدتَ مع رسول الله ﷺ حين خذله الناس، وقُتلتَ شهيدًا، ولم يختلف عليك اثنان، وتوفيّ رسول الله ﷺ وهو عنك راضٍ. فقال له: أعد عليّ، فأعاد عليه، فقال: المغرور من غررتموه، واللهِ لو أنّ لي ما طلعتْ عليه الشمس أو غربتْ، لافتديتُ به من هول المطلع.

وروينا من حديث الحميدي قال: ثنا محمد بن إبراهيم، عن محمد بن أحمد، عن محمد بن جعفر، ثنا إبراهيم بن الهيثم البلدي، ثنا آدم بن أبي إياس، ثنا شعبة، عن عاصم بن عبيد الله، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه قال: كان رأس عمر بن الخطاب ﷺ على فخذي في مرضه الذي مات فيه، فقال: ضع رأسي على الأرض، فقلت: ما عليك؛ كان على الأرض أو

(١) في النسخ: نبيل. وقد ورد هذا الحديث سابقا.

كان على فخذي، فقال: لا أمّ لك؛ ضعه على الأرض، فوضعته على الأرض، فقال: ويلي وويل أمي إن لم يرحمني ربّي.

قرأت في الأمالي لأبي علي القالي على أبي ذرٍّ الخشني لأبي عمرو البجلي[1]:

تمتّع من شميم عَرار نجدٍ ... فما بعد العشيّة من عرارِ
ألا يا حبّذا نفحات نجدٍ ... وريّا روضه غبّ القطارِ
وعيشك أن يحلّ[2] القوم نجدًا ... وأنت على زمانك غيرُ زارِ
شهورٌ ينقضين[3] وما علمنا ... بأنصافٍ لهنّ ولا سرارِ
فأمّا ليلُهنّ فخيرُ ليلٍ ... وأفضل ما يكون من النهارِ

وأنشدنا أبو بكر بن خلف بن صافٍ اللخمي رحمه الله للطائي:

كم منزلٍ في الأرض يألفه الفتى ... وحنينُه أبدًا لأوّل منزلِ
نقّل فؤادك حيث شئت من الهوى ... ما الحبُّ إلّا للحبيب الأوّلِ

ومّما نظمته[4] الأشواق بلسان الاشتياق قولنا في نظام الحسن عين الشمس بهاء الجمال:

يا حبّذا سرحةَ الوادي وبانتَهُ ... وحبّذا زَهَرٌ بالروض بسّامُ
أهدى النسيم لنا من عرفه خبرًا ... إنّ النسيم إذا ما هبّ نمّامُ
بكلِّ فنٍّ من الألحانِ ناطقة ... أطيارُها طربًا والشربُ نوّامُ
وفي ترجُّعها بالصومِ لو عَلِمتْ ... للمستهام بعين الشمس أعلامُ
إنّ الهوى عجمةٌ لا يستطاع له ... حدّ ولكن له في النفس أحكامُ
منها النحول ومنها عبرة وجوى ... ورقّةٌ وصبابات وتهيامُ
وما له آخرٌ تحيا النفوس به ... لأنّ أوّله موتٌ وإعدامُ
فان تمادى النوى بالحبّ أضعفه ... كما يضعّفه قربٌ وإلمامُ

ومّما قيل فيمن عشق فعفّ

وقد روينا فيه حديثًا حسنًا، حدّثناه محمد بن قاسم، قال: ثنا أبو طاهر أحمد بن محمد

---

(١) ج، ر، ي: قرأت على أبي ذرٍّ الخشني لأبي عمرو البجلي في الأمالي لأبي علي القالي.
(٢) أ، ي: تحل.
(٣) ج، ن: تنقضين.
(٤) أ، ومتن ي: تضمّنه. ن: تنضمه.

السلفي الأصبهاني، ولا أذكر الإسناد، سند الحافظ السلفي إلى النبيّ ﷺ، فإن وجدتُه سألحقه بالطرّة[1]، أو رحم الله عبدًا عرفه فألحقه من طريق السلفي على هذا الحديث في كتابي هذا. قال رسول الله ﷺ: «من عشق فعفّ، ومات، مات شهيدا».

وحدّثنا إسماعيل بن محمد قال: حدّثني نصر بن أبي الفرج بن علي الحصري، أنا أبو القاسم، أنا أبو ثابت بن بندار، أنا أبو عبد الله بن أحمد بن عثمان أبو القمر الصيرفي، أنا أبو بكر بن شاذان، ثنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة، قال: دخلت على محمد بن داود في مرضه الذي مات فيه، فقلت له: ما بك يا سيّدي؟ قال: حُبٌّ من تعْلم أورثني ما ترى؛ يعني ابن جامع الصيدلاني. قلت: فما منعك من الاستمتاع به مع القدرة عليه؟ فقال: الاستمتاع على وجهين: أحدهما النظر المباح، والثاني اللذّة المحظورة. فأمّا النظر المباح فأورثني ما ترى، وأمّا اللذّة المحظورة فيمنعني ما حدّثني أبي، عن سويد بن سعيد، عن علي بن مسهر، عن أبي يحيى القتّات، عن مجاهد، عن ابن عباس أنّ النبيّ ﷺ قال: «من عشق فكتم، وعفّ، وصبر، غفر الله له وأدخله الجنّة».

قال وأنشدني لنفسه:

ما لهم أنكروا سوادًا بخدّيهِ ولا ينكرون وردَ الغصونِ
إن يكن عيبُ خدّه مدد الشعر فعيب العيون شعر الجفونِ

فقلتُ: نفيت القياس[2] في الفقه، وأثبتّه في الشعر. فقال: غلبةُ الهوى وملكةُ النفوس دعتنا إليه.

أنشد ابن طباطبا العلوي في هذا الباب لنفسه رحمه الله:

إن عاد قلبي في الهوى وله ولقيتُ عذّالي بما كرهوا
أو كان شعري مودعًا غزلًا أخفيته ورعًا وأُظهرهُ
واللهُ يعلم ما أتيتُ خنى إن أكثر[3] العذّال أو سفهوا
ماذا يعيب الناس من رجلٍ خلص العفاف من الأثام لهُ
إن همّ في حلم بفاحشة زجرته عفّته فينتبهُ

(١) النسخ عدا ج: في الطرة.
(٢) جميع النسخ: العباس.
(٣) جميع النسخ: أكثروا.

يقَظَـاتُـه[1] ومنـامُـه شَرَعٌ كلٌّ بكلٍّ فيـه مشـــتبـهُ

وقال الآخر:

كم قـد ظفرت بمن أهوى فيمنعني منه الحياءُ وخوفُ الله والقدَرُ
وكم خلوت بمن أهوى فيُقنعني منه الفكاهة والتحديث والنظرُ
أهوى الملاح وأهوى أن أجالسهم وليس لي في حرامٍ منهم وَطَرُ
كذلك الحبُّ لا إتيان معصـــيةٍ لا خير في لذّةٍ من بعدها كدَرُ

ومن الأخبار النبويّة

ما رويناه من حديث آصف بن زيد بن أحمد، أنا ميمون بن محمد، أنا أبو شجاع محمد بن حمزة العلوي، أنا أبو الطيب طاهر بن الحسن المطوّعي، أنا أحمد بن علي السعداني، ثنا محمد بن محمد المؤذّن، ثنا حامد بن سهل، ثنا عبد الله بن زياد الحارثي، ثنا سيّار بن حاتم أبو سلمة العنزي، ثنا أبو عاصم العباداني، ثنا الفضل الرقاشي، ثنا محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «قال لي جبريل عليه السلام: إنّ الله تعالى يخاطبني يوم القيامة يقول لي: يا جبريل؛ ما لي أرى فلانًا في صفوف أهل النار؟ قال: فأقول يا ربّ؛ إنّا لم نجد له حسنة يعود بها عليه خيرٌ اليوم. قال؛ يقول الله تعالى: إنّي[2] سمعته يقول في الدنيا: يا حنّان يا منّان، فأتِه فسَلْهُ ماذا عنى بقوله يا حنّان يا منّان. فآتيه فأسأله فيقول: هل من حنّان أو منّان غير الله؟ فآخُذ بيده من صفوف أهل النار، فأدخله صفوف أهل الجنّة».

وروينا من حديث مرفوع إلى عليّ بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «من أطعم أخًا له من جوعةٍ أطعمه الله عز وجل من ثمر الجنّة، ومن سقاه من ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم، ومن كساه من عري كساه الله عز وجل من خضر الجنّة، ولم يزل في حرز الله وجواره وكنفه ما بقي عليه منه شيء».

وروينا من حديث البرقي أبي عبد الله محمد بن أحمد، ثنا أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الورّاق، ثنا خلف بن محمد، ثنا أحمد بن حاتم بن حماد، ثنا ابن أبي كرامة، ثنا الحر[3] بن النضر، أنا عيسى بن موسى، عن أبي حمزة، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة

---

(١) في النسخ: يقظانه.
(٢) أ، ر، ن، ي: إنه.
(٣) أ، ر، م، ن، ي: الحتر.

قال: قيل يا رسول الله ﷺ: «ما الزهد في الدنيا؟ قال: أن تحبّ ما يحبّ خالقك، وأن تبغض ما أبغض خالقك. وأن تتحرّج من حلال الدنيا كما تتحرّج من حرامها؛ فإنّ حلالها حساب وحرامها عقاب، وأن ترحم جميع المسلمين كما ترحم نفسك، وأن تتحرّج عن الكلام فيما لا يعنيك كما تتحرّج من الحرام، وأن تتحرّج من كثرة الأكل كما تتحرّج من الميتة».

ومن محاسن الكلام

مِن جهل المرء أن يعصي ربّه في طاعة هواه، ويهين نفسه في إكرام الدنيا، وهو من هواه في ضلال، ومن دنياه في زوال.

أيّام الدهر ثلاثة: يوم مضى لا يعود إليك، ويوم أنت فيه لا يدوم عليك، ويوم مستقبل لا تدري ما حاله وما أهله. فتعزَّ عن أمسِك الماضي، وتزوّد من يومك الفاني لغدك الآتي.

كلّ يوم يسوق إلى غده، وكلّ امرئ مأخوذ بجناية لسانه ويده.

خير عملك ما استصلحتَ به يومك، وشرّه ما استفسدتَ به قومك.

الحذر خير من الهذر؛ لأنّ الحذر يضعف الحجّة، والهذر يتلف المهجة.

إيّاك والهذر؛ فإنّ بكثرة الكلام يزلّ اللسان، ويملّ الإخوان، وتبرّم الجليس، وتسأم الأنيس، فأقلِل المقال، وتوقّ الآمال.

من أفرط في المقال زلّ، ومن استخفّ بالرجال ذلّ.

من قلّ كلامه بطن عيبه، ومن كثر احترامه حسُن غيبه؛ فاقتصِر من كلامك على اليسير، وحد في احترامك عن التقصير؛ تُستر عنك العيوب، وتجتمع على[1] محبّتك القلوب.

من قبل توقّيه كثرت مساويه.

من حسنتْ مساعيه طابتْ مراعيه.

مِن حسن الاختيار الإحسان إلى الأخيار.

ما عزّ من ذلّ جيرانه، وما سعد من شقي إخوانه.

إذا شرف الخلق لطف النطق.

إذا كرمت السجيّة حَسُنت الطويّة.

---

(١) أ، ر، ي: عن.

من أعزّ فلسَه أذلّ نفسه.

حُسن اللقاء يولّد حُسن الإخاء.

من كَرُم حَلُم، ومن لطُف شَرُف.

عادة الكفران تقطع مادة الإحسان.

المطل شرّ المنعين، واليأس أحد النجحين.

من لم يشكر الإحسان لم يعدم الحرمان.

جهلٌ يضعف حجّتك، خيرٌ من علمٍ يتلف مهجتك؛ فتحصّنْ بالجهل إذا نفع، كما يُتحصّن بالعلم إذا نفع.

من قال ما لا ينبغي سمع ما لا يشتهي.

قصّر كلامك تسلم، وطِل احتشامك تكرم.

من قال بلا احترام، أُجيب بلا احتشام.

من نكر الخطاب أنكر الجواب.

من لم يحمل قيلًا، لم يسمع جميلًا؛ فلا تقولنّ ما يسوءُك جوابه، ويضرّك معابه.

لكلّ قول جواب، ولكلّ فعل ثواب؛ فلا تقولنّ مرّا ولا تفعلنّ شرًّا، ولا تعوّدنّ نفسك إلّا ما يُكتب لك أجرُه، ويحسن عنك نشره.

لا تحاج سلطانك، ولا تلاجّ[1] إخوانك؛ فمن حاجّ سلطانه قُهِر، ومن لاج إخوانه هُجِر.

إيّاك ومحاجّة من يفنيك قهره، وينفذ فيك أمره.

اعقل لسانك إلّا عن حقّ توضحه، أو باطل تدحضه، أو حكمة تنشرها، أو نعمة تشكرها.

وإيّاك وما توحش به حرّا وتطلب له عذرا؛ فمن أوحش الأحرار زهد في عشرته، ومن أكثر الاعتذار شكّ في عذرته.

ومن باب من لم تلحظه العيون لفقره وهو جمّ الفضائل

ما رويناه من حديث ابن ثابت قال: أنا علي بن أحمد بن محمد المقري، وعبد الملك بن

(١) تلاج: تخاصم.

محمد بن عبد الله بن بشران، ثنا محمد بن الحسين الآجري بمكة قال: ثنا بعض أصحابنا عن أبي الفضل الشكلي قال: رأيت شابًّا في بعض الطرق، وعليه خلِق، فكأنّي لم أحفل به، فالتفتَ إليّ وقال:

لا تنب عنّي بأن ترى خلقي فإنما الدّرّ داخل الصّـــدفِ
علمي جديد وملبَسـي خلِقٌ ومنتهى اللبْس منتهى العَلَفِ

ومن باب عزّ النفس بالغنى بالله

ما رويناه من حديث ابن ثابت قال: أنا عبد الرحمن بن محمد النيسابوري، أنا محمد بن عبد الله بن شاذان، قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول: بينا أنا سائر في بعض الطرق، فإذا فتًى حسن الوجه، أثر التهجّد بين عينيه، فقلت: حبيبي؛ من أين أقبلت؟ قال: مِن عنده. فقلت: وإلى أين؟ قال: إلى عنده. قال: فعرضتُ عليه النفقة. فنظر إليّ مغضبًا ثمّ ولّى عنّي، وأنشأ يقول:

وكافـــر بالله أمـــوالهُ تزداد أضعافًا على كفرِهِ
ومـؤمـنٌ لـيـس له درهمٌ يزداد إيمـانًا على فقرِهِ
لا خير فيمن لم يكن عاقلًا يمـدّ رجليـه على قـدرِهِ

وأنشد ابن ثابت أيضا في روايتنا، قال: أخبرني علي بن أحمد بن حفص الفازي، قال: أنشدنا أبو بكر محمد بن الحسين بمكة، قال: أنشدني أبو بكر عبد الله بن حميد المؤدّب:

رُبّ ذي طمرين قد صان من العـالَمِ سِرَّهْ
لا يُـرى إلّا غـنـيًّـا وهو لا يملك ذرّهْ
ثمّ لو أقســـم في شيءٍ عـلى الله أبـرّهْ

وأُنشدتُ في غير هذه الرواية من هذا الشعر بيتًا رابعًا في أوّله وهو:

رُبّ ذي طمرين فينا يأمن العالم شَرّهْ

ثُمّ ساق الأبيات الثلاثة كما ذكرناها.

ومن باب كم من استغفار يحتاج إلى استغفار

روينا من حديث ابن ثابت، قال: ثنا أبو الفتح محمد بن أحمد بن أبي الفوارس، أنا محمد بن أحمد الورّاق، سمعت عبد الله بن سهل الرازي، سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول: كم

من مستغفر ممقوت، وساكت مرحوم. قال يحيى: هذا استغفَرَ الله وقلبه فاجر، وهذا سكت وقلبُه ذاكر.

سمعت بعض مشائخنا بقرطبة[1] يقول، وقد حضر معنا متقشّفا، رأى منه الشيخ ما لم نرَ، وعرف منه ما لم نعرف: الضمير الضمير، ما هو بلباس الخلقان، وخبز الشعير.[2]

ومن الحكمة النافعة والألفاظ الجامعة

جودُ الرجل يحبّبه إلى أضداده، وبخله يبغّضه إلى أولاده.

نسيان البرّ يؤدّي إلى حطّ الشكر.

من منع برّه طوى شكره.

لا تسيء إلى من أحسن إليك، ولا تُعِن على من أنعم عليك؛ فمن أساء إلى المحسن منع الإحسان، ومن أعان على المنعم سُلِبَ الإمكان، ومن وفى لك فقد قضى حقّ الإسلام واستحقّ حسن الإنعام.

من جحد النعمى فقَدَ الحسنى.

ما أقبح منع الإحسان مع حسن الإمكان.

إذا أذنبتَ فاعتذر، وإذا أُذنب إليك فاغتفر؛ فالمعذرة بيان العقل، والمغفرة برهان الفضل.

عادة الكرم الجود، وعادة اللئام الجحود.

حسن النيّة أتمّ بِرٍّ وألطف، وكرم السجيّة أعظم فخرٍ وأشرف.

مَن غرس شجرة الحلم، اجتنى ثمرة السلم.

روينا من حديث أبي بكر بن ثابت، قال: أنا أبو طالب بن يحيى بن علي بن الطيّب العجلي بحلوان، سمعت عبد الله بن محمد بن عبد الله الدامغاني بها يقول: سمعتُ ابن سلام المعروف بحسن بن علويه الواعظ، سمعت أبا زكريا يحيى بن معاذ الرازي يقول: بدءُ أمري في سياحتي حيث خرجت من الريّ فوقع في قلبي شأن المئونة، فتفكّرتُ في نفسي، فإذا بهاتف يهتف في قلبي: أخرِج ما في الجيب حتى نعطيك من الغيب.

وحدّثني أبو محمد عبد الله المورورى بمورور قال: سمعت الشيخ أبا مدين شعيب

---

(١) قرطبة.....

(٢) انتهى السمر.

المنيرفقطي نزيل بجاية يقول: من عرف الله من الجيب رزقه من الجيب، ومن عرفه من الغيب رزقه من الغيب.

وروينا من حديث ابن ثابت، قال: أنا عبد الرحمن بن محمد النيسابوري، ثنا محمد بن عبد الله بن بهلول الفقيه، ثنا أحمد بن علي بن أبي حميرة، قال: سمعت سهل بن عبد الله يقول: حرام على قلب أن يدخله النور، وفيه شيء مما يكره الله ﷻ.

وروينا من حديثه أيضا، قال: أنا محمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن مخلد البزاز، ثنا جعفر بن محمد بن نصير، ثنا أبو العباس أحمد بن مسروق الطوسي، قال: حدّثني يحيى الجلّاء، وكان من عباد الله الفاضلين، قال: سمعت بِشرًا، يعني الحافي، يقول لجلسائه: سيحوا؛ فإنّ الماء إذا ساح طاب، وإذا وقف تغيّر واصفرّ.

ومن حديثه أيضا، قال: أنا أحمد بن الحسين بن السمّاك، سمعت أبا بكر الرقيّ بدمشق يقول: سمعت أبا بكر الزقّاق يقول: بني أمرنا هذا على أربع: لا نأكل إلّا عن فاقة، ولا ننام إلّا عن غلبة، ولا نسكت إلّا عن خيفة، ولا نتكلّم إلّا عن وجد.

قال ابن ثابت، وأخبرنا عبد الرحمن بن محمد النيسابوري، قال: أنا محمد بن عبد الله المذكّر، قال: سمعت أبا القاسم البصري بـ"هراة" يقول: مَن لم يكن في حاله قويًّا، وبمعروفه غنيًّا، صار وقته فوتًا وحياته موتًا.

ولنا من باب من التذّ بالهوى

لذيذ الهوى مُرٌّ لدى كلّ جاهلٍ ... كما مُرُّهُ حلوٌ لدى كلِّ عاقلِ
فيا ربّ لا تخلي فؤادي من الهوى ... ولا تُخْلِني ما عشتُ من عذل عاذلِ
تطيبُ لنا الذكرى إذا ذُكرت لنا ... فعيش الفتى في البين ذكر العواذلِ
فما أعذب التعذيب ممن أحبُّه ... فكيف مذاق الحبّ عند التواصلِ
يلطّفني لطفًا وظرفًا ورقّةً ... ويورثني الإقدام عند النوازلِ
فما لي لا أهوى الهوى وألذّه ... وفيه إذا أنصفت كلّ الفضائلِ

ولنا أيضا من هذا الباب:

لكلّ شخص مِن هواه ... في هواه ما نوى
إنّ النعيم بالهوى ... ليس النعيم بالجوى
الحزن من آثاره ... وسلب أسباب القوى

والوجد والتهيام والتـــ بريح مِن حكم النوى
وصاحب السلطان فيما قـد ذكرناه الـهـوى

ولبعضهم:

صحت من شقوتي وشدّة شوقي الحريق الحريق، فانفضّ صحبي
يتســـــارعن بالميـاه وقـالوا أين هذا الحريق؟ قلت بقلبي

ومن باب من لم يسأل الشفاء من الهوى

ما رويناه من قول مجنون بني عامر:

ومـا سرّني أنّي خليٌّ من الهوى على أنّ لي مـا بين شرق إلى غربِ
فـهـذا دعـائي كلّ يـومٍ ولـيـلةٍ بطول الليـالي أو أغيّـب في الترب
فلا خفّف الرحمن ما بي من الهوى ولا رفع الرحمن من حبّكم جنبي
ولا خير في حـبٍّ بغير بليّـةٍ ولا خير فيمن لم يمت من جوى الحبِّ

ومنه مع وجود اللذّة به:

مرارةُ الحبِّ طعمُ الحبِّ أيسرها وقد وجدتُ أمَرَّ الحبِّ أحلاهُ
ومشفقٌ جاء مســـــرورًا بتهنئةٍ فلم يَرمْ إن بكى حزنًا وعزّاهُ

ولأبي حفص الشطرنجي:

تحبّبْ فإنّ الحبَّ داعيةُ الحبِّ فكم من بعيدٍ وهو مستوجبُ القُربِ
وأطيبُ أيّام الهوى يومك الذي يقـدَّر فيـه بالعتـابِ وبالعَتـبِ
تفكّر فإن حدّثت أنّ أخا الهوى نجا ســـالمًا فارْجُ النجاة من الحبِّ

وأنشدنا أبو القاسم بن مرّتين[1] لبعضهم:

ولي فؤادٌ إذا طـال العـذاب بـه هام اشــتياقًا إلى لقيا مُعذِّبهِ
يفديك بالنفس صبٌّ لو يكون له أعزّ من نفسه شيئًا فداك بهِ

ولوهبٍ في معناه:

تعمـل الأجفـان بالدمج عمل الصــهباء في المهجِ
قـل لظبي يســـترقّ له مهـج الأحـرار بالدمجِ

(١) أ، ي: مرهن.

أنت والأجفان ما لحظتْ من فتور العين في حرجِ
كيف أدعو الله أســـأله فرجًـا ممن بـه فرجي

كتاب أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى أهل اليمن يحرّضهم على غزو الروم بالشام وما قالوا في ذلك

بسم الله الرحمن الرحيم

من خليفة رسول الله ﷺ إلى من قرئ عليه كتابي من المؤمنين والمسلمين من أهل اليمن.

سلام عليكم، أمّا بعد:

فإنّي أحمد إليكم الله الذي لا إله إلّا هو.

أمّا بعد؛ فإنّ الله كتب على المؤمنين الجهاد، وأمرهم أن ينفروا خفافًا وثقالًا، وقال: ﴿جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[1]، فالجهاد فريضة مفروضة، وثوابه عند الله عظيم، وقد استنفرنا مِن قِبلنا من المسلمين إلى جهاد الروم بالشام، وقد سارعوا إلى ذلك، وعسكروا وخرجوا، وحسُنَتْ في ذلك نيّتهم، وعظمتْ في الخير حسبتهم، فسارعوا عباد الله إلى فريضة ربّكم، وإلى إحدى الحسنيين: إمّا الشهادة وإمّا الفتح والغنيمة؛ فإنّ الله لم يرض من عباده بالقول دون العمل، ولا يترك أهل عدوانه[2] حتى يدينوا بالحقّ ويقرُّوا بحكم الكتاب، أو يؤدّوا ﴿الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[3]. حفظ الله لكم دينكم، وهدى قلوبكم، وزكّى أعمالكم، ورزقكم أجر المجاهدين الصابرين.

والسلام عليكم ورحمة الله

وبعث بهذا الكتاب مع أنس، قال الرملي: فحدّثنا الحسين بن زياد، عن أبي إسماعيل أحمد بن عبد الله، عن محمد بن يوسف، عن ثابت البناني، عن أنس، قال أنس: أتيتُ أهل اليمن جناحًا جناحًا، وقبيلةً قبيلةً، أقرأ عليهم كتاب أبي بكر، فإذا فرغتُ من قراءته قلت:

الحمد الله، وأشهد أن لا اله إلّا الله وأنّ محمدًا عبده ورسوله.

---

(١) [التوبة: ٤١].

(٢) أ، ر، ن، ي: عداوته.

(٣) [التوبة: ٢٩].

بسم الله الرحمن الرحيم

أمّا بعد؛ فإنّي رسول خليفة رسول الله ﷺ ورسول المسلمين إليكم، ألا وإنّي قد تركتهم معسكرين، لم يمنعهم من الشخوص إلى عدوّهم إلّا انتظاركم، فعجِّلوا إلى إخوانكم، رحمة الله عليكم أيّها المسلمون.

قال: وكان كلّ من أقرأُ عليه ذلك الكتاب، ويسمع منّي هذا القول، يحسن الرّد عليّ ويقول: نحن سائرون، وكأنّا قد فعلنا. حتى انتهيت إلى ذي الكلاع، فلمّا قرأتُ عليه الكتاب، وقلت هذا المقال، دعا بفرسه وسلاحه، ونهض في قومه من ساعته، ولم يؤخّر ذلك، وأمر بالمعَسْكِر[1]، فما برحنا حتى عسكر وعسكر معه جموع كثيرة من أهل اليمن، وسارعوا. فلمّا اجتمعوا إليه قام فيهم، فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على النبيّ ﷺ وقال[2]:

أيّها الناس؛ إنّ من رحمة الله إيّاكم ونعمته عليكم، أنْ بعث فيكم رسولًا، وأنزل عليكم كتابًا، فأحسن عنه البلاغ، فعلّمكم ما يرشدكم، ونهاكم عمّا يفسدكم، حتى علّمكم ما لم تكونوا تعلمون، ورغّبكم في الخير فيما لم تكونوا ترغبون، ثُمّ قد دعاكم إخوانكم الصالحون إلى جهاد المشركين واكتساب الأجر العظيم؛ فلينفر من أراد معي النفْر الساعة.

قال: فنفَر بعدد من أهل اليمن كثير، وقدِموا على أبي بكر. قال: فرجعنا نحن فسبقناه بأيّام، فوجدنا أبا بكر بالمدينة، ووجدنا ذلك العسكر على حاله، ووجدنا أبا عبيدة يُصلّي بأهل ذلك العسكر. فقدِمتْ حمير على أبي بكر، ومعها نساؤها وأولادها، ففرح أبو بكر بمقدمهم، فلمّا رآهم أبو بكر، قال: عباد الله؛ ألمْ نكن نتحدّث فنقول: إذا أقبلتْ حمير تحمل أولادَها ومعها نساؤها، نصر الله المسلم وخذل المشرك! فأبشروا أيّها المسلمون؛ قد جاءكم الله بالنصر.

قال: وجاء[3] قيس بن هبيرة بن مكشوح المرادي، وكان من فرسان العرب في الجاهلية، ومن أشرافهم وأشدّائهم، ومعه جمع كثير من قومه، حتى أتى أبا بكر، فسلّم عليه، ثُمّ جلس إليه، فقال لأبي بكر: ما تنتظر ببعثة هذه الجنود؟ فقال أبو بكر: ما كُنّا ننتظر إلّا قدومكم. قال: فقد قدِمنا، فابعث الناس الأوّل فالأوّل، فإنّ هذه البلدة ليست ببلدة خفٍّ ولا كُراع[4].

---

(١) ج، م: بالعسكر.

(٢) النسخ عدا م: قال.

(٣) ج، م: وقد جاء.

(٤) الخف: الأنعام. الكُراع: الخيل والبغال والحمير.

قال: فعند ذلك خرج أبو بكر يمشي، فدعا يزيد بن أبي سفيان، فعقد له، ودعا زمعة بن الأسود بن عامر، من بني عامر بن لؤي فعقد له، وأوصاهم وبعثهم كما ذكرناه في كتابنا هذا.

كريم أخلاق دليل على طيب أعراق

روينا عن الأصمعي قال؛ قال بعض الحكماء، وسئل عن رجل كريم، فقال: بلغ من كرمه أنّه لا يسأل أحدا عن عذره مخافة أن لا يكون له مخرج من ذنبه.

تذكرة من صاحب عقله لهواه غالب

روينا من حديث المالكي، قال: ثنا محمد بن عبد العزيز، ثنا المضّاء ابن الجارود، عن محمد بن عبد الله القرشي، عن أبيه، قال، قال: أبو الدرداء: ما من رجل من المسلمين إذا أصبح إلّا اجتمع هواه وعلمه؛ فإن كان هواه تابعًا لعلمه فيومه صالح، وإن كان علمه تابعًا لهواه فيومه يوم شرّ.

من عمِلَ على قوله ﷺ: «كلّ أمرٍ لا يُبدأ فيه بذكر الله فهو أجذم»

روينا من حديث الدينوري، ثنا محمد بن موسى، عن أبيه. قال: سمعت الأصمعي يقول: قال حميد الطويل: ما سايرت ثابتًا البناني في حاجة قط، إلّا كان أوّل ما يبدأ به: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر، ثُمّ يذكر حاجته.

ومن حديثه أيضًا، عن يزيد بن إسماعيل، عن قبيصة، عن سفيان الثوري، أنَّ جعفر بن محمد قال له: إذا جاءك ما تحبّ فأكثر من الحمد، وإذا جاءك ما تكره فأكثر من لا حول ولا قوّة إلّا بالله، وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار. قال سفيان فانتفعتُ بهذه المواعظ.

أمّا مسلم بن الحجاج فذكر في صحيحه أنّ النبيّ ﷺ كان يقول في السرّاء: «الحمد لله المنعِم المفضِل»، وكان يقول في الضرّاء: «الحمد لله على كلّ حال».

من راقب الله في حال القضاء حذرًا من سوء القضاء

رَوينا من حديث ابن مروان عن عليّ بن الحسن بن محمد بن عبد العزيز، عن ابن عائشة قال: نظر شريح إلى رجل يقوم على رأسه وهو يضحك، وشريح في مجلس القضاء، فقال: ما يضحكك وأنت تراني أتقلَّبُ بين الجنّة والنار!

وصيّة عليّ بن عبيدة للمأمون في الحسد

دَاوِ الحسَدَ إذا وجدت حِسّه بقمعه بالتوبيخ، وصَغِّر قدرَ مَنْ عرفته به؛ فإنّه لا يدفع النعمة عن المحسود، ولا تصل إليك ولو زالت عنه. وعلى كلّ مخلوق نعمة وإنْ خفيَتْ عليك. والنّعمُ أنواعٌ وضروب، ما يبلي الله في النفس من السّلامة ويهبُ من العافية في الجوارح أفضل من عرض الدّنيا، وربّ حاسِدٍ لمنْ هو في أعظم من نعمته التي حسده عليها، فلو شغل بشكر ما أُعْطى كان أجدى عليه في المزيد. وفي الحسد اثنتان: كمد يثلم القلب، وكدر يحدث في العيش. ورأيتُ البغيَ من جهل المعرفة لسرعة نصر الله لمن بغي عليه، وهو من فروع الحسد. وإيّاك أن تضيفه قلبك ليلة، أو تقيمَ به يومًا واحدًا؛ فإنّ صرعة صاحبه لا يقال. وكاد يكون بمعزل من حفظ الله، وغير مصاحب بالصّنع.

موعظة لبعض الأعراب، بما تئول إليه الدنيا من الخراب

رويناها من حديث الخرائطيّ قال: ثنا إبراهيم بن الجنيد، ثنا محمد بن الحسين، سَمِعْتُ الأصمعي يقول: سَمِعْتُ أعرابيًّا يذكر قومًا تغيّرتْ حالهم وتبدّد شملهم، فقال: نزلتْ دورهم العبرة بعدَ الحبرة، وأيّام السرور هنيّة الأحزان. ثمّ قال؛ وأنشدني أبو محمد المريمي لنفسه:

إنّ عيشًا إلى الفناء مصيره ... لحقيقٌ ان لا يدومَ سُرورهْ
وسرورٌ يكون آخره الموْت ... سـواءٌ طويله وقصـيرهْ

حكمة ممن جعل حسن الصورة نعمة

روينا من حديث الأصمعيّ قال؛ قال بعضهم: التمِسْ بحوائجك صِباحِ الوجوه، فإنّ حسن الصورة أوّل نعمةٍ تلقاك من الرّجل.

وروينا من حديث المالكيّ، عن إبراهيم الحربيّ، قال: ثنا داودُ بن رشيد، قال: كان يقال: عنوان صحيفة المسلم حُسن خلقه.

قال المالكيّ: وثنا عبد الرحمن بن مرزوق، عن داود بن محبر، قال: قالَ بعض الحكماء: صدرُك أوسع لسرّك، فإنّ سرَّك من دمك. (١)

(١) انتهى السمر.

حِكم

من صحّت ديانته تمّت مودّته، لأنّ الديانة تصدّه عن المحارم وتحثّه على المكارم.

من الكرم حسن العفو عن سهو الذنوب، وترك البحث عن سوء العيوب.

العدل نتيجة العقل، والعفو سجيّة الشرف.

كُن بعيد الهمم إذا طلبتَ، كريم الظفر إذا غلبتَ، جميل العفو إذا قدرتَ، كثير الشكر إذا ظهرتَ.

إنّ من الشريعة أن تبجِّل أهل الشريعة، ومن الصنيعة أن تربّي[1] أهل الصنيعة.

لا يزهدنّك في رجل حمدت سيرته، وارتضيت وتيرته، وعرفت فضله، وتبيّنت عقله.

عيب خفي يحيط به كثرة فضائله، أو ذنب صغير تستغفر له قوّة وسائله؛ فإنّك لن تجد ما بقيت مهديًّا لا يكون فيه عيب ولا يقع منه ذنب. واعتبر بنفسك بعد أن لا تراها بعين الرضا. ولا تجري فيها على حكم الهوى؛ فإنّ في اعتبارك بها واختبارك[2] لها، ما يؤيسك مما تطلب.

أحسِن رعاية الحرمات[3]، واقبل على أهل السويّات؛ فإنّ رعاية الحرمة تدلّ على كريم الشيمة، والإقبال على ذوي المروءة يعرب عن شرف الهمّة.

أحسِن إلى من كان له قدم في الأصل، وسابقة في الفضل، ولا يزهدنّك فيه سوء الحالة وإدبار الدولة عنه؛ فإنّك لا تخلو في اصطناعك له، وإحسانك إليه من نفس حرّة تملك رِقّها، أو مكرمة حسنة توفّي حقّها؛ وإنّ الدنيا تجبر كما تكسر، والدولة تقبل كما تدبِر.

من زرع خيرًا حصد أجرًا، ومن اصطنع حرًّا استفاد شكرًا.

من شرائط المروءة أن تتعفّف عن الحرام، وتتنظّف عن الآثام، وتنصف في الحكم، وتكفّ عن الظلم. ولا تطمع فيما لا تستحقّ، ولا تستطِل على من لا تسترق، ولا تُعِن قويًّا على ضعيف، ولا تؤثر دنيًّا على شريف، ولا تسنّ ما يعقب الوزر والإثم، ولا تفعل ما يقبّح الذكر والاسم.

وروينا من حديث ابن ثابت قال: ثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن أبي جعفر الأخرم، أنا

---

(١) في النسخ: ترب.

(٢) ج، ن: واختيارك.

(٣) أ، ر، م، ي: الحرمان.

أبو علي عيسى بن محمد بن أحمد الطوماري، ثنا محمد بن يونس، ثنا عبد الله بن داود التمّار، ثنا إسماعيل بن عيّاش، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن أبي أمامة، قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بلباس الصوف تجدون حلاوة الإيمان في قلوبكم، وعليكم بلباس الصوف تجدون قلّة الأكل، وعليكم بلباس الصوف تُعرفون به في الآخرة، وإنّ لباس الصوف يورث في القلب التفكّر، والتفكّر يورث الحكمة، والحكمة تجري في الجوف مجرى الدم. فمن كثر تفكّره قلّ طمعه وكلَّ لسانه، ومن قلّ تفكره كثر طمعه وعظم بدنه وقسى قلبه، والقلب القاسي بعيد من الله، بعيد من الجنّة قريب من النار».

وروينا من حديثه أيضًا قال: ثنا محمد بن الحسين بن أحمد الأهوازي، قال: سمعتُ أبا بكر الدنف الصوفي يقول: سمعت جامع بن أحمد يقول: سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول: ليكن بيتك الخلوة، وطعامك الجوع، وحديثك المناجاة؛ فإمّا أن تموت بدائك، أو تصل إلى دوائك.

موعظة مالك بن دينار لوالي البصرة

من حديث ابن ثابت قال: ثنا علي بن المظفر الأصبهاني، ثنا حبيب بن الحسن، ثنا أحمد بن محمد الشطوي، عن حسن بن جعفر بن سليمان الضبعي، عن أبي جعفر بن سليمان قال: مرّ والي البصرة بمالك بن دينار يرفل، فصاح به مالك: مُر وأقِل من مشيتك هذه. فهمّ خدمه به، فقال: دعوه، ثُمّ قال له: ما أراك تعرفني؟ فقال له مالك: ومَن أَعْرَفُ بك منّي؟ أمَّا أوّلك نطفة مذرة، وأمّا آخرك فجيفة قذرة، ثُمَّ أنت بينهما حامل العذرة. فعرف الوالي صحّة ما قاله، وأنّه وضع القول موضعه، فاستحى، ونكّس رأسه، وانصرف.

وممّا قيل في باب النسيب

يا مَنْ شكا ألَمًا للحبّ شبّهه ... في القلب بالنار منْ شوقٍ وتذكارِ
إنّي أُعظّمُ ما بي أن أُشبّهَه ... بما يقاس إلى مِثلٍ ومقدارِ
للحبِّ نارٌ على قلبي مضرّمةٌ ... لا يبلغ النار منها عشر معشارِ

وقال الآخر:

يحنّ إلى مَن بالعقيقين قلبُه ... حنينًا يبكّي الوُرق في غصن السدرِ
تنفّستُ لمّا هاج قلبي بذكره ... فأمسكتُ من خوف الحريق على صدري
ووالله لو فاضت على الجمر عَبرتي ... لأحرق أدنى حرّها لهب الجمرِ

ولنا في هذا المعنى من قصيدة:

لو نفَسٌ من هوايَ هبَّ على جمر لظى أحرقتـهُ أنفـاسي
ولو تجارت للحبّ خيل هوى فازت به في السّباق أفراسي

وقال الصنوبري:

دخول النار للمهجور خيرٌ من الهجر الذي هو يتّقيهِ
لأنّ دخوله في النار أدنى عذابًا من دخول النار فيهِ

وقال الآخر:

لو كان قلبي من نار لأحرقَهُ لأنّ أحزانه أذكى من النارِ
الماء ينبع منها في محاجرها يا للرجال لماءٍ فاض من نارِ

وقال خالد الكاتب:

أرقتُ حتى كأنّي أعشـق الأرقا وذبتُ حتى كأنّ السقم لي خُلِقا
وفاض دمعي على نحري فأحرقه فمن رأى غرقا في الماء محترقا
وقائل لي أين الصـبر قلت له ملّ[1] الفؤاد من الأحزان فافترقا

وقال الآخر:

للشوق في مضمر الأحشاء نارانِ وللمدامع في خـدَّيَّ خـدّانِ
نار تضـرّم أحشـائي بلوعتها ونار شوق تفيضُ الدمعَ من شانِي
فالقلب في حُرق الأشواق محترق فناظري غرقٌ في ماء أجفـاني
فمن رأى الماء للنيران مقترنًا تمازجا وهما في الأصـل ضـدّانِ

* * *

حديث أبي بكر الصديق ﷺ مع الصحابة، وما قالوا له حين حدّث نفسه بغزو الروم

روينا من حديث الرملي، قال: ثنا الحسن بن زياد الرملي، ثنا محمد بن عبد الله الأزدي البصري، قال: لمّا دوّخ[2] الله العرب، وانتهت الفتوح من كلّ وجه إلى أبي بكر، واطمأنّتْ العرب بالإسلام، وأذعنتْ به واجتمعتْ عليه. حدّث أبو بكر نفسه بغزو الروم، فأسرّ ذلك بنفسه، فلم يُطلع عليه أحدا.

فبينما هو في ذلك إذ جاءه شرحبيل بن حسنة، فقال: يا خليفة رسول الله ﷺ؛ أتُحدّثُ

(١) في النسخ: ملأ. والترجيح من الموسوعة الشعرية.
(٢) دوّخ البلاد: سَار فِيهَا حَتَّى عرفهَا وَلم تخف عَلَيْهِ طرقها.

نفسك أن تبعث إلى الشام جندًا؟ فقال: نعم، قد حدّثتُ نفسي بذلك، وما أطلَعتُ عليه أحدًا، وما سألتني عنه إلّا لشيء عندك. فقال: أجل؛ إنّي رأيت فيما يرى النائم، كأنّك في ناس من المسلمين فوق جبل، فأقبلتَ تمشي معهم حتى صعدْت منه على قُبّة عالية على الجبل، فأشرفتَ على الناس، ومعك أصحابك أولئك، ثُمّ إنّك هبطتَ من تلك القبّة إلى أرض سهل دمثة؛ فيها القرى والعيون والزروع والحصون، فقُلتَ: يا معشر المسلمين؛ شُنّوا الغارات على المشركين، فأنا ضامن لكم الفتح والغنيمة. وأنا فيهم ومعي راية، فتوجّهتُ بها إلى أهل قرية، فدخلتُها، فسألوني الأمان، فأمّنتهم، ثُمّ جئتُ، فوجدتك قد انتهيتَ إلى حصن عظيم، ففُتح لك، وألقوا إليك السّلم، وجُعِل لك عرش، فجلستَ عليه، ثُمّ قال لك قائل: يُفتح عليك وتُنصَر، فاشكر ربّك، واعمل بطاعته، ثمّ قرأ عليك: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ. وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا. فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾[1]، قال: ثُمّ انتبهتُ.

قال له أبو بكر الصدّيق: نامت عينك. ثُمّ دمعت عينا أبي بكر. فقال: إمّا الجبل الذي رأيتنا نمشي عليه حتى صعدنا منه إلى القبّة العالية، فأشرفنا على الناس، فإنّا نكابد من أمر هذا الجُند مشقّة ويكابدونه، ثُمّ يعلو بعد ويكلؤ أمرُنا. وأمّا نزولنا من القبّة العالية إلى الأرض السهلة الدمثة والزروع والحصون والعيون والقرى، فإنّا ننزل إلى أمرٍ أسهل مما كنّا فيه الخصب والمعاش. وأمّا قولي للمسلمين: شُنّوا عليهم الغارة فإنّي ضامن لكم[2] بالفتح والغنيمة؛ فإنّ ذلك توجيهي المسلمين إلى بلاد المشركين، وأمري إيّاهم بالجهاد في سبيل الله. وأمّا الراية التي كانت معك فتوجّهتَ بها إلى قرية من قراهم، فدخلتَها، فاستأمنوك، فأمّنتهم، فإنّك تكون أحد أمراء المسلمين، ويفتح الله على يديك. وأمّا الحصن الذي فتح الله لي فهو ذلك يفتح الله عليّ. وأمّا العرش الذي رأيتني جالسًا عليه، يرفعني ويضع المشركين. وأمّا أمري بطاعة ربّي، وقِراء عليّ هذه السورة، فإنّه نعى إليّ نفسي[3]؛ فإنّ هذه السورة حين أُنزلت على رسول الله ﷺ علم أنّ نفسه قد نُعيتْ عليه. ثُمّ سالتْ عينا أبي بكر رضي الله عنه فقال: لآمرنّ بالمعروف ولأنهينّ عن المنكر ولأجاهدنّ من ترَكَ أمر الله عز وجل، ولأجهزنّ الجنود إلى العادلين بالله في مشارق الأرض ومغاربها، حتى يقولوا: الله أحد، أو يؤدّوا ﴿الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[4].

---

(١) [النصر: ١-٣].

(٢) النسخ عدا م: لك.

(٣) أ، ر، ن، ي: نفسه.

(٤) [التوبة: ٢٩].

فإذا توفّاني ربّي لم يجدني مقصِّرا، ولا في ثواب المجاهدين فيه زاهدًا، ثُمّ إنّه بعد ذلك أمّر الأمراء، وبعث إلى الشام على ما ذكرناه في هذا الكتاب.

قال محمد بن عبد الله البصري: لمّا حُدِّث بهذا الحديث، فحدّثني الحارث بن كعب، عن عبد الله بن أبي أوفى الخزاعي، وكانت له صحبة، قال: لمّا أراد أبو بكر تجهيز الأجناد إلى الشام، دعا بعُمَرْ وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقّاص وأبي عُبيدة بن الجرّاح، ووجوه المهاجرين والأنصار، من أهل بدر وغيرهم، فدخلوا عليه وأنا فيهم، فقال:

إنّ الله تبارك وتعالى لا تُحصَى[1] نِعَمه، ولا يبلغ الأعمال جزاءها، فله الحمد كثيرًا على ما اصطنع عندكم، قد جمع كلمتكم، وأصلح ذات بينكم، وهداكم إلى الإسلام، ونفى عنكم الشيطان، فليس يُطمع في أنْ تشركوا بالله، ولا تتّخذوا إلهًا غيره. فالعرب بنو أُمٍّ وأبٍ، وقد أردت أن أستنفرهم إلى الروم بالشام، فمن هلك منهم هلك شهيدًا ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾[2]، ومن عاش منهم عاش مدافعًا عن الدين، مستوجبًا على الله ﷻ ثواب المجاهدين. هذا رأيي الذي رأيت. فأشار علَيَّ امرؤ بمبلغ رأيه.

فقام عمر بن الخطاب فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على النبيّ ﷺ ثمّ قال: الحمد لله يَخصّ بالخير من يشاء من خلقه، والله ما استبقنا إلى شيء من الخير قط إلّا سبقتنا إليه، و﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾[3]. قد واللهِ أردتُ لقاءك لهذا الرأي الذي ذكرت، فما قضى الله أن يكون ذلك حتى ذكرته الآن، فقد أصبتَ وأصاب اللهُ بك سبل الرشاد. سرِّب إليهم الخيل في إثر الخيل، وابعث الرجال يتبعها الرجال، والجنود تتبعها الجنود، فإنّ الله ﷻ ناصرٌ دينه، ومعزٌّ الإسلام وأهله، ومنجزٌ ما وعد رسوله.

ثُمّ إنّ عبد الرحمن بن عوف قام فقال: يا خليفة رسول الله ﷺ؛ إنّها الروم وبنو الأصفر حدّ حديد وركن شديد، واللهِ ما أرى أن تُقحم الخيل عليهم إقحامًا، ولكن تبعث الخيل تُغير عليهم في أداني أراضيهم، ثمّ تبعثها فتُغير، ثُمّ ترجع إليك، فإذا فعلوا ذلك مرارًا أضرّوا بعدوّهم، وغنموا من أداني أرضهم، فقووا بذلك على قتالهم، ثُمّ تبعث إلى أقاصي أهل اليمن، وإلى أقاصي ربيعة ومضر، فتجمعهم إليك جمعًا، فإن شئتَ بعد ذلك غزوتهم بنفسك، وإن شئت

---

(١) أ، ر، ن، ي: يحصى.

(٢) [آل عمران: ١٩٨].

(٣) [المائدة: ٥٤].

بعثتَ على غزوهم غيرك، ثُمّ جلس وسكت، وسكت الناس.

فقال لهم أبو بكر: ماذا ترون رحمكم الله؟ فقام عثمان بن عفّان فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، وصلّى على النبيّ ﷺ، ثُمّ قال: أرى أنّك ناصح لأهل هذا الدين عليهم مشفق، وإذا رأيت رأيًا لعامتهم رشدًا وصلاحًا وخيرًا، فاعزم على إمضائه، فإنّك غير ظنين ولا متّهم عليهم.

فقال طلحة والزبير وسعد وأبو عبيدة بن الجرّاح وسعيد بن زيد، وجميع من حضر ذلك المجلس من المهاجرين والأنصار: صدق عثمان فيما قال. ما رأيتَ من أمرٍ فامضِه؛ فإنّا سامعون لك مطيعون، لا نخالف أمرك، ولا نتّهم[1] رأيك، ولا نتخلّف عن دعوتك وإجابتك. فذكروا هذا وشبهه، وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في القوم لا يتكلّم.

فقال له أبو بكر: ما ترى يا أبا الحسن؟ قال: أرى أنّك مبارك الأمر ميمون النقيبة، وإنّك إن سرتَ إليهم بنفسك، أو بعثتَ إليهم نُصِرتَ إن شاء الله. فقال له أبو بكر: بشّرك الله بخير، فمن أين علمتَ هذا؟

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال الدين ظاهرًا على كلّ من ناوأه، حتى يقوم الدين وأهله ظاهرين».

فقال له أبو بكر: سبحان الله، ما أحسن هذا الحديث، لقد سررتني، سرّك الله في الدنيا والآخرة.

ثُمّ إنّ أبا بكر رحمة الله عليه ورضوانه قام في الناس، فحمد الله وأثنى عليه، وذكره بما هو أهله، وصلّى على النبيّ ﷺ، وقال: أيّها الناس؛ إنّ الله عز وجل قد أنعم عليكم بالإسلام، وأعزّكم بالجهاد، وفضّلكم بهذا الدين على أهل كلّ دين، فتجهّزوا عباد الله إلى غزو الروم بالشام، فإنّي مؤمّر عليكم أمراء، وعاقد لهم عليكم، فأطيعوا ربّكم ولا تخالفوا أُمراءكم، ولتحسن نيّتكم وسيرتكم وطعمتكم فـ ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[2]. قال: فسكت الناس، فواللهِ ما أجابه أحد هيبةً لغزو الروم لمَا يعلمون من كثرة عددهم وشدّة شوكتهم.

فقام عمر بن الخطاب فقال: يا معشر المسلمين؛ ما لكم لا تُجيبون خليفة رسول الله ﷺ ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[3]؟

---

(١) ج، ر: يتهم.

(٢) [النحل: ١٢٨].

(٣) [الأنفال: ٢٤].

فقام خالد بن سعيد بن العاص، فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على النبيّ ﷺ، ثُمّ قال: الحمد لله الذي لا إله إلّا هو، الذي بعث محمدًا ﷺ ﴿بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[1]، فإنّ اللهَ منجز وعده، ومعزٌّ دينه، ومهلك عدوّه. ثُمّ أقبل على أبي بكر فقال: نحن غير مخالفين لك ولا متخلّفين عنك، وأنت الوالي الناصح الشفيق، ننفر إذا استنفرتنا، ونطيعك إذا أمرتنا، ونجيبك إذا دعوتنا. ففرح أبو بكر بمقالته، وقال له: جزاك الله من أخٍ وخالٍ خيرًا، فقد أسلمتَ مرتغبًا، وهاجرتَ محتسبًا، وهربتَ بدينك[2] من الكفّار، لكي يُطاع الله ورسوله، وتكون كلمة الله هي العليا، فتيسّر رحمك الله.

قال: فتجهّز خالد بن سعيد بأحسن الجهاز، ثُمّ أتى أبا بكر وعنده المهاجرون والأنصار أجمع ما كانوا، فسلّم على أبي بكر، ثُمّ قال: والله لأخِرُّ من رأس حالق أو تخطفني الطير في الهواء بين السماء والأرض أحبّ إليّ من أن[3] أبطئ عن دعوتك أو أخالف أمرك، فوالله ما أنا في الدنيا براغب، ولا على البقاء فيها بحريص، وإنّي أشهدكم أنّي وإخوتي وفتياني ومَن أطاعني من أهلي، حبيس في سبيل الله، نُقاتل المشركين أبدًا، حتى يُهلكهم الله، أو نموت عن آخرنا.

فقال له أبو بكر (خيرا) ودعا له المسلمون بخير. وقال له أبو بكر: إنّي لأرجو أن تكون من نصحاء الله في عباده، بإقامة كتابه واتّباع سنّة نبيّه ﷺ.

فخرج هو وإخوته وغلمانه ومَن تبعه من أهل بيته، فكان أوّل من عسكر. فأمر أبو بكر بلالًا فنادى في الناس: أن انفروا إلى جهاد عدوّكم الروم بالشام. وأرسل أبو بكر إلى يزيد بن أبي سفيان وأبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وشرحبيل بن حسنة، فقال: إنّي باعثكم في هذا الوجه، ومؤمّركم على هذه الجنود، وأنا موجّه مع كلّ رجل منكم من الرجال ما قدرتُ عليه؛ فإذا قدمتم البلد ولقيتم العدو، واجتمعتم على قتالهم، فأميركم أبو عبيدة بن الجراح، وإن لم يلقكم أبو عبيدة، وجمعكم حرب، فأميركم يزيد بن أبي سفيان. فانطلقوا فتجَهَّزوا.

فخرج القوم يتجهّزون. وكان خالد بن سعيد بن العاص من عمّال رسول الله ﷺ، فكره الإمارة، واستعفى أبا بكر فأعفاه. ثُمّ إنّ الناس خرجوا إلى معسكرهم من عشرة وعشرين وثلاثين وأربعين وخمسين ومائة في كلّ يوم، حتى اجتمع الناس وكثروا. فخرج أبو بكر ذات

---

(١) [التوبة: ٣٣].

(٢) أ، ر، م، ن، ي: من دينك. ج: دينك.

(٣) ج، ي: - أن.

يوم ومعه رجال من أصحابه كثير، حتى انتهى إلى عسكرهم، فرأى عدّة حسنة، ولم يرض كثرتها للروم، فقال لأصحابه: ماذا ترون في هؤلاء؟ أترون أن نشخصهم إلى الشام في هذه العدّة؟ فقال له عمر: ما أرضى هذه العدّة لجموع بني الأصفر. فأقبل أبو بكر على أصحابه فقال لهم: ماذا ترون؟ قالوا: نحن نرى أيضًا ما رأى عُمر: فقال أبو بكر: أفلا نكتب كتابًا إلى أهل اليمن ندعوهم إلى الجهاد ونرغّبهم في ثوابه؟ فرأى ذلك جميع الصحابة. فقالوا: نِعْمَ ما رأيت. فكتب إليهم، فأجابوا وأقبلوا وتجهّزوا إلى الشام. فكان الفتوح والنصر. وقد ذكرنا ذلك كلّه في كتابنا هذا.

وصيّة عثمان بن عفّان رضي الله عنه

روينا من حديث الأصمعي عن العلاء بن الفضل، عن أبيه، قال: لمّا قُتل عثمان بن عفّان رضي الله عنه، فتّشوا خزانته، فوجدوا فيها صندوقًا مقفلًا، ففتحوه، فوجدوا فيه[1] حُقّة فيها ورقة مكتوب فيها: هذه وصيّة عثمان بن عفّان:

بسم الله الرحمن الرحيم

عثمان بن عفّان يشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأنّ محمدًا عبده ورسوله، وأنّ الجنّة حقّ، وأنّ النار حقّ، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾[2] ﴿لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[3]، عليها نحيا وعليها نموت، وعليها نُبعث إن شاء الله.

وروينا من حديث الخرائطي، قال: ثنا علي بن داود، ثنا محمد بن عبد العزيز الرملي، ثنا محمد بن خميس، عن عبد العزيز الزهري، عن طاووس، قال: جاء رجل إلى محمد بن يوسف وهو على اليمن، فقال: إنّ معي صفة الأنبياء، وهو قبر من قبور الجاهلية. قال طاووس: فأرسلني معه. قال: فأتينا موضعًا، فحفروا، فإذا بابٌ ودرجة، وإذا بامرأتين ناشرتي الشعر على سرير، عليهما حِبَرات[4] مكفّفات بالديباج، وبينهما عسيب من فضّة، مكتوب بالذهب: أنا حُبَّى، وهذه أختي رضوى، ابنتا تُبّع، متنا لا نشرك بالله شيئًا.[5]

---

(١) أ، ج، ر، م: فيها. ن، ي: - فيه.

(٢) [الحج: ٧].

(٣) [آل عمران: ٩].

(٤) حِبرات: مفردها حِبَرة؛ ضرب من برود اليمن.

(٥) انتهى السمر.

أ: تمت بعون الله تعالى وحسن توفيقه. كتبه الفقير أحمد بن شيخ حسن، الله صانهما بالمنح عن المحن، إنّه لحسب ونعم الحسب، والتاريخ في صورة "تم الكتب". (هذا يقابل عام ٨٩٣هـ)

ج: انتهى والحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على سيّدنا محمد خاتم النبيّين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلّم تسليما كثيرا... كاتبه الحقير أحمد العناياتي عفا الله عنه. (ومن الشعر اللاحق تبين تاريخ كتابته عام ١٠٠٣هـ نهار الاثنين ٢٧ شعبان)

ر: قد وقع الفراغ منه في اليوم العاشر من شهر جمادى الآخر لسنة أربع وأربعين وتسعمائة ببلدة دار السلطنة، قسطنطينية المحمية، حماها الله وساكنيها عن الآفات والبلية.

م: وقد تمّ هذا الكتاب الشريف على يدي العبد الفقير إلى الله تعالى السيد عبد القادر بن المرحوم السيد محمد الحلبي السرجاوي الشافعي مذهبا، غفر الله له ولوالديه ولمن دعا له بالمغفرة ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ولكلّ موحّد، وذلك بتاريخ يوم الخميس المبارك خامس عشرين شهر ذي الحجة الحرام من شهور سنة ثلاثة وثمانين وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلّم آمين.

وانتهت مراجعة الكتاب من قبلنا مساء يوم السبت ١٦ ربيع الأول من عام ١٤٤٣هـ الموافق ٢٣ أكتوبر ٢٠٢١م.

جدول المحتويات

ومن باب الحياء ٥
ومن باب الصبر ومقابِله..... ٥
موعظة في الباب..... ٥
ومن كلام علي بن أبي طالب ﷺ..... ٦
ومن كتاب التراجم..... ٦
وفي الحكمة القديمة..... ٦
رؤيا آمنة أمّ رسول الله ﷺ في وقت حملِها به وما قيل لها فيه..... ١٣
لُطف خفيّ من لطيف بعبدٍ مهين ضعيف..... ١٨
نعت مشوّق..... ١٨
في الوطن..... ١٩
خبر عبد الله بن الثامر والأخدود..... ١٩
وممّن قتله القرآن..... ٢١
ومن باب البكاء عند رؤية القبور..... ٢٢
رؤيا المنصور، أمير المؤمنين، التي كانت سببًا لبعض حجه التي أحرم بها من بغداد..... ٢٢
ومن وقائع بعض الفقراء..... ٢٤
ومن حسن التلطّف في المكاتبة..... ٢٥
ومن حسن الجواب..... ٢٦
حِكَم..... ٢٦
ومن أشراط الساعة..... ٢٨
رؤيا سهل بن عبد الله التستري..... ٣٠
ومن باب قوله ﷻ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾..... ٣٠
حِكمة..... ٣١
ولاية خزاعة الكعبة بعد جرهم..... ٣٢

وقال حسان بن ثابت الأنصاري يذكر الخزاع؛ خزاعة بمكة، ومسير الأوس والخزرج إلى المدينة وغسّان إلى الشام..... ٣٧
ومن مكارم ابن المبارك ومناقبه..... ٣٨
ومن سماع أهل الله على قول ابن الدمينة..... ٣٩
وسماعهم في قول الصمّة وهو..... ٣٩
ومن باب حنين الإبل وسيرها قوله..... ٣٩
حماية إلهية..... ٤١
ومن باب هوان الدنيا على أهل الله..... ٤١
فتوّة ومروءة..... ٤٢
استنصار دوس ذي ثعلبان قيصر ملك الروم على ذي نواس..... ٤٣
واقعة لبعض الفقراء..... ٤٨
حكاية من لم يقيّد جوارحه أتعب قلبه..... ٤٩
ولنا من باب النسيب، والإشارة للمقام الأعلى، والمنظر الأجلى..... ٥٢
خبر الحيّة الجنّيّة الطائفة بالبيت..... ٥٣
ما جاء من الحكم في مثل هذه الواقعة..... ٥٤
خبر حيّة أخرى طائفة بالبيت..... ٥٥
خبر الحيّة الشهيدة العابدة..... ٥٦
إنّي رأيت أحد عشر كوكَبًا..... ٥٧
مفارقة حبيب..... ٥٧
خبر شقّ وسطيح مع ملك اليمن..... ٥٧
رؤيا الموبذان وارتجاس الإيوان وما قال في ذلك سطيح الكاهن..... ٥٩
خبر ظريف في الحنين إلى الوطن..... ٦١
ومن حديث مكة بعد خزاعة وولاية قصي بن كلاب البيت الحرام وما ذُكر من ذلك..... ٦٣
اعتراف عارف في أشرف المواقف..... ٦٨
وممن مات حياءً من الله..... ٦٨
ومن باب المجاهدة..... ٦٩
ومن باب مَن دعا ربّه في حياة قلبه..... ٦٩

خبر النجباء..... ٧١
وأمّا نقباء هذه الأمّة..... ٧١
ومن باب من جوزي هنا بخير عمله..... ٧٢
ومن باب المواظبة على مجالس الذكر والصبر على الحقّ..... ٧٢
ذِكر إسلام الجارود وما جرى له من ذِكر قسّ في مجلس النبيّ ﷺ..... ٧٢
وأنشدوا في الموت..... ٧٨
(حفظ اللسان والسر)..... ٨١
ومن حديث أنس بن مالك..... ٨٢
ومن باب الكرم الإلهي ما روي عن موسى عليه السلام..... ٨٢
ومن جيّد الشعر في الجود والشجاعة..... ٨٣
تاريخ فتح عمورية..... ٩١
ومن سِير عمر بن الخطاب رضي الله عنه..... ٩٣
ومن مواعظ علي بن أبي طالب رضي الله عنه..... ٩٥
ومن وعظ سعيد بن عامر بن حِذْيَم لعمر..... ٩٦
موعظة..... ٩٦
حكاية عن ملِك زهد في الدنيا..... ٩٧
قصة يحيى بن يُغان ملك تلمسان وهو من خئولتنا..... ٩٧
وروينا من مواعظ علي بن أبي طالب رضي الله عنه..... ٩٨
ومما وعظ به كعب الأحبار عمر بن الخطاب رضي الله عنه..... ٩٩
موعظة أعرابي للرشيد بمكة..... ١٠٠
ومن هذا الباب..... ١٠١
ومن باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾..... ١٠٢
ومن مكارم الأخلاق..... ١٠٣
حكمة بالغة..... ١٠٤
ومن الكلام الأشد في نعت الأسد..... ١٠٧
مثلٌ سائر..... ١٠٩
مكتوب في الحكمة..... ١١٠

كتاب رسول الله ﷺ إلى قيصر ملك الروم وما كان منه في ذلك..... ١١١
غريبٌ دعاه حبيب فأجابه..... ١١٥
ومن وقائع بعض الفقراء..... ١١٦
ومن محاسن المخاطبة..... ١١٧
المزاح..... ١١٨
بالعدل يكثر الخراج وينمي المال..... ١١٨
وصيّة بمكارم الأخلاق ممن بلغت نفسه التراق..... ١١٩
ومن باب مَن طُرِد فلزم حتى قُبِل..... ١١٩
في شرف التواضع والعلم ميراثه الخشية..... ١٢٠
في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾..... ١٢١
بلاغة واعتراف..... ١٢٣
حكمة..... ١٢٤
موعظة..... ١٢٤
خبر وصيّ عيسى عليه السلام..... ١٢٥
وصيّة نبويّة..... ١٢٧
همّة شريفة..... ١٢٧
تنبيه وتعليم من عالمٍ شفيق..... ١٢٧
تذكرة عاقل وتنبيه غافل..... ١٢٧
ومن حسن العهد ومكارم الأخلاق..... ١٢٨
ومن باب فضل مواساة أهل البيت وإيثارهم بالنفقة على الحجّ إلى البيت..... ١٢٩
من حج من خلفاء بني العباس..... ١٣٠
ومن وقائع بعض الفقراء إلى الله تعالى..... ١٣١
ومن سماعنا على قول الرضي بالقلب..... ١٣١
ومن حميد الخصال..... ١٣٥
موطن شكر..... ١٣٦
محلّ صنائع المعروف..... ١٣٧
حكاية..... ١٣٧

وفي باب الأخلاق ومكارمها ١٣٨
من عفا عن قدرة..... ١٣٨
حكاية ١٣٨
حكاية مضحكة..... ١٣٩
حكاية في معناها..... ١٣٩
كتاب رسول الله ﷺ إلى كسرى ملك فارس، وما كان منه في ذلك..... ١٤٠
أُنسٌ بعرفان وخلوة برحمان..... ١٤٢
تذكرة بلسان حال ١٤٣
إيقاع وحسن استماع..... ١٤٣
دعاء مجاب لبعض نساء الأعراب ١٤٥
حِفظ اللسان دليل على عقل الإنسان..... ١٤٥
ومن باب العناية الإلهيّة..... ١٤٥
ومن باب حثّ النفس على المجاهدة..... ١٤٦
ومن باب حنين الإبل وسيرها ١٤٦
خبر لَخنيعة مع ذي نواس..... ١٤٧
رسالة أبي بكر الصديق وإتباع عمر بن الخطاب لها إلى عليّ مع أبي عبيدة بن الجراح وجواب عليّ
عن ذلك ومبايعته لأبي بكر رضي الله عنهم ١٤٩
شرح ما وقع في هذه الرسالة من الغريب ١٦١
(أبو بكر الصديق)..... ١٦٨
(عمر بن الخطاب)..... ١٦٨
(عثمان بن عفان)..... ١٦٩
(علي بن أبي طالب)..... ١٦٩
(الحسن بن علي)..... ١٦٩
ذكر ما روي عن العشرة الذين هم أكابر الصحابة من الحديث على ما رويناه من حديث بقي بن
مخلد..... ١٦٩
ما روى أهل بيته ونساؤه وخدّامه ومواليه ١٧٠
خبر قُصَيْ لمّا أَسَنَّ وما صنع مع أولاده ١٧٣

ذِكر ما رثى به عمّاتُ النبيّ ﷺ أباهنّ عبد المطلب ١٨٢
ومما سُمع من بكاء الجنِّ عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه ١٨٧
ومما بكت الجنُّ به عثمانَ بن عفان رضي الله عنه ١٨٨
ما ناحت به الجنّ على الحسين رضي الله عنه ١٨٩
لسان كريم ١٩٠
المعرفة أشرف صفة ١٩٢
ومن باب مطارحة العشاق ١٩٣
ومن باب حنين الإبل وسيرها ١٩٣
خطبة سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين ١٩٥
خبر خولة بنت حكيم مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ١٩٥
ومن خُطب الحجاج ١٩٥
حديث أبي ذر مع عبد الله بن عامر ١٩٦
حديث ملك متقدّم ١٩٧
(قصة عمر بن الخطاب مع أصحاب الضوء) ١٩٩
سؤال معاوية رضي الله عنه لضرار أن يصف عليًّا رضي الله عنه ٢٠٠
ومن كلام عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ٢٠١
كلام أبي بكرة لمعاوية رضي الله عنه ٢٠٢
ما كلّم به أبو مسلم الخولاني معاوية ٢٠٢
آية بيّنة لقوم يعقلون ٢٠٣
بلاغةٌ أبانت عن حقيقة ٢٠٣
«مِن حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» ٢٠٤
تأديب حكيم وتعليم عاقل عليم ٢٠٤
استمالة حكيم عفوَ سلطان حليم ٢٠٤
وصيّة محكمة وموعظة منظمة ٢٠٥
خلق كريم مع ذي ذمّة ذميم ٢٠٥
نفس أبيّة وهمّة عليّة ٢٠٦

ومن ذلك وصيّة سنيّة..... ٢٠٦
حكمة..... ٢٠٦
صفة حميدة وحالة سعيدة..... ٢٠٦
قول الله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾..... ٢٠٧
عبرة بنفوذ قضاء على يد كاره له..... ٢٠٧
حكمة من امرأة..... ٢٠٧
خبر الخضر في مسجد النبيّ عليه السلام..... ٢٠٨
موعظة منظومة..... ٢٠٨
ما ينبغي أن يكون عليه الخليل..... ٢٠٩
مكاتبة استلطاف..... ٢٠٩
إيقاظ وعِبرة واتّعاظ..... ٢٠٩
تحريض على الدعاء وتحضيض..... ٢١٠
شروط الإيمان أخلاق حسان..... ٢١٠
إفصاح لسان الزمان بما هو عليه الإنسان..... ٢١٠
تصاريف الزمان وتقلّب الحدَثان..... ٢١٠
إيمان وحسن عشرة إخوان..... ٢١١
استعطاف كريم واستمالة لئيم..... ٢١١
إفصاح بغالب الأحوال ممن يعدّ من الأبدال..... ٢١١
حكمة بالغة..... ٢١٢
تذكرة الحليم..... ٢١٢
ملاطفة وحلم..... ٢١٢
نفس أبيّة..... ٢١٢
خبر الشجرة التي سلّمت على رسول الله ﷺ وإتيانها إليه..... ٢١٤
مرافقة المتّقين الأخيار في الأسفار..... ٢١٤
شوق وانزعاج عند وداع الحاج..... ٢١٥
ولهيار الديلمي في الاشتياق..... ٢١٦
ومن وقائع بعض الفقراء..... ٢١٧

ومن باب محاسن الكلام..... ٢١٨
وصيّة بخلق كريم..... ٢١٨
ومن باب من عمل من حيث العبودة..... ٢١٩
حكمة..... ٢٢٠
خبر مناة..... ٢٢٠
موعظة..... ٢٢١
ووقف الفضل الرقاشي على المقبرة فقال..... ٢٢١
ورأيت على قبر باذخ لسيّده مكتوبًا..... ٢٢١
ما يقول القبر في كلّ يوم..... ٢٢٢
رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك..... ٢٢٤
وصيّة نبويّة..... ٢٣١
مثل سائر..... ٢٣٩
في الحكمة..... ٢٤١
حكمة..... ٢٤١
ما جاء في صورة جبريل التي خُلق عليها..... ٢٤٤
انتشار ولد إسماعيل وعبادتهم الحجارة..... ٢٤٤
ومن منظومات الشبلي في يوم العيد..... ٢٤٥
خبر هبل الصنم الذي كان بالكعبة..... ٢٤٦
ومن باب الأجواد والهمم العالية..... ٢٤٩
ومن شعر علي بن أفلح في الخيف..... ٢٥٠
واقعة لبعض الفقراء..... ٢٥٠
ومن حسن الخطاب..... ٢٥٢
وفي الحكمة..... ٢٦٠
نسيان النعمة أوّل درجات الكفر..... ٢٦٢
مثل سائر..... ٢٦٢
مثل: "سمّن كلبك يأكلك"..... ٢٦٣
مثل في "عيّ باقل"..... ٢٦٣

خبر الظبية التي كلّمت رسول الله ﷺ..... ٢٦٣
ولاية بني إسماعيل الكعبة وأمر جرهم..... ٢٦٤
كتاب حكيم إلى حكيم..... ٢٦٨
الألوان..... ٢٦٨
همّة شريفة وزهد كريم..... ٢٧٠
من آثر آخرته على دنياه وغلّب عقله على هواه..... ٢٧٠
وممّا تضمّنه الأشواق قول بعض العشّاق..... ٢٧١
مجنون وعظ عاقلًا فما ظنّك بعاقلهم..... ٢٧٣
خبر رويناه في مواقف يوم القيامة في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة..... ٢٧٣
ومن إنشاء المولى مدّ الله ظلّه..... ٢٨١
قلب تأثّر من صادق مؤثّر..... ٢٨٢
ومن زعم أنّ ذا القرنين حميري..... ٢٨٤
ولنا في باب الفخر..... ٢٨٥
ومن باب الحياء من الله تعالى والصدقة..... ٢٨٥
ومن باب الغربة عن الوطن شذور..... ٢٨٦
ومما نظمناه في الربيع وأزهاره، وما حباه الرقيع بإزهاره..... ٢٨٦
(نظم ونثر لأبي علي بن شبل الشاعر)..... ٢٨٦
ومن منثور الحِكَم وميسور الكِلَم..... ٢٨٩
وصيّةٌ من زاهد تحوي على فوائد..... ٢٩١
ومن أحسن ما قيل في المرحاض وهو مما يلحق بهذا الباب..... ٢٩٢
ولنا في النحول من باب النسيب..... ٢٩٢
ولنا في اتّحاد المحبّ بالهوى..... ٢٩٢
ولنا في معاتبة القلب والبصر..... ٢٩٣
ولنا من باب منازلات الحبّ..... ٢٩٣
ولنا من باب القلب والبصر..... ٢٩٣
حكاية..... ٢٩٤
مشورة أبي بكر الصديق رضي الله عنه الصحابة في قتال أهل الردّة..... ٢٩٤

شيب رسول الله ﷺ..... ٢٩٥
ما جاء في زهده عليه السلام..... ٢٩٥
إسلام خزيم بن فاتك..... ٢٩٦
خبر إلهي..... ٢٩٨
وصيّة عمر بن الخطاب رضي الله عنه..... ٢٩٨
في الخوف من الله تعالى..... ٢٩٩
عجائب بيت المقدس التي صنعها الضحاك بن قيس الأزدي وقيل الغسّاني..... ٢٩٩
ومن باب التقوى في الهوى..... ٣٠١
مثل نبوي..... ٣٠٢
ومن شذور الحِكم..... ٣٠٢
ومن وصايا الله تعالى لنبيّه داود عليه السلام..... ٣٠٣
حكمة بالغة وحجّة دامغة..... ٣٠٣
وصيّة أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه..... ٣٠٣
غزوة عبد الله بن جحش الأسدي..... ٣٠٥
(حِكَم)..... ٣٠٧
بناء عبد الملك بن مروان قبّة الصخرة..... ٣٠٨
ومن باب النسيب..... ٣١٢
ولنا من النظاميّات..... ٣١٣
خبر إلهي..... ٣١٤
أقوال حِسان في الحنين إلى الأوطان..... ٣١٧
ومن الأخبار النبويّة..... ٣١٩
خبر آخر..... ٣١٩
حِكم جوامع لضروب من المنافع..... ٣٢٠
خبر نبويّ بتلطّفٍ إلهيّ..... ٣٢١
ومن حديث ابن ثابت أيضا رضي الله عنه في باب الفراسة..... ٣٢١
ومن باب النسيب ما قاله الأديب..... ٣٢٢
ومن باب الإفراط في العشق..... ٣٢٣

ولنا من النظاميّات..... ٣٢٣
ومما قيل في لذع الهوى..... ٣٢٤
ذِكر غزاة مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم وما عمِل من الأعاجيب في بلاد الروم ودخوله القسطنطينية على أتمّ الروايات في ذلك إن شاء الله تعالى..... ٣٢٥
تأديب عمر بن عبد العزيز مسلمة بن عبد الملك..... ٣٣٩
ومن أخبار عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه..... ٣٣٩
ولنا في الأخذ من السلطان وترك الأخذ من الناس للمنّة..... ٣٤٠
ومن باب الوطن ما قالت العجم اللسن..... ٣٤١
حكمة..... ٣٤٢
ومن باب العشّاق والعشق..... ٣٤٣
حكاية..... ٣٤٤
ومن جواهر الكلام..... ٣٤٥
وصيّة من شيخ ناصح لتلميذ قابل..... ٣٤٦
وصيّةُ نوحٍ ابنَه عليه السلام..... ٣٤٧
نصيحة..... ٣٤٧
حكاية شاب اصطنعه الحقّ تعالى..... ٣٤٨
كلام لبعض إخواننا فيمن أفناه الشوق..... ٣٤٨
مبشّرة خير تدلّ على فتح ونصر..... ٣٤٩
(ذِكر كعب الأحبار)..... ٣٥٠
ومن باب العشق والعشّاق ما ذكر عن المأمون وهو قوله..... ٣٥١
ومن منثور الحِكَم والوصايا..... ٣٥٢
ومن باب التذكير والنصائح..... ٣٥٤
ومن باب ما وجد منقوشًا على الأحجار..... ٣٥٤
ومن باب النسيب..... ٣٥٥
ومما روينا في بنيان إيليا..... ٣٥٨
ومن باب الغربة وذكر الوطن..... ٣٥٨
خبر نبويّ في مكارم الأخلاق..... ٣٦٠

ومن الحسان في فضل رمضان..... ٣٦١
ومن أحسن الحِكَم..... ٣٦١
كلمات نافعة لخيرات جامعة..... ٣٦٢
وروينا من حديثه في باب: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾..... ٣٦٣
حديث حسن مروي عن الحسن..... ٣٦٣
ومما قيل في إفراط المحبّة..... ٣٦٣
ولنا من النظاميّات..... ٣٦٤
خبر الرجفة التي كانت ببيت المقدس..... ٣٦٥
ومن باب من آثر محبّة الله..... ٣٦٥
ومن حِكم وهب بن منبّه..... ٣٦٦
ومن فصيح كلام الأعراب في هذا الباب..... ٣٦٦
موعظة..... ٣٦٧
وممّا قيل في الوطن..... ٣٦٨
ومن التنبيهات..... ٣٧٠
ومما قيل في الاعتذار عن البخل..... ٣٧١
ومن أزاهر الحِكم..... ٣٧١
ومن باب ما قيل في التصوّف..... ٣٧٣
تذكرة ربّانيّة رويناها من حديث ابن ثابت..... ٣٧٤
وممن وعظه الشيب فتبرّأ من العيب..... ٣٧٤
ومن النسيب ما قيل في معاتبة الجوارح..... ٣٧٥
كلام في السماع لبعض إخواننا..... ٣٧٦
حكاية الضّادي..... ٣٧٧
خليفة أمنٍ وعدلٍ في حال شغله باللهو والغزل..... ٣٧٨
ومن باب النصائح..... ٣٧٩
حكم منثورة..... ٣٨٢
ومن باب النسيب..... ٣٨٣
وبلسان الوسوس في هذا الباب..... ٣٨٣

رؤيا عاتكة عمّة رسول الله ﷺ بمكة فيما جرى على المشركين يوم بدر..... ٣٨٥
قدوم حِمْيَرْ على أبي بكر الصديق رضي الله عنه..... ٣٨٧
ومن باب النسيب..... ٣٨٨
ومن باب النسيب قولنا..... ٣٨٩
خبر إسحق بن طلحة بن عبيد الله مع حرقة بنت النعمان بن المنذر..... ٣٨٩
خبر عبد الواحد بن زيد مع الراهب..... ٣٩٠
ولنا في القبر والتحريض على الغَرس عليه..... ٣٩٣
ولنا في قوله تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ﴾..... ٣٩٣
زيادة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مسجد المدينة..... ٣٩٤
تذكرة نبويّة باجتناب صفات دنيّة..... ٣٩٥
تنبيه..... ٣٩٥
وممّا نظمته الأشواق بلسان الاشتياق قولنا في نظام الحسن عين الشمس بهاء الجمال:..... ٣٩٦
وممّا قيل فيمن عشق فعفّ..... ٣٩٦
ومن الأخبار النبويّة..... ٣٩٨
ومن محاسن الكلام..... ٣٩٩
ومن باب من لم تلحظه العيون لفقره وهو جمّ الفضائل..... ٤٠٠
ومن باب عزّ النفس بالغنى بالله..... ٤٠١
ومن باب كم من استغفار يحتاج إلى استغفار..... ٤٠١
ومن الحكمة النافعة والألفاظ الجامعة..... ٤٠٢
ولنا من باب من التذّ بالهوى..... ٤٠٣
ومن باب من لم يسأل الشفاء من الهوى..... ٤٠٤
كتاب أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى أهل اليمن يحرّضهم على غزو الروم بالشام وما قالوا في ذلك ..٤٠٥
كريم أخلاق دليل على طيب أعراق..... ٤٠٧
تذكرة من صاحب عقله لهواه غالب..... ٤٠٧
من عمِلَ على قوله ﷺ: «كلّ أمرٍ لا يُبدأ فيه بذكر الله فهو أجذم»..... ٤٠٧
من راقب الله في حال القضاء حذرًا من سوء القضاء..... ٤٠٧
وصيّة عليّ بن عبيدة للمأمون في الحسد..... ٤٠٨

موعظة لبعض الأعراب، بما تئول إليه الدنيا من الخراب.....٤٠٨
حكمة ممن جعل حسن الصورة نعمة.....٤٠٨
حِكم.....٤٠٩
موعظة مالك بن دينار لوالي البصرة.....٤١٠
وممّا قيل في باب النسيب.....٤١٠
حديث أبي بكر الصديق ﷺ مع الصحابة، وما قالوا له حين حدّث نفسه بغزو الروم.....٤١١
وصيّة عثمان بن عفّان ﷺ.....٤١٦

ABOUT THE BOOK

مركز الصفاء للدراسات

محاضرة الأبرار
ومسامرة الأخيار

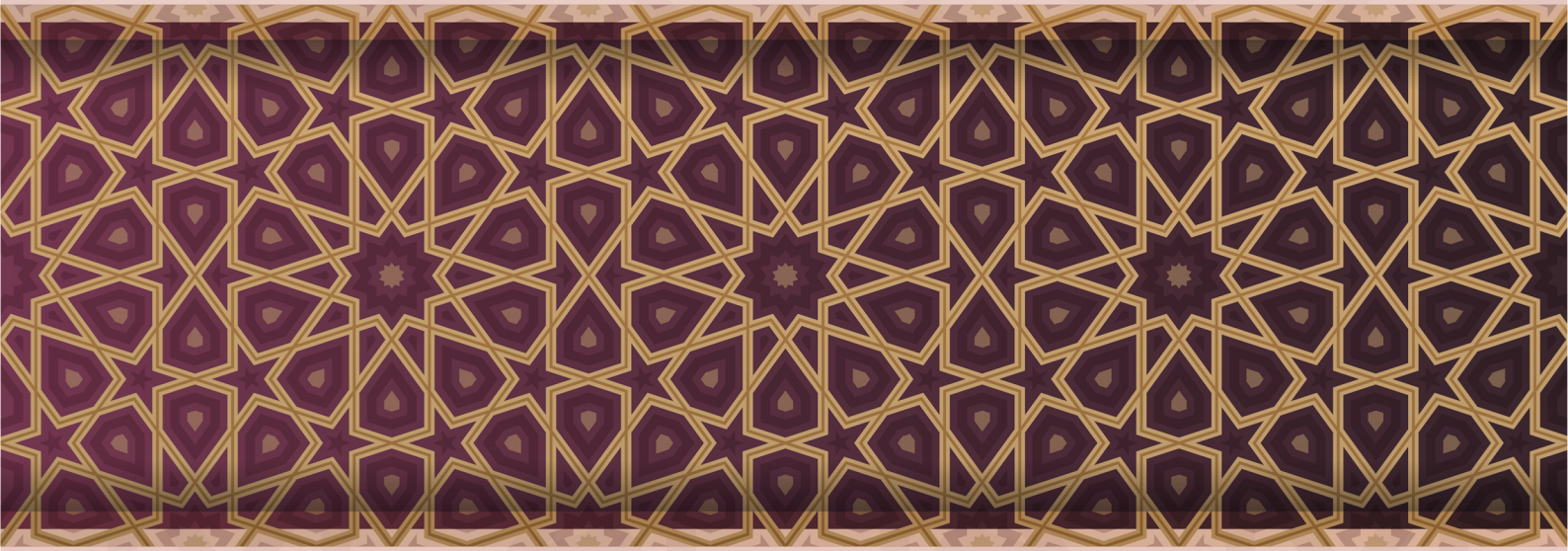

طبعة إلكترونية أولى

©2026